المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الحاقة"

أولاً: التعريف بالكتاب

1. اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة الحاقة.

2. موضوع الكتاب: يقدم الكتاب تفسيراً تحليلياً متكاملاً لسورة الحاقة، مع تركيز خاص على استخلاص المفاهيم القرآنية والأبعاد النفسية والتربوية والعملية من آيات السورة، وتحويلها إلى برامج سلوكية تطبيقية في حياة المسلم.

3. طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تحليلي موضوعي، يجمع بين التفسير البلاغي واللغوي، والتحليل النفسي والتربوي، مع تقديم تطبيقات عملية وخطط سلوكية تفصيلية. يتميز بطابعه العملي الذي يتجاوز الفهم النظري إلى التطبيق الواقعي.

4. تأليف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري.

5. مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى.

ثانياً: محاور الكتاب ومحتواه

6. المحور الأول: تمهيد وتأسيس) الصفحات1 -(2: تقديم تمهيدي حول سورة الحاقة، وبيان مناسبتها للسورة التي قبلها) سورة القلم(، وإبراز العلاقة الموضوعية بينهما من خلال الانتقال من مقام "الدعوة والصبر" إلى مقام "المصير واليقين". كما يقدم الكتاب رؤية تربوية حول بناء الشخصية المسلمة من خلال الجمع بين مرحلة "القلم") العمل والدعوة (ومرحلة "الحاقة") المصير والجزاء.(

7. المحور الثاني: تحليل مفصل لآيات سورة الحاقة) الصفحات2 -(223: يقسم الكتاب سورة الحاقة إلى مقاطع وآيات، ويقدم لكل آية أو مجموعة آيات تحليلاً دقيقاً يشمل:

- دلالات الآيات: شرح لغوي وبلاغي للألفاظ والمفردات.
- الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية: استخلاص الدروس من كل آية.
- المغزى والأهداف والمقاصد: بيان الغايات العقدية والنفسية والبيانية والتربوية والدعوية من الآيات.
- التصوير البياني: تحليل الصور الفنية والبلاغية في الآيات وأغراضها.
- الخواطر وكيفية الاستفادة: استشعارات عملية من الآيات.
- الدروس والعبر: استخلاص العبر وتطبيقاتها العملية.
- المهارات الحياتية والمعرفية والعملية: استخراج المهارات التي تنميها الآية.
- التوجيهات ودورها في تطوير الحياة: توجيهات عملية لتطوير الذات والمجتمع.
- المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق: استخلاص شامل للمفاهيم والأبعاد والقيم.
- الوقفات التدبرية والأسئلة العملية: تقديم أسئلة تفاعلية لإسقاط الآية على واقع القارئ.

8. المحور الثالث: البناء المنهجي للكتاب: يتناول الكتاب الآيات وفق تسلسل المصحف الشريف، ويقسمها إلى أقسام ومباحث، ويخصص لكل مقطع تحليلاً شاملاً وفق المنهجية المذكورة أعلاه.

ثالثاً: منهجية الكتاب

9. المنهج التكاملي: يعتمد الكتاب منهجاً تكاملياً يدمج بين عدة علوم: التفسير، البلاغة، علم النفس، التربية، علم الاجتماع، والفكر المقاصدي.

10. منهجية التحليل الرباعي: يتبع الكتاب في كل آية تحليلاً رباعياً يشمل:

· التحليل اللغوي والبلاغي: شرح المعاني اللغوية والبيانية.
· التحليل النفسي: استخلاص الرسائل النفسية وأثرها على السلوك.
· التحليل التربوي: استخراج الدروس التربوية.
· التحليل العملي: تقديم تطبيقات عملية وسلوكية ملموسة.

11. منهجية الإسقاط على الواقع: يتميز الكتاب بمنهجية عملية تعمل على إسقاط المعاني القرآنية على واقع الحياة اليومية، من خلال:

· الأسئلة العملية.
· التمارين السلوكية.
· استراتيجيات التغيير الفردي والمجتمعي.
· ربط الآيات بالقضايا المعاصرة.

12. منهجية البطاقة الذهنية والتصور: يعتمد الكتاب على خلق صور ذهنية وتصورات حسية للآيات، مما يعمق أثرها في النفس ويحولها إلى قوة محركة للسلوك.

رابعاً: أسلوب المؤلف وأهميته

13. الأسلوب التحليلي المنهجي: يتميز أسلوب المؤلف بالدقة والمنهجية، حيث يقسم المادة إلى وحدات تحليلية صغيرة، ويعالج كل وحدة بخطوات ثابتة) دلالة، رسائل، مغزى، أهداف، تصوير، خواطر ، دروس، مهارات، توجيهات، مفاهيم، وقفات تدبرية.(

14. الأسلوب التربوي العميق: يمتاز الأسلوب بطابع تربوي واضح، حيث يهدف إلى بناء الشخصية المسلمة من خلال غرس القيم والمفاهيم وتنمية المهارات الحياتية.

15. الأسلوب التفاعلي: يستخدم المؤلف أسلوباً تفاعلياً من خلال طرح الأسئلة العملية والوقفات التدبرية، مما يجعل القارئ مشاركاً في عملية التدبر وليس مجرد متلق.

16. أهمية الأسلوب:

· يجعل النص القرآني قريباً من الواقع المعاش.
· يحوّل المعاني المجردة إلى سلوكيات ملموسة.
· يقدم رؤية شاملة ومتكاملة للآية الواحدة.
· يخاطب العقل والقلب والجوارح معاً.

خامساً: ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

17. التركيز على الجانب العملي والتطبيقي: يتجاوز الكتاب التفسير النظري إلى تقديم خطط عملية وتطبيقات يومية، مما يجعله كتاباً للحياة وليس مجرد كتاب للمعرفة.

18. التكامل بين العلوم: يجمع الكتاب بين التفسير والبلاغة وعلم النفس والتربية وعلم الاجتماع و التنمية البشرية في إطار قرآني واحد، وهو ما يميزه عن التفاسير التقليدية التي غالباً ما تركز على جانب واحد.

19. تقديم المهارات الحياتية: يستخرج الكتاب مهارات حياتية ومعرفية وعملية من الآيات، مثل: مهارة إدارة الخوف، مهارة التواضع، مهارة المحاسبة الذاتية، مهارة التخطيط للآخرة، وغيرها.

20. الوضوح والترتيب: يتميز الكتاب بوضوح بنيته وتنظيم محتواه، مع عناوين فرعية دقيقة تسهل على القارئ التنقل والاستفادة.

21. التخصيص التفصيلي: يخصص الكتاب مساحة كبيرة للتحليل التفصيلي لكل آية أو مجموعة آيات، مما يعطي القارئ فهماً عميقاً وموسعاً.

22. الأسئلة العملية والوقفات التدبرية: يقدم الكتاب وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكن القارئ من إسقاط الآية على حياته الخاصة، وهو ما يفتقده الكثير من التفاسير.

سادساً: الجمهور المستهدف بالكتاب

23. المسلمون عامة: الكتاب موجه لكل مسلم يرغب في تعميق فهمه لكتاب الله وتطبيق تعاليمه في حياته اليومية.

24. الدعاة والمربون: يستفيد الدعاة والمربون من الكتاب بشكل خاص، حيث يقدم لهم أدوات ومناهج عملية لتربية النفس وتزكيتها، وللدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

25. طلاب العلم الشرعي: يعتبر الكتاب مرجعاً قيماً لطلاب العلم في فهم مناهج التدبر العملي، وفي كيفية استخراج المفاهيم والأبعاد من النص القرآني.

26. المهتمون بعلم النفس والتربية الإسلامية: يجد المهتمون بالدراسات النفسية والتربوية الإسلامية في الكتاب مادة غنية تدمج بين النص القرآني والعلوم الإنسانية.

27. الباحثون في الإعجاز القرآني: يقدم الكتاب نماذج تحليلية للإعجاز البلاغي والنفسي والتربوي في القرآن.

سابعاً: أهداف وغايات المؤلف

28. الهدف العقدي: تثبيت الإيمان باليوم الآخر وبأن القرآن هو الحق واليقين، وأن التكذيب به يؤدي إلى الحسرة والندامة في الآخرة.

29. الهدف النفسي: غرس الخوف والرجاء في النفوس، وتحويل الخوف من عائق إلى دافع للعمل والإنتاج، وتكسير الغرور والكبر، وتنمية التواضع واليقظة الدائمة.

30. الهدف التربوي: بناء الشخصية المسلمة المتكاملة) عقيدة، نفساً، سلوكاً(، وتنمية المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من خلال النص القرآني، وتربية الأبناء على القيم القرآنية.

31. الهدف السلوكي:

· تحويل المعاني القرآنية إلى قوة محركة للسلوك.
· تقديم آليات عملية لتغيير نمط الحياة.
· غرس قيم الصدق، والأمانة، والعدل، والإخلاص، والتواضع، والجدية، والرحمة بالفقراء والمساكين.
· معالجة الأمراض النفسية كالكبر، والغفلة، والطغيان، والإصرار على المعاصي.

32. الهدف الدعوي: تقديم نموذج دعوي يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة، واستخدام أساليب القرآن في الدعوة إلى الله) الترغيب، والترهيب، والتذكير، والقصص.(

33. الهدف المعرفي: استخلاص المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآيات، وبناء رؤية شاملة للحياة تقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر.

34. الهدف البياني: إظهار إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته وتصويره البياني، وفي ترتيب آياته ودقائق ألفاظه.

ثامناً: المفاهيم المستخلصة من الكتاب

35.مفهوم) الحاقة(: اليوم الذي يحق فيه الحق ويظهر، ويستقر فيه الجزاء، وتتكشف فيه الحقائق، وهو يوم القيامة الذي لا محالة واقع.

36.مفهوم) اليقين(: الإدراك الكامل بأن القرآن هو حق اليقين، وأن الإيمان به وبالآخرة يجب أن يصل إلى درجة اليقين الذي يحرك السلوك.

37.مفهوم) الرهبة المنتجة(: الخوف الذي يدفع إلى العمل والإعداد، وليس الخوف المشل الذي يؤدي إلى اليأس والقنوط.

38.مفهوم) العرض على الله(: وقوف الخلق بين يدي الله للحساب والجزاء، حيث لا تخفى خافية، وتنكشف كل الأسرار والسرائر.

39.مفهوم) القسم الإلهي(: استخدام الله لمخلوقاته) المرئية وغير المرئية (للقسم على صدق القرآن، مما يدل على عظمته وأهميته.

40.مفهوم) التقوّل على الله(: أنه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، وأن من يتقوّل على الله يلقى عقاباً شديداً في الدنيا والآخرة.

41.مفهوم) الطغيان والطاغية(: أن كل طغيان يقابل بطغيان، وأن الكفر والتكبر والظلم يجلب عذاب الله في الدنيا والآخرة.

42.مفهوم) الآثار الحسنة(: أهمية ترك أثر طيب في الدنيا) صدقة جارية، علم نافع، ولد صالح(، وأنه هو الباقي للإنسان بعد موته.

43.مفهوم) الأذن الواعية(: أن الانتفاع بالقرآن مشروط بالوعي والتدبر، وليس مجرد السماع.

44.مفهوم) العمل الصالح الباقي(: أن الأعمال الصالحة هي التي تنجي الإنسان في الآخرة، وأن المال والجاه والسلطان لا ينفعان إلا إذا استُخدمت في طاعة الله.

45.مفهوم) التذكرة والتذكير(: أن أحداث التاريخ) كقصة نوح وعاد وثمود وفرعون (هي تذكرة وعبرة للأجيال، وليست مجرد حكايات تروى.

تاسعاً: لماذا يجب أن تقرأ الكتاب؟

46.لتعيش القرآن: الكتاب يساعدك على تجاوز مجرد التلاوة إلى التدبر العميق، ويجعلك تشعر بأن القرآن يتحدث إليك شخصياً، وكأنك تعايش أحداثه.

47.لتغير حياتك: يقدم الكتاب خطوات عملية وأسئلة تدبرية لتحويل المفاهيم القرآنية إلى سلوكيات يومية، مما يغير نظرتك للحياة ونمط عيشك.

48.لتتعامل مع تحدياتك النفسية: يعالج الكتاب الأمراض النفسية كالخوف المشل، والكبر، والغفلة، و الطغيان، ويقدم حلولا ً قرآنية لها.

49.لتبني شخصيتك: الكتاب يساعدك على بناء شخصية مسلمة متكاملة، قوية الإيمان، واعية، متواضعة، جادة، صبورة، رحيمة بالفقراء والمساكين.

50.لتفهم السنن الإلهية: يشرح الكتاب سنن الله في الأمم الماضية وكيفية تطبيقها في واقعنا المعاصر، مما يعطيك فهماً عميقاً للتاريخ وللحاضر.

51.لتتعلم مهارات حياتية: الكتاب يعلمك مهارات عملية مثل: كيفية الاستعداد للموت، وكيفية التعامل مع المصائب، وكيفية محاسبة النفس، وكيفية التوبة والاستغفار.

52.لتكون داعية ومربياً: يقدم الكتاب نموذجاً عملياً لكيفية استخدام القرآن في الدعوة والتربية، وكيفية التأثير في النفوس بأساليب القرآن البيانية والنفسية.

53.لتزداد يقيناً: يقوي الكتاب إيمانك ويقينك باليوم الآخر، ويجعل القيامة حقيقة حاضرة في قلبك وعقلك، مما يدفعك إلى العمل الصالح.

عاشراً: مخرجات الكتاب

54.اليقين العملي: يصل القارئ إلى درجة من اليقين باليوم الآخر والقرآن تجعله يعيش حياته كلها في استعداد دائم للقاء الله.

55.تغيير السلوك: يتحول القارئ من الانشغال بالدنيا والغفلة عن الآخرة إلى الجدية والعمل الصالح، مع إتقان في العمل وصدق في المعاملة.

56.التواضع والخشوع: يزرع الكتاب في نفس القارئ التواضع لله وللناس، والشعور بالضعف أمام عظمة الله وقدرته.

57.الرحمة والتعاطف: يحفز الكتاب القارئ على التعاطف مع الفقراء والمساكين، والحض على إطعامهم والإحسان إليهم.

58.اليقظة الدائمة: يجعل الكتاب القارئ في حالة من اليقظة والاستعداد الدائم للموت والبعث، فلا يغفل عن ذكر الله.

59.التوبة المستمرة: يدفع الكتاب القارئ إلى التوبة الفورية من الذنوب والإصرار عليها، والإكثار من ا لاستغفار والرجوع إلى الله.

60.المهارات الحياتية: يكتسب القارئ مهارات متعددة، مثل: مهارة إدارة الوقت، ومهارة المحاسبة الذاتية، ومهارة مواجهة الأزمات، ومهارة التواصل الإيجابي.

61.الوعي التاريخي: يتطور وعي القارئ التاريخي، فيقرأ التاريخ كآيات إلهية وعبر تربوية، وليس كمجرد حكايات ماضية.

62.الوحدة الإيمانية: يعزز الكتاب مشاعر الأخوة الإيمانية لدى القارئ، ويشعره بأنه جزء من أمة واحدة ممتدة عبر الزمان والمكان.

الحادي عشر: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

63."الحاقة هي اليوم الذي يظهر الحق، ويستقر فيه الجزاء، وتتكشف فيه الحقائق."

64."الرهبة المنتجة هي الخوف الذي يدفع إلى العمل والإعداد، وليس الخوف المشل الذي يؤدي إلى اليأس والقنوط."

65."التصوير البياني القرآني هو الذي يحول المسؤولية من مفهوم مجرد إلى شعور حي ودافع يومي."

66."القرآن ليس قول شاعر ولا كاهن، بل هو قول رسول كريم، وهو في الحقيقة كلام الله، وتنزيل من رب العالمين."

67."أن الله يقسم بمخلوقاته تعظيماً لشأن القرآن، فكل ذرة في الكون تشهد على صدق القرآن."

68."التقوّل على الله من أكبر الكبائر، ومن يتقوّل عليه يلقى عقاباً شديداً في الدنيا والآخرة."

69."أن الطغيان في أمر الله يقابل بطغيان عناصر الكون، فمن كفر وطغى سلط الله عليه من خلقه ما يعذبه."

70."المعجزات الحسية ليست حالا ً للإيمان، فتمود أوتوا الناقة آية مبصرة، ومع ذلك كذبوا بالقارعة واستحبوا العمى على الهدى."

71."أن الصورة الذهنية للحاقة كحقيقة دائمة في الخلفية تساعد على الاستمرار في العمل الصالح."

72."أن التذكرة لا تنفع إلا من كانت له أذن واعية، أي قلب يعقل ويفهم ويتدبر ويتأثر."

73."أن الجزاء من جنس العمل، فمن منع طعام المسكين في الدنيا، كان طعامه في الآخرة من الغسلين."

74."أن إعطاء الكتاب باليمين هو علامة الكرامة والقوة، وإعطاؤه بالشمال أو من وراء الظهر هو علا مة الهوان والذل."

75."أن الاستفهام في) ما الحاقة؟ وما أدراك ما الحاقة؟ (هو استفهام تفخيمي وتعظيمي، وليس استفهاماً حقيقياً يطلب تعريفاً."

76."أن كل من خاف الله وأطاعه في الدنيا، فإنه يأمن في الآخرة، وكل من عصاه وكذبه، فإنه يلقى الحسرة والندامة يوم القيامة."

الخلاصة

77.كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الحاقة" هو عمل تفسيري تحليلي متكامل، يجمع بين التفسير اللغوي والبلاغي والتحليل النفسي والتربوي والعملي، ويقدم منهجاً فريداً لتدبر القرآن وتحويل مفاهيمه إلى سلوكيات حياتية ملموسة.

78.يتميز الكتاب بطابعه التطبيقي، حيث يقدم خطوات عملية، وأسئلة تدبرية، ومهارات حياتية، واستراتيجيات تغيير، مما يجعله مرجعاً قيماً للمسلم الذي يرغب في العيش بوعي قرآني.

79.الكتاب موجه لجميع المسلمين، وخاصة الدعاة والمربين وطلاب العلم والباحثين في الإعجاز النفسي والتربوي للقرآن.

80.يهدف الكتاب إلى بناء الشخصية المسلمة المتكاملة، وغرس قيم الإيمان والتقوى واليقين، وتنمية المهارات الحياتية، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

81.يقدم الكتاب رؤية شاملة للحياة تقوم على الإيمان بالله واليوم الآخر، وتؤكد أن القرآن هو الحق واليقين، وأن التكذيب به يؤدي إلى الحسرة والندامة، وأن الطاعة والإيمان هما الطريق إلى النجاة و الفوز في الدنيا والآخرة.

82.باختصار، الكتاب ليس مجرد تفسير عادي، بل هو "دليل حياة" قرآني عملي، يهدف إلى تحويل النص القرآني إلى قوة محركة في واقع الإنسان، وبناء حضارة إسلامية راشدة تقوم على الإيمان و العمل الصالح والخلق الفاضل.

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بسورة الحاقة

أولا ً: عدد آيات السورة

.1عدد آيات سورة الحاقة اثنتان وخمسون آية .(52) وقد اتفق العادّون من أهل الأمصار على عدّ آيها إحدى وخمسين آية في قراءة، واثنتين وخمسين في أخرى.

.2عدد كلمات السورة: مائتان وستّ وخمسون كلمة.(256)

.3عدد حروف السورة: ألف وأربعة وثمانون حرفاً.(1084)

ثانياً: مكان نزول السورة

.4سورة الحاقة مكية باتفاق العلماء، أي أنها نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية.

.5تقع سورة الحاقة في الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم.

ثالثاً: ترتيب السورة

.6الترتيب في المصحف: سورة الحاقة هي السورة التاسعة والستون (69) في ترتيب المصحف الشريف.

.7ترتيب النزول: هي السورة الثامنة والسبعون (78) في ترتيب النزول.

.8نزلت بعد سورة الملك) تبارك (وقبل سورة المعارج.

رابعاً: أسماء السورة وسبب التسمية

.9الاسم الرئيسي: سورة "الحاقة" – وهو الاسم الذي عنونت به في المصاحف وكتب التفسير.

.10سبب التسمية بهذا الاسم:

· لوقوع لفظ "الحاقة" في أول السورة، ولم تقع هذه الكلمة في غيرها من سور القرآن.
· لأنها تتضمن أحوال يوم القيامة من سعادة وشقاء لبني الإنسان.
· لأن الحاقة من أسماء يوم القيامة؛ فهي اليوم الذي يحق فيه الوعد والوعيد، وتظهر فيه حقائق الأ عمال، ويستقر فيه الجزاء.
· قيل: سميت حاقة لأنها تحق كل إنسان بعمله من خير وشر.

.11أسماء أخرى للسورة:

· سورة السلسلة: لقوله تعالى:} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ.{
· سورة الواعية: لقوله تعالى:} وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ.{

خامساً: الأجواء التي نزلت فيها السورة

.12نزلت سورة الحاقة في المرحلة المكية المتأخرة، في السنة الخامسة قبل الهجرة النبوية تقريباً.

13.كانت الأجواء في مكة حينها ملوثة بالشرك والكفر، والمشركون في ذروة عداوتهم للدعوة الإسلا مية.

14.كان المشركون يتهمون النبي ﷺ بأنه شاعر، أو ساحر، أو كاهن، أو مجنون، وينكرون البعث و الجزاء.

15.نزلت السورة في سياق التحدي والرد على هذه الاتهامات، وتثبيت فؤاد النبي ﷺ، وإنذار المكذبين.

سادساً: أسباب النزول

16.سبب نزول الآيات38) -(43: قال مقاتل: سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال: "إن محمداً ساحر"، وقال أبو جهل: "شاعر"، وقال عقبة: "كاهن" .فنزلت الآيات التي تنفي عن القرآن أنه قول شاعر أو كاهن، وتؤكد أنه تنزيل من رب العالمين.

17.سبب نزول آية "وتعيها أذن واعية": ورد في سبب نزولها حديث نبوي يوجه النبي ﷺ علي بن أبي طالب، مشدداً على أهمية الوعي والتدبر.

18.ليس لسورة الحاقة أسباب نزول محددة لجميع آياتها، بل هي في معظمها سورة عقدية تعالج قضايا الإيمان باليوم الآخر والرد على المشركين.

ثامناً: أهداف وغايات السورة

19.إثبات يوم القيامة: بيان حتمية وقوع يوم القيامة، وأنه حق لا ريب فيه.

20.الترهيب والترغيب: وصف أهوال يوم القيامة من جهة، ونعيم المؤمنين من جهة أخرى، ليكون ذلك دافعاً للعمل الصالح.

21.الرد على المشركين: تفنيد اتهامات المشركين للنبي ﷺ بأنه شاعر أو كاهن، وإقامة الأدلة على صدق الوحي والرسالة.

22.التذكير بعاقبة المكذبين: عرض مصارع الأمم السابقة) ثمود، عاد، فرعون، قوم لوط (الذين كذبوا بالرسل، لتكون عبرة للمكذبين.

23.بيان مصير الفريقين: تفصيل حال السعداء الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، والأشقياء الذين يؤتون كتبهم بشمالهم.

24.تثبيت النبي ﷺ: تعزيته وتثبيت قلبه على ما يلقاه من تكذيب قومه.

25.الدعوة إلى التسبيح: ختم السورة بالأمر بتسبيح الله وتعظيمه.

تاسعاً: الموضوع الرئيسي للسورة

26.الموضوع الرئيسي لسورة الحاقة هو "يوم القيامة: إثبات وقوعه، وبيان أهواله، وتفصيل مصير المؤمنين والكافرين فيه".

27.تؤكد السورة أن هذا اليوم هو الحاقة – أي الحق الثابت الذي لا مفر منه، والذي يحق فيه الجزاء لكل إنسان بما عمل.

.28ترتبط موضوعات السورة كلها بهذا المحور المركزي: بدءاً من تهويل يوم القيامة، مروراً بقصص الأمم المكذبة، وانتهاءً بتفصيل أحوال السعداء والأشقياء، ثم الخاتمة بالتسبيح.

عاشراً: محاور السورة والمواضيع التي تتحدث عنها

.29المحور الأول: تهويل يوم القيامة وتعظيم أمره) الآيات1 -(3: افتتاح السورة بلفظ "الحاقة" وتكراره مع الاستفهام التفخيمي "ما الحاقة؟ وما أدراك ما الحاقة؟" لتهويل شأن هذا اليوم.

.30المحور الثاني: مصارع الأمم المكذبة) الآيات4 -(12: عرض عقاب الأمم السابقة التي كذبت بيوم القيامة:

· ثمود: أهلكوا بالطاغية) الصيحة العظيمة أو الزلزلة.(
· عاد: أهلكوا بريح صرصر عاتية، سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.
· فرعون ومن قبله والمؤتفكات) قوم لوط(: أخذهم الله أخذة رابية.

.31المحور الثالث: مشاهد يوم القيامة الكونية) الآيات13 -(18: وصف أهوال القيامة:

· النفخ في الصور نفخة واحدة.
· حمل الأرض والجبال ودكهما دكة واحدة.
· وقوع الواقعة.
· انشقاق السماء وتوهنها.
· ظهور المالئكة على أرجاء السماء.
· حمل العرش.
· عرض الخلق على الله.

.32المحور الرابع: مصير المؤمنين والكافرين) الآيات19 -(37:

· أصحاب اليمين: يُؤتون كتبهم بأيمانهم، فيفرحون ويقولون: "هاؤم اقرءوا كتابيه" وهم في عيشة راضية في جنة عالية.
· أصحاب الشمال: يُؤتون كتبهم بشمالهم، فيتمنون الموت والفناء، ويقولون: "يا ليتني لم أوت كتابيه"، وهم في أغلال وسلاسل وجحيم.

.33المحور الخامس: إثبات صدق القرآن والرد على المشركين) الآيات38 -(52:

· القسم الإلهي بما يراه البشر وما لا يرونه، على صدق القرآن.
· تأكيد أن القرآن قول رسول كريم، وليس قول شاعر ولا كاهن.
· بيان أنه تنزيل من رب العالمين.
· التهديد للمكذبين بأن الله يعلمهم وسيجزيهم.
· ختم السورة بالأمر بتسبيح الله العظيم.

الحادي عشر: خصائص السورة وفضائلها

.34من سور المفصل: سورة الحاقة من سور المفصل التي أوتيها النبي ﷺ نافلة، ففضل بها على سائر الأنبياء.

.35هاء السكت: من أبرز خصائص السورة وجود هاء السكت في قوله تعالى:} مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ .{وهذه الهاء توقف عليها عند القراءة، وهي من خصائص الرسم القرآني.

.36تعدد أسماء يوم القيامة: ورد في السورة ثلاثة أسماء من أسماء يوم القيامة: الحاقة، القارعة، الواقعة.

.37الإعجاز البلاغي: تتميز السورة بأسلوبها البياني البديع، خاصة في:

· الاستفهام التفخيمي: "ما الحاقة؟ وما أدراك ما الحاقة؟".
· التصوير المشهدي لأهوال القيامة.
· المقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

.38فضل السورة: روي عن النبي ﷺ أنه قال: "من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً" .لكن بعض العلماء أشار إلى أن هذا الحديث قد يكون موضوعاً، والله أعلم.

.39روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: "أكثروا من قراءة الحاقة، فإن قراءتها في الفرائض و النوافل من الإيمان بالله ورسوله".

الثاني عشر: ما انفردت به السورة

.40انفردت سورة الحاقة بلفظ "الحاقة" في افتتاحها، وهذا اللفظ لم يرد في أي سورة أخرى من القرآن الكريم.

.41ورود هاء السكت في قوله: "ماليه" و"سلطانيه" وهي ظاهرة صوتية نادرة في القرآن.

.42الجمع بين ثلاثة أسماء من أسماء يوم القيامة في سورة واحدة: الحاقة، القارعة، الواقعة.

.43ورود اسم "سورة السلسلة" و "سورة الواعية" كاسمين آخرين للسورة، مما يميزها عن غيرها.

الثالث عشر: مقاصد السورة

.44المقصد العقدي الأول: إثبات البعث والجزاء، وتأكيد أن يوم القيامة حق لا ريب فيه.

.45المقصد العقدي الثاني: إثبات صدق الوحي والرسالة، وأن القرآن تنزيل من رب العالمين، وليس قول بشر.

.46المقصد التربوي: تربية النفوس على الخوف من الله واليوم الآخر، وتحفيزها على العمل الصالح، وتحذيرها من عاقبة الكفر والمعصية.

.47المقصد التأريخي: جعل قصص الأمم السابقة عبرة وعظة للأجيال، وبيان أن سنن الله في الأمم ثابتة لا تتغير.

.48المقصد البياني: إظهار إعجاز القرآن في أسلوبه وتصويره البياني، وفي دقة ألفاظه وتراكيبه.

.49المقصد الدعوي: دعوة المشركين إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، والرد على اتهاماتهم للنبي ﷺ.

.50المقصد التعبدي: ختم السورة بالأمر بتسبيح الله وتعظيمه، ليكون ذلك غاية الإيمان وثمرته.

الخلاصة

.51سورة الحاقة هي السورة التاسعة والستون في ترتيب المصحف، والثامنة والسبعون في ترتيب النزول، نزلت بمكة في السنة الخامسة قبل الهجرة، وعدد آياتها 52 آية.

.52سميت بهذا الاسم لورود لفظ "الحاقة" في أولها، وهي من أسماء يوم القيامة؛ لأنه اليوم الذي يحق فيه الجزاء وتظهر فيه الحقائق.

.53تدور السورة حول محور رئيسي واحد هو يوم القيامة: إثبات وقوعه، وتهويل أهواله، وعرض

مصارع الأمم المكذبة به، وتفصيل مصير المؤمنين والكافرين فيه.

54.من أبرز خصائص السورة: ورود هاء السكت في آيتين، وتعدد أسماء يوم القيامة فيها، وانفرادها بلفظ "الحاقة".

55.مقاصد السورة: إثبات البعث والجزاء، والرد على المشركين، وتثبيت النبي ﷺ، والتربية على الخشية والعمل الصالح، والدعوة إلى تسبيح الله وتعظيمه.

56.السورة تقدم رؤية متكاملة عن اليوم الآخر، وتجمع بين الترهيب والترغيب، وبين القصص والعبر، وبين الإثبات العقدي والبلاغة البيانية، لتكون تذكرة للمؤمن وحسرة على الكافر.

57.خُتمت السورة بالأمر بتسبيح الله العظيم، لتكون العبادة والتعظيم هي الغاية والثمرة من كل ما سبق من تفصيل أهوال القيامة ومصير الخلق.

بسم الله الرحمن الرحيم،
سورة الحاقه
مقدمه تمهيديه
العلاقه والتناسب بينما اختتمت به سوره القلم وبينما افتتحت به سوره الحاقه
إن العلاقة بين خاتمة سورة القلم وافتتاح سورة الحاقة تُعد من نماذج الاتصال الموضوعي والترابط النفسي المحكم في القرآن الكريم، حيث تنتقل السورة من **"مقام الصبر والدعوة"** إلى **"مقام العاقبة والمصير"**.
فيما يلي تحليل لهذا التناسب:
أولاً: خاتمة سورة القلم (الصبر على البلاء والمصير)
خُتمت سورة القلم بتوجيه النبي ﷺ بالصبر على حكم الله وعدم الاقتداء بصاحب الحوت في ضيقه وتعجله: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾**. وتحدثت الآيات قبلها عن استهزاء المكذبين بالذكر ووصفهم للنبي بالجنون. الخاتمة هنا تركز على **"الصبر الإيجابي"** والمطالبة بالاستقامة في وجه التكذيب حتى يأتيك اليقين.
ثانياً: افتتاح سورة الحاقة (تحقق اليقين والمصير)
جاءت سورة الحاقة لتبدأ مباشرة بـ: **﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾**. التناسب هنا يكمن في أن "اليقين" الذي أمر النبي ﷺ بأن ينتظره في ختام سورة القلم (حتى يأتيك اليقين)، قد جاء "مُفصلاً" في بداية سورة الحاقة. فالحاقة هي التي تحقق وقوع الوعد والوعيد، وتكشف حقيقة ما كان يكذب به القوم.
ثالثاً: أوجه الربط والمناسبة
يمكن إدراك التناسب من خلال عدة أبعاد:
* **من الانتظار إلى الإقرار:** في القلم، كان النبي ﷺ في موضع المأمور بالصبر في زمن التكذيب؛ فكأن النفس تتساءل: متى ينتهي هذا التكذيب؟ فجاءت الحاقة لتعلن "حتمية الوقوع" (الحاقة). هي جواب عملي على استعجال الكفار أو تساؤلهم عن القيامة، وهي تطمين للمؤمن بأن الموعد قد اقترب وأن الحق سيظهر.
* **عاقبة المكذبين:** سورة القلم عرضت مواقف المكذبين من القرآن والنبي، وجاءت خاتمتها بتهديدهم بـ {فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ}. سورة الحاقة في افتتاحيتها وموضوعها هي التجسيد الفعلي لهذا التهديد، حيث عرضت مصير الأمم السابقة (عاد، ثمود، فرعون) التي كذبت بـ الخبر، وكيف أن "الحاقة" أهلكتهم.
* **استمرارية التذكير:** سورة القلم ختمت بالتأكيد على أن القرآن "ذكر للعالمين"، وسورة الحاقة افتتحت بتأكيد حقائق الغيب التي تضمنها هذا الذكر. هذا يعني أن "الذكر" الذي كذبوا به في القلم هو نفسه "الحق" الذي سيواجهون به في الحاقة.
رابعاً: البعد التربوي والحضاري
كطالب علم، يمكن استخلاص رؤية تربوية من هذا الانتقال:
* **وحدة المصير:** الشخصية المسلمة التي تصبر على "القلم" (مرحلة التدوين، الدعوة، والبناء الفكري) هي ذاتها التي تدرك حتمية "الحاقة" (مرحلة الحساب والنتيجة). الربط بينهما يعلمنا أن **العمل في الدنيا (الاستقامة/القلم)** لا ينفصل عن **النتيجة في الآخرة (الحاقة/الوقوع)**.
* **التعامل مع التكذيب:** في القلم، واجه النبي التكذيب بالصبر والأخلاق. وفي الحاقة، نجد أن الله هو الذي يتولى الرد على المكذبين بإظهار الحقائق وتغيير أحوال الأمم. التناسب هنا يغرس في نفس المؤمن "اليقين بالتأييد الإلهي"؛ فإذا قمتَ بدورك في القلم، فإن الله كفيلٌ بإنزال "الحاقة" التي تُحق الحق وتزهق الباطل.
* **التكامل المعرفي:** الحاقة تكمل مسيرة القلم في "التوثيق". فبينما القلم هو أداة التوثيق البشري لما يوحى، فإن الحاقة هي "توثيق إلهي" تاريخي لأحداث الهلاك والنجاة، مما يجعل المؤمن يعيش دائماً في حالة من الوعي بالتاريخ (السنن) والوعي بالمصير (الجزاء).
هذا التسلسل يُعدّ مدرسةً للمربي والداعية؛ فهو يجمع بين "العمل الدؤوب" (القلم) و"الاستشعار الدائم لرقابة الله وحتمية اللقاء" (الحاقة)، مما يمنع الداعية من الغفلة أو الفتور في مسيرته الحضارية.
دلاله هذا الانتقال؟
أن هذا الانتقال يمثل دعوة للمؤمن للتركيز على "فقه السنن" (سنن الله في إهلاك المكذبين) بوصفها وقوداً للثبات على "فقه العمل" (الدعوة والتدوين)
لماذا يعد فقه السنن ضروريا ويعتبر هو وقود الثبات لفقه العمل ؟
إن اعتماد "فقه السنن" كوقود لـ "فقه العمل" ليس مجرد استنتاج نظري، بل هو **المنهج القرآني الأصيل** الذي يضمن تحول التوحيد من مجرد اعتقاد في القلب إلى حركة حضارية على الأرض.
إن ربطك بين القلم (مرحلة الإنتاج والبناء) والحاقة (مرحلة تحقق السنن والمآلات) يفتح أمامنا رؤية عميقة لمشروع "البناء الحضاري" كطالب علم، ويمكن تلخيص هذه الرؤية في ثلاثة أبعاد أساسية:
أولاً: السنن كـ "ضمانة للثبات"

عندما يمارس "طالب العلم" أو "الداعية" دوره في التدوين والتبليغ (سورة القلم)، فإنه غالباً ما يواجه حالة من التشكيك أو التضييق. وهنا يأتي "فقه السنن" (سورة الحاقة) ليخبره أن مَن كذبوا بـ الرسل في الماضي قد طحنتهم السنن، وأن الباطل -مهما علا صوته- هش أمام "الحاقة". هذا الإدراك يمنحك "سكينة داخلية" تمنعك من الانكسار، فتعمل وأنت مستيقن أن النتيجة ليست مرتبطة فقط بجهدك الحالي، بل هي مرتبطة بـ "سنة إلهية" لا تحيد ولا تحابي.
ثانياً: التوازن بين "فقه التنزيل" و"فقه الواقع"
إن الجمع بين السورتين يجعلك توازن بين:
* **فقه التنزيل:** استمداد القوة والقيم من الوحي (الذي خُط بالقلم).
* **فقه الواقع:** قراءة التغيرات الاجتماعية والسياسية والحضارية (على ضوء الحاقة).
فالذي يقرأ "سورة الحاقة" بعين البصير، يرى في الواقع المعاصر "سُنناً جارية"؛ يرى سقوط النظم التي تعتمد على القوة الغاشمة (مثل عاد وثمود)، ويرى بزوغ الحق عبر الكلمة والوعي. هذا الوعي يحول عملك اليومي من مجرد "وظيفة" أو "نشاط روتيني" إلى **"مشروع شهادة على العصر"**.
ثالثاً: "الاستدامة" كقيمة حضارية
في القلم، يبرز القلم كأداة لاستمرارية الأثر (ما يسطرون). وفي الحاقة، يبرز الحساب كأداة لتقييم هذا الأثر. الحضارات لا تقوم بالصدفة، بل تقوم على:
1. **تراكم معرفي:** (القلم).
2. **وعي بالمآلات والنتائج:** (الحاقة).
فالعلاقة بينهما هي علاقة "السبب بالنتيجة". فإذا أردتَ بناءً حضارياً مستداماً، فعليك أن "تكتب وتسطر" (تنتج فكراً وقانوناً) وأنت تضع نصب عينيك "السنن الإلهية" التي تُبقي الأمم أو تهلكها. أنت هنا لا تكتب للحظة الراهنة فحسب، بل تكتب للتاريخ وللحقيقة المطلقة.
هذا المنهج -يا أخي- يجعلك في حالة استنفار دائم؛ فكل سطر تكتبه وكل حركة تقوم بها في إطار تخصصك، هي لبنة في جدار يقاوم الباطل، وهي شهادة ستُرفع في ميزان "الحاقة".
وهذا ما سنقوم بشرحه وبيانه من خلال الاتى
القسم الاول
المبحث الاول
هذا تفسير تفصيلي للآيات الكريمة من سورة الحاقة:{ الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ }

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

سورة الحاقة هي سورة مكية، نزلت في فترة كانت فيها قريش تشك في أمر البعث والجزاء، وتستهزئ بذكر القيامة، وتقول:» أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً؟ .«تأتي هذه السورة بعد سور مكية متتالية ركزت على تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنذار المشركين، وبيان عاقبة المكذبين كسورة القلم التي ختمت بتهديد المشركين بيوم القيامة .فلا توجد آيات قبل هذه الآ يات مباشرة في ترتيب المصحف، فهي مستهل السورة؛ لكنها ترتبط بما قبلها من السياق المكي العام من حيث إنها تجيب على التساؤل الاستنكاري الذي في نفوس الكافرين: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟" .فجاء الرد بأسلوب قاطع حاسم: ليس مهماً متى، ولكن اعلموا أن "الحاقة" قادمة لا محالة، وأنها أعظم مما تتصورون .فهي استئناف بياني ابتدائي، يهدف إلى صدم الوجدان وإيقاظ الغافلين من سباتهم الغفلي.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز الآيات الثلاث في ثلاث مراحل بيانية متصاعدة تشكل فكرة واحدة كبرى، وهي التعريف بيوم القيامة وتعظيمه وتهويل أمره:

الفكرة الأولى: الإخبار بوجود الحاقة وذلك بذكر اسمها مجرداً معرّفاً بـ "أل" الجنسية أو العهدية في قوله} الحَاقَّةُ .{هذا الاسم وحده كافٍ لإثبات أن هناك حدثاً عظيماً سيقع، يسمى "الحاقة".

الفكرة الثانية: الاستفهام التفخيمي عن حقيقتها وذلك في قوله} مَا الحَاقَّةُ .{وهذا الاستفهام ليس للجهل، بل للتعظيم والتفخيم، وكأن السامع يُسأل: أتدري أي شيء هي هذه الحاقة؟ فيتوقف متحيراً متطلعاً إلى الجواب.

الفكرة الثالثة: الإعلان عن عجز العقل البشري عن إدراك كنهها وذلك في قوله} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ .{ وهذه الجملة تفيد أن الأمر أعظم وأهول مما يمكن أن يصل إليه علمك أو يتصوره خيالك، وأن المعرفة البشرية قاصرة عن الإحاطة بحقيقة ذلك اليوم .فهي ثلاث درجات: الأولى إثبات، والثانية تعظيم، والثالثة إعلان عجز.

.3المغزى من الآية

المغزى العميق الذي تهدف إليه هذه الآيات هو إيقاظ الضمير الإنساني من غفلته الطويلة، وإشعاره بأن هناك حدثاً مصيرياً هائلا ً لا يمكن تجنبه أو الهروب منه، وأن هذا الحدث هو المعيار الحقيقي الوحيد الذي ستوزن به كل أعمال الدنيا، وستكشف به كل الحقائق والخبايا .وليس المغزى هو مجرد تخويف الإنسان وترويعه، بل هو دعوته إلى "الاستعداد العملي" لهذا اليوم، وتحويل هذه الرهبة إلى طاقة إيجابية تدفعه إلى الإيمان والعمل الصالح .فالمغزى الكلي هو: "إن كان الأمر كذلك، فجد واستعد، فإن الفرصة أمامك الآن قبل أن تندم".

.4أهداف الآية ومقاصدها

تتعدد أهداف هذه الآية الكريمة وفق المقاصد العامة للقرآن، ويمكن حصرها في الآتي:

الهدف العقدي الأول: ترسيخ الإيمان باليوم الآخر في النفوس كحقيقة يقينية ثابتة لا تقبل الجدل أو الشك، والرد على كل منكري البعث والنشور، وإبطال مقولتهم بأن الحياة ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر.

الهدف العقدي الثاني: إظهار عظمة الله سبحانه وتعالى من خلال عظمة هذا اليوم الذي هو من خلقه وتدبيره، فمن كان هذا اليوم من صنعه فهو أعظم وأجل.

الهدف النفسي: إحداث حالة من الخضوع الوجداني، والرهبة المؤثرة، والقلق الإيجابي الذي يخرج القلب من حالة التبلد والقسوة والغفلة، ويضعه في حالة تأهب ويقظة دائمة.

الهدف السلوكي العملي: تحويل هذا اليقين الإيماني إلى دافع حقيقي للعمل والصلاح، فكلما ازداد تعظيم "الحاقة" في قلب المؤمن، ازداد جده في العمل الصالح، واشتد حرصه على أداء الواجبات واجتناب المحرمات.

الهدف البياني: إظهار الإعجاز القرآني في أسلوب "التفخيم والتهويل" الذي لا يوجد مثله في أي كلام بشري، والتحدي للعرب الفصحاء أن يأتوا بمثل هذا الأسلوب الذي يشد السامع من اسم مجرد، إلى تساؤل مذهل، إلى إعلان عجز، في ثلاث كلمات فقط.

الهدف التربوي: تعليم الناس أسلوباً قرآنياً فريداً في التربية والتزكية، يقوم على "صدمة الافتتاح" و "إثارة الفضول" و"الإبهام المقصود" ثم "التدرج في التهويل"، وهي طرق تربيوية بلاغية غاية في الفعالية.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

لماذا ابتدأت بكلمة "الحاقة"؟

ابتدأت السورة بكلمة "الحاقة" مباشرة دون أي مقدمة أو حرف استهلال، وهذا أسلوب بلاغي قرآني بديع يسمى "الإخبار بالدخلة" أو "الاستهلاك الصادم" أو "الافتتاح بالاسم المجرد" .والأسباب البلاغية و النفسية لذلك هي:

أولا ً: شد الانتباه فوراً وبقوة .المتلقي الذي كان منشغلا ً بالدنيا، أو الذي كان يقرأ سورة قبلها ثم انتقل إلى هذه السورة، يصطدم بهذه الكلمة القوية الغريبة نوعاً ما، فيتوقف فجأة، ويسأل نفسه: ما هذه الحاقة؟ وكأن السورة تقول: "تنبه! أنا بصدد حدث جلل، فاستعد" .هذا أشبه بصياح الحارس: "حريق!" فيجذب كل الأبصار.

ثانياً: إعلان الأهمية القصوى .وضع الاسم المعرف بـ "أل" في صدر الكلام من دون فعل أو حرف جر

يدل على أن هذا المبتدأ هو أهم ما يمكن أن يتحدث عنه، وأن الخبر عنه سيأتي بعد قليل، وأن التركيز كله ينصب على هذا الاسم .فكأن المتكلم يقول: "سأحدثك عن أعظم موضوع على الإطلاق، وتفاصيله قادمة".

ثالثاً: خلق حالة من الترقب والرهبة .عندما يقرأ القارئ "الحاقة" فقط، دون تتمة، فإن عقله يبدأ بـ البحث عن معناها، ويبقى في حالة ترقب .هذا الترقب يخلق توتراً نفسياً مفيداً يهيئ القلب لتلقي التعظيم والتخويف الذي سيأتي .إنها تقنية "التعليق" التي تزيد من أثر الكلام.

دلالة الافتتاحية) الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة(

هذا الأسلوب يُسمى في علوم البلاغة "التفخيم والتهويل"، وهو من أبلغ أساليب القرآن في هز الوجدان .ودلالاته متعددة ومتداخلة:

الدلالة الأولى: إيقاظ الوجدان وإنذاره .تكرار الاسم ثلاث مرات بأشكال مختلفة) اسم مفرد، ثم استفهام عن ذلك الاسم، ثم استفهام مضاف إليه الإدراك (هو بمثابة صاعقة تضرب على مسامع السامع مرة تلو الأخرى، حتى لا يبقى له مجال للإعراض أو التغافل .كل صيغة تزيد من حدة التنبيه.

الدلالة الثانية: إثارة الفضول مع الرهبة معاً .فالسامع عندما يسمع "الحاقة" يتشوق لمعرفة ما هي، ثم يسمع "ما الحاقة" فيتشوق أكثر، ثم يسمع "وما أدراك ما الحاقة" فيتضاعف تشوقه مع شعور بالرهبة، لأنه يُفهم ضمنياً أن الأمر يفوق حد تصوره .هذا المزيج من الفضول والرهبة هو أقوى دافع للاستماع والانقياد.

الدلالة الثالثة: الإعلان عن حتمية لا مفر منها .هذه الصيغة تفيد أن الحديث ليس عن احتمال أو خيال، بل عن واقع سيتحقق حتماً، وأن إنكار الناس له أو استبعاده لا يغير من حقيقته شيئاً .إنه أسلوب الحسم والقطع.

الدلالة الرابعة: إعلان الحسم والجزم .الافتتاحية تعلن أن يوم القيامة ليس مجرد يوم عادي، بل هو اليوم الذي سيحسم كل شيء، ويضع حداً لكل جدال، ويظهر فيه الحق ويندحر الباطل.

معنى كلمة "الحاقة"

المعنى اللغوي: اسم "الحاقة" مشتق من الفعل "حَقّ" بمعنى ثبت ووجب وتحقق، ومن مصدره "الحَق" الذي هو نقيض الباطل .و "الحاقة" صيغة مبالغة على وزن "فاعلة" بمعنى "ذات الحق" أو "التي تحق وتثبت" .وفي اللغة، يقال "حَقّ الأمرُ" إذا ثبت ووجب، و"حَقّ عليه العذاب" إذا وجب واستقر .فالحاقة هي القضية التي يحق فيها كل شيء، أي يثبت ويظهر ويستقر.

المعنى الاصطلاحي القرآني: هي يوم القيامة، ولكن ليس من حيث هو اسم زمني فحسب، بل من حيث كونه اليوم الذي تتحقق فيه وعود الله ووعيده، وتنجلي فيه الحقائق التي كانت خفية في الدنيا، وتظهر فيه نتائج الأعمال، ويُجزى كل إنسان بما كسب .إنها "يوم الحق" بامتياز.

لماذا سُمي يوم القيامة بهذا الاسم؟

سُمي يوم القيامة "الحاقة" لعدة أسباب متكاملة:

السبب الأول: لأنه يوم تحقق الحق .هو اليوم الذي يظهر فيه الحق محضاً صافياً، وتنكشف فيه كل الحقائق المخبوءة، فيزول الباطل ويضمحل، ويعلم الناس حقيقة ما كانوا فيه من خلاف، وحقيقة ما كانوا يعتقدونه .فكل ما كان غيباً يصير شهادة، وكل ما كان مبهماً يتجلى.

السبب الثاني: لأنه يوم وجوب العقاب والثواب .هو اليوم الذي "يحق" فيه على كل نفس ما عملت من خير أو شر، أي يجب ويستقر الجزاء عليها .فكأن "الحاقة" هي التي تحق عليهم، أي تقع وتستقر بهم لا محالة.

السبب الثالث: لأنه يوم إثبات الأحقية .هو اليوم الذي يثبت فيه من كان على الحق ومن كان على الباطل، ويتميز المؤمنون الصادقون من الكاذبين، ويأخذ كل ذي حق حقه كاملاً غير منقوص .فهو يوم العدل المطلق.

السبب الرابع: لأنه يحق فيها ما كانوا يمترون فيه .أي يتحقق ويظهر صدق ما كانوا يشكون فيه من أمر البعث والجزاء.

لماذا سُميت السورة بهذا الاسم؟

سُميت السورة "سورة الحاقة" لأنها افتتحت بهذا الاسم العظيم، ولأن هذا الاسم يمثل المحور الرئيسي للسورة بأكملها .فالسورة بعد هذه الآيات تعرض مشاهد من هذا اليوم: تذكر هلاك الأمم المكذبة) عاد وثمود وفرعون(، ثم تصوير أهوال يوم القيامة من تطاير الصحف ووزن الأعمال وانقسام الناس إلى أصحاب يمين وأصحاب شمال، ثم تأكيد صدق الوحي وأنه ليس بقول شاعر ولا كاهن .وكل هذه التفاصيل هي تفاصيل "الحاقة"، أي أنها تصب في بيان حقيقة هذا اليوم العظيم وأهواله وعواقبه . فاسم السورة هو عنوان لمضمونها كله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من الآية

هذه الفقرة هي الثمره التى يجنيها المسلم ، ولهذا سأذكرها في أربعة محاور متكاملة:

أولا ً: الرسائل النفسية

الآيات تحمل في طياتها رسائل نفسية عميقة تهدف إلى تعديل البنية النفسية للإنسان:

· رسالة إحداث "الخوف الإيجابي" المنتج: ليس المقصود هو الخوف المشل للحركة الذي يؤدي إلى اليأس، بل الخوف الذي يوقظ الهمة ويحفز على العمل .هذا الخوف يُسمى في علم النفس "القلق الإ يجابي الذي يدفع الكائن الحي إلى الاستعداد لمواجهة خطر محتمل .فالمؤمن عندما يستشعر هول الحاقة لا يقعد عن العمل، بل يسرع إليه.
· رسالة كسر الغرور النفسي والاعتداد بالنفس: أسلوب "وما أدراك" يضع النفس البشرية في موضع العجز والضعف أمام عظمة الخالق وبديع خلقه .هذا التذكير بالعجز يكسو النفس تواضعاً حقيقياً، ويمنعها من الطغيان والاستكبار الذي غالباً ما يكون سبباً في الفساد.
· رسالة معالجة "الإنكار الدفاعي" : كثير من الناس ينكرون القيامة ليس لعدم وجود أدلة، بل لأن الخوف منها كبير، فيلجؤون إلى الإنكار كحماية نفسية .أسلوب القرآن الحاسم والحقيقي) الحاقة (يواجه هذا الإنكار، ويفضحه، ويقدم بديلا ً هو "الإيمان الاستباقي" الذي يخفف القلق الحقيقي لأن المؤمن يكون مستعداً.
· رسالة توليد "الرهبة المعظمة" وليس الرهبة المحبطة: التكرار التصاعدي) الحاقة، ما الحاقة، وما أدراك (يخلق في النفس رهبة متنامية، لكنها ليست رهبة مبهمة، بل رهبة مرتبطة بحدث معين يمكن ا لاستعداد له .هذه الرهبة تحول الطاقة النفسية من القلق العبثي إلى العزم الواعي.
· رسالة إثبات أن الغيب لا يساوي المستحيل: النفس البشرية تميل إلى إنكار ما لا تراه .الآية تعيد توجيه هذه الآلية النفسية: "عدم رؤيتك للشيء لا يعني أنه غير موجود، بل قد يكون أكبر من أن تراه بعينك المجردة" .هذا العلاج النفسي للشك الوجودي هو من أعظم ما قدمه القرآن.

ثانياً: الرسائل العقلية

الآيات تخاطب العقل البشري بمنهجية دقيقة لتصحيح مسار التفكير:

· رسالة إقناع العقل بحدوده: العقل البشري أداة قوية لكنها محدودة، وليس من الحكمة أن يجعل الإ نسان عقله هو المقياس الوحيد لكل شيء .الآية تعلن بوضوح أن هناك حقائق تفوق قدرة العقل على الإدراك الكامل) وما أدراك(، وهذه ليست دعوة للجمود - بل هي دعوة للتواضع العقلي، والاعتراف بأن المعرفة البشرية نسبية وقاصرة.
· رسالة الفصل بين "الإدراك التفصيلي" و"الإيمان الكلي": يمكن للإنسان أن يؤمن بشيء دون أن يدرك كل تفاصيله .فأنت تؤمن بوجود الجاذبية وأنت لا تراها، وتؤمن بوجود الثقوب السوداء وأنت لم ترها . كذلك الإيمان بالحاقة: لا تحتاج أن تعرف بالتفصيل كيف ستكون لتعلم أنها ستكون .هذا تفكير عقلا ني أصيل.
· رسالة أن الاستفهام البلاغي أداة إقناع: القرآن لا يقول "صدقوا فقط"، بل يطرح سؤالا ً:"ما الحاقة ؟" ثم يترك العقل يحاول أن يتصور، ثم يعلن أن العقل عاجز .هذا المسار) سؤال – محاولة تصور – إعلان عجز (هو مسار عقلي علمي يجعل العقل يصل بنفسه إلى نتيجة التسليم، لا أن يتلقاها قسراً.
· رسالة أولوية الحقائق الكبرى: العقل مشغول غالباً بالتفاصيل الصغرى في الحياة .الآية تلفت نظر العقل إلى الحقائق الكبرى) وجود الخالق، البعث، الجزاء (وتقول: "هذا هو ما ينبغي أن تشغل به عقلك أولا ً، لأنه أهم بكثير من جدالك اليومي" .إنها إعادة ترتيب أولويات التفكير.

· رسالة أن الغيبيات لا تتناقض مع العقل: الآية لا تطلب من العقل أن يصدق ما يناقض المنطق) ف القيامة ممكنة عقلا ً لأن الله قادر على إعادة الخلق كما بدأه(، بل تطلب منه أن يعترف بأن هناك ما هو فوق مستوى استيعابه التفصيلي .هذا توافق كامل بين العقل والنقل.

ثالثاً: الرسائل التربوية

هذه الآيات تحمل منهجاً تربوياً متكاملا ً يمكن تطبيقه في تربية الأفراد والمجتمعات:

· رسالة التدرج في التهويل: المربي الحكيم لا يبدأ بأعلى درجات التخويف، بل يبدأ بالاسم) الحاقة(، ثم يستفهم) ما الحاقة(، ثم يعلن العجز) وما أدراك .(هذا التدرج يجعل المتلقي) الطفل أو الطالب أو حتى الكبير الغافل (يصل إلى أعلى درجات التأثر دون أن يصاب بصدمة تنفيره .وهذا أسلوب تربوي أصيل.
· رسالة استخدام الإبهام كأداة تحفيزية: أحياناً لا يكون التفصيل مفيداً، بل الإبهام يحفز الخيال ويدفع إلى العمل .لو قال الله بالتفصيل كل ما في يوم القيامة، لربما شعر الإنسان باليأس .لكن الإ بهام المقصود في "وما أدراك" يبقي الباب مفتوحاً لجهود العبد وأعماله، فهو لا يعلم حجم اليسر أو الشدة، لذا يعمل ليأمن الجانبين.
· رسالة التكرار بأسلوب مغاير: التكرار في التربية ضروري، لكن التكرار الرتيب يقتل الفائدة .هنا نرى تكراراً ذكياً: اسم ثم جملة اسمية استفهامية ثم جملة فعلية استفهامية .هذا التكرار بأشكال مختلفة يرسخ المعلومة في النفس دون ملل.
· رسالة "صدمة البداية" في التعليم والوعظ: من الأخطاء التربوية أن يبدأ المربي بمقدمات طويلة تمهد، فيضيع التركيز .القرآن يبدأ مباشرة بـ "الحاقة" – صاعقة لفت الانتباه .هذا يعني: ابدأ دائماً بأهم نقطة، ثم اشرح بعد أن تلفت الانتباه.
· رسالة تحويل الخوف إلى دافع: الهدف التربوي النهائي ليس تخويف المتعلم، بل تحفيزه .والآية تحقق ذلك لأنها تجعل المتلقي يشعر بأن الخطر قادم، ويشعر في نفس الوقت بأن لديه فرصة للا ستعداد .هذا هو جوهر التربية الإيمانية: غرس الخوف المحرك، لا الخوف المشل.

رابعاً: الرسائل العملية) السلوكية(

وهي التطبيقات المباشرة التي تترجم هذه الآيات إلى سلوك يومي:

· رسالة استحضار "الحاقة" في كل قرار يومي: العملية الحقيقية للإيمان هي أن تجعل مفهوم "الحاقة" حاضراً في تفكيرك قبل كل فعل .قبل أن تتكلم، قبل أن تأكل أموال الناس، قبل أن تكتب تقريراً، قبل أن تعقد صفقة، اسأل نفسك: "لو عُرض هذا العمل في ساحة الحاقة، هل سأكون سعيداً به أم خجلا ً؟" .هذا هو التطبيق العملي الأول.
· رسالة تحويل الأهداف الدنيوية إلى وسائل أخروية: عندما تستحضر الحاقة، تتغير نظرتك للدنيا من "غاية" إلى "وسيلة" .فعملك للدنيا) كسب المال، بناء المنزل، الزواج (يصبح في الحقيقة عملا ً للآخرة إذا صحت النية والتزمت بالحق .عملية التحويل هذه هي جوهر السلوك المؤمن.
· رسالة الموازنة بين الخوف والرجاء في العمل: الخوف من الحاقة يدفع إلى اجتناب المعاصي، و الرجاء في رحمة الله يدفع إلى فعل الطاعات .الآية لم تذكر الرحمة هنا، لكنها أوجدت الخوف، و المؤمن المتوازن يقرن هذا الخوف بمعرفة أن الله غفور رحيم، فيعمل الصالحات ويترك السيئات . العملية أن لا يستسلم للخوف فيتوقف، بل يعمل.
· رسالة الإتقان في العمل المهني: من أعظم تطبيقات "الحاقة" في حياتنا العملية هي الدقة والأمانة و الإتقان .فالمحامي الذي يستشعر الحاقة لا يدلس في القضية، والطبيب لا يهمل في العلاج، والتاجر لا يغش في البيع، والعامل لا يتكاسل في أداء مهامه .لأن كل هذه ستُعرض في يوم الحاقة.
· رسالة المبادرة وعدم التسويف: "الحاقة" آتية لا محالة، لكن وقتها غير معلوم .هذا يترجم عملياً إلى أن "اليوم هو يوم العمل" وليس غداً .فالمؤمن لا يؤجل التوبة، لا يؤجل الصدقة، لا يؤجل رد المظالم، لا يؤجل بر الوالدين، لأنه لا يدري متى تأتي الحاقة.

الأمر الثاني: دلالات الآية – الأبعاد البيانية والتربوية، وكيفية تحويل هذه الدلالات من كلمات لغوية إلى قوة محركة للسلوك

أولا ً: الأبعاد البيانية للفظ "الحاقة" وأثرها في صياغة اليقين

كلمة "الحاقة" ليست مجرد تسمية ليوم القيامة، بل هي اختيار لغوي دقيق يحمل بعداً بيانياً فريداً . فهي مشتقة من "الحق" الذي هو نقيض الباطل، ومن "الحقيقة" التي هي خلاف الوهم والخيال .

وعندما يستمع السامع إلى هذه الكلمة، فإن عقله يربطها فوراً بثلاث دلالات: الثبوت والوجوب، و الوضوح بعد الخفاء، والعدل المطلق .فاليوم الذي يسمى "الحاقة" هو اليوم الذي يثبت فيه كل شيء ويجب ويستقر، وتنكشف فيه كل الأمور التي كانت خافية، ويُنصف فيه كل مظلوم من ظالمه .هذا البعد البياني يجعل السامع يتشكل في ذهنه "صورة ذهنية" مركبة: يومٌ ثقيلُ الوقع، واضحُ المعالم، عادلُ الأحكام .وهذه الصورة الذهنية هي التي تتحول فيما بعد إلى دافع سلوكي .فالإنسان عندما يستقر في عقله أن هناك "يوماً للحق المحض"، فإنه يبدأ بالتصرف في دنياه وفق ميزان ذلك الحق .ف لا يظلم، لأنه يعلم أن الظلم حق له في الحاقة .ولا يدلس، لأن التدليس باطل سينكشف .هذا هو الا نتقال من اللغة إلى اليقين، ومن اليقين إلى السلوك.

ثانياً: الأبعاد البيانية للاستفهام في "ما الحاقة؟" وأثرها في توليد الرهبة المنتجة

الاستفهام في "ما الحاقة" ليس استفهاماً حقيقياً يطلب تعريفاً، لأن الله يعرف حقيقة الحاقة وهو الذي سيخبر عنها بعد قليل .إنه استفهام بلاغي غرضه "التفخيم والتعظيم" .وهذا الأسلوب له أثر بياني شديد: فالمتكلم يذكر شيئاً ثم يستفهم عنه كأنه يريد أن يقول: "هذا الشيء عظيم جداً، لدرجة أنني إذا سألت عنه بأن تقول ما هو، فإن السؤال نفسه أكبر من أن تجيب عليه بإجابة عادية" .وهذا الأسلوب يخلق في نفس السامع شعوراً بالرهبة المختلطة بالفضول .الرهبة لأنه يفهم أن الأمر جلل، و الفضول لأنه يريد أن يعرف .والمزيج بينهما هو أقوى محرك للسلوك البشري .فكر في طفل يُخبر بأن هناك "شيئاً عظيماً" سيحدث في المدرسة غداً، لكنه لا يخبره به، ثم يقول: "أتدرى ما هو؟" .سيقضي الطفل ليلة كاملة في حالة ترقب وفضول ورغبة في الاستعداد .هذا هو الأثر الذي تريد الآية أن تحدثه في نفس المؤمن .فالاستفهام يجعل السامع في حالة "استنفار معرفي" وهو استنفار يتحول إلى استعداد عملي.

ثالثاً: البعد البياني في "وما أدراك ما الحاقة" وأثره في دفع العقل للتسليم

هذه الجملة هي ذروة البيان في الآيات .وصيغة "ما أدراك" هي صيغة خاصة في القرآن تستخدم للأ مور العظيمة جداً التي لا يمكن للعقل البشري أن يحيط بها .والفرق بين "ما الحاقة" و "وما أدراك ما الحاقة" هو فرق في درجة التعظيم .الأولى تقول: إنها عظيمة .الثانية تقول: إنها أعظم من أن تدركها عقولكم .وهذا البيان يحقق عدة وظائف تربوية وسلوكية .أولا ً: يوقف التكلف العقلي .فبعض الناس قد يحاول أن يتصور القيامة بتفاصيلها فيقع في التكلف والتحريف .الآية تمنعه من ذلك، وتقول له: لا تحاول أن تدركها إدراكاً كاملا ً، فهذا فوق طاقتك .ثانياً: يوجه العقل نحو ما هو ممكن، وهو الإ يمان والاستعداد، بدلا ً من ما هو مستحيل، وهو الإحاطة الكاملة .ثالثاً: يخلق شعوراً بالتواضع والإ ذعان، وهو شعور يهيئ النفس لتقبل التكاليف والالتزام بالعمل .الإنسان عندما يعلم أن الموقف أكبر منه، يزداد حرصاً على أن يكون في أفضل حال .وهذا هو المطلوب.

رابعاً: كيفية تحويل هذه الدلالات البيانية إلى قوة محركة للسلوك) الآلية العملية(

الانتقال من الكلمات إلى السلوك يتطلب ثلاث خطوات متكاملة:

الخطوة الأولى: تمرير الكلمات على القلب بوعي واستحضار .ليست القراءة السريعة هي التي تنتج السلوك، بل القراءة المتدبرة التي تستوقف كل كلمة وتستشعر دلالتها .فالمؤمن عندما يقرأ "الحاقة" يجب أن يقف قلبه عند معنى "الحق" و"الحتمية" .وعندما يقرأ "ما الحاقة" يجب أن يشعر قلبه ب الرهبة والفضول معاً .وعندما يقرأ "وما أدراك" يجب أن يعترف قلبه بالعجز والتسليم .هذا التمرير الوجداني هو شرط التحول.

الخطوة الثانية: ربط الدلالات بمواقف الحياة اليومية .كل دلالة بيانية يجب أن يكون لها مرآة في الواقع .فدلالة "الحق" ترتبط بكل موقف نرى فيه حقاً يضيع أو باطلا ً ينتشر .نقول: "هذا سيُقضى في الحاقة" .ودلالة "الرهبة" ترتبط بكل موقف نحن مقبلون على معصية .نقول: "هل أجرؤ على هذا وأنا أعلم عظمة الحاقة؟" .ودلالة "العجز" ترتبط بكل موقف تشتبه علينا الأمور .نقول: "الله أعلم، وأنا أؤمن وأعمل بما أستطيع".

الخطوة الثالثة: اتخاذ قرارات عملية فورية .الاستشعار والربط يجب أن يتلوهما قرار .فلا يكفي أن تشعر بالرهبة، بل عليك أن تقرر تغيير سلوك معين .مثلا ً: إذا كنت تتعامل في التجارة، استشعار الحاقة يجب أن يدفعك إلى قرار "لن أغش أبداً" .وإذا كنت موظفاً، يدفعك إلى قرار "لن أتأخر عن العمل بدون عذر" .هذه القرارات هي التي تحول الكلمات إلى قوة محركة .وبدونها، يبقى الأمر وعظاً ب لا ثمر.

مثال تطبيقي شامل: لنفترض أن شخصاً كان على وشك أن يشهد شهادة زور في قضية ما .يأتيه استشعار الآية: "الحاقة" – اليوم الذي يظهر الحق .ثم "ما الحاقة" – ما أعظم هذا اليوم .ثم "وما أدراك ما الحاقة" – عقلك لا يستطيع تصور شدته .هذا الاستشعار يولد قراراً: "لن أشهد بالزور، ولو خسرت الدنيا كلها، لأن شهادتي ستُعرض في الحاقة" .هذا هو التحويل من الكلمات إلى القوة المحركة للسلوك.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيات) الحاقة، ما الحاقة، وما أدراك ما الحاقة (وأغراض هذا التصوير

أولا ً: بيان التصوير البياني

التصوير البياني في هذه الآيات هو من عجيب صنع القرآن، حيث يرسم أمام السامع لوحة متكاملة من الكلمات القليلة جداً .هذه اللوحة تتكون من ثلاث "لقطات" متتابعة:

اللقطة الأولى: "الحاقة" – وهي بمثابة لقطة سريعة لشيء ضخم مبهم، يُرى من بعيد .الكاميرا) أي ذهن السامع (تلتقط اسماً فقط، لا صورة له .لكن هذا الاسم يحمل في طياته مشاعر من الثقل و الجدية والحق .إنها لقطة "افتتاحية صادمة" تشبه فجأة ظهور عنوان عريض على شاشة سينما: "الحدث الأعظم" .العقل يتساءل: ما هذا؟

اللقطة الثانية: "ما الحاقة" – هنا الكاميرا تقترب قليلا ً، وتظهر سؤالا ً عن ذلك الشيء .وكأن المشاهد يسأل بدهشة: ما هذا الشيء الذي رأيته؟ السؤال نفسه يكبر الموقف، لأنه يوحي بأن الذي يُسأل عنه ليس عادياً .إنها لقطة "تكبير" للمشهد، حيث يظهر المشاهد وكأنه يحاول أن يحدد ملامح ما يراه لكنه لا يستطيع .الرهبة تتصاعد.

اللقطة الثالثة: "وما أدراك ما الحاقة" – وهذه هي اللقطة النهائية .الكاميرا تتراجع للوراء، ويظهر أن ذلك الشيء أكبر بكثير مما كان يبدو .وتظهر عبارة "وما أدراك" كأنها تعليق صوتي يقول: "هذا الشيء أكبر من أن تدركه عقلك، فوق ما تتخيل" .اللوحة تكتمل بمشهد للإنسان الصغير أمام حقيقة كونية هائلة لا يحيط بها .التصوير هنا يعتمد على التدرج من الإبهام إلى التعظيم إلى الإعلان عن العجز، وهو أسلوب فني فريد.

ثانياً: أغراض هذا التصوير

هذا التصوير البياني البديع يهدف إلى تحقيق أغراض متعددة، يمكن ذكرها بالتفصيل كما يلي:

الغرض الأول: تحطيم الغفلة وإحداث الخض الوجداني .الحياة الدنيا بلهوها وزينتها تغمر القلب في غفلة عميقة .التصوير الصادم الذي يبدأ بلا مقدمات ولا تخفيف هو بمثابة صاعقة تضرب القلب وتوقظه .الإنسان عندما يقرأ "الحاقة" فجأة وكأنه يسمع صوتاً عالياً يقول له: انتبه! هذا التصوير يخلع القلب من حالة السكون والركون إلى الدنيا، ويضعه في حالة "استنفار قصوى" .وهذا هو أول أهداف التصوير: إزالة الحجاب الذي بين القلب والغيب.

الغرض الثاني: إيقاع الرهبة المتنامية في النفس .التصوير لا يقدم رهبة واحدة ثابتة، بل رهبة متنامية .في "الحاقة" هناك رهبة أولية .في "ما الحاقة" تتضاعف الرهبة لأن الاستفهام يوحي بالعظمة . في "وما أدراك" تبلغ الرهبة ذروتها لأن الإعلان عن عجز الإدراك يصل بالإنسان إلى حالة من الخضوع التام .هذا التنامي يجعل التأثير أعمق وأبقى من الرهبة المفاجئة التي قد تزول بسرعة.

الغرض الثالث: إعلان عجز العقل البشري عن الإحاطة بالغيب .الإنسان المعاصر يعيش في وهم قدرة العقل على كل شيء .التصوير القرآني يضعه في موضعه الحقيقي: عقل محدود يواجه حقائق لا متناهية ."وما أدراك" هي جملة تعلن "فشل العقل" في إدراك هذا الأمر، وهذا الإعلان ليس انتقاصاً من العقل، بل هو وضع له في حدوده الطبيعية .وهذا الغرض مهم جداً في عصر العلموية المادية التي تريد أن تقيس كل شيء بمعايير حسية.

الغرض الرابع: استنهاض الهمة للعمل .قد يظن البعض أن التهويل والتخويف يؤدي إلى الشلل واليأس، لكن الحقيقة أن التصوير القرآني إذا وصل إلى النفس السليمة فإنه يولد طاقة هائلة للعمل .لماذا؟ لأن الإنسان إذا عرف أن هناك حدثاً عظيماً قادماً سيكون فيه مصيره، فإن كل طاقاته تتوجه نحو الا ستعداد .هذا يشبه لاعباً يعلم أن هناك مباراة مصيرية بعد شهر؛ يبدأ بالتدريب الجاد .التصوير هنا يقول: المباراة قادمة وهي أعظم مما تتصور، فاستعد.

الغرض الخامس: ترسيخ اليقين بأن هذا اليوم حق لا ريب فيه .التصوير بكلمة "الحاقة" المشتقة من

"الحق" يكرس في ذهن السامع أن هذا اليوم ليس خرافة أو أسطورة، بل هو الحقيقة التي لا مفر منها .وكلما تكرر الاسم بأشكاله، ترسخت هذه الحقيقة في اللاوعي .فالمؤمن لا يحتاج إلى أدلة عقلية طويلة بعد هذا التصوير، لأنه "يشعر" أن هذا اليوم حق، تماماً كما يشعر أن الشمس ستشرق غداً.

الأمر الرابع: العلاقة بين التصوير البياني القرآني والأثر النفسي والسلوكي في تغير نمط حياة الإنسان المسلم تجاه المسؤولية والعمل

العلاقة بين التصوير البياني والأثر النفسي والسلوكي هي علاقة سببية وثيقة .التصوير البياني هو "المدخلات"، والأثر النفسي والسلوكي هو "المخرجات" .ولكي نفهم هذه العلاقة تفصيلاً، نحتاج إلى تتبع المراحل التي يمر بها المتلقي من لحظة سماع الآية إلى لحظة تغير سلوكه.

المرحلة الأولى: الاستقبال الحسي والوجداني .عندما يسمع الإنسان هذه الآيات، فإنها لا تمر على أذنه فقط، بل تهز كيانه كله .الكلمات ليست مجرد أصوات، بل هي "ناقلات للمعنى المزدوج") المعنى العقلي والشعور الوجداني .(كلمة "الحاقة" تصل إلى العقل) تعريف لغوي (وإلى القلب) رهبة .(هذا التلقي المزدوج هو بداية الأثر.

المرحلة الثانية: توليد الصورة الذهنية .بعد الاستقبال، يبدأ العقل والقلب معاً في رسم صورة ذهنية لذلك اليوم .الصورة ليست مفصلة، لكنها "صورة عظمة وخوف" .يتخيل الإنسان شيئاً هائلاً، أكبر منه، أكبر من كل شيء .هذه الصورة الذهنية هي التي ستبقى عالقة في الذهن.

المرحلة الثالثة: الشعور بالمسؤولية تجاه الصورة .عندما تترسخ صورة "يوم الحاقة" في الذهن، يبدأ الإ نسان تلقائياً يسأل نفسه: "وأنا، ماذا سأفعل في ذلك اليوم؟" .هذا السؤال هو بداية الشعور بالمسؤولية . فأنت لا تسأل نفسك هذا السؤال عن شيء لا تعتقد فيه .لكنك تسأله عن شيء تعتقد أنه حقيقة قادمة .وهنا ينتقل الأثر من مجرد صورة ذهنية إلى شعور أخلاقي ومسؤولية وجودية.

المرحلة الرابعة: تقييم السلوك الحالي في ضوء الصورة .الآن، يأخذ الإنسان حياته الحالية ويضعها أمام صورة "الحاقة" .يسأل: "أفعالي الحالية، هل ستشفع لي في ذلك اليوم؟ أم ستكون سبباً في هلا كي؟" .هذا التقييم الذاتي هو عملية عقلية ووجدانية في آن واحد .وقد تكون مؤلمة، لأن الإنسان قد يكتشف تقصيره.

المرحلة الخامسة: اتخاذ القرار بالتغيير .التقييم يؤدي غالباً إلى قرار: "يجب أن أتغير .يجب أن أتحمل مسؤولية نفسي وأعمالي قبل فوات الأوان" .هذا القرار هو نقطة التحول .فبدون قرار، يبقى الأثر مجرد مشاعر عابرة .لكن التصوير البياني القوي يدفع إلى قرارات قوية.

المرحلة السادسة: تنفيذ القرار وتحويله إلى عادة .التنفيذ هو الأصعب .لكن وجود الصورة الذهنية للحاقة كحقيقة دائمة في الخلفية يساعد على الاستمرار .كلما هم الإنسان بمعصية، تعود الصورة فتذكره .كلما تكاسل عن واجب، تذكره الصورة .هكذا تتحول الصورة إلى "رقابة ذاتية" دائمة، ثم إلى "نظام حياة" .نمط الحياة يتغير من العشوائية إلى الدقة، ومن اللهو إلى الجد، ومن الأنانية إلى المسؤولية.

العلاقة التفصيلية بين التصوير وبين قيم المسؤولية والعمل:

· التصوير بالحاقة) الحق الثابت (يؤدي إلى زيادة الأمانة في العمل، لأن المؤمن يعلم أن كل خيانة ستظهر في ذلك اليوم .فالمسؤولية المهنية والأخلاقية ترتفع.
· التصوير بالاستفهام التعظيمي) ما الحاقة (يؤدي إلى زيادة الجدية ورفع مستوى الطموح، لأن المؤمن يستشعر عظمة الحدث الذي ينتظره، فلا يرضى لنفسه بعمل رديء أو نية غير صالحة .فيصبح عمله "عبادة" وليس مجرد وظيفة.
· التصوير بإعلان العجز) وما أدراك (يؤدي إلى التواضع في التعامل وإلى البعد عن الغرور والكِبْر، لأن المؤمن يعرف أن عقله وإدراكه محدودان، وأنه في حاجة إلى فضل الله .هذا التواضع يجعله أكثر قبولاً للناس، وأكثر قدرة على العمل الجماعي، وأكثر استعداداً لطلب العلم.

خلاصة العلاقة: التصوير البياني القرآني هو الذي يحول "المسؤولية" من مفهوم مجرد إلى "شعور حي" و"دافع يومي" .الإنسان الذي يقرأ هذه الآيات بتدبر ويستحضرها يجد نفسه تلقائياً أكثر انضباطاً في عمله، أكثر حرصاً على حقوق الآخرين، أكثر إتقاناً لصنعته، وأكثر استشعاراً للرقابة الإلهية .وهذا

هو التغيير الجذري في نمط الحياة.

الأمر الخامس: "تذوق" ما في الآية من البيان القرآني لما فيها من قيم ودورها في تحفيز القيم العملية في مجتمعاتنا

"تذوق" البيان القرآني يعني تجاوز مجرد الفهم العقلي للنص إلى استشعار جماله وقوته وتأثيره الوجداني، ثم استخراج القيم الكامنة فيه وتحويلها إلى برامج عملية في المجتمع .والآيات الثلاث تحمل قيماً عظيمة يمكن أن تغير واقع المجتمعات إذا تم تذوقها وتطبيقها.

أولا ً: تذوق قيمة "الحق" في الآية ودورها في تحفيز النزاهة المجتمعية

عندما يتذوق القارئ كلمة "الحاقة" ومشتقاتها من الحق والحقيقة، يشعر بأن الله تعالى يؤسس مجتمعاً على "الحق" لا على "القوة" أو "المصلحة" .فالحق هو أساس الكون، والخلق كله قائم على الحق، والجزاء سيكون بالحق .هذه القيمة إذا تذوقها أفراد المجتمع، تتحول إلى نزاهة في المعاملات، وصدق في الأقوال، وعدل في الأحكام .فالمجتمع الذي يوقن أن هناك "يوماً للحق" يقل فيه الفساد، لأن الفاسد يعلم أن فساده سيُكشف يوماً، ويقل فيه الظلم، لأن الظالم يعلم أن المظلوم سينتصر في الحاقة .التطبيق العملي لهذه القيمة: حملات توعوية في المدارس والجامعات والمؤسسات تذكر الموظفين والتجار والمواطنين بأن "الحاقة" قادمة، وأن كل ذرة من فساد ستُعرض .هذا التذكير المنتظم يحول الحق من قيمة نظرية إلى ممارسة يومية.

ثانياً: تذوق قيمة "المساءلة الذاتية" في أسلوب الاستفهام "ما الحاقة؟"

"ما الحاقة" هي صيغة استفهام تحمل في طياتها دعوة للتفكر والتساؤل .تذوق هذه الصيغة يدفع الإ نسان إلى أن يسأل نفسه: "هل أنا مستعد لهذا اليوم؟" .هذا السؤال هو أداة المساءلة الذاتية .و المجتمع الذي يمارس أفراده المساءلة الذاتية هو مجتمع واع ناضج .فبدلا ً من أن ينتظر الناس رقيباً أو شرطة، يكون لكل فرد رقيب داخلي .تذوق الآية يحفز على إنشاء "ثقافة المحاسبة الذاتية" في المجتمعات، من خلال برامج تدريبية تعلّم الناس كيف يحاسبون أنفسهم يومياً على أعمالهم، في ضوء أن هناك يوماً سيعرضون فيه على الله.

ثالثاً: تذوق قيمة "التواضع المعرفي" في قوله "وما أدراك ما الحاقة"

هذه الآية تعلن أن المعرفة البشرية محدودة .تذوق هذه الحقيقة يخلق مجتمعاً متواضعاً علمياً، لا يدعي المعرفة المطلقة، ولا يصادر حق الآخرين في الاختلاف، ولا يقطع بالرأي دون بينة .في مجتمعنا المعاصر، الكثير من المشكلات تنشأ من الغرور الفكري، حيث يظن كل طرف أنه يملك الحقيقة المطلقة .تذوق "وما أدراك" يعلمنا أن هناك ما فوق إدراكنا، وأن العقل مهما بلغ يبقى قاصراً أمام عظمة الله وأسرار خلقه .هذا التواضع المعرفي يحفز على الحوار العلمي البناء، ويقلل من التعصب، ويشجع على البحث المستمر.

رابعاً: تذوق قيمة "الجدية والاستعداد" المستنبطة من التصوير الكلي

الآية بكاملها تصور حدثاً عظيماً مفاجئاً .تذوق هذا التصوير يدفع المجتمع إلى التخلي عن ثقافة "اللا مبالاة" و"التسويف" .فالمجتمع الذي يوقن بالحاقة هو مجتمع جاد في عمله، دقيق في مواعيده، حريص على الإتقان .لأن أفراده يعلمون أن الوقت ليس بلا نهاية، وأن كل يوم هو فرصة قد لا تتكرر .هذه القيمة تحفز على ثقافة الإنتاجية وإدارة الوقت والانضباط، وهي مفاتيح النهضة.

خامساً: كيفية تحويل هذا التذوق إلى برامج عملية في مجتمعاتنا

لنبق النظرية إلى واقع، يمكن اقتراح الآليات التالية:

· إدراج "تدبر آيات الحاقة" ضمن المناهج التعليمية والتربوية، ليس فقط كحفظ وتجويد، بل كتحليل لدلالاتها النفسية والسلوكية، مع تطبيقات عملية في المدرسة) مثل: مسابقة في الأمانة والعمل الجيد تحت شعار "الحاقة".(
· إنشاء "مجالس التذكير بالحاقة" في المساجد والمؤسسات، تكون عبارة عن جلسات قصيرة10) - 15 دقيقة (تقرأ فيها الآية وتناقش دلالاتها العملية على واقع الناس اليومي، مع قصص واقعية عن أثر الإ يمان باليوم الآخر في تغيير سلوك الأفراد والمجتمعات.
· إنتاج محتوى مرئي ومسموع) فيديوهات قصيرة، بودكاست (يعيد تقديم الآية بلغة عصرية، مع

ربطها بقيم النزاهة والجدية والأمانة، يستهدف فئات المجتمع المختلفة) طلاب، موظفين، رجال أعمال.(
· مبادرات مجتمعية مثل "أسبوع الحاقة" تقام في المدارس والجامعات، تتضمن فعاليات تحث على الصدق والعدل والإتقان، وتوزع شعارات تحمل العبارات القرآنية مرفقة بقيمها العملية.

الأمر السادس: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

الخواطر هي الأفكار العميقة التي تخطر على القلب والعقل عند تدبر الآية، والتي إذا تم استشعارها واستثمارها تتحول إلى طاقة عملية تغير السلوك .وفي هذه الآيات، يمكن استنباط عدة خواطر رئيسية، مع بيان كيفية استشعار كل خاطرة وكيفية تحويلها إلى منفعة عملية.

الخاطرة الأولى: حتمية الحق ووجوبه – تصحيح البوصلة تجاه المظالم

مضمون الخاطرة: "الحاقة" تعني أن الحق – مهما طال الزمن في الدنيا، أو خفي، أو ضاع، أو تجبر أهله – هو في النهاية ثابت لا يزول، وسيأتي يوم يظهر فيه الحق كاملا ً غير منقوص، ويأخذ كل ذي حق حقه .هذه الخاطرة تهز كيان الإنسان الذي يعاني من ظلم أو يشهد باطلا ً.

كيفية الاستشعار: تستشعر هذه الخاطرة بأن تتخيل نفسك واقفاً في ساحة الحاقة، والملائكة تنادي، و الصحف تطاير، والميزان ينصب .ثم تنظر إلى كل مظلمة حدثت لك أو لمن حولك، وتقول بقلبك: "هذا الحق لم يضع، بل هو مؤجل إلى يوم الحاقة" .هذا التخيل المنتظم يثبت هذه الحقيقة في الوجدان.

الاستفادة العملية:

· تجاه المظالم التي تصيبك: إذا وقع عليك ظلم سواء في العمل أو المال أو العرض، بدلا ً من أن تغرق في الحزن أو اليأس أو الحقد، قل لنفسك: "الحاقة قادمة، والحق لا يضيع عند مالك الحقوق . سآخذ حتي إن صبرت، أو يغفر لي إن سامحت" .هذا الاستشعار يمنحك سكينة نفسية هائلة، ويمنعك من الانزلاق إلى طرق الانتقام المحرمة أو اليأس المدمر .وهو يوجه طاقتك إلى العمل الجاد لاسترداد حقك بالطرق المشروعة مع اليقين بأن الله معك.
· تجاه الشهادة أو القضاء: إذا طلبت منك شهادة في قضية، أو عرض عليك منصب قضائي، استشعار "حتمية الحق" يجعلك تلتزم بالصدق التام، وتحذر من الميل مع القريب أو صاحب المصلحة .فأنت تعلم أن كل حرف ستكتبه سيُقرأ في الحاقة.
· تجاه مسؤوليتك تجاه المظلومين: إذا رأيت مظلوماً ولا تستطيع نصرته، فلا تيأس، بل ادع له، واعلم أن الله سينصفه في الحاقة .هذا يريح ضميرك ويحول عجزك إلى طاقة إيمانية.

الخاطرة الثانية: التهويل والتعظيم – تهذيب النفس وبناء الوازع الداخلي

مضمون الخاطرة: الله سبحانه وتعالى – مع عظمته وجلاله – يُعظم أمر "الحاقة" بهذا الأسلوب التهويلي، ليهذب نفوسنا من الغرور والغفلة، ويشعرنا بثقل الأمانة التي نحملها، وليرسخ في قلوبنا "وازعاً ذاتياً" أقوى من أي رادع خارجي.

كيفية الاستشعار: قف أمام أفعالك اليومية، الصغيرة والكبيرة، واسأل قلبك: "لو أن هذا العمل عُرض عليّ في ساحة الحاقة أمام كل الخلائق، هل سأكون سعيداً به، أم سأتمنى لو أن الأرض انشقت فابتلعتني خجلا ً منه؟" .هذا السؤال، إذا تكرر يومياً، سيخلق في نفسك ميزاناً دقيقاً للسلوك.

الاستفادة العملية:

· قبل ارتكاب المعصية: عندما تهم بمعصية، صغيرة كانت أم كبيرة، استحضر فوراً عظمة "الحاقة" . تخيل نفسك في ذلك اليوم، والملائكة قد أحضرت صحيفة عملك، وفيه هذه المعصية .هل ستتحمل نظرة الله إليك؟ هل ستتحمل خزيها أمام الناس؟ هذا الاستحضار هو أقوى رادع، لأنه يضع أمامك صورة العاقبة قبل الفعل.
· عند الغضب أو التهور: الغضب يدفع الإنسان إلى كلمات وأفعال يندم عليها .استشعار التهويل و التعظيم في "الحاقة" يمكن أن يكون "مبرداً" للغضب .قبل أن تتفوه بكلمة جارحة أو تقوم بفعل طائش، قل لنفسك: "ما هذه الكلمة أمام الحاقة؟ هل تساوي أن تخزيني في ذلك اليوم؟".
· في مجال عملك ومسؤولياتك: لا تتهاون في أمانتك أو دقتك أو إتقانك .استشعر أن كل عمل تقوم به هو "وثيقة" ستعرض عليك في الحاقة .هذا الاستشعار يحول عملك العادي إلى عبادة، ويجعله "متقناً" وليس "منجزاً فقط".

الخاطرة الثالثة: عجز العقول عن الإدراك الكامل – التسليم العملي والتربية بالتشويق

مضمون الخاطرة: قوله} وما أدراك ما الحاقة {يعلن بشكل قاطع أن العقول البشرية مهما بلغت من تقدم وذكاء، عاجزة عن الإحاطة بحقيقة ذلك اليوم وتفاصيله .هذا الإعلان له جانبان: الأول، أنه يضع حداً للجدل العقيم حول "كيفية" البعث والجزاء .والثاني، أنه يستخدم "التشويق" بطريقة ذكية – فالإ بهام عن التفاصيل يجعل المؤمن في حالة شوق دائم للجنة وعمل دائم للنجاة من النار.

كيفية الاستشعار: حين تقرأ هذه الآية وتتأملها، قل بقلبك: "أنت أيها العقل، أنت محدود .لا تتعب نفسك في محاولة تصور ما لا تدركه .ولكن لا تجعل عجزك عن الإدراك عذراً لترك العمل .بل اجعل هذا العجز دافعاً لك لأن تعمل الصالحات لعلك تنال رحمة الله" .هذا الاستشعار يحول العجز من شعور سلبي إلى دافع إيجابي.

الاستفادة العملية:

· التسليم للغيب دون تعطيل للعمل: كثير من الناس يقعون في فخ "الجدل العقيم" حول تفاصيل الغيب، فينشغلون بالأسئلة عن شكل الجنة والنار والصراط والميزان، ويفرطون في العمل الصالح . استشعار "وما أدراك" يخلصك من هذا الفخ .فهو يقول لك: "أنت لست مطالباً بمعرفة كل التفاصيل، أنت مطالب بالإيمان والعمل .تفاصيل الغيب أعظم من عقلك، فلا تشغلك عن المهم".
· تنشيط العقل للبحث النافع: من المفارقات أن الإعلان عن عجز العقل يؤدي أحياناً إلى تنشيطه في ا لاتجاه الصحيح .فالإنسان عندما يعلم أن هناك علوماً وأسراراً تفوقه، يشتاق إليها، ويسعى لطلب العلم الشرعي والعلم الكوني الذي يزيده قرباً من الله .فالآية لا تثبط العقل، بل توجهه.
· استخدام أسلوب التشويق في التربية والدعوة: عندما تربي أبناءك أو تدعو الناس، يمكنك استخدام هذه التقنية القرآنية .لا تعطِ كل التفاصيل دفعة واحدة، بل أحياناً أبقِ بعض الأمور مبهمة) مثل وصف الجنة والنار (لتحفزهم على العمل والطاعة بفضول وشوق .هذا أسلوب تربوي أصيل مستفاد من "وما أدراك".

تطبيق عملي شامل للخواطر الثلاث) كيف تجعلها وقوداً يومياً(:

لكي لا تبقى هذه الخواطر في حيز المشاعر المؤقتة، قم بما يلي عند كل صباح أو عند كل عمل مهم:

.1الوقفة الصباحية: قبل بدء يومك، اجلس دقيقتين، واقرأ الآيات بتدبر، ثم قل لنفسك: "اليوم قد يكون يوم الحاقة .كل عمل أقوم به سيعرض .سألتزم بالحق في كل تعاملاتي .سأتذكر عظمة الموقف قبل أي خطيئة .سأسلم لله في ما لا أعلم، وأعمل بما أعلم".
.2التذكير عند الملمات: احمل معك بطاقة صغيرة مكتوب عليها "الحاقة – ما الحاقة – وما أدراك ما الحاقة"، أو اجعلها شاشة هاتفك .وعند أي موقف صعب) غضب، إغراء، شك، تقصير(، انظر إليها وتذكر الخواطر.
.3المحاسبة المسائية: في نهاية اليوم، قبل النوم، راجع يومك واسأل نفسك: "هل استشعرت الحاقة اليوم حقاً؟ هل تصرفت في أي موقف بناءً على هذا الاستشعار؟ أين كنت مقصراً؟ وماذا سأفعل غداً أفضل؟" .هذه المحاسبة اليومية هي التي تحول الخواطر إلى أسلوب حياة.

ثالثاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

الآيات الثلاث تعالج قضايا كبرى، يمكن حصرها في النقاط التالية:

القضية الأولى: قضية الإيمان بالغيب وخصوصاً البعث والجزاء .في زمن نزول القرآن، كان المشركون يستبعدون فكرة إعادة الخلق بعد الموت، ويعتبرونها ضرباً من الخيال .الآية تقدم حلا ً لهذه القضية ليس بالجدل العقلي المطول، بل بالتصوير البياني الصادم الذي يخلق اليقين في النفس قبل العقل . فهي تعالج "إنكار الغيب" بوسائل وجدانية وعقلية معاً.

القضية الثانية: قضية التهوين من شأن يوم القيامة .بعض الناس – حتى من يؤمنون بالله – يهونون أمر القيامة في قلوبهم، ويعيشون كأنها حدث بعيد لا يؤثر في سلوكهم الحالي .الآية تعالج هذه القضية بإعادة "تعظيم" هذا اليوم في النفوس، وتذكيرهم بأنه "الحاقة" – اليوم الحق الذي لا

يمكن التهوين من شأنه.

القضية الثالثة: قضية عجز العقل التجريدي والمنهج المادي عن إدراك حقائق الآخرة .العقل العلمي الحديث الذي يطلب التجربة والإثبات الحسي يقف عاجزاً أمام حقائق مثل البعث والنشور والجنة و النار .الآية تعالج هذه القضية بإقرار هذا العجز بشكل مبدئي، وتحويله من نقطة ضعف في الإيمان إلى نقطة قوة: أنت عاجز عن الإدراك، وهذا دليل على عظمة الخالق، لا دليل على استحالة الخبر.

القضية الرابعة: قضية الحاجة إلى الرهبة التربوية في تزكية النفس .كثير من الناس لا يتحركون إلا بـ الخوف) من الفقر، من السلطة، من المجتمع .(الآية تعالج هذه القضية بتقديم "خوف مقدس" – الخوف من الحاقة – كأداة تربوية لإصلاح النفس وتقويم السلوك .فهي تقرر أن الرهبة أحياناً ضرورية للتغيير، خاصة في النفوس الغافلة.

القضية الخامسة: قضية غفلة الإنسان وانشغاله بالدنيا عن الآخرة .الإنسان بطبيعته يميل إلى الانغماس في زينة الدنيا ولذاتها العاجلة، فيغفل عن الغاية الكبرى لوجوده .الآية تأتي لـ"صاعقة" تخرجه من هذه الغفلة، وتضعه وجهاً لوجه مع الحقيقة الأبدية .فهي تعالج "مرض الغفلة" بالعلاج الصادم المباشر.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية

القراءة الواعية للآية هي التي تتجاوز مجرد التلاوة والحفظ إلى التدبر والفهم والاستبطان، ثم إلى اتخاذ قرارات عملية .ولكي نحول هذه الآية إلى واقع ملموس، لا بد من اتباع الخطوات التالية بشكل منهجي:

الخطوة الأولى: قراءة الآية بتدبر كامل .ليس المطلوب قراءة سريعة، بل التوقف عند كل كلمة، والنظر في معناها اللغوي والاصطلاحي، وتخيل أبعادها .يمكن قراءة التفسير، وسماع تسجيلات للقرآن بصوت مجود، ومحاولة استشعار وقع الكلمات على القلب.

الخطوة الثانية: إدراك أن "الحاقة" ليست مجرد خبر عن المستقبل، بل هي "حقيقة موازنة" للحاضر . أي أن كل عمل في الدنيا يجب أن يوضع في ميزان "الحاقة" .فكما أن التاجر يضع ميزاناً لوزن السلع، كذلك المؤمن يضع "ميزان الحاقة" لوزن أفعاله .هذا الإدراك هو نقطة التحول من النظري إلى العملي.

الخطوة الثالثة: ترجمة هذا الإدراك إلى سلوك ملموس في مجالات الحياة المختلفة:

· في مجال العبادات: لا تصلّ صلاةً خالية القلب، بل استحضر في صلاتك أنك واقف بين يدي الله في يوم الحاقة .هذا الاستحضار يحول الصلاة من عادة جسدية إلى معراج روحي .وكذلك الصيام و الزكاة والحج، اجعل نيتك فيها "الاستعداد للحاقة".
· في مجال المعاملات المالية: عند البيع والشراء والقروض والشراكات، لا تغش ولا تدلس ولا تخف عيباً ولا تأكل أموال الناس بالباطل .اكتب العقود، وأشهد على الحق، وأوف الكيل والميزان .لأن كل هذه ستُسأل عنها في الحاقة.
· في مجال العلاقات الأسرية: عامل والديك بالبر والإحسان، وأحسن إلى زوجتك وأولادك، واصل رحمك .لأن هذه الملفات ستفتح في الحاقة، وكل تقصير سيكون واضحاً.
· في مجال العمل المهني: إذا كنت موظفاً، أتقن عملك ولا تتكاسل .إذا كنت طبيباً، لا تهمل في علاج مريض .إذا كنت معلماً، لا تبخل بعلم .إذا كنت حاكماً، اعدل ولا تحابي .استشعر أن الله سيسألك عن رعيتك وعن أمانتك في الحاقة.
· في مجال الكلام: احفظ لسانك عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش .لأن كل كلمة ستُكتب، وتُعرض عليك في الحاقة .قال تعالى:} ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.{

الخطوة الرابعة: المتابعة والمحاسبة .لا يكفي أن تقرر وتعمل يوماً واحداً .بل اجعل لنفسك محاسبة دورية) يومياً أو أسبوعياً (تتأمل فيها: هل أنا فعلا ً أعيش بحسب استشعار الحاقة؟ أين قصرت؟ كيف أتحسن؟ هذه المحاسبة هي التي تضمن استمرارية التطبيق.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

تغير الآية نظرتنا للحياة تغييراً جذرياً على عدة مستويات، يمكن تفصيلها كما يلي:

المستوى الأول: تغير النظرة إلى قيمة الدنيا .قبل استشعار الحاقة، قد يرى الإنسان الدنيا هي الغاية

النهائية، فيجري وراء المال والجاه واللذة، وينشغل بها كل الانشغال .بعد استشعار الحاقة، يتحول نظره إلى أن الدنيا مجرد "مزرعة للآخرة"، و"جسر يعبر عليه"، و"سوق للتجارة الرابحة" .لا يزهد في الدنيا بتركها، لكن يضعها في يديه لا في قلبه .يستعملها لتكون وسيلة لطاعة الله، لا يطغى بها ولا يبطر.

المستوى الثاني: تغير النظرة إلى العمل والكسب .العمل لم يعد مجرد وسيلة للعيش وكسب المال، بل أصبح "عبادة" و"استعداداً للحاقة" .العامل المؤمن يعمل كأنه يرى الله في كل تفصيلة من عمله .فهو يتقن عمله ليس خوفاً من مديره، بل خوفاً من الحاقة .وهو لا يغش في تجارته ليس خوفاً من القانون، بل خوفاً من العرض في ذلك اليوم .هكذا يرتقي العمل من مرتبة مادية إلى مرتبة روحانية.

المستوى الثالث: تغير النظرة إلى الزمن .قبل الاستشعار، الزمن قد يمر هباءً بلا معنى، يُضيع الإنسان ساعات في اللهو واللغو والغفلة .بعد الاستشعار، يصبح الزمن أثمن ما يملك .كل ثانية تمر هي فرصة للتقرب إلى الله، وهي لا تعوض .فلا يضيع المؤمن وقته أبداً، بل يملؤه بما ينفعه في دنياه وأخراه . هذه النظرة هي أساس الإنتاجية والنهضة.

المستوى الرابع: تغير النظرة إلى المصائب والابتلاءات .حين يصاب الإنسان بمصيبة) مرض، فقر، ظلم، فقدان عزيز(، نظرته السابقة قد تقوده إلى اليأس أو التسخط .أما بعد استشعار الحاقة، فيرى أن هذه المصيبة قد تكون "كفارة" لذنوبه في الدنيا، فلا يعرضها عليه في الحاقة .فيرضى ويسلم ويرجو الأ جر .هذه النظرة تغير حياة الإنسان من شقاء إلى سكينة.

المستوى الخامس: تغير النظرة إلى الناس .النظرية السابقة: الناس هم مصدر الخير والشر، فيُحب من يحبك ويُبغض من يبغضك .النظرية الجديدة: كل الناس عبيد الله، وسنلتقي جميعاً في الحاقة .عندها، من ظلمني سآخذ حقي، ومن أحسن إلي سأكافئه .هذه النظرة تملأ القلب بالعفو والصفح والتسامح، وتزيل الحقد والحسد والغل.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

الدرس الأول: اليقين بالآخرة هو أقوى دافع للعمل الصالح .مهما كانت الدوافع الدنيوية) خوفاً من الناس، طمعاً في المال، حباً للسمعة (فهي دوافع محدودة وهشة .أما الدافع الإيماني القائم على اليقين بأن هناك يوماً سيعرض فيه العمل، وأن الجزاء سيكون من الله العادل، فهو أقوى دافع وأكثرها استدامة .كيفية التطبيق: اجعل نية "الاستعداد ليوم الحاقة" مرافقة لكل عمل تقوم به، من صلاة إلى أكل إلى عمل إلى نوم .قل في نفسك: "أنا أفعل هذا لله، استعداداً لذلك اليوم".

الدرس الثاني: التعظيم هو مفتاح الالتزام .كلما عظمت شيئاً في قلبك، التزمت به وأطعته .فمن عظم الله امتثل لأمره، ومن عظم اليوم الآخر استعد له .ومن لم يعظمها تساهل وتهاون .كيفية التطبيق: زد من تعظيمك للحاقة في قلبك بقراءة آياتها وتفسيرها، وبتخيل مشاهدها، وبذكرها بين الحين والآخر . هذا التعظيم سينعكس تلقائياً على جاديتك والتزامك.

الدرس الثالث: العجز عن الإدراك التفصيلي ليس عجزاً عن الإيمان .لا تحتاج إلى أن تعرف كل شيء عن الجنة والنار والبعث والصراط والميزان لتؤمن بها .الإيمان بالغيب معناه أن تصدق بما أخبر الله به على ما هو عليه، دون أن تحاول تكييفه مع عقلك المحدود .كيفية التطبيق: إذا سألك سائل عن تفاصيل دقيقة في الغيب ليس لها نص واضح، قل: "الله أعلم، وأنا أؤمن بما صح به الخبر، وأكِلُ علم التفاصيل إلى الله" .ولا تنشغل بأسئلة الجدل العقيم التي لا تزيدك إلا ضلالا ً.

الدرس الرابع: التهويل القرآني وسيلة تربوية مشروعة .ليس كل تخويف مذموماً، فالخوف من الله ومن عذابه خوف محمود إذا كان باعثاً على العمل ومخرجاً من الغفلة .القرآن يستخدم التهويل لأ غراض تربوية سامية، فلا تنتقد أسلوب "الوعظ بالنار" إذا كان يستعمل بحكمة .كيفية التطبيق: في تربيتك لأولادك أو لطلابك أو لنفسك، استخدم أسلوب "التهويل المقنن" أحياناً، واذكر عظمة الله وشدة عقابه، ولكن دائماً مع ذكر رحمته وفضله، لتحقيق التوازن.

الدرس الخامس: الحق هو معيار كل شيء في هذه الحياة .الدنيا تميل إلى أن يكون المعيار هو القوة أو المصلحة أو العادة .أما الآية فترد المعيار إلى أصله: "الحق" .ما كان حقاً فهو الباقي، وما كان باطلا ً فهو الزائل .كيفية التطبيق: في أي نزاع أو شك، لا تسأل: "ما الذي يرضي فلاناً؟" ولا "ما الذي ينفعني؟"، بل اسأل: "ما هو الحق في هذه المسألة؟" .ثم اتبعه ولو كان عليك .وهذا هو جوهر التقوى.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

أولا ً: المهارات المعرفية) العقلية (التي تنميها الآية:

· مهارة التفكير في الغيب دون تكلف: تعلم كيف تفكر في أمور لا تراها ولا تدركها حواسك، دون أن تتصورها تصوراً مادياً محدوداً .هذه مهارة عقلية عليا.
· مهارة ربط الأسباب بالمسببات الأخروية: أي القدرة على تتبع أثر عملك الحالي على مصيرك الأ خروي .كل عمل تقوم به، أنت تدرب عقلك على أن يسأل: "ما أثر هذا العمل في صحيفتي يوم الحاقة؟".
· مهارة التمييز بين "الحق" و"الباطل" في خضم الحياة: في عالم مليء بالخلط بين الحق والباطل، تمنحك الآية "ميزاناً" ثابتاً: كل ما يوافق "الحاقة" فهو حق، وكل ما يخالفها فهو باطل .هذه مهارة تحليلية نقدية.
· مهارة التسليم المعرفي: تعلم متى تتوقف عن السؤال والجدل، وتسلم بأن الأمر فوق إدراكك .هذه مهارة مهمة لتجنب الإرهاق العقلي والوقوع في الشبهات.

ثانياً: المهارات الحياتية) النفسية والاجتماعية (التي تنميها الآية:

· مهارة "الاستعداد الدائم": أن تعيش في حالة تأهب واستعداد، لا على معصية أو غفلة .هذه المهارة تجعلك مستعداً لأي طارئ في الدنيا أيضاً.
· مهارة "ضبط النفس بالخوف الإيجابي": تعلم كيف تستخدم الخوف من شيء) هنا الخوف من الحاقة (لضبط رغباتك ونزواتك، بدلا ً من أن تكون عبداً لها.
· مهارة "تحويل الخوف إلى طاقة إنتاجية": بدلا ً من أن يشلك الخوف، يحوله المؤمن إلى همة ونشاط .هذه مهارة نفسية عليا يحتاجها كل قائد.
· مهارة "المحاسبة الذاتية": القدرة على أن تجلس مع نفسك وتحاسبها بصدق وشفافية على أعمالك، في ضوء معايير واضحة) هنا معيار الحاقة.(

ثالثا: المهارات العملية) السلوكية اليومية (التي تنميها الآية:

· مهارة "تقييم الأعمال بميزان الآخرة": قبل أن تقوم بأي عمل، قيمه بسرعة: "هل هذا العمل سينفعني في الحاقة أم يضرني؟" .هذه مهارة تساعدك في اتخاذ القرارات الصحيحة.
· مهارة "إدارة الوقت بإدراك قيمته": تعلم كيف تدير وقتك ليس كسلعة، بل كفرصة ثمينة لن تعوّض . كل دقيقة تضيعها، تضيع معها فرصة للاستعداد للحاقة.
· مهارة "الإتقان والأمانة" في العمل: الإتقان ليس مجرد قيمة مهنية، بل هو عين الاستعداد للحاقة .ف المتقن لعمله يقدم "شاهداً" له لا "شاهداً" عليه.
· مهارة "الرد على الشبهات" بأسلوب قرآني: عندما يواجه الإنسان شبهات حول البعث، يمكنه أن يستخدم أسلوب الآية: لا تحاول أن تدرك كل شيء بعقلك المحدود، ولكن آمن بالله وبوعده، هذا يكفي.

الأمر السادس: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات المباشرة من الآية:

.1توجيه للعقل: "لا تجعل عجزك عن تصور الشيء سبباً في إنكاره .فقد يكون الشيء أعظم من أن تدركه، وعدم إدراكك له ليس دليلا ً على عدم وجوده" .هذا التوجيه يفتح العقل على آفاق جديدة.
.2توجيه للقلب: "عظم الحاقة في قلبك، تعظم الجنة والنار في وجدانك، ويستقيم عملك" .فتعظيم اليوم الآخر هو مفتاح كل خير.
.3توجيه للجوارح: "اجعل كل عمل تقوم به كأنك تقدمه ليوم الحاقة .فإما أن تقدم حسناً يشفع لك، أو سيئاً يوبقك".
.4توجيه للمجتمع: "ابن مجتمعك على أساس "الحق" لأنه سيظهر لا محالة .لا تبني مجتمعاً على الظلم والكذب، فستندم حين تنكشف الحقائق".

دور هذه التوجيهات في تطوير الحياة) على المستوى الفردي والجماعي(:

· تطوير الذات: بفضل التوجيهات، يصبح الفرد أكثر انضباطاً، أكثر إنتاجية، أقل انشغالا ً بالتفاهات، أكثر تركيزاً على الأهداف الكبرى .هذا يطور ذاته في كل المجالات.
· تطوير العلاقات الإنسانية: عندما يلتزم الناس بتوجيه "الحق" و"العدل" و"الأمانة"، تصبح العلاقات أكثر صفاءً، ويقل الغش والخيانة والنفاق .هذا يطور المجتمعات من الداخل.

· تطوير المؤسسات: المؤسسات التي تتبنى ثقافة "الحاقة") أي أن كل عمل سيعرض ويُحاسب (تصبح أكثر نزاهة، أكثر إتقاناً، أكثر جدارة بالثقة .هذا يطور الاقتصاد والإدارة.
· تطوير الحضارة: أي نهضة حقيقية تبدأ من "اليقين الأخلاقي" ثم تنتقل إلى المنجزات المادية .الآية تقدم ذلك اليقين الأخلاقي الأقوى: الإيمان بأن هناك يوماً للعدل المطلق .هذا الإيمان يدفع إلى بناء حضارة تقوم على الحق والعدل.

الأمر السابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم من هذه الآيات العظيمة في حياتنا العملية اليومية الدروس التالية:

أولاً: نتعلم أن "الحياة ليست عبثاً" .هناك غاية كبرى، وهناك نهاية ستكشف كل شيء .هذا التعلم يمنح الحياة معنى، ويحولها من سلسلة من الأحداث العشوائية إلى رحلة هادفة ذات اتجاه.

ثانياً: نتعلم أن "الجدية هي صفة المؤمن" .لا مكان للهزل والعبث والتفريط في حياة من يؤمن بـ الحاقة .الجدية لا تعني الكآبة، بل تعني أن تكون أعمالك هادفة، وقتك مستثمراً، وعلاقاتك مسؤولة.

ثالثاً: نتعلم أن "الاستعداد المستمر هو أسلوب حياة" .لأننا لا نعلم متى تأتي الحاقة) الساعة أو الموت(، فإن أفضل استراتيجية هي أن نكون مستعدين في كل لحظة .هذا يمنع التسويف، ويجعلنا نعمل الآ ن لا غداً.

رابعاً: نتعلم أن "الحق هو البوصلة" .في أي حيرة، الرجوع إلى "ما هو حق" هو الحل .قد يكون الحق صعباً أو مكلفاً أو غير شعبي، لكنه النجاة في النهاية.

خامساً: نتعلم أن "العجز عن التصور لا يساوي العجز عن الإيمان" .يمكننا أن نؤمن بالله واليوم الآخر والجنة والنار دون أن نتصورها تصوراً مادياً كاملاً .هذا يريح أذهاننا من التكلف.

سادساً: نتعلم أن "التهويل أحياناً رحمة" .قد يظن البعض أن التخويف قسوة، لكنه إذا أيقظ غافلاً وأصلح مفسداً، فهو رحمة .القرآن يهول ليرحم، لا ليعذب.

سابعاً: نتعلم أن "الإيمان بالغيب قوة لا ضعف" .من يؤمن بالغيب - بالحاقة والجنة والنار - هو أقوى نفسياً ممن لا يؤمن، لأنه يملك بوصلة وهدفاً ومعنى.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

أولاً: الأبعاد المتعددة للآية:

· البعد العقدي: إثبات الإيمان باليوم الآخر كأصل من أصول العقيدة الإسلامية، والرد على جميع منكري البعث .هذا البعد يضع الحاقة في قلب الاعتقاد.
· البعد النفسي: خلق الرهبة الإيجابية والتقوى في النفس، وإخراجها من الغفلة والقسوة والتردي الأخلا قي .هذا البعد يعالج الأمراض النفسية الروحية.
· البعد التربوي: تقديم نموذج تربوي فريد في "التدريج في التهويل" و"استخدام الإبهام" و"صدمة البداية"، وهو نموذج يمكن تطبيقه في تربية الأفراد والمجتمعات.
· البعد الأخلاقي: ربط السلوك الإنساني بالجزاء الأخروي، وتحويل القيم الأخلاقية من مجرد "عادات اجتماعية" إلى "التزام ديني مقدس".
· البعد البياني: إظهار الإعجاز البياني للقرآن في استخدام أدوات اللغة) الاسم، الاستفهام، صيغة "ما أدراك" (لتحقيق أغراض نفسية وعقدية بأقل عدد من الكلمات.
· البعد الاجتماعي: إرساء مبدأ "الحق" و"العدل" في المجتمع، لأن استشعار الحاقة يردع الظالم ويطمئن المظلوم.

ثانياً: الآفاق التي تفتحها الآية:

· أفق الإيمان: من الإيمان المجرد بالغيب إلى إيمان تفصيلي مؤثر في السلوك .الآية تفتح أفقاً أرحب

لفهم حقائق الآخرة.
· أفق العمل: من العمل العادي الروتيني إلى العمل العابد المستشعر للمسؤولية، حيث يتحول العمل كله إلى عبادة.
· أفق الأمل: من اليأس من العدالة في الدنيا إلى الأمل بالعدل الإلهي المطلق في الحاقة .هذا الأفق يمنح الصابرين قوة التحمل.
· أفق المعرفة: من المعرفة الحسية المحدودة إلى الإقرار بوجود معارف تفوق الحواس، مما يفتح الباب للعلوم الشرعية والروحية.

الأمر الثاني: القيم من الآية

تستنبط من الآيات الكريمة مجموعة من القيم العليا، ويمكن تفصيلها كما يلي:

قيمة الحق: وهي القيمة الأم التي اشتقت منها الحاقة .الحق هو الثبات والوضوح والعدالة .الآية تغرس في النفس أن الحق هو أساس الوجود، وأنه لا بد من ظهوره ولو تأخر.

قيمة العدل: يوم الحاقة هو يوم العدل المطلق، حيث لا ظلم ولا محاباة ولا إهمال .هذه القيمة تدفع المؤمن إلى أن يكون عادلا ً في دنياه، لأنه يطلب عدلا ً من الله.

قيمة المسؤولية: الآية تشعر الإنسان بأنه مسؤول عن كل أعماله، صغيرها وكبيرها، أمام خالق الكون . فليس هناك "منطقة معفاة" من المسؤولية.

قيمة الجدية: من عرف عظمة اليوم الآخر لم يفرط في لحظة من عمره .الجدية في العمل، في التعلم، في العبادة، في العلاقات.

قيمة اليقين: ليس الظن أو الاحتمال، بل اليقين الجازم بأن الحاقة آتية لا ريب فيها .هذا اليقين هو الذي يحرك الجوارح.

قيمة التواضع: الاعتراف بعجز العقل البشري عن إدراك كل شيء .هذه القيمة تكسر الكبر والغرور الفكري.

قيمة الأمل: ليست الآية مجرد تهديد، بل هي أمل للمظلومين والمستضعفين بأن حقهم سيعود إليهم يوماً ما.

قيمة الإنذار: الآية تعلن أن من واجب المرسلين وأتباعهم أن ينذروا الناس بالحق، حتى لا يكون لهم حجة يوم القيامة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

المفهوم الأول: مفهوم "الحتمية" .كل ما تفعله الآن هو بناء لمستقبلك الأبدي، وهذا حتم لا مفر منه .لا توجد "فرصة ثانية" بعد الموت .هذا المفهوم يجعل المؤمن حريصاً على كل لحظة.

المفهوم الثاني: مفهوم "التعظيم" .لا يمكن أن تلتزم بشيء لم تعظمه في قلبك أولا ً .فتعظيم الحاقة في القلب شرط أساسي للاستعداد لها .وهذا ينطبق على كل أمر في الحياة: من عظم هدفه سعى إليه.

المفهوم الثالث: مفهوم "الاستفهام التفخيمي" كأداة تربوية .يمكن استخدام أسلوب "ما أعظم هذا؟" و "ما أهول هذا؟" في تربية النفس والأبناء، فهو أبلغ من الوصف المباشر .فالسؤال المحير يفتح العقل أكثر من الجواب المسكت.

المفهوم الرابع: مفهوم "العجز المعرفي المقبول" .لا تنتظر أن تفهم كل شيء كي تؤمن به .الإيمان يسبق الفهم أحياناً، بل كثيراً ما يكون الفهم ثمرة الإيمان لا شرطه .هذا المفهوم يريح المؤمن من عناء التكلف العقلي.

المفهوم الخامس: مفهوم "المعلوم والمجهول في الغيب" .الآية تعلمنا التفريق بين ما يجب أن نعلمه)وجود الحاقة (وبين ما قد لا نعلمه بتفصيل) كنه الحاقة .(هذا يمنعنا من الخوض فيما لا يعنينا.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

· مفهوم "الخوف الإيجابي": الخوف الذي يدفع للعمل لا للشلل .وهو عكس الخوف المرضي .الآية تصمم هذا المفهوم بدقة.
· مفهوم "الرهبة المنتجة": حالة نفسية متوسطة بين الخوف الشديد والأمن الكامل، تحول القلق إلى طاقة إيجابية .المؤمن يعيش في هذه الحالة.
· مفهوم "التوقع الدائم": العيش في حالة ترقب واستعداد، دون قلق مرضي .هذه حالة نفسية صحية تجعل الإنسان أكثر يقظة.
· مفهوم "التواضع النفسي": الشعور بأنك صغير أمام عظمة الخالق وأمام حقائقه الكبرى .هذا يقي من الكبر والعجب.

المفاهيم الفكرية:

· مفهوم "نسبية المعرفة الإنسانية": العقل البشري له حدود، وهناك حقائق تفوق مداركه .هذا مفهوم فلسفي عميق تقدم به القرآن قبل الفلاسفة.
· مفهوم "أولوية الغيب": ما غاب عنا أعظم مما نشهد .الإيمان بالغيب هو أساس العقلانية الدينية.
· مفهوم "جدلية الظاهر والباطن": الظاهر في الدنيا قد يكون مخالفاً للباطن .الحاقة ستكشف باطن كل شيء .هذا مفهوم نقدي لفهم الواقع.

المفاهيم التربوية:

· مفهوم "التدريج في التهويل": لا تبدأ بأعلى درجات الترهيب، بل تصاعد تدريجياً) الحاقة ثم ما الحاقة ثم وما أدراك.(
· مفهوم "استخدام التشويق التربوي": الإبهام المقصود أحياناً يثير الدافعية أكثر من التفصيل الممل.
· مفهوم "التكرار بأسلوب مغاير": كرر المعلومة ولكن بشكل مختلف) مرة اسماً، مرة جملة اسمية، مرة جملة فعلية (لترسيخها دون ملل.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

مفهوم بناء اليقين: على أساس التسليم لله فيما أخبر به، وليس على أساس البرهان الحسي لكل شيء .هذا بناء متين لأن مصدره الوحي.

مفهوم بناء الشخصية: على أساس المسؤولية والمحاسبة الذاتية والجدية .الشخصية التي تبنيها هذه ا لآية هي شخصية مؤمنة قوية أخلاقياً.

مفهوم بناء الأخلاق: على أساس استشعار الرقابة الإلهية) أن الله يراك وأن الحاقة ستكشف عملك .(هذا أسمى دوافع الأخلاق.

مفهوم بناء المجتمع: على أساس أن "الحق" هو الحاكم، لا القوة ولا المصلحة ولا العادة .مجتمع قائم على الحق هو مجتمع مستقر قوي.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

مفهوم التنمية في الآية يقوم على فكرة أن التنمية الحقيقية تبدأ من الداخل) تزكية النفس (قبل أن تنتقل إلى الخارج) إعمار الأرض .(ويمكن تفصيل مفاهيم التنمية كما يلي:

مفهوم تنمية الوعي: الوعي بأن هناك غاية كبرى للحياة، وأن الحياة الدنيا ليست هدفاً في ذاتها .هذا الوعي يوجه كل جهود التنمية في الاتجاه الصحيح.

مفهوم تنمية الدافعية: عن طريق تعظيم الأهداف البعيدة) كالحاقة(، فتعظيم الهدف يزيد الدافعية للعمل لتحقيقه .هذا ينطبق على أي مشروع تنموي.

مفهوم تنمية السلوك: من خلال ربط السلوك بنتائجه النهائية .فإذا علم الإنسان أن سلوكه الحالي سيؤثر على مصيره الأبدي، فإنه سيعمل على تطويره وتصحيحه.

مفهوم تنمية الإنتاجية: لأن من يستشعر الحاقة لا يضيع وقتَه في اللهو واللغو، بل يستثمر كل لحظة في عمل نافع .هذا يزيد الإنتاجية الفردية والجماعية.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة في الحياة و الحضارة

أولا ً: دورها في بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تتغذى على مفاهيم هذه الآية تصبح شخصية فريدة تجمع بين:

· القوة والعدل: قوية في الحق عادلة في الحكم، لأنها تعلم أن القوة الحقيقية هي لله، وأن يوم الحاقة سينصف كل مظلوم.
· الجدية والتوازن: جادة في العمل متوازنة في الحياة، لا تفرط في الدنيا ولا تنسى الآخرة.
· الرجاء والخوف: تخاف من الحاقة فتعمل، وترجو رحمة الله فلا تيأس.
· التواضع والثقة: متواضعة أمام الله وأمام خلقه، واثقة من نصر الله وعدله.

ثانياً: دورها في صناعة التطور والنهضة:

عندما تتبنى أمة الإسلام) أو أي مجتمع (مفهوم "الحاقة" كحقيقة محورية في حياتها، فإن النهضة تنطلق من عدة مداخل:

· النهضة الأخلاقية: لأن الخوف من الله ومن يوم الحاقة يمنع الفساد والرشوة والظلم والغش .وأي نهضة بدون أخلاق هي نهضة زائفة.
· النهضة العلمية: لأن الإيمان بأن الله سيسأل عن العلم والعمل يدفع إلى طلب العلم الجاد والإتقان فيه .وكلما زاد الإتقان زاد التقدم العلمي.
· النهضة الاقتصادية: لأن الأمانة والعدل والصدق في المعاملات هي أساس الاقتصاد القوي .والأمم التي تتحلى بهذه الصفات تنمو اقتصادياً.
· النهضة الاجتماعية: لأن المجتمع القائم على الحق والعدل هو مجتمع متماسك، قليل النزاعات، كثير التعاون .وهذا يخلق بيئة خصبة للنهضة.

خلاصة: مفاهيم "الحاقة" ليست مفاهيم نظرية معزولة، بل هي وقود للبناء والتنمية والنهضة .إنها تقدم "رأس المال الروحي والأخلاقي" الذي تحتاجه كل حضارة لتنطلق .فالغرب استند إلى مفاهيم مثل "الحقوق الطبيعية" و"العدالة" – وهي مفاهيم دينية في أصلها .أما المسلمون فلهم "الحاقة" التي تجمع كل ذلك وتضاعفه بيقين إيماني.

خامساً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

تدعونا الآيات الثلاث إلى سبعة أمور عملية كبيرة، يمكن تفصيلها كما يلي:

الدعوة الأولى: تدعونا إلى تحويل "الحاقة" من مفهوم غيبي إلى واقع يومي حي .أي لا تبق يوم القيامة مجرد معلومة في عقلك، بل اجعله حاضراً في قلبك، ونصب عينيك في كل قرار وكل عمل . هذا التحويل هو جوهر الإيمان العملي.

الدعوة الثانية: تدعونا إلى تعظيم ما عظمه الله .إذا كان الله قد عظم يوم القيامة بهذا الأسلوب البلا غي، فعلينا أن نعظمه في قلوبنا .وعظمة اليوم الآخر في القلوب تتناسب طردياً مع الجهد المبذول في الاستعداد له .فكلما زاد تعظيمك، زاد عملك.

الدعوة الثالثة: تدعونا إلى التسليم للغيب .هناك أمور غيبية لا يمكن إدراكها كلياً، والمطلوب هو التسليم والإيمان بها، مع العمل بما علمناه تفصيلا ً .لا نضيع وقتنا في الجدل حول الكيفيات، بل نستثمره في العمل الصالح.

الدعوة الرابعة: تدعونا إلى الجدية في الحياة .الدنيا ليست ملعباً، واللهو ليس هدفاً .من عرف عظمة اليوم الآخر لم يفرط في لحظة من عمره .كن جاداً في عملك، في عبادتك، في تعلمك، في تربيتك لأ

أولادك.

الدعوة الخامسة: تدعونا إلى العدل المطلق .الحاقة ستكشف كل ظلم وكل تدليس .فلا تظلم اليوم، ولا تشهد بزور، ولا تأكل حقوق الناس .ولو ظلمت، فبادر بالتصالح ورد الحقوق قبل فوات الأوان.

الدعوة السادسة: تدعونا إلى محاسبة النفس قبل أن تُحاسب، ووزن الأعمال قبل أن توزن .كن رقيباً على نفسك .في نهاية كل يوم، اجلس مع نفسك وحاسبها: ماذا قدمت للحاقة؟ أين قصرت؟ كيف أتوب وأستعد غداً؟

الدعوة السابعة: تدعونا إلى اليقظة الدائمة .لأننا لا نعلم متى تأتي الساعة، ولا متى يأتينا الموت .لا تؤجل توبتك، لا تؤجل عملك الصالح، لا تؤجل رد المظالم .افعلها الآن، لأن الآن هو كل ما تملك.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

هذه الوقفات هي "منهجية تدبر عملي" رفيعة المستوى، تحول النص القرآني إلى مرآة يرى فيها الإ نسان حقيقة قلبه وسلوكه.

الوقفة الأولى: استشعار العظمة والتهويل

التدبر: الاستفهام في السورة) ما الحاقة؟ (هو استفهام للتعظيم والتفخيم وليس للجهل .يدرك معه العقل البشري عجزه التام عن تصور حجم وشدة ذلك اليوم .والله سبحانه لم يذكر التفاصيل كاملة لأ نه لو ذكرها لربما انكسرت قلوب الناس أو أصيبوا بالشلل .لكنه أبقاها في إطار التعظيم والإبهام ليبقي الأمل والعمل.

الأسئلة العملية:

· هل أهوّل وأعظِم أوامر الله ونواهيه في قلبي بقدر ما أهوّل وأستعد للمواقف الدنيوية الكبرى، مثل الاختبارات المصيرية، المقابلات الوظيفية الهامة، أو العقود القانونية الكبيرة؟ لماذا أستعد لأمور الدنيا التي لا تخلد ولا تدوم، وأتهاون في الاستعداد ليوم الحاقة الذي سأخلد فيه إما في جنة أو نار؟
· عندما أواجه موقفاً يغضب الله) كإغراء بالرشوة، أو فرصة للغش، أو دعوة إلى ظلم(، هل أستحضر في تلك اللحظة عظمة الوقوف بين يديه في ذلك اليوم العظيم، بحيث تكون تلك العظمة رادعاً أقوى من أي رادع دنيوي) كالخوف من القانون أو من الناس(؟
· ما هو مقدار الخشية التي تنتاب قلبي عند سماع "الحاقة" مقارنة بمقدار خوفي من مديري في العمل أو من العقوبات الدنيوية؟ هل يستويان أم أن أحدهما أكبر؟ ولماذا؟

التطبيق العملي المقترح: اكتب على بطاقة صغيرة: "ما الحاقة؟ وما أدراك ما الحاقة؟" .ضعها أمامك على مكتبك أو على مرآة سيارتك .كلما هممت بمعصية أو تهاون في عمل، انظر إليها وتوقف.

الوقفة الثانية: ميزان الحقيقة واليقين

التدبر: سُميت القيامة بـ "الحاقة" لأنها اليوم الذي تستقر فيه الأمور في موضعها الصحيح، وتُقوّم الأ عمال بحجمها الحقيقي، وتُوزن بالقسطاس المستقيم، وهي حتمية الوقوع لا مفر منها ولا مناص .في هذا اليوم، ستتبدل الموازين: الفقير الصابر قد يكون أغنى من الغني الباغي، والعامل المتواضع المخلص قد يكون أعلى من المدير المتكبر .كل شيء يرجع إلى حقيقته.

الأسئلة العملية:

· في تعاملاتي المالية والاقتصادية والمهنية) بيع، شراء، تجارة، وظيفة، عقود(، هل أقيم أفعالي بميزان "الحق" الذي لا يضل ولا ينسى، أم بميزان الربح والخسارة العاجلة، أو بميزان العادات الاجتماعية السائدة؟ مثلاً: لو كنت تاجراً، هل أعتبر الغش "ذكاءً تجارياً" أم "خيانة ستُعرض في الحاقة"؟
· عندما أسأل نفسي في قرارة قلبي: "ما حقيقة موقفي الآن؟" تجاه الله، تجاه الناس، تجاه من يعولني، هل أكون صادقاً مع نفسي؟ أم أتهرب؟ وما هي الخطوة العملية التي سأتخذها لتصحيح موقفي إذا وجدته غير حق؟
· لو عُرض علي عمل أو مشروع فيه كسب مادي كبير لكنه يشتمل على ظلم أو غش أو حرام، هل سأقدم على هذا العمل وأنا أعلم أن أرباحه ستتحول إلى "حسرة" في الحاقة؟ أم سأرفضه ولو خسرت المال، طلباً لسلامة صحيفتي؟

التطبيق العملي المقترح: اجعل قبل كل قرار مهم دقيقة صمت، تتخيل فيها أنك واقف بين يدي الله، وصحيفة عملك منشورة، والميزان منصوب، واسأل: "ماذا سيكون حكم الحاقة على قراري هذا؟".

الوقفة الثالثة: إعداد الإجابة) ما الحاقة؟(

التدبر: قوله "ما الحاقة؟" هو سؤال استنكاري وتفخيمي، لكنه في باطنه سؤال موجه إلى كل إنسان: "هل أنت مستعد لهذا اليوم؟ هل أعددت له عدته؟" .والحاقة ليست فقط القيامة الكبرى، بل كل ما يقربك منها: الموت، القبر، البعث .فالموت هو "الحاقة الصغرى" التي تفتح باب الحاقة الكبرى.

الأسئلة العملية:

· لو سألك سائل اليوم بصدق: "ما الذي أعددته للحاقة؟" ماذا ستكون إجابتك بالتفصيل؟ هل ستذكر صلواتك، صدقاتك، صيامك، حسن خلقك، ردك للمظالم، تعلمك للعلم النافع، عملك المتقن، برك بوالديك، صلتك لأرحامك؟ أم ستجد إجابتك فارغة أو ضعيفة؟
· كيف أثر يقيني بيوم الحاقة على علاقتي الأسرية؟ هل أصبحت أكثر حرصاً على بر والديّ؟ هل تحسنت في تربية أولادي وتعليمهم الاستعداد للحاقة؟ هل أحسنت العشرة مع زوجتي/زوجي؟ هل لم شمل عائلتي على طاعة الله؟
· هل تحولت المسؤوليات التي في حياتي) عملي، بيتي، مجتمعي (إلى "مشاريع استثمارية" للآخرة؟ أم بقيت مجرد واجبات اجتماعية أو ضغوط يومية أتجنبها كلما أمكن؟

التطبيق العملي المقترح: احتفظ بدفتر "استعداداتي للحاقة" .اكتب فيه كل أسبوع عملًا صالحاً قمت به، أو خطيئة أقلعت عنها، أو حقاً رددته .هذا الدفتر سيكون مذكرتك التحفيزية.

الوقفة الرابعة: استثمار "الجهل بالدقة" لزيادة "اليقظة"

التدبر: قوله} وما أدراك ما الحاقة {يخبرنا أن حقيقة هذا اليوم وكنهه يفوقان إدراك البشر تماماً . ونحن نوقن بالحاقة ونؤمن بها، لكننا لا نعلم متى تأتي بالضبط، ولا نعلم كل تفاصيل أهوالها .هذا "الجهل بالوقت والدقة" ليس عائقاً، بل هو نعمة وحافز .فلو علمنا أنها بعد ألف سنة لاتكلنا، ولو علمنا أنها غداً لربما أصيبنا بالذعر .لكن الجهل بها يجعل المؤمن في حالة استعداد دائم، وكأنها تأتي في أي لحظة.

الأسئلة العملية:

· كيف ينعكس شعوري بأن "الحاقة" أعظم من إدراكي، وأن وقتها غير معلوم، على يقظة قلبي اليومية؟ هل يدفعني هذا إلى نوم وغفلة، أم إلى مزيد من العمل والحذر؟
· هل أستثمر هذا "الجهل المحمود") أي جهلي بتوقيت الحاقة وتفاصيلها الدقيقة (لأبادر بالصالحات الآ ن، دون تسويف؟ أم أنني أستغله كعذر للتكاسل والتأجيل) مثل: لعلي سأعيش طويلا ً، أو لعلي سأتوب قبل الموت(؟
· عندما يغفل الناس من حولي، وينشغلون بالدنيا، ويتساهلون في المعاصي، هل أتذكر أن الحاقة قد تأتي في أي لحظة، فتكون هذه الذكرى سبباً في ثباتي واستقامتي، وعدم تأثري بالغافلين؟

التطبيق العملي المقترح: ابدأ كل صباح بجملة: "ربما اليوم تأتي الحاقة .ماذا فعلت اليوم لأكون مستعداً؟" .واختتم كل ليلة بجملة: "ربما لم تأتِ، لكني سأنام على استعداد".

رسالة الختام

الآيات الثلاث من سورة الحاقة –} الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ {– ليست مجرد افتتاحية عادية، بل هي "مدخل كوني" إلى أفق الإيمان بالغيب، و"بوابة نفسية" إلى تغيير السلوك، و "منهج تربوي" في صياغة الوعي، و"قنبلة موقوتة" من البيان القرآني تنفجر في قلب الغافل فتوقظه، وفي قلب العاصي فتردعه، وفي قلب المؤمن فتحمسه.

لقد وجدنا في هذه الآيات:

· دعوة صادمة للخروج من غفلة الدنيا.
· تهويلا ً متدرجاً يخلق الرهبة المنتجة.

· إبهاماً مقصوداً يثير الفضول للتسليم.
· وعداً بالحق يطمئن المظلوم ويرعب الظالم.
· توجيهاً عملياً لتحويل الإيمان إلى سلوك يومي.

وختاماً، فإن أسمى مراتب التدبر هي أن تتحول هذه الآيات في حياتنا العملية إلى مرآة يومية نرى فيها حقيقة أنفسنا، وإلى ميزان دقيق نزن به أعمالنا، وإلى نور نستضيء به في ظلمات الدنيا، وإلى رادع يمنعنا من الزلل، وإلى دافع يدفعنا إلى الخير والإتقان، حتى نلقى ربنا في يوم الحاقة – يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وعمل صالحاً، وأخلص لله وحده.

ثانيا

هذا تفسير تفصيلي للآيتين الكريمتين (4-5) من سورة الحاقة:
{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات الثلاث الأولى من السورة كانت افتتاحية صادمة مهولة، أراد الله بها أن ينتزع قلب السامع من غفلة الدنيا ويضعه مباشرة أمام حقيقة يوم القيامة الذي أسماه «الحاقة» – أي اليوم الذي يحق فيه كل شيء ويستقر ويظهر الحق الخالص. ثم أتبعه بأسلوب الاستفهام التفخيمي «ما الحاقة» ثم إعلان العجز «وما أدراك ما الحاقة» ليقرر أن هذا اليوم يفوق كل تصور وإدراك بشري.

بعد أن هزّ الله المشاعر وأيقظ العقول وأرهب القلوب، لم يترك السامع في أجواء مجردة، بل انتقل فوراً إلى التاريخ الحي، إلى أمم كانت تعيش على الأرض، لها حضارة وقوة، كذبت بيوم القيامة كما يكذب كفار قريش، فحل بها العذاب في الدنيا قبل الآخرة. فالربط هنا هو ربط العبرة بالعظة: بعد أن عرفت عظمة الحاقة، انظر إلى من كذب بها من قبل كيف كانت عاقبتهم، لتستعد أنت ولا تكون مثلهم. وبهذا يصبح التهديد لقريش ولنا واضحاً: سنتكم واحدة، فمن كذب بالقارعة – وهو اسم آخر للحاقة – فسيلقى جزاءه.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز الآيتان في فكرة مركزية واحدة، تتفرع إلى ثلاث مراحل:

الفكرة الأولى: الإخبار بتكذيب أمتين عظيمتين من أمم الماضين (ثمود وعاد) بيوم القيامة {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}. والمقصود بالتكذيب هنا هو إنكار البعث والجزاء، والاستهانة بيوم الدين، وهو نفس ما يفعله كفار قريش. وقد عبر الله ب- «كذبت» بصيغة الماضي المفرد المؤنث (لأن ثمود وعاد اسمان لقبيلتين مؤنثتين) ليفيد أن التكذيب كان أمراً واقعاً ماضياً، وليجعل السامع كأنه ينظر إلى الحدث بعينه.

الفكرة الثانية: تفصيل مصير ثمود – أول من ذكر – بأن الله أهلكهم بسبب طغيانهم، وبعقاب شديد جاوز كل حد {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}. وهنا يبدأ التفصيل بثمود، ثم ستأتي الآية التالية لتفصيل مصير عاد، ليكون السياق متكاملا ً في عرض العاقبة.

الفكرة الثالثة: (ستأتي في الآية السادسة، ولكن يذكرها السياق ضمنياً) أن سنن الله واحدة، وأن من كذب بالقارعة – أي يوم القيامة – فإن عذاب الدنيا قد يسبق عذاب الآخرة إن شاء الله، أو ينتظر له العذاب الأكبر.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول هو تحويل التاريخ إلى تجربة حية، فليس الماضي مجرد حكايات تروى، بل هو مشاهد ونماذج يجب أن يعيشها القارئ كأنه معاصر لها، فيتأثر بها ويغير سلوكه.

المغزى الثاني: أن التكذيب بيوم القيامة جريمة كبرى مهما كانت الحضارة والقوة، فقد كان ثمود وعاد أقوى الأمم في زمانهما، يقطعون الجبال بيوتاً، ويبنون إرماً ذات العماد، ومع ذلك لم تنفعهم قوتهم عندما جاء أمر الله. فمن يظن أنه بقوته أو ماله أو جاهه يستطيع أن ينجو من عذاب الله فهو

واهم.

المغزى الثالث: أن المعجزات الحسية ليست حلا ً للإيمان، فثمود أوتوا الناقة آية مبصرة، ومع ذلك كذبوا بالقارعة واستحبوا العمى على الهدى. فهذا رد على كل من يطلب خوارق ليؤمن، فالإيمان قرار قلبي وليس نتيجة حتمية لرؤية معجزة.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: تثبيت الإيمان بيوم القيامة من خلال الأدلة التاريخية. فإذا كانت أمم كاملة أهلكت في الدنيا بسبب تكذيبها بيوم الجزاء، فهذا دليل على أن ذلك اليوم حق لا محالة.

الهدف العقدي الثاني: تعريف يوم القيامة باسم جديد هو «القارعة»، وإضافة معنى جديد: أنه يوم يقرع القلوب والأسماع والظالمين، فيصدم الجميع بعظيم هوله.

الهدف النفسي: إثارة الرهبة والاعتبار. عندما يعلم القارئ أن ثمود – وهم جبارون – أهلكوا بصيحة أو زلزلة، فإن نفسه تتأثر وتخاف من أن تحل به مثل هذه الطاغية إن هو استمر في الغفلة و التكذيب.

الهدف البياني: إظهار إعجاز القرآن في اختيار الترتيب (تقديم ثمود على عاد مع أن عاد أقدم)، وفي حذف التفاصيل غير الضرورية، وفي اختيار كلمات دقيقة مثل «القارعة» و«الطاغية».

الهدف التربوي: تعليم الناس أن الإيمان لا يحتاج إلى معجزات خارقة بعد أن جاء القرآن. فمن طلب آيات حسية فقد تمسك بعذر واهٍ، لأن ثمود أوتوا آية وكذبوا. والمطلوب هو القلب الحي الذي يتدبر ا لآيات الموجودة.

الهدف الدعوي: توجيه إنذار إلى كفار قريش: إن كنتم تطلبون آيات مثل ناقة ثمود، فاعلموا أن ثمود كذبوا بها فأهلكوا. فلو آتاكم مثلها لكذبتم فأهلكتم. فاكتفوا بما أنزل إليكم من القرآن.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة تسمية يوم القيامة بـ «القارعة» ولماذا سمي بهذا الاسم

»القارعة «صيغة مبالغة من الفعل» قرع .«والقرع في اللغة هو الضرب بشدة، والطرق العنيف، والصوت المدوي الذي يحدث صدى .يقال: قرع الباب إذا دقه بقوة، وقَرِعَ الرأس بالعصا إذا ضرب .والقارعة هي التي تقرع بقوة وعنف، فتسمع صوتها وتشعر بأثرها.

لماذا سمي يوم القيامة «القارعة»؟ هناك أسباب متعددة تلتقي كلها في هذا الاسم العظيم:

السبب الأول: أنها تقرع القلوب بأهوالها. يوم القيامة يصدم القلوب صدمة عنيفة لا تحتمل، فيذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى. فسميت قارعة لأنها تقرع الأفئدة بالرهبة، فتخرجها من سبات الغفلة إلى يقظة الحساب.

السبب الثاني: أنها تقرع الأسماع بأصواتها المدوية. النفخة الأولى والنفخة الثانية، والزلازل، والراجفات، كلها أصوات قارعة تمزق سكون الكون. فسميت قارعة لأنها تقرع الآذان بقوة لا تحتمل.

السبب الثالث: أنها تقرع الظالمين بالعذاب. كما تقرع المطرقة الحديد فيحطم، فكذلك قوارع العذاب في ذلك اليوم تحطم الظالمين والمجرمين.

السبب الرابع: أنها تقرع طبول الجزاء للحشر. كأنها إعلان حرب بين الحق والباطل، فتنادى الخلائق للحساب.

السبب الخامس: تناسباً مع «الحاقة» في الآية السابقة. فالحاقة تفيد تحقق الحق وثبوته، والقارعة تفيد الشدة والصدمة والقرع. فالاسم الأول يركز على الجانب العقدي (أنه حق واقع)، والثاني يركز على الجانب الشعوري (أنه صادم شديد). وهما وصفان لحدث واحد، كل يضيف معنى.

السبب السادس: أنها تقرع العقول لتفيق من غفلتها. كثير من الناس يعيشون وكأن الحياة أبدية، وكأن الموت لا يأتي. فجاء اسم «القارعة» ليكون صاعقة توقظهم: إن هناك يوماً سيقرعكم بقوة، فاستعدوا.

ثانياً: دلالة عدم ذكر الآية لمكان عاد وثمود ولا أسلوب تكذيبهم ولا أسمائهم، وإنما ساق المولى خبر تكذيبهم ويتلوه خبر الجزاء

هذا الحذف المقصود للتفاصيل له دلالات بلاغية وتربوية وتاريخية بالغة الأهمية:

الدلالة الأولى: التركيز على «النتيجة» وليس «التفاصيل». الغرض الأساسي من ذكر هاتين الأمتين في هذا الموضع ليس سرد تاريخهما أو وصف أصنامهما أو أساليب تكذيبهما البلاغية. الغرض هو العبرة و الجزاء. فالقرآن يريد أن يقول: هؤلاء قوم كذبوا بالقارعة، فأهلكوا. ومن كان مصيره مثل مصيرهم فليحذر. أما تفاصيل أسمائهم وأماكنهم وأساليب تكذيبهم، فقد ذكرت في سور أخرى مثل الأعراف وهود والشعراء والذاريات والقمر. ففي هذا الموضع، الاختصار مقصود لشدة التهويل، ولئلا ينشغل القارئ بالتفاصيل الجانبية عن الرسالة الأساسية: «التكذيب بيوم القيامة يؤدي إلى الهلاك».

الدلالة الثانية: التناسب مع جو السورة التهويلي. سورة الحاقة افتتحت بالتهويل والتعظيم القوي (الحاقة، ما الحاقة، وما أدراك). فلو ذكرت تفاصيل طويلة عن عاد وثمود – أسماؤهم، أزمانهم، مدنهم، أحوالهم، أساليب تكذيبهم، ردودهم على أنبيائهم – لطال الكلام وربما خف تأثير الجو التهويلي. ف السياق يريد «الصدمة» و«السرعة» و«الإيجاز المخلخل للقلب»، فجاء الخبر موجزاً: {كذبت ثمود وعاد ب القارعة}، ثم مباشرة: {فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية}. كأنه يقول: لا وقت للتفاصيل، الأمر عظيم والخطر محدق، فالعبرة بالعاقبة، وهذه هي الخلاصة.

الدلالة الثالثة: أن التكذيب نفسه هو الجريمة الكبرى بغض النظر عن شكله. ليس المهم كيف كذبوا – هل كانوا يسخرون، أم يستعجلون، أم يطلبون آيات، أم يكابرون. المهم أنهم «كذبوا بالقارعة». وهذه هي الجريمة الأصلية التي تستحق العذاب. فتنوع أساليب التكذيب لا يغير من الحقيقة شيئاً. وبهذا يوجه القرآن ضربة قوية لقريش: أنتم أيضاً كذبتم بيوم القيامة، سواء كان أسلوب تكذيبكم بالاستهزاء أو بالطلب أو بالشك، فالنتيجة واحدة إن لم تتوبوا.

الدلالة الرابعة: الإحالة إلى ما هو معروف لدى المخاطبين. قريش والعرب في زمن النزول كانوا يعرفون ثمود وعاداً جيداً، فهما من قبائل العرب البائدة، وآثارهم باقية في الحجر (مدائن صالح) وفي الأحقاف. فذكر الاسمين «ثمود» و«عاد» كافٍ للإحالة إلى قصصهما المذكورة في مواضع أخرى. كما أن المفسرين والمتدبرين بعد ذلك يعرفون القصص من القرآن نفسه. فلم تكن هناك حاجة لتفصيل مكانيهما وأسمائهما.

ثالثاً: دلالة ذكر قوم ثمود قبل قوم عاد مع أن قوم عاد هم المتقدمون من حيث الزمن، وما علاقة هذا التقديم بتناسب ما ورد في الآية قبلها {وما أدراك ما الحاقة}، وعلاقته بمسألة الخوارق التي كان يطالب بها الكفار

هذه النقطة بالغة الدقة وتحتاج إلى تفصيل واف، لأنها تكشف عن حكمة بالغة في ترتيب القرآن.

أولا ً: الواقع التاريخي: عاد أقدم من ثمود بزمن طويل.
قوم عاد هم الذين جاءوا بعد نوح عليه السلام، وهم أصحاب إرم ذات العماد، وكانوا عمالقة أقوياء. ثم جاء من بعدهم قوم ثمود، وأرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام. وفي معظم السور التي تذكر قصص الأنبياء، يبدأ السياق بعاد ثم ثمود، مثل: سورة الأعراف (وإلى عاد أخاهم هوداً... ثم وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، وسورة هود (وإلى عاد أخاهم هوداً... وإلى ثمود أخاهم صالحاً)، وسورة الشعراء (كذبت عاد المرسلين... كذبت ثمود المرسلين)، وسورة الذاريات (فالعاديات ضبحاً... كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود).
فالترتيب الطبيعي هو عاد أولا ً ثم ثمود.لكن في سورة الحاقة، جاء الترتيب معكوساً: {كذبت ثمود وعاد}، ثم بدأ التفصيل بثمود ثم عاد. فما السر؟

السبب الأول: التناسب المباشر مع خاتمة الآية السابقة {وما أدراك ما الحاقة}.
الآية السابقة أعلنت عجز العقل البشري عن إدراك حقيقة يوم القيامة. ومباشرة بعدها، يأتي ذكر ثمود. وثمود هم القوم الذين طلبوا من نبيهم صالح عليه السلام آية حسية خارقة، فأخرج الله لهم الناقة من صخرة، وجعلها آية مبصرة. ومع هذه الآية الواضحة، ماذا كانت نتيجتهم؟ كذبوا بالقارعة، واستحبوا العمى على الهدى، وعقروا الناقة، فأهلكهم الله.

إذاً، تقديم ثمود هنا هو رد مباشر على من يطلبون الخوارق ليؤمنوا. كأن الله يقول: لقد آتينا ثمود آية مبصرة (الناقة)، وهي من أعظم الخوارق، ومع ذلك لم تؤمن بالقارعة. فليس العيب في نقص الأ دلة، بل العيب في قسوة القلوب. فلو أنزلنا لقريش الآيات التي يطلبونها، لكانوا مثل ثمود: كذبوا واستكبروا. فهذا التقديم يجعل الرد منطقياً: بعد أن قلت لك «وما أدراك ما الحاقة» – أي أن الحاقة أعظم من إدراك عقلك – أذكرك بأن ثمود الذين أوتوا آية عظيمة لم يدركوا الحاقة أيضاً. فعدم الإ دراك ليس بسبب غياب المعجزات، بل بسبب عمى القلوب.

السبب الثاني: أن ثمود عوقبوا «بالطاغية» – وهو عقاب قارع سريع – يشبه في طبيعته «القارعة» الكبرى.
عقاب ثمود كان بالصيحة أو الزلزلة، وهي قارعة دنيوية أتتهم فجأة ودمّرتهم. وهذا يشبه النفخة أو الصيحة التي ستكون يوم القيامة. فذكرهم أولا ً بعد آية «وما أدراك ما الحاقة» يخلق تناسباً لطيفاً: أنت لا تدرك القارعة الكبرى، لكن يمكنك أن تتصور القارعة الصغرى التي حلت بثمود. فقس عليهما، واعلم أن الكبرى أعظم.

السبب الثالث: التدرج من الأسرع في العقاب إلى الأطول.
عقاب ثمود كان بالطاغية (صيحة أو زلزلة)، فأهلكوا في لحظة واحدة. عقاب عاد كان بالريح العقيم التي استمرت عليهم ثمانية أيام وليالي، فأصبحوا كأنهم أعجاز نخل خاوية. فبدأ السياق بالعقاب الأ سرع والأكثر فجأة (ثمود)، ثم انتقل إلى العقاب الأطول والمستمر (عاد). وهذا التدرج يزيد من وقع التخويف: تارة تخوفهم بالعذاب المفاجئ، وتارة بالعذاب المستمر.

السبب الرابع: الرد على الذين يصرون على طلب الخوارق، وهذا هو السبب الجوهري.
كان كفار قريش يطالبون النبي صلى الله عليه وسلم بآيات حسية مثل ناقة ثمود وعصا موسى وإحياء الموتى. قالوا: {لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا} (الإسراء:90). وجاء الرد الإلهي في آيات متعددة، منها قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا} (الإسراء:59). فثمود هم النموذج الأبرز للأمة التي أوتيت آية مبصرة ثم كذبت.

إذاً، في سورة الحاقة، بعد أن قال الله {وما أدراك ما الحاقة} – إشارة إلى أن هذا اليوم أكبر من أن يدرك بالخوارق وحدها – يأتي بذكر ثمود أولا ً، لأنهم هم القوم الذين طلبوا خارقة فأعطيت لهم، ومع ذلك كذبوا بالقارعة. فلو قدم عاد – وهم لم يؤتوا آية مماثلة للناقة – لقال قائل: «عاد هلكوا لأ نهم لم يؤتوا آية». لكن بذكر ثمود أولا ً، يتضح أن الآية ليست ضماناً للإيمان، وأن مجرد إعطاء المعجزة الحسية لا يكفي ما لم يكن القلب حياً.

السبب الخامس: أن ثمود كانوا أشد عناداً مع وجود الآية.
ثمود أوتوا آية، ومع ذلك كذبوا وأصروا وعقروا الناقة. عاد لم يؤتوا آية مماثلة، فكفرهم كان أعم – لكن ليس بالضرورة أشد. بتقديم ثمود، يريد الله أن يقول: هؤلاء رأوا المعجزة بأعينهم وسمعوها بآذانهم، ومع ذلك كذبوا بالقارعة. فما بالكم بكم يا قريش وقد أتاكم القرآن العظيم، وآيات الله في الآ فاق وفي أنفسكم، ومع ذلك تكذبون؟ فمن كان عذره «لو أرنا آية لآمنا»، فقد أسقط الله هذا العذر بثمود.

رابعاً: دلالة قوله {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} – ما هي دلالة كلمة «الطاغية»، ولماذا هذا الوصف، وما المشتقات منها، وما جريمة ثمود، وكيف كان العقاب مناسباً للجريمة، وكيف نعيش هذه التجربة كأننا واحد منهم؟

.1دلالة كلمة» الطاغية «لغة واصطلاحاً:

»الطاغية «صيغة مبالغة من الفعل» طغا يطغو طغياناً .«والطغيان في اللغة: مجاوزة الحد، والتجاوز عن القدر المشروع، والعتو والتكبر والعلو في الأرض بالفساد، والظلم والجبروت .يقال: طغا الماء إذا جاوز حدّه وارتفع، وطغا الملك إذا تجبر وظلم .والطاغية هي التي تتسم بهذا الطغيان، أي أنها عاتية شديدة جاوزت كل حد.

المشتقات من مادة (ط غ و):

· طغَا) فعل ماض(: جاوز الحد وتكبر.
· طُغْيَان) مصدر(: مجاوزة الحد.

· طاغٍ) اسم فاعل(: المتجاوز للحد، كقوله تعالى:} إِنَّا نَرَى فِيكَ طَاغِيًا{ (هود:؟.(
· طاغُوت) صيغة مبالغة(: كل ما عبد من دون الله، لأنه يتجاوز حده في استحقاق العبادة.
· الطَاغِيَة) هنا(: اسم بمعنى الفاعلة أو الصفة الغالبة، أي الصيحة الطاغية، أو العقوبة الطاغية.

.2لماذا وصف الله عقاب ثمود بـ» الطاغية«؟

وصف العقاب بـ «الطاغية» يحمل في طياته عدة معانٍ:

المعنى الأول: أن العقاب نفسه كان طاغياً عاتياً شديداً جاوز كل حد في القوة. فالصيحة التي أهلكت ثمود كانت صيحة عظيمة قطعت قلوبهم، والزلزلة كانت عنيفة فجعلتهم جاثمين في منازلهم. إنها «طاغية» لأنها لم تكن عقاباً عادياً، بل عقاباً خارقاً في شدته.

المعنى الثاني: أن العقاب كان مناسباً لطغيانهم وجزاء وفاقاً. هم طغوا في الأرض وتجاوزوا الحد في الكفر والتكذيب وقتل الناقة، فأهلكهم الله بعقاب طاغٍ جاوز كل حد في الشدة. وكما قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}، فطغيانهم قوبل بطاغية من العذاب.

المعنى الثالث: أن الطاغية هي التي تترك أثراً طاغياً في التاريخ. عقاب ثمود أصبح عبرة للأمم، فهو طاغٍ في الذاكرة، لا يُنسى. فكلما ذكر الطغيان ذكرت ثمود، وكلما ذكرت ثمود ذكرت الطاغية التي أهلكتهم.

.3جريمة ثمود بالتفصيل:

ثمود هم قوم صالح عليه السلام، وكانوا يسكنون في الحجر بين المدينة والشام (منطقة العلا ومدائن صالح حالياً في السعودية). كانوا قوماً ماهرين في نحت الجبال واتخاذها بيوتاً وحصوناً. أرسل الله إليهم صالحاً نبياً، يدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده، والإيمان باليوم الآخر والبعث والجزاء. لكنهم تكبروا وطغوا، وقالوا: {أَنُؤْمِنُ لِبَشَرٍ مِثْلِنَا؟}. وطلبوا منه آية تدل على صدقه. فدعا صالح ربه، فأخرج لهم ناقة من صخرة، وقال لهم: هذه ناقة الله، لها شرب يوم معين ولكم شرب يوم، ولا تمسوها بسوء. فجعلها الله آية مبصرة واضحة.

مع ذلك، استمر طغيانهم، وأخذوا يتربصون بالناقة، حتى عقروها (قتلوها) بأمر من زعيمهم قدار بن سالف، وتحدوا صالحاً: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}. فجاءهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأصبحوا في صباح اليوم الرابع جاثمين في ديارهم هلكى.

جرائم ثمود تتلخص في:

· الشرك بالله وعبادة غيره.
· التكذيب بالبعث والجزاء) التكذيب بالقارعة.(
· طلب الآية على سبيل التعنت لا الاسترشاد.
· قتل الناقة التي هي آية الله.
· التحدي والاستكبار على نبيهم.
· محاولة قتل صالح عليه السلام.

.4كيف كان العقاب مناسباً للجريمة؟

المناسبة بين الجريمة والعقاب تظهر في وجوه متعددة:

المناسبة الأولى: الطغيان بالطاغية. كما طغوا في الأرض وتجاوزوا الحد في الكفر والتكذيب والعدوان، جاءهم عقاب «طاغية» أي عاتية شديدة جاوزت كل حد في الإهلاك. فكان الجزاء من جنس العمل.

المناسبة الثانية: القارعة بالقارعة. كذبوا بـ «القارعة» (يوم القيامة)، فأتتهم قارعة الدنيا (الطاغية) لتكون نذيراً لهم وللآخرين. فمن لم يتعظ بالقارعة الصغرى عوقب بالقارعة الكبرى.

المناسبة الثالثة: سرعة العقاب. كما كانوا سريعي التكذيب والعدوان (فعقروا الناقة فوراً وتحدوا)، جاءهم عقاب سريع مفاجئ في لحظة واحدة (صيحة أو زلزلة)، فلم يمهّلوا.

المناسبة الرابعة: التفريق بين الحق والباطل. الناقة كانت آية فرقت بين المؤمنين من ثمود والكافرين.

فلما عقروها أزالوا الفارق، فأهلك الله الكافرين كلهم، ونجى صالحاً والمؤمنين. فالعقاب جاء ليميز الحق من الباطل بعد أن أفسد الطغاة ذلك التمييز.

المناسبة الخامسة: القسوة بالقسوة. كانوا قساة القلوب فلم تتأثر بآيات الله، فعوقبوا بعقاب قاسٍ طاغٍ لا رحمة فيه.

.5كيف نعيش تجربة ثمود وكأننا واحد منهم – لنصل إلى العلم المغروس بالقلب وفهم حقيقة العقاب الإلهي؟

هذا هو السؤال العميق التربوي، والإجابة تحتاج إلى خطوات عملية ووجدانية:

الخطوة الأولى: التخيل الحي التفصيلي. اجلس لحظة في مكان هادئ، وتخيل أنك تعيش في وادي الحجر، ترى البيوت المنحوتة في الجبال، وتسمع أصوات قومك الأقوياء. ثم تخيل أن نبياً اسمه صالح يأتيكم، يقول لكم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، واتقوا يوم القيامة. وتسمع ردود قومك: يا صالح، لقد كنت فينا مرجواً قبل هذا، أتنهانا عن عبادة آبائنا؟ ثم تطلب أنت (كأحد أفراد ثمود) آية، فتخرج الناقة من صخرة، فتراها بعينك، تشرب الماء يوماً وتترك يوماً. ثم يأمركم قدار بن سالف بعقرها، فتراها تخر صريعة. ثم يقول لكم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام. فتعيش هذه الأيام الثلاثة في خوف وترقب، وفي اليوم الرابع، تصحو صباحاً على صوت هائل، فإذا بالصيحة تقصم قلوبكم، وإذا بـ الزلزلة تدمر كل شيء، وإذا بجثثكم تخر على وجوهها. تخيل كل هذا بتفاصيله الحسية والوجدانية.

الخطوة الثانية: إسقاط التجربة على نفسك. اسأل نفسك: هل أنا مثل ثمود؟ هل عندي طغيان وتكبر على الحق؟ هل أطلب آيات جديدة وأنا مقصر في تدبر الآيات الموجودة (القرآن والكون)؟ هل أعاقر آيات الله في حياتي اليومية – أعاقر الصلاة بالتساهل فيها، أعاقر الصدق بالكذب، أعاقر العدل بالظلم ، أعاقر بر الوالدين بالعقوق؟ كل معصية هي «عقر» لآيات الله في نفسي.

الخطوة الثالثة: استشعار سنة الله الثابتة. أؤمن يقيناً بأن سنن الله لا تتبدل. ما حل بثمود من طاغية هو جزاء طغيانهم. وأنا إن طغيت مثلهم، فقد تأتيني طاغية تناسب زماني ومكاني. قد لا تكون صيحة أو زلزلة، لكنها قد تكون مرضاً عضالاً ً، أو فاجعة في أهلي، أو خسارة مالية مدمرة، أو فضيحة تفضحني، أو موتاً مفاجئاً على غير استعداد. هذه كلها قوارع صغرى.

الخطوة الرابعة: تحويل القصة إلى محطة تغيير. بعد أن عشت التجربة وخفت منها، اتخذ قراراً عملياً فورياً: سأتوب إلى الله من كل طغيان، سأترك الذنوب التي تعتبر «عقراً» لآيات الله، سأبدأ صفحة جديدة مع الله، سأستعد للقارعة الكبرى قبل أن تأتيني قارعة صغرى لا قبل لها.

الخطوة الخامسة: النظر إلى قوارع العصر كمنبهات. كل زلزلة، إعصار، فيضان، حرب، وباء، أزمة اقتصادية، هي طاغيات صغرى. فبدلا ً من أن نمر عليها مرور الكرام، يجب أن نعيشها كأنها عقاب ثمود، ونسأل أنفسنا: هل هذا إنذار لنا؟ هل نحن على شفا طاغية بسبب طغياننا؟ ثم نعود إلى الله.

الخطوة السادسة: التربية بهذه القصص. إذا كنت أماً أو أباً أو معلماً أو داعية، فاحكِ قصة ثمود لأطفالك وطلابك وكأنها تحدث الآن. اجعلهم يتخيلون الناقة، ويتخيلون الصيحة، ويشعرون بالخوف. هذا الأسلوب هو عين التربية القرآنية: تحويل القصص إلى تجارب حية.

الخلاصة: نعيش تجربة ثمود بأن نتمثل قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى}. من يخشى الله، فهو يعتبر بقصص الماضين، ويجعلها دافعاً لتغيير سلوكه. ومن لا يخشى، فالعبرة لا تنفعه، مهما عاش القصة مئات المرات.

الأمر الثاني: الأبعاد البيانية والتربوية وكيفية تحويل الدلالات إلى قوة محركة للسلوك

أولا ً: البعد البياني في تقديم ثمود على عاد وتأثيره في تعديل السلوك:

تقديم ثمود – وهم أصحاب المعجزة الحسية – يعلمنا أن الإيمان الحقيقي لا يتعلق بكثرة المعجزات، بل بحالة القلب. فكثير من الناس يعيشون في أوهام أنهم لو رأوا آية لآمنوا. هذا الوهم خطر لأنه يؤجل التوبة إلى غير أجل. التحويل إلى سلوك: لا تنتظر معجزة خاصة لتؤمن، ولا تجعل عدم رؤيتك لمعجزة حسية عذراً لتأجيل الإيمان والعمل الصالح. ابدأ اليوم بالتدبر في آيات القرآن وآيات الكون، فهي كافية لمن كان له قلب.

ثانياً: البعد البياني في حذف التفاصيل (أين ثمود؟ كيف كذبوا تحديداً؟ ما أسماؤهم؟) وتأثيره على السلوك:

الحذف يعلمنا أن نركز في حياتنا على «الجوهر» لا «الحواشي». كثير من الناس ينشغلون بتفاصيل فرعية في الدين أو في الحياة، بينما يغفلون عن الأصول العظيمة: الإيمان بيوم القيامة، والتوبة إلى الله، والاستعداد للآخرة. التحويل إلى سلوك: في كل أمر، اسأل: ما هو الجوهر المطلوب مني الآن؟ لا تشتت نفسك بالتفاصيل التي لا تغير النتيجة. فالمطلوب منك هو الإيمان بالقارعة والعمل لها، لا معرفة أسماء رجال ثمود أو ألوان ناقتهم.

ثالثاً: البعد البياني في كلمة «الطاغية» وتأثيره على السلوك:

وصف العقاب بـ «الطاغية» يوحي بأن الطغيان يقابل بطغيان. من طغى في الأرض على الله وعلى عباد الله، سلط الله عليه طاغية من عذابه. التحويل إلى سلوك: راقب نفسك، هل هناك طغيان في حياتك؟ طغيان على الحق بأن ترده إذا جاءك؟ طغيان على الناس بالظلم والاستعلاء؟ طغيان على نفسك بتسويف التوبة؟ إذا شعرت بالطغيان، فبادر بإزالته قبل أن تأتيك الطاغية.

رابعاً: البعد البياني في اقتران «القارعة» بـ «كذبت ثمود وعاد» وتأثيره على السلوك:

التكذيب بالقارعة هو جريمة كبرى، والقرآن يربط بينها وبين الهلاك مباشرة. التحويل إلى سلوك: لا تستهن بتكذيب يوم القيامة ولو كان في قلبك شك أو تردد أو غفلة. جدد إيمانك بهذا اليوم كل يوم، واجعل استشعاره حاضراً في كل عمل. فإن استشعار القارعة هو أكبر دافع لترك المعاصي.

خامساً: كيفية تحويل هذه الدلالات مجتمعة إلى قوة محركة للسلوك (آلية عملية يومية):

.1استحضار» الطاغية «عند الشعور بالطغيان: كلما شعرت بقليل من الكبر أو الظلم أو التجاوز على حقوق الآخرين، تذكر فوراً صيحة ثمود التي قطعت ظهورهم .قل لنفسك: هذه الطاغية كانت جزاء طغيانهم .أنا لا أريد أن تأتيني طاغية في ديني أو دنياي .فتتوقف.
.2استخدام» القارعة «كمرآة للمحاسبة الذاتية: في آخر كل يوم، اسأل نفسك: لو أن القارعة جاءت اليوم، هل كنت سأكون سعيداً بما فعلت؟ هل كنت سأتمنى لو أنني فعلت أكثر؟ هذا السؤال يحول القارعة من حدث مستقبلي إلى واقع حاضر في الضمير.
.3عدم انتظار خوارق جديدة: إذا وجدت نفسك تقول:» لو أن الله أراني آية لتغيرت«، فتذكر ثمود . اقرأ الآية الكريمة:} وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا .{وقل لنفسك: ليس العيب في قلة الأدلة، بل في قسوة قلبي .ثم افتح المصحف وتدبر آياته، وانظر في ملكوت السموات والأرض، فهي آيات كافية لمن يعقل.
.4العيش مع القصة يومياً: اجعل لنفسك ورداً أسبوعياً تقرأ فيه قصة ثمود وعاد من سورة الأعراف أو هود أو الشعراء، ولكن بطريقة» العيش مع القصة«، أي تتخيل أنك هناك .ثم تسأل نفسك: ماذا سأفعل لو كنت مكانهم؟ هذا التدريب يغرس العلم في القلب لا في العقل فقط.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيتين (كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وأغراض هذا التصوير

أولا ً: بيان التصوير البياني:

التصوير في هاتين الآيتين يعتمد على الإيجاز المكثف الذي يرسم لوحة كاملة بكلمات معدودة:

المشهد الأول: مشهد التكذيب الجماعي المهول. {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}. الفعل «كذبت» جاء بصيغة الماضي المؤنث المفرد، مع أن الفاعل اسمان (ثمود وعاد). وهذا من دقة البيان: ثمود وعاد كل واحدة منهما اسم قبيلة مؤنثة، فصح إسناد الفعل إليها مفرداً مؤنثاً. والفائدة البلاغية: توحيد الجملة يوحي بأن التكذيب صدر من كل واحدة من هاتين الأمتين ككتلة واحدة متماسكة. فكأن ثمود بأكملها كذبت، وعاد بأكملها كذبت. وهذا يصور للقارئ مشهد «أمة بأسرها تتحد على الكفر والتكذيب بالقارعة». وفي هذا إشارة إلى خطورة الإجماع على الباطل، وأن القوة العددية والحضارية لا تنفع إذا كانت على غير الحق.

المشهد الثاني: مشهد العاقبة المفاجئة. {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}. «فأما» تفيد التفصيل بعد الإجمال، كأن الله يقول: لنفصل الخبر، خذ ثمود وحدها. ثم «أهلكوا» فعل ماضٍ مبني للمجهول، يفيد أن الإهلا ك تم بقوة خارجية لا قبل لهم بها، وهي قوة الله. و «بالطاغية» جاءت نكرة في سياق الإثبات لتفيد

التعظيم والتهويل: طاغية لا يعلم مدى شدتها إلا الله. الصورة التي ترتسم في الذهن: قوم كانوا عتاة جبابرة، فجأة تأتيهم صيحة مدمرة أو زلزلة عنيفة، فتصبح جثثهم جاثمة في منازلهم، لا حراك بها. إنها صورة تنقل السامع من مشهد القوة إلى مشهد الخراب في ثوان.

ثانياً: أغراض هذا التصوير:

.1إظهار حقيقة أن القوة البشرية لا تنفع أمام قوة الله: ثمود كانوا أصحاب قوة وجبال مشحونة، لكن الطاغية أهلكتهم كأنهم لم يكونوا .هذا التصوير يحطم وهم القوة المادية.
.2الربط بين القارعة الكبرى والقارعة الصغرى: التصوير يضع مشهد عقاب ثمود) القارعة الصغرى (إلى جانب اسم يوم القيامة) القارعة الكبرى .(فالقارعة الكبرى أعظم، وهذه صورة مصغرة .فمن رأى الصورة المصغرة وتأثر بها، هانت عليه الاستعداد للصورة الكبرى.
.3تحقير شأن الكافرين: التصوير بأسلوب الإيجاز المفاجئ يوحي بأنهم لم يستحقوا تفصيلا ً طويلا ً، بل يستحقون أن يقال عنهم: كذبوا فأهلكوا .هذا تحقير لهم، وتهديد لمن يشبههم.
.4إثارة الخوف والرعب: القارعة كلمة تقرع الأسماع، والطاغية كلمة تهز القلوب .اجتماعهما في آيتين متتاليتين يخلق جواً من الرهبة الشديدة، وهو الغرض المطلوب في بداية السورة بعد التهويل بالحاقة.
.5الدعوة إلى الاعتبار: التصوير بهذه القوة يجعل القارئ يتوقف ويتساءل: هل أنا مثل ثمود وعاد؟ هل أتصرف مثلهم؟ فإن كان الجواب نعم، فليغير طريقه قبل أن تأتيه الطاغية.

الأمر الرابع: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

الخاطرة الأولى: الخوارق وحدها لا تصنع الإيمان

استشعر أن ثمود رأوا الناقة تخرج من صخرة صلدة بأعينهم، ومع ذلك كذبوا بالقارعة. فليس العيب في نقص الأدلة، بل في قسوة القلوب وفساد الإرادة. كثير من الناس اليوم يقولون: «لو ظهرت لي معجزة لآمنت» أو «لو رأيت الله في المنام لتركت الذنوب». هذا وهم. ثمود رأوا المعجزة، ومع ذلك استحبوا العمى. فالاستفادة العملية: لا تؤجل إيمانك وتوبتك إلى أن ترى معجزة. ابدأ الآن بتدبر القرآن والكون، فالآيات كافية لمن أراد الهداية. فإذا لم تهدك آيات الله الواضحة، فلن تهديك أي معجزة.

الخاطرة الثانية: سنن الله لا تتبدل، والطغيان يقابل بطغيان

استشعر أن سنة الله واحدة في كل زمان: من طغى وتكبر وتجاوز حدود الله، سلط الله عليه من عذابه ما يناسبه. ثمود طغوا، فأهلكوا بالطاغية. والطغيان ليس مقصوراً على قتل الناقة، بل كل تجاوز لحدود الله هو طغيان. فالاستفادة العملية: راقب نفسك يومياً. هل هناك طغيان في مالك؟ في كلامك ؟ في تعاملك مع الضعفاء؟ في استكبارك عن الحق إذا جاءك؟ تخلص من هذا الطغيان قبل أن تأتيك طاغية في صحتك أو مالك أو أهلك. فما حل بثمود يمكن أن يحل بأي أمة أو فرد يسلك مسلكهم.

الخاطرة الثالثة: القارعة الكبرى أعظم من كل قوارع الدنيا

استشعر أن كل ما حل بثمود من طاغية هو قطرة في بحر أمام القارعة الكبرى يوم القيامة. فالذي أهلكهم بصيحة واحدة، قادر على أن يهلك الخلائق بصيحة أعظم. والذي جعلهم جاثمين في منازلهم، قادر على أن يجعل الناس في ذلك اليوم كالفراش المبثوث. الاستفادة العملية: إذا كنت تخاف من قوارع الدنيا (الزلازل، الحروب، الأمراض، الفقر)، فاجعل هذا الخوف يدفعك إلى خوف أعظم: خوف القارعة الكبرى. واستعد لها بما تستطيع من عمل صالح. فإن استعددت للكبرى، أمنك الله من الصغرى.

الخاطرة الرابعة: أن التكذيب بالقارعة أصل كل فساد

ثمود كذبوا بالقارعة أولا ً، ثم تبع ذلك طغيانهم وعقرهم الناقة. فالإنكار ليوم القيامة يفتح الباب أمام كل شر. من لا يؤمن بالجزاء، لا رادع له عن الظلم والغش والكذب والفواحش. الاستفادة العملية: احرص على تثبيت الإيمان بيوم القيامة في قلبك أولا ً، ثم انظر كيف ستتغير أعمالك تلقائياً. اقرأ آيات الوعيد والوعد، وتذكر القارعة كل يوم، فهي أقوى وازع أخلاقي.

الخاطرة الخامسة: أن تقديم ثمود درس للمصرين على طلب الخوارق

استشعر أن الله قدم ثمود رداً على كل من يقول: «لو أنزلت علي آية لآمنت». فهذا عذر باطل، لأن ثمود أنزلت عليهم آية فما زادهم إلا كفراً. فالاستفادة العملية: لا تكن ممن يضيع عمره في طلب الآ

آيات وانتظار الخوارق، وانشغل بتدبر الآية التي بين يديك: القرآن. فإن كان القرآن معجزتك ولم يؤمن بك، فغيرك من الآيات لن يزيدك إلا حيرة وضلالا ً.

ثالثا: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية التكذيب باليوم الآخر عبر التاريخ: تؤكد الآيات أن إنكار البعث والجزاء ليس بدعة جديدة لقريش، بل هو ديدن الأمم الضالة، وأن عاقبتهم كانت الهلاك الدنيوي قبل الأخروي.
.2قضية طلب الخوارق والمعجزات الحسية: تعالج الآية هذه القضية من خلال تقديم ثمود نموذجاً لأ مة أوتيت آية مبصرة ومع ذلك كذبت، ليبطل عذر من يقول» لو أنزلت علي آية لآمنت.«
.3قضية العلاقة بين الطغيان والعقاب: تثبت الآية أن الطغيان في الأرض – سواء كان تكذيباً بالحق أو ظلماً للخلق – يقابل بطغيان من العذاب، جزاء وفاقاً.
.4قضية الأخذ بالعبرة من قصص الماضين: تدعو الآية إلى تحويل التاريخ إلى مادة حية للاعتبار و التغيير، وعدم الاكتفاء بقراءة القصص كحوادث ماضية.
.5قضية أسمائه تعالى ليوم القيامة: تعرّف الآية يوم القيامة باسم» القارعة «وتضيف بعداً جديداً لفهم هذا اليوم: أنه يقرع القلوب ويصدمها.
.6قضية تناسب العقاب مع الجريمة: تبين الآية أن عذاب ثمود ب-» الطاغية «كان من جنس طغيانهم ، مما يبرز عدل الله المطلق.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس في حياتنا العملية

القراءة الواعية للآية: أن نقرأها ونتدبرها لا كخبر عن الماضي فقط، بل كتحذير للحاضر والمستقبل. أن ندرك أن ثمود ليسوا مجرد أسماء في الكتب، بل هم نموذج لكل أمة أو فرد يكذب بيوم القيامة ويطغى في الأرض. وأن الطاغية لم تمت، بل هي سنة ماضية يمكن أن تحل بنا إذا تشبهنا بهم.

تحويلها إلى واقع ملموس (مجالات عملية):

· في مجال العقيدة: نعيد ترسيخ إيماننا بيوم القيامة كل يوم، ونتوب من أي شك أو غفلة .نقرأ أسماءه: الحاقة، القارعة، الطامة، الغاشية، ونتأمل معانيها.
· في مجال الأخلاق: نطهر أنفسنا من كل طغيان: كبر، ظلم، استعلاء، احتقار للآخرين، استكبار عن الحق .فإن وجدنا في أنفسنا شيئاً من ذلك، عالجنا فوراً، وإلا خشينا أن تأتينا طاغية تناسب طغياننا.
· في مجال المعاملات المالية والوظيفية: لا نعتدي على حقوق الآخرين، لا نغش، لا نرتشي، لا نأكل أموال الناس بالباطل .لأن هذا من الطغيان، والطغيان يقابل بطاغية.
· في مجال التربية: نربي أنفسنا وأولادنا على الاعتبار بقصة ثمود، ونحكيها كأنها حدث الآن، ونعلمهم أن المعجزة وحدها لا تصنع الإيمان، بل القلب السليم هو الأساس.
· في مجال الاستعداد للآخرة: نستحضر القارعة الكبرى في كل عمل، ونسأل أنفسنا: لو جاءت القارعة الآن، هل سأكون سعيداً بما فعلت؟

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

تغيير النظرة إلى القوة والحضارة: الآية تغير نظرتنا جذرياً إلى معنى القوة. قبل قراءة الآية، قد نظن أن القوة تكمن في المال والجاه والبنية التحتية والقدرات المادية. بعد قراءة الآية، ندرك أن ثمود كانوا أقوى منا بكثير (ينحتون الجبال بيوتاً)، ومع ذلك لم تنفعهم قوتهم شيئاً أمام الطاغية. فالقوة الحقيقية هي الإيمان بالله والتقوى والاستعداد للقارعة.

تغيير النظرة إلى طلب المعجزات: كثير من الناس يقضون حياتهم في انتظار «علامة» أو «معجزة» تغير مجرى حياتهم، فيضيع العمر. الآية تخبرنا أن ثمود رأوا المعجزة وما آمنوا. فالعبرة ليست بـ المعجزة، بل بالقلب. فغير نظرتك: لا تنتظر معجزة، فما عندك من القرآن والعقل والكون هو معجزة كبرى، فتدبره.

تغيير النظرة إلى التاريخ: التاريخ في نظر البعض مجرد أخبار الماضين لا تؤثر في الحاضر. الآية تجعل التاريخ «عبرة حية» يجب أن نعيشها ونتفاعل معها. فثمود وعاد أصبحا جزءاً من وعينا، ونحن نحاسب أنفسنا كما لو كنا معهم. هذه النظرة تحول الإنسان من عاشق للماضي إلى متعلم منه.

تغيير النظرة إلى العقوبات الإلهية: بعض الناس يظن أن العقوبات مجرد قصص قديمة. الآية تؤكد أن

سنة الله ثابتة: كل من طغى وكذب بالقارعة، فهو معرض لطاغية في دنياه أو آخرته. فلا تأمن العقاب وأنت على طغيانك.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة من الآية وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: أن التكذيب بيوم القيامة جريمة كبرى تستحق العقاب العاجل والآجل.
التطبيق: جدد إيمانك بهذا اليوم كل صباح، واجعل له ذكراً في وردك اليومي. إذا شعرت بفتور في هذا الإيمان، فاقرأ سورة الحاقة من أولها إلى آخرها بتدبر.

الدرس الثاني: أن المعجزات الحسية ليست حلا ً للإيمان، والإيمان قرار قلبي.
التطبيق: لا تؤجل توبتك إلى أن ترى مناماً أو معجزة. ابدأ الآن بالتغيير، واعلم أن القرآن نفسه هو أعظم معجزة، فإذا كنت لا تؤمن به وتعمل به، فغيره من المعجزات لن يفيدك.

الدرس الثالث: الطغيان يقابل بطغيان، والجزاء من جنس العمل.
التطبيق: اكشف عن أي طغيان في حياتك. هل تكبر على الناس؟ هل تظلم من هو أضعف منك؟ هل تستكبر عن قبول الحق إذا جاءك من شخص لا تحبه؟ تخلص من هذا الطغيان فوراً، وإلا ستأتي الطاغية.

الدرس الرابع: الاعتبار بقوارع الدنيا تنجيك من القارعة الكبرى.
التطبيق: إذا رأيت زلزالا ً أو سيولا ً أو حرباً أو وباءً، فلا تمر عليها مرور الكرام. قف وتأمل: هل هذه طاغية صغرى تنذرني؟ هل لدي ذنوب تحتاج إلى توبة؟ ابدأ بالاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله.

الدرس الخامس: ذكر عاد يأتي بعد ثمود ليكمل الدرس (العقاب المفاجئ والعقاب المستمر).
التطبيق: خاف من عقابين: عقاب فجائي كالصيحة (الموت المفاجئ)، وعقاب مستمر كالريح العقيم (الأ مراض المزمنة، المشاكل المتوالية). فاستعد لكليهما بالاستقامة.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية (العقلية):

· مهارة استخلاص العبرة من التاريخ دون الانشغال بالتفاصيل الحشوية.
· مهارة التمييز بين جوهر القصة) التكذيب بالقارعة (وحواشيها) أسماء الأفراد، تفاصيل المكان.(
· مهارة ربط الأسماء الإلهية للأحداث) القارعة (بمدلولاتها النفسية والتربوية.
· مهارة القياس على سنة الله: استنتاج أن ما حدث لثمود يمكن أن يحدث لأي أمة تشبههم.

المهارات الحياتية (النفسية والاجتماعية):

· مهارة التواضع وعدم الطغيان بالقوة أو المال أو الجاه.
· مهارة الاعتبار بقوارع الدنيا الصغرى) الكوارث والأزمات (لتصحيح المسار.
· مهارة تحويل طلب المعجزات إلى تدبر الآيات الموجودة.
· مهارة إدارة الخوف: الخوف من الطاغية يجب أن يتحول إلى عمل، لا إلى شلل نفسي.

المهارات العملية (السلوكية اليومية):

· مهارة المحاسبة الذاتية عند رؤية الكوارث:» هل هذا إنذار لي؟.«
· مهارة المبادرة إلى التوبة عند الشعور بطغيان في النفس.
· مهارة سرد القصص القرآنية بطريقة حية مؤثرة للأبناء والطلاب.
· مهارة استحضار القارعة في لحظات الغضب والإغراء.

الأمر السادس: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات:

.1لا تطلب خوارق وأنت مقصر في تدبر القرآن وآيات الله في الأنفس والآفاق.
.2لا تغتر بقوتك أياً كانت، فثمود وعاد كانا أقوى منك وأكثر حضارة.

3.اعتبر بقوارع الدنيا – مهما صغرت – تنفعك في القارعة الكبرى.
4.اعلم أن العقاب يأتي فجأة كما جاءت الطاغية على ثمود، فلا تؤجل التوبة.
5.الطغيان ليس مقصوراً على قتل الناقة، بل كل تجاوز لحدود الله هو طغيان.
6.قدّم ثمود على عاد في تربيتك لمن يطلبون آيات، لتقول لهم: هؤلاء أوتوا آية وكذبوا.

دورها في تطوير الحياة:

· تطوير الوعي التاريخي: تحويل التاريخ من حكايات إلى محطات تغيير.
· تطوير الوازع الديني: الخوف من الطاغية والطغيان يمنع من الفساد.
· تطوير القدرة على تحويل الأزمات إلى فرص) الاعتبار بالقوارع الصغرى.(
· تطوير منهج الدعوة: عدم الانشغال بتفاصيل القصص عن أهدافها العقدية.

الأمر السابع: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

1.أن نؤمن بيوم القيامة إيماناً عملياً يغير سلوكنا.
2.ألا ننتظر معجزة حسية لنؤمن، بل نتدبر المعجزة الموجودة) القرآن.(
3.أن نتواضع مهما بلغت قوتنا، فثمود أهلكوا بالطاغية وهم أقوياء.
4.أن نتعظ بمن كان قبلنا، ونطبق سنن الله على واقعنا.
5.أن نسمي الأمور بمسمياتها: يوم القيامة هو القارعة التي تقرعنا بالحق، فعلينا أن نكون مستعدين.
6.أن نعيش قصص القرآن وكأنها تحدث الآن، ونتخذ منها قرارات عملية فورية.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

· البعد التاريخي: إحالة إلى قصص الأمم السابقة، وربط الماضي بالحاضر.
· البعد النفسي: زرع الخوف والاعتبار، وتكسير الغرور والكبر.
· البعد العقدي: تثبيت الإيمان بالقارعة) يوم القيامة (من خلال الأدلة التاريخية.
· البعد التربوي: تعليم أن العبرة بالنتائج لا بالتفاصيل، وأن المعجزات ليست شرطاً للإيمان.
· البعد البياني: إظهار إعجاز القرآن في الترتيب غير المتوقع) ثمود قبل عاد (وحذف التفاصيل.

الآفاق:

· أفق قراءة التاريخ كآيات إلهية وليس كحوادث عابرة.
· أفق التعامل مع الكوارث والأزمات كمنبهات روحية.
· أفق طلب المعجزات بطريقة صحيحة) تدبر القرآن بدل انتظار الخوارق.(
· أفق بناء حضارة تقوم على التواضع لله والاعتبار بالماضين.

الأمر الثاني: القيم من الآية

1.قيمة الاعتبار: أن تعتبر بأخبار الماضين وتجعلها دافعاً لتغيير واقعك.
2.قيمة التواضع: ألا تطغى بقوتك أو علمك أو مالك أو جاهك.
3.قيمة الجدية في الاستعداد للآخرة: أن تأخذ يوم القيامة مأخذ الجد، لا كخيال بعيد.
4.قيمة الإيمان بالغيب: التصديق بالقارعة الكبرى دون رؤية حسية.
5.قيمة العدل الإلهي: أن العقاب مناسب للجريمة) الطغيان بالطاغية.(
6.قيمة عدم التعنت: ألا تكون ممن يطلبون آيات على سبيل العناد لا الاسترشاد.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم» التكذيب بالقارعة«: كل من لا يؤمن بالبعث والجزاء، أو يستهين به، أو يعيش كأنه لن يحدث، فهو مكذب بالقارعة ولو قال بلسانه إنه يؤمن.
· مفهوم» الطاغية«: كل عقاب عاجل مفاجئ أو مستمر ينزل بمن طغى، سواء كان صيحة أو زلزلة أو

حرباً أو مرضاً أو فضيحة أو موتاً على غير استعداد.
· مفهوم» تقديم ثمود«: أن الأمة التي أوتيت المعجزات الحسية هي أولى بالذكر لأنها أسقطت عذر من يطلبون المعجزات.
· مفهوم» العبرة التاريخية«: التاريخ ليس للمتعة، بل للتغيير.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

مفاهيم نفسية:

· علاج العجب والغرور باستحضار عاقبة الطغاة: كلما شعرت بعجب، تذكر ثمود وهم جثث جاثمة.
· الخوف المنتج: الخوف من الطاغية يجب أن يحول إلى عمل صالح، لا إلى يأس.
· التواضع الإجباري: عندما تعلم أن أقوى الأمم أهلكت، تضعف نفسك تلقائياً.

مفاهيم فكرية:

· المعجزة الحسية ليست حاسمة: الإيمان قرار قلبي وليس رد فعل آلي على معجزة.
· سنة الاستدراج: قد يُملى للطغاة ثم يؤخذون أخذ عزيز مقتدر.
· أولية العبرة على التفاصيل: عند قراءة التاريخ، ركز على ما ينفعك، لا على ما يشغلك.

مفاهيم تربوية:

· التدرج في الترهيب: بدأ بالتهويل) الحاقة (ثم بالقوارع الصغرى) ثمود (ثم بالقارعة الكبرى.
· الإيجاز في القصص عند الحاجة: لا تطل في التفاصيل إذا كان المطلوب هو التأثير الوجداني السريع.
· ربط الماضي بالحاضر: اجعل الطفل أو المتعلم يشعر أن القصة حدثت له.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

· بناء اليقين على الدليل التاريخي: إضافة إلى الأدلة العقلية والكونية.
· بناء الشخصية على التواضع والاعتبار: شخصية لا تعتز بطغيانها، بل تعتز بخضوعها لله.
· بناء العزيمة على ترك طلب الخوارق: وتوجيه الطاقة إلى العمل الصالح.
· بناء المنهج الدعوي: استخدام القصص القرآنية بطريقة مؤثرة مقتضبة أحياناً.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

· تنمية الوعي بسنة الاستدراج والعقاب: أن الله يمهل ولا يهمل.
· تنمية الحس التاريخي النقدي: كيف نقرأ التاريخ لنستفيد لا لننشغل.
· تنمية القدرة على تحويل الأزمات) القوارع الصغرى (إلى فرص للتوبة.
· تنمية ثقافة الجدية: أن الحياة ليست عبثاً، وأن القارعة قادمة.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة في الحياة و الحضارة

هذه المفاهيم – إذا غرست في النفوس – تبني شخصية مسلمة فريدة: شخصية متواضعة لا تطغى، واعية بتاريخها لا تكرر أخطاء الماضين، جادة في عملها لأنها تؤمن بالقارعة، لا تنتظر المعجزات بل تعمل بما لديها، تخشى الطغيان في نفسها قبل أن تخشاه في غيرها.

في صناعة النهضة: أي نهضة حقيقية تحتاج إلى أخلاق تقوم على الخوف من الله والرجاء فيه. الآية تقدم ذلك عبر «الخوف من الطاغية» كرادع، و«الرجاء في العدل الإلهي» كمطمئن. فالمجتمع الذي يخشى أن تحل به طاغية بسبب طغيانه، هو مجتمع يتنافس في العدل والإحسان. والمجتمع الذي يعتبر بقوارع الماضين، لا يكرر أخطاءهم. والمجتمع الذي يعرف أن القارعة قادمة، يستعد لها بالعمل المتقن، فتتحقق النهضة الحقيقية.

خامساً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

تدعونا الآيتان الكريمتان إلى ثمانية أمور عملية كبيرة:

الدعوة الأولى: الإيمان بيوم القيامة إيماناً عملياً. لا يكفي أن نقرأ بالقارعة، بل يجب أن نعيش استشعارها في كل لحظة، فنعمل للآخرة كأننا نراها.

الدعوة الثانية: التوبة الفورية خوفاً من الطاغية. لا نؤجل التوبة، فقد تأتي الطاغية في أي لحظة كما جاءت ثمود فجأة.

الدعوة الثالثة: عدم التكبر على الحق واستحباب العمى على الهدى. نتواضع للحق حيثما وجدناه، مهما كان مصدره.

الدعوة الرابعة: التدبر في قصص الأمم السابقة. لا نقرأها كحكايات، بل كمحطات عبرة وتغيير.

الدعوة الخامسة: تحويل كل كارثة أو أزمة نراها إلى محطة توبة واستغفار. القوارع الصغرى هي إنذارات، فمن لم يتعظ بها عوقب بالقارعة الكبرى.

الدعوة السادسة: عدم انتظار معجزات خاصة لنؤمن. نكتفي بالمعجزة الكبرى: القرآن، وما فيه من آيات وهدايات.

الدعوة السابعة: تطهير النفس من كل طغيان. سواء كان طغياناً بالتكذيب أو بالظلم أو بالكبر أو بـ العدوان على حقوق الآخرين.

الدعوة الثامنة: أن نسمي الأمور بأسمائها. يوم القيامة هو القارعة، والكوارع هي طاغيات، والطغيان هو الطغيان. لا نجمّل الباطل بأسماء مخففة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة الاعتبار بثمود وعبرتها

التدبر: ثمود قوم أوتوا قوة مادية هائلة وآية حسية مبصرة، لكنهم كذبوا بالقارعة وطغوا، فأهلكهم الله بالطاغية.

الأسئلة العملية:

· هل أنا مثل ثمود في طغيان القوة؟ هل أعتز بقوتي) المال، الجاه، الذكاء، العضلات (فأتجاوز حدود الله؟
· هل أطلب آيات جديدة كما طلبوا الناقة، وأنا مقصر في تدبر آيات الله الموجودة؟
· لو أن الله أرسل لي آية خاصة الآن، هل سأؤمن حقاً، أم سأجد عذراً آخر؟ ما هو العائق الحقيقي في قلبي؟
· ما هي» الطاغية «التي أخاف أن تحل بي إذا استمريت على طغياني؟) مرض؟ فضيحة؟ خسارة؟ موت؟(
· كيف يمكنني أن أعيش تجربة ثمود اليوم بحيث أشعر أن الصيحة قادمة؟ ما هو التغيير العملي الذي سأفعله الآن؟

الوقفة الثانية: وقفة تقديم ثمود على عاد – لماذا قدمهم الله؟

التدبر: رغم أن عاداً أقدم، قدم الله ثمود ليرد على طالبي الخوارق: هؤلاء أوتوا آية وكذبوا.

الأسئلة العملية:

· هل لا أزال أقول في نفسي:» لو أن الله أنزل علي آية أو أظهر لي كرامة، لصرت مؤمناً تقياً«؟ كيف أتخلص من هذا الوهم؟
· ما هي الآيات التي أمامي الآن) القرآن، الكون، الصحة، العقل (ولماذا لا تكفي لأكون مؤمناً عاملا ً؟
· لماذا أبحث عن معجزات خاصة وأنا أهمل المعجزة العظمى التي بين يدي؟

الوقفة الثالثة: وقفة دلالة «القارعة» – أي معنى نستخرجه لهذا الاسم؟

التدبر: القارعة تقرع القلوب والأسماع والظالمين، وتقرع طبول الجزاء.

الأسئلة العملية:

· ما الذي يقرع قلبي اليوم ليفيق من الغفلة؟ هل أسمع صوت القرآن يقرعني؟ هل أتأثر بالوعظ و النصح؟
· لو فكرت في القارعة الكبرى كل يوم، كيف سيتغير سلوكي في المعاملات والعبادات؟
· هل أخاف من أن تقرعني قارعة صغرى) كارثة (قبل أن أستعد للكبرى؟

الوقفة الرابعة: وقفة «الطاغية» – ما أصل طغياني وما هو العقاب المناسب؟

التدبر: الطاغية هي عقاب طاغٍ مناسب لطغيان ثمود. والجزاء من جنس العمل.

الأسئلة العملية:

· ما هو أكبر طغيان في حياتي؟ هل هو التكبر على الناس؟ إهدار حقوق الآخرين؟ الاستهانة بالصلاة أو الفرائض؟ التعامل بالربا أو الغش؟
· ما هي» الطاغية «التي قد تكون جزاء هذا الطغيان؟ قد تكون مرضاً مزمناً، أو خسارة في العمل، أو مشاكل أسرية، أو موتاً مفاجئاً.
· إذا علمت أن الطغيان يقابل بطغيان، فلماذا لا أتخلى عن طغياني اليوم؟

الوقفة الخامسة: وقفة التطبيق العملي – كيف ننزل هذه الآية إلى واقعنا؟

التدبر: الآية ليست للقراءة فقط، بل للتحويل إلى سلوك.

الأسئلة العملية:

· كيف سأغير في نمط حياتي بعد قراءة هذه الآية اليوم؟) حدد ثلاثة أشياء عملية(
· هل سأقوم بمحاسبة نفسية يومية أراجع فيها: هل طغيت اليوم على أحد؟ هل تذكرت القارعة في أعمالي؟
· كيف سأستخدم هذه القصة في تربية أبنائي أو طلابي أو نصح إخواني؟

رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هذا التفسير المفصّل للآيتين الكريمتين {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} أن الإيمان بيوم القيامة هو أصل الأصول، وأن التكذيب به جريمة كبرى حلت بأصحابها نقمة الله في الدنيا قبل الآخرة. وأن المعجزات الحسية ليست ضماناً للإيمان، بل العبرة بـ القلب الحي والنية الصادقة. وأن من طغى وتكبر واستحب العمى على الهدى، فإن الله يسلط عليه من عذابه ما يناسب طغيانه، «طاغية» تقصم ظهره وتجعله عبرة لمن خلفه.

وتعلمنا أن نعيش تجربة ثمود كأننا واحد منهم، فنشعر بالرعب من الصيحة، ونستشعر سنة الله الثابتة ، ونتوب من طغياننا قبل فوات الأوان. وتعلمنا أن نقرأ التاريخ قراءة واعية لا ننشغل فيها بالتفاصيل عن الجواهر، وأن نحول كل قارعة صغرى في حياتنا إلى فرصة للتوبة والاستعداد للقارعة الكبرى.

اللهم اجعلنا ممن يؤمنون بالقارعة ويستعدون لها خير استعداد، ولا تجعلنا ممن طغوا وكذبوا فأهلكتهم الطاغية.

ثانيا

هذا تفسير تفصيلي للآيتين الكريمتين (6-7) من سورة الحاقة:
{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (4-5) ذكرت أن ثمود وعاداً كذبتا بالقارعة (يوم القيامة)، ثم فصلت الآية السابقة مصير ثمود بأنهم أهلكوا بالطاغية. أما الآيات الحالية فتفصل مصير عاد، لتكتمل الصورة: هاتان الأ متان العظيمتان، رغم قوتهما وحضارتهما، كذبتا بيوم الدين فأهلكتا في الدنيا قبل الآخرة.

والسياق هنا يسير في تناسب محكم: بعد أن ذكر الله ثمود – وهم أصحاب المعجزة الحسية (الناقة) – وعقابهم السريع المفاجئ بالطاغية، انتقل إلى عاد – وهم أصحاب القوة الجسدية والحضارة المادية (إرم ذات العماد) – وعقابهم الطويل المستمر بالريح العقيم التي استمرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام. فكل أمة أهلكت بنوع من العذاب يناسب طغيانها: ثمود بالصيحة أو الزلزلة المفاجئة، وعاد بـ الريح المدمرة المستمرة. وبعد هذا العرض، ينتقل السياق إلى ذكر قوم فرعون وغيرهم، ثم إلى مشاهد يوم القيامة، ليترسخ في النفس أن سنة الله واحدة في الماضين والحاضرين.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز الآيتان في فكرة مركزية واحدة، تتفرع إلى عدة مراحل:

الفكرة الأولى: بيان نوع العقاب الذي حل بقوم عاد {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}. وهنا يأتي وصف الريح بصفات مرعبة: (صرصر) أي شديدة البرد أو شديدة الصوت، و(عاتية) أي عاتية جاوزت كل حد في القوة والعنف.

الفكرة الثانية: تحديد مدة العقاب وشدته {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}. فالعقاب لم يكن لحظة واحدة كالصيحة، بل استمر ثمانية أيام كاملة بلياليها، أي حوالي 8 أيام و7 ليالٍ متصلة، وكان الريح مسخرة عليهم لا تنقطع.

الفكرة الثالثة: وصف هذا العقاب بأنه (حسوماً) أي قاطعاً مستأصلاً، أو متتابعاً حسماً بعد حسم، أي يقطعهم ويبيدهم.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول هو بيان أن قوة عاد المادية وهيمنتهم على الأرض لم تنفعهم شيئاً أمام عذاب الله. كانوا أصحاب قوة جسدية وبنيان شامخ، لكن الريح الصرصر العاتية جعلتهم كأعجاز نخل خاوية. فـ العبرة: لا تغتر بقوتك وبنيانك.

المغزى الثاني: أن العقاب الإلهي قد يكون مستمراً طويلاً، ليس فقط مفاجئاً. فعاد عوقبوا بالريح التي استمرت عليهم ثمانية أيام، يتقطعون فيها كل يوم أكثر، ليكون في ذلك عبرة لكل من يرى.

المغزى الثالث: الربط بين اسم (الحاقة) وعقاب عاد: الحاقة هي يوم القيامة الذي يحق فيه الجزاء، ولكن عاداً كذبت به فأهلكهم الله بعذاب حق عليهم في الدنيا، ليعلموا أن الحق لا يضيع.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن عذاب الله ليس مقصوراً على صورة واحدة، بل له أشكال متعددة: صيحة (ثمود)، ريح (عاد)، غرق (فرعون)، خسف (قارون). وهذا يبطل اعتقاد من يظن أن العذاب لا يكون إلا بنوع معين.

الهدف العقدي الثاني: إظهار قدرة الله في تسخير الريح – وهي من أعظم قوى الطبيعة – لتكون عذاباً لأمة كافرة، ثم تكون رحمة لأمة مؤمنة (كما في قصة سليمان عليه السلام).

الهدف النفسي: إيقاع الرهبة في النفوس من خلال وصف الريح بالصرصر العاتية، واستمرارها سبع ليال وثمانية أيام، فهذا الطول والشدة يخلع القلوب ويجعلها تخشى من أن تحل بها مثل هذه النقمة.

الهدف البياني: إظهار عظمة القرآن في اختيار الألفاظ: صرصر (للدلالة على الصوت الشديد أو البرد القارس)، عاتية (للطغيان)، حسوماً (للاستئصال والقطع)، مع الإعجاز العددي (سبع ليال وثمانية أيام) التي تؤكد دقة الخبر.

الهدف التربوي: تعليم الناس أن العقاب يأتي متناسباً مع الجريمة، وأن الاستمرار في الطغيان يقابل باستمرار العذاب (ثمانية أيام كاملة). وفيه تحذير من طول الأمد في المعصية.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}

لماذا أهلكوا بريح، وما معنى (صرصر) و(عاتية)؟

)صرصر (لها معنيان في اللغة، وكلاهما ينطبق على هذه الريح:

· المعنى الأول: الريح الشديدة البرد القارسة .يقال يوم صرصر أي شديد البرد .فهذه الريح كانت باردة جداً، حتى أنها كانت تحرقهم ببردها كما تحرق النار .وقد ذكر المفسرون أنها كانت تخرج من تحت أرجلهم فتجعلهم يتقطعون.
· المعنى الثاني: الريح الشديدة الصوت، كأنها تصرصر) تصدر صوتاً مزعجاً مدمراً .(فهي ريح لها صوت كالصاعقة، تمزق الأسماع قبل الأجساد.

)عاتية (صيغة مبالغة من) عتا (أي تجاوز الحد وتكبر .فالريح عاتية أي طاغية جاوزت كل حد في الشدة والعنف، لا يمكن لأي بناء أو جبل أو كائن أن يقف أمامها .فهي ليست عادية، بل هي ريح مسخرة من الله، خارقة لكل القوانين الطبيعية.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية المستفادة من هذه الدلالة:

الرسالة النفسية: وصف الريح بـ (صرصر عاتية) يخلق رهبة نفسية عميقة. فالإنسان يخاف من الريح العادية إذا اشتدت، فكيف بريح توصف بأنها صرصر (شديدة الصوت أو البرد) وعاتية (طاغية)؟ هذا الوصف يهز المشاعر ويجعل القارئ يتخيل نفسه في مهب هذه الريح. والأثر النفسي المطلوب هو الخوف من قدرة الله الذي يخلق الريح عاتية ثم يسخرها لمن يشاء، وبالتالي الخوف من أن تأتيه ريح مماثلة إن هو طغى.

الرسالة العقلية: العقل يتساءل: كيف يمكن لريح أن تهلك أمة بأكملها مع بيوتهم المنحوتة في الجبال؟ لكن القرآن يقدم دليلا ً عقلياً على قدرة الله: الذي خلق الريح وأجراها بقدرة، قادر على أن يجعلها مدمرة. والعقل يعلم أن الريح قوة طبيعية هائلة، والقرآن يذكر أن تسخيرها للعذاب ليس مستحيلا ً. فالرسالة العقلية هي توسيع إدراك العقل لقدرة الله، وأن ما يعتبره الإنسان طبيعياً يمكن أن يصبح خارقاً بإرادة الله.

الرسالة التربوية: التربية هنا على أن قوة الإنسان مهما بلغت، فهي هزيلة أمام قوة الطبيعة التي سخرها الله. فمن يظن أنه بعزته وجبروته يستطيع أن يتحدى الله، فليتذكر ريح عاد التي لم تبق منهم أحداً. والتربية العملية: أن نربي أنفسنا وأبناءنا على التواضع، وألا نفتخر بقوتنا المادية، لأن الله قادر على أن يسلط علينا ما هو أقوى منا.

الرسالة العملية: التطبيق العملي أن نستشعر أن الرياح التي نراها اليوم قد تكون رحمة (لواقح) أو نقمة (صرصر عاتية). فعلينا أن نلجأ إلى الله عند اشتداد الرياح، وأن نتذكر عذاب عاد فنستغفر ونتوب. كما أن هذه الآية تدعو إلى التأمل في الطبيعة، والنظر إلى الرياح والزوابع والعواصف كآيات تذكير بالله.

ثانياً: دلالة قوله {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}

لماذا سبع ليال وثمانية أيام، وما معنى (حسوما)؟

عدد الأيام والليالي: الريح استمرت سبع ليال كاملة وثمانية أيام. في اللغة، يقال سبع ليال وثمانية أيام إذا كان العذاب مستمراً ليلا ً ونهاراً. واليوم العربي يبدأ بطلوع الفجر، فإذا قيل (سبع ليال

وثمانية أيام) معناه أن العذاب بدأ ليلة ثم امتد إلى نهار، وهكذا حتى اكتملت ثمانية أيام كاملة. وهذه مدة طويلة جداً لعذاب مستمر، كان الناس فيها يتقطعون في مهب الريح، وتصير أجسادهم كأعجاز نخل منقعر.

معنى (حسوماً): (حسوماً) جمع حاسم، والحسم: القطع والإزالة والإفناء. وقيل معناه متتابعة لا تنقطع، حسم بعد حسم، أي الريح تأتي حاسمة قاطعة، مرة بعد مرة. أو أنها كانت حسوماً أي تستأصلهم وتفنيهم تماماً، فلا يبقى منهم أحد. كما يقال: حسم الداء أي استأصله.

لماذا هذه المدة الطويلة؟ ليكون العذاب مناسباً لطغيانهم: هم طغوا وتكبروا مدة طويلة، وأصروا على الكفر سنوات، فعوقبوا بعذاب طويل نسبياً (ثمانية أيام) يذوقون فيه وبال أمرهم. ولتكون العبرة أشد بذلك، فلو كانت صيحة واحدة لربما قال قائل: ماتوا بسرعة ولم يشعروا. أما هذه الأيام الثمانية، فقد كانوا يرون الموت يأتي إخوانهم يوماً بعد يوم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

الرسالة النفسية: استمرار العذاب سبع ليال وثمانية أيام يخلق شعوراً نفسياً بالرهبة من (العقاب الطويل). النفس البشرية تخاف من الألم المستمر أكثر من خوفها من الألم المفاجئ. فهنا التهويل نفسي بأن الله قد يسلط عليك بلاءً لا ينقطع، كما أرسل على عاد ريحاً حسوماً حاسمة. والرسالة النفسية الأخرى هي تكسير الغرور الذي يظن أن قوته تمنعه من العذاب، فإذا استمر العذاب ثمانية أيام، فسيرى كيف تتساقط قوته يوماً بعد يوم.

الرسالة العقلية: العقل يتساءل: هل من المعقول أن تبقى ريح مدمرة لمدة ثمانية أيام؟ لكن القرآن يخبر بذلك، والعقل يدرج ذلك ضمن المعجزات. والرسالة العقلية هي أن سنن الله في العقاب قد تكون بالاستمرار وليس بالفجائية، فالعقل يتوسع في تصور العقاب الإلهي. كما أن العدد (سبع وثمانية) يدل على الدقة والإحاطة، فالقرآن لا يترك المدة مبهمة، مما يزيد من مصداقية الخبر.

الرسالة التربوية: التربية هنا على أن العصيان المستمر يقابل بعقاب مستمر. عاد أصرت على الكفر سنوات، فعوقبت بثمانية أيام. ومن يصر على ذنب صغير مدة طويلة، قد يبتلى ببلاء طويل الأمد. وأيضاً فيه تربية على الصبر على طاعة الله، فكما كانت الريح مسخرة عليهم (أي ألزمتهم)، فالمؤمن يجعل الطاعات مسخرة عليه (ملازمة له). والتربية العملية: أن نربط بين مدة الذنب ومدة العقاب المحتمل، لندفع النفس إلى التوبة السريعة.

الرسالة العملية: التطبيق العملي أن نستشعر أن بلاء الدنيا إذا طال، فقد يكون (حسوماً) من الله بسبب إصرارنا على الذنوب. فعلينا أن نلجأ إلى الله ونطلب منه رفع البلاء. وأيضاً أن نتذكر أن العذاب الأخروي أعظم وأطول (خالدين فيه أبداً)، فإذا كانت ثمانية أيام في الدنيا بهذه الشدة، فكيف بالأبد؟ فهذا يدفعنا إلى العمل للآخرة.

ثالثاً: دلالة تقديم ثمود على عاد في الآيات السابقة والسياق هنا (التفصيل بعد الإجمال)

في الآية الرابعة، ذكر الله ثمود وعاداً معاً مجملا ً: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}. ثم فصّل: أولا ً ثمود، ثم عاد. وهنا جاء تفصيل عاد. هذا الترتيب – على عكس الترتيب الزمني (عاد أقدم) – له دلالا ت:

.1التدرج من العقاب السريع إلى العقاب الطويل: ثمود أهلكوا بصيحة أو زلزلة في لحظة، وعاد أهلكوا بريح استمرت ثمانية أيام .فالتقديم والتفصيل بهذا الترتيب يجعل السامع ينتقل من أسلوب تخويف) مفاجئ (إلى أسلوب تخويف) مستمر(، وكليهما مرعب.
.2الإشارة إلى أن ثمود أوتوا آية) الناقة (فتقديمهم رد على طالبي الخوارق .أما عاد فلم تؤت آية خاصة، فأخر ذكرهم ليكونوا عبرة في القوة المادية المجردة.
.3تناسباً مع ختم الآية السابقة بـ) الطاغية (التي تناسب سرعة عقاب ثمود، ثم بداية آية عاد بـ)ريح صرصر عاتية (التي تناسب طول العقاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

الرسالة النفسية: التدرج في عرض العقوبات (سريع ثم طويل) يحقق تشويقاً نفسياً ورعباً متنامياً. النفس بعد أن سمعت عن ثمود تخاف، ثم تسمع عن عاد فتزداد خوفاً. وأيضاً، المقارنة بين النوعين تظهر عدل الله وأن كل أمة عوقبت بما يناسبها.

الرسالة العقلية: العقل يلاحظ أن التأخير الزمني ليس شرطاً في الترتيب القرآني، بل الأولوية للحكمة. وهذا يعلم العقل أن يفكر في الحِكم لا في الظواهر فقط.

الرسالة التربوية: التربية على أن التعامل مع المكذبين قد يكون بأساليب متعددة: بعضهم يحتاج إلى صاعقة مفاجئة، وبعضهم يحتاج إلى ضغط مستمر. وكذلك تربية النفس: أحياناً تحتاج إلى توبيخ سريع، وأحياناً إلى مراجعة طويلة.

الرسالة العملية: التطبيق العملي أنه عند سرد القصص على الأبناء أو الطلاب، يمكن تقديم العبر بـ الترتيب الأنسب، وليس بالترتيب التاريخي، لتحقيق التأثير المطلوب.

رابعاً: مناسبة عقاب عاد لجريمتهم، وكيف نعيش تجربة عاد وكأننا منهم؟

جريمة عاد بالتفصيل:

عاد هم قوم هود عليه السلام، كانوا يسكنون الأحقاف (بين عمان وحضرموت). كانوا أصحاب حضارة عظيمة، يبنون إرماً ذات العماد – أبنية عالية بأعمدة لم يُخلق مثلها. وكانوا أقوياء جسديين، قال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} (الأعراف:69). أي زيادة في الطول والقوة. كما كانوا ينحتون الجبال بيوتاً.

أرسل الله إليهم هوداً عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد والإيمان بيوم القيامة، لكنهم كذبوا واستكبروا، وقالوا: {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} (فصلت:15)، أي من يقدر علينا؟ وطلبوا من هود أن يأتيهم بعذاب إن كان صادقاً، فأتاهم العذاب.

جرائمهم تتلخص في:

· الشرك بـالله وعبادة الأصنام.
· التكذيب بيوم القيامة) القارعة.(
· الكبر والغرور بالقوة المادية والبنيان.
· التحدي والاستهزاء بالرسل.

مناسبة العقاب للجريمة:

.1طغيانهم بالقوة المادية قوبل بطغيان الريح العاتية .كما كانوا متكبرين بقوتهم، جاءتهم ريح عاتية جاوزت كل حد، فأذلت قوتهم.
.2تحديهم بالرياح والأبنية: كانوا يبنيون أبنية عالية، فأرسل الله عليهم ريحاً تهد هذه الأبنية .وكانوا يفخرون بقوتهم على الرياح، فأصبحوا تحت رحمة ريح صرصر.
.3استمرار طغيانهم) سنوات (قوبل باستمرار العذاب) ثمانية أيام .(فكما تمادوا في الغي، تمادى عليهم العذاب حسوماً.
.4دعواهم بأنهم) أكثر قوة من الله وأقوى من أن يعذبهم (ردهم الله بأن أهلكهم بأضعف المخلوقات)ريح (لتتضح الحقيقة.

كيف نعيش تجربة عاد وكأننا منهم – لنصل إلى العلم المغروس بالقلب؟

الخطوة الأولى: التخيل الحي التفصيلي. تخيل نفسك في مدينة إرم ذات العماد، مباني شاهقة، قوم عمالقة. كنت منهم، تسمع هوداً يقول: اتقوا الله واخشوا يوم القيامة. تسمع ردود قومك: من أشد منا قوة؟ وتبدأ أنت أيضاً تشعر بالعزة والغرور. ثم ذات يوم، ترى الريح تبدأ تتحرك، في البداية خفيفة، ثم تزداد، ثم تصبح عاتية. تسمع صوتها مزعجاً (صرصر)، وتبدأ الأعمدة تسقط، والأجساد تتطاير، وأنت ترى إخوانك يصرعون واحداً تلو الآخر. تستمر الريح يوماً بعد يوم، لا طعام ولا شراب، لا مأوى، وأنت تشعر بجسدك يتقطع كأنه أعجاز نخل. تخيل الأيام الثمانية كلها، والليالي المظلمة التي لا تنام فيها من الرعب.

الخطوة الثانية: إسقاط التجربة على نفسك. اسأل نفسك: هل أنا مثل عاد في الكبر والغرور بقوتي (مـ الي، جاهي، صحتي، ذكائي، وسائل قوتي الحديثة)؟ هل أعتقد أنني (أشد قوة) من غيري فأتكبر؟ هل أعاند الحق إذا جاءني وأقول مثل قولهم: من أشد منا قوة؟ أين أنا من الرياح اليومية التي هي أضعف من ريح عاد؟ فإذا سلط الله علي ريحاً عاتية، ماذا سأفعل؟

الخطوة الثالثة: استشعار سنة الله الثابتة. أؤمن بأن كل من يطغى بقوته ويظن أنه فوق العقاب، فإن الله يسلط عليه ما يذله. وقد أهلك عاد بالريح. وأنا إن تكرر في نفسي ما تكرر فيهم، فقد تأتيني (ريح صرصر عاتية) تناسب زماني: ربما إعصار، أو زلزال، أو حرب، أو فضيحة، أو مرض مستمر ثمانية أيام أو ثمانية أشهر تذيقني طغيان قوتي.

الخطوة الرابعة: تحويل التجربة إلى قرارات عملية. أتخذ اليوم قراراً: سأتخلص من كل كبر وغرور بقوتي المادية. سأعترف بأن قوتي من الله، وقد يسلبها في أي لحظة. سأتواضع للحق، ولن أقول (من أشد مني قوة) بل سأقول (ما شاء الله، لا قوة إلا بالله). سأستعد للقارعة الكبرى التي لا ينجي منها إلا العمل الصالح.

الخطوة الخامسة: النظر إلى الطبيعة كآيات تذكير. كلما رأيت ريحاً شديدة، أتذكر ريح عاد. كلما سمعت صوت إعصار أو عاصفة، أتذكر (صرصر عاتية). لا أمر عليها مرور الكرام، بل أقف وأستغفر الله ، وأتوب من كبري، وأذكر نفسي بأن هذه الريح لو سخرها الله عليّ كما سخرها على عاد، لهلكت. فهذه الرياح هي إنذارات ومذكرات.

الخلاصة: نعيش تجربة عاد بأن نتمثل قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى}. من يخشى الله، فهو يعتبر بقوم عاد، ويعيش قصتهم كأنها تحدث له الآن، فيتغير سلوكه.

الأمر الثاني: الأبعاد البيانية والتربوية وكيفية تحويل الدلالات إلى قوة محركة للسلوك

أولا ً: البعد البياني في قوله (ريح صرصر عاتية) وأثره في تحريك السلوك:

لفظة (صرصر) تحمل طاقة صوتية عالية، فهي كلمة تحاكي صوت الريح الشديدة (محاكاة صوتية). وعندما يقرأها القارئ، يكاد يسمع صوت الريح تعوي. (عاتية) تفيد الطغيان، فكأن الريح طاغية كطغيان عاد. هذا البعد البياني يخلق في النفس شعوراً بالخوف ليس من الريح وحدها، بل من طغيانها. ومن ثم يتحول إلى سلوك: كلما هبت ريح قوية، يتذكر عباد الله ريح عاد، فيخافون ويستغفرون، ويتواضعون لله.

ثانياً: البعد البياني في قوله (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) وأثره في تحريك السلوك:

تكرار العدد (سبع وثمانية) مع (حسوماً) يعطي إحساساً بالطول والقطع المتواصل. النفس عندما تستشعر أن عذاباً استمر أكثر من أسبوع كامل بلا انقطاع، فإنها تخاف من أي بلاء مستمر. هذا يدفع إلى سلوكين: الأول، عدم الاستهانة بالبلاء القصير لأنه قد يكون بداية لبلاء طويل. الثاني، المبادرة إلى التوبة خوفاً من أن يحل بلاء حسوم.

ثالثاً: البعد البياني في تقديم ثمود ثم عاد وأثره في السلوك:

كأن السياق يقول: لقد أوتيت ثمود آية فكذبوا، فأهلكوا سريعاً. وأما عاد فلم تؤت آية خاصة، ولكنها كذبت بقوتها، فأهلكوا باستمرار. وهذا يوجه السلوك في أمرين: عدم انتظار المعجزات، وعدم الاعتماد على القوة المادية. فمن كان ينتظر معجزة فليتذكر ثمود، ومن كان يعتز بقوته فليتذكر عاد.

رابعاً: كيفية تحويل هذه الدلالات مجتمعة إلى قوة محركة للسلوك (آلية عملية يومية):

1.استحضار الريح الصرصر العاتية عند الشعور بالكبرياء: كلما شعرت بفخر بقوتك المادية أو العلمية أو الجسدية، قل في نفسك: لو سلط الله علي ريحاً مثل ريح عاد، لأصبحت كأعجاز نخل .فتسقط كبرياؤك وتتواضع.
2.استثمار الأزمات الطويلة كفرصة للتوبة: إذا ابتليت ببلاء طال) مرض، مشكلة مالية، خلاف عائلي(، فتذكر أن عاداً عوقبت بثمانية أيام، وأن هذا البلاء قد يكون) حسوماً (لذنوبك، فتب إلى الله.
3.ربط الظواهر الطبيعية بالقدرة الإلهية: كلما رأيت إعصاراً أو عاصفة، لا تمر عليها كحدث عادي، بل تذكر ريح عاد، واسأل نفسك: هل نحن مثل عاد في الكبر والطغيان؟ ثم استغفر وتوب.
4.تطبيق مبدأ) لا قوة إلا بالله (في كل أمورك: اربط كل نجاحك وقوتك بالله، وقل دائماً:) ما شاء الله، لا قوة إلا بالله .(هذا السلوك يقي من كبر عاد.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيتين وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني:

المشهد الأول: مشهد الريح المدمرة. {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} – الكاميرا هنا تصور ريحاً لا ترى لكنها تشعر بها. صوتها (صرصر) يملأ الآفاق، شدتها (عاتية) تطيح بالجبال. كأننا نرى الأبنية الشامخة لـ (إرم ذات العماد) تتساقط، والأجساد القوية تتطاير في الهواء كأنها ريش. والجملة قصيرة ولكنها ترعب.

المشهد الثاني: مشهد استمرار العذاب. {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} – الكاميرا الآن تركز على الزمن. سبع ليال مظلمة، الريح لا تهدأ، والناس تتناثر. ثمانية أيام، الشمس تشرق كل يوم على منظر أفظع من اليوم السابق. كلمة (حسوماً) كأنها سكين حاسم يقطع الأجساد ويقطع الأمل. الصورة النهائية: لا أحد بقي، فقط أطلال وأعجاز نخل خاوية.

ثانياً: أغراض هذا التصوير:

.1تصوير عذاب الاستمرار: معظم الصور القرآنية للعذاب تكون مفاجئة) صيحة، خسف .(هنا الصورة مختلفة: عذاب طويل بطيء .الهدف هو إرهاب النفس من كلا النوعين: المفاجئ والمستمر.
.2تصوير عجز القوة البشرية أمام قوة الله: عاد كانوا أقوى أمم الدنيا .الريح الصرصر جعلتهم)كأعجاز نخل خاوية .(الصورة هنا تفيد أن القوة المادية وهم كبير.
.3تحقير شأن الكافرين: ليس فقط أهلكوا، بل أهلكوا بريح) أي بشيء يبدو أحياناً رحمة، لكنه هنا نقمة .(وكأنه يقول: كفاكم هذا المهانة.
.4إثارة مشاعر الاعتبار والخوف: السامع يتصور نفسه مكانهم في تلك الليالي والأيام، فيخاف ويرتدع.

الأمر الرابع: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: الريح قد تكون رحمة وقد تكون نقمة

استشعر أن الريح في الآيات الأخرى تسمى (لواقح) تبشر بالمطر، وهنا تسمى (صرصر عاتية) تهلك. في الشيء الواحد يصبح نقمة بسبب كفر الناس. الاستفادة: لا تغتر بنعم الله، فإذا كفرتها تحولت نقماً. فمثلا ً: صحتك، مالك، علمك، قوتك – كلها رياح لواقح إن شكرت، وصرصر عاتية إن كفرت.

الخاطرة الثانية: طول العذاب نتيجة طول الطغيان

استشعر أن عاداً طغت سنين، فعوقبت ثمانية أيام. فكلما طال الطغيان، طال العقاب. الاستفادة: لا تؤجل التوبة أبداً، فكل يوم يزيد في ذنبك قد يزيد في بلائك في الدنيا أو الآخرة. وتذكر أن (حسوماً) قد تأتي على حياتك ببلاء طويل إذا أصررت على المعصية.

الخاطرة الثالثة: العزة الحقيقية بالله لا بالقوة المادية

استشعر أن عاداً قالوا (من أشد منا قوة)، فأهلكوا ليعلموا أن القوة لله. الاستفادة: لا تفتخر بقوتك، بل قل (لا قوة إلا بالله). وازرع التواضع في نفسك وفي مجتمعك.

الخاطرة الرابعة: عقاب الله قد يأتي على دفعات (حسوماً)

استشعر أن الريح كانت حسوماً أي تستأصلهم قطعة قطعة. فربما يبتلي الله العبد ببلاء ثم يزيده، ثم يزيده، حتى إذا حسم أمره هلك. الاستفادة: إذا ابتليت ببلاء متكرر، فلا تظن أنه صدفة، بل ربما هو (حسم) من الله لذنوبك، فتب إليه قبل أن يحسم أمرك بالهلاك.

ثالثاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية الرد على المتكبرين بقوتهم المادية .عاد كانوا مثالا ً للقوة، فأهلكهم الله بأضعف ما يكون)الريح (ليبين أن القوة لله.
.2قضية تنوع العقوبات الإلهية .الصيحة، الريح، الغرق، الخسف – كلها صور، فلا يظن أحد أن العذاب لا يأتيه إلا بنوع معين.

.3قضية استمرار العذاب كأسلوب تربوي .بعض النفوس لا تتعظ بالصاعقة، فتحتاج إلى بلاء ممتد.
.4قضية الاعتبار بالتاريخ .عاد ليست مجرد قصة قديمة، بل هي درس حاضر.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن نقرأ الآية ونتخيل أننا في عاد، أو أن عاد تعيش بيننا. أن نرى في الطوفان والإ عصار ريح صرصر عاتية معاصرة. أن نفهم أن كل أمة تطغى وتتكبر، فهي معرضة لعقاب مماثل.

التحويل إلى واقع ملموس: في مجال البيئة، نقف أمام الزلازل والأعاصير ونتعظ. وفي مجال الأخلاق، نكسر كبرنا عندما نرى قوة الطبيعة. وفي مجال السياسة، لا نغتر بقوتنا العسكرية أو الاقتصادية. وفي مجال التربية، نعلم أبناءنا أن القوة ليست في العضلات، بل في التقوى.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير النظرة إلى القوة: ندرك أن القوة الحقيقية ليست في البنيان الشامخ أو الأجساد القوية، بل في الإيمان بالله والاعتماد عليه.
· تغير النظرة إلى البلاء: البلاء الطويل ليس بالضرورة شراً، بل قد يكون تطهيراً وحسماً للذنوب.
· تغير النظرة إلى الطبيعة: الطبيعة ليست مجرد ظواهر فيزيائية، بل هي آيات مسخرة تأتمر بأمر الله.
· تغير النظرة إلى التاريخ: التاريخ يعيد نفسه، فمن يشبه عاداً قد يصيبه ما أصاب عاداً.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الكبر والغرور بالقوة يؤديان إلى الهلاك. التطبيق: راقب كلماتك، لا تقل (من أشد مني قوة) في المال أو الجاه أو الصحة. بل قل (ما شاء الله، لا قوة إلا بالله).

الدرس الثاني: العقاب قد يأتي من حيث لا تتوقع (ريح بدل صيحة). التطبيق: لا تستبعد أن يأتيك العذاب من جهة تأمنها (فأصغر الأشياء قد تكون أكبر البلاء).

الدرس الثالث: الاستمرار في الذنب قد يعني استمراراً في البلاء. التطبيق: إذا رأيت بلاءً يتكرر، فحاسب نفسك على ذنب تصر عليه، وتب منه فوراً.

الدرس الرابع: العبرة بالعاقبة وليست بالبداية. التطبيق: لا تنظر إلى قوة المبتدئين في الباطل، فالعاقبة للمتقين.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية:

· مهارة ربط الظواهر الطبيعية) الرياح (بقدرة الله وسننه.
· مهارة التفكير التاريخي المقارن) الماضي = الحاضر.(
· مهارة تحليل أسباب الهلاك) الكبر، الطغيان، التكذيب بالقارعة.(

المهارات الحياتية:

· مهارة التواضع وعدم الافتخار بالقوة المادية.
· مهارة التعامل مع البلاء الطويل) الصبر والاستغفار لا اليأس.(
· مهارة الاستفادة من الكوارث الطبيعية كدروس روحية.

المهارات العملية:

· مهارة المحاسبة الذاتية عند هبوب الرياح) هل أنا مثل عاد؟.(
· مهارة التذكير بقصة عاد في المجالس.
· مهارة تحويل الآيات إلى دعاء) اللهم لا تسلط علينا ريحاً صرصراً عاتية.(

الأمر السادس: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات:

1.لا تغتر بقوتك المادية، فإن الله قادر على إذلالك بأضعف خلقه.
2.كلما رأيت إعصاراً أو عاصفة، تذكر عاداً واستغفر.
3.لا تقل) من أشد مني قوة (في أي مجال، فالعزة لله.
4.تعلم من عاد أن الاستمرار في الطغيان يؤدي إلى استمرار العذاب.
5.اجعل قوتك في طاعة الله لا في مخالفته.

دورها في تطوير الحياة: تطوير الوعي الجماعي لخطورة الكبر والغرور، وبناء مجتمع متواضع قوي بإيمانه لا بقوته المادية، وتحويل الكوارث الطبيعية إلى فرص للتوبة الجماعية.

الأمر السابع: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

1.أن القوة الحقيقية هي القوة على ضبط النفس والابتعاد عن كبر عاد.
2.أن العقاب الإلهي قد يكون مستمراً) حسوماً(، فنتجنب ما يؤدي إليه.
3.أن نتواضع في كل أمورنا، ولا نتمادى في الباطل مهما كانت قوتنا.
4.أن نقرأ التاريخ لنستفيد، لا لنتباهى.
5.أن نلجأ إلى الله عند اشتداد الرياح، ونرجوه أن يجعلها رحمة لا عذاباً.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

· البعد التاريخي: إحالة إلى قصة عاد وارتباطها بتاريخ العرب.
· البعد النفسي: علاج الكبر والغرور النفسي.
· البعد البيئي: الربط بين الظواهر الجوية وسخط الله.
· البعد العقدي: إثبات أن العذاب حق، وأنه يأتي بأنواع مختلفة.

الآفاق:

· أفق قراءة الطبيعة كآيات تذكير.
· أفق بناء حضارة متواضعة لا متكبرة.
· أفق التعامل مع الأزمات الطويلة كفرص.

الأمر الثاني: القيم من الآية

1.قيمة التواضع: نقيض كبر عاد.
2.قيمة الاعتبار: التعلم من قصص الماضين.
3.قيمة اليقين: الإيمان بأن عذاب الله حق.
4.قيمة الشكر: تحويل نعم الله) كالريح اللواقح (إلى شكر لا كفر.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم) الصرصر العاتي(: كل كارثة طبيعية مدمرة هي تذكير بهذا المفهوم.
· مفهوم) الحسوم(: البلاء الطويل المستأصل.
· مفهوم) التسخير للعذاب(: أن ما يسخر للرحمة قد يسخر للنقمة.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية

نفسياً: علاج الكبر بعرض نموذج عاد، وعلاج اليأس ببيان أن العقاب قد يكون تطهيراً.
فكرياً: نفي فكرة أن القوة المادية تمنع العقاب.
تربوياً: ضرورة استخدام القصص المؤثرة في التربية.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

بناء الشخصية على التواضع، وبناء المجتمع على عدم الاغترار بالقوة، وبناء المناهج على ربط التاريخ بالحاضر.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

تنمية الوعي البيئي، وتنمية ثقافة الاعتبار بالكوارث، وتنمية الاقتصاد الذي لا يقوم على الكبر و الطغيان.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة النهضة

الشخصية المسلمة المتواضعة، التي تعرف أن القوة لله، هي التي تنهض بالأمة. النهضة الحقيقية تبدأ بـ التخلص من كبر عاد، والبناء على أساس (لا قوة إلا بـالله). فكل نهضة مادية بدون تواضع روحي مصيرها كنهضة عاد: ريح صرصر عاتية تدمرها.

خامساً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

1.تدعونا إلى التواضع وترك الكبر والغرور.
2.تدعونا إلى التفكر في آيات الله الطبيعية) الرياح (والاعتبار بها.
3.تدعونا إلى المبادرة إلى التوبة خوفاً من عذاب مستمر حسوم.
4.تدعونا إلى عدم الاستهانة بقوة الله مهما كانت قوتنا.
5.تدعونا إلى إحياء سنة الاعتبار بقصص الأمم السابقة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة القوة والغرور

· هل أنا مثل عاد أفتخر بقوتي المادية) مالي، جاهي، صحتي(؟ كيف أتخلص من هذا الفخر؟
· ماذا لو سلط الله علي ريحاً مثل ريح عاد اليوم، أين ستكون قوتي؟
· ما هي) الرياح الصرصر العاتية (المعاصرة التي تخوفني؟

الوقفة الثانية: وقفة طول العذاب

· هل أعاني من بلاء طويل الأمد) مرض، مشكلة مالية، أسرية(؟ هل هو حسوم لذنبي؟
· لماذا أصر على ذنب معين رغم أنه يجلب لي بلاءات متكررة؟
· كيف أستفيد من هذه الآية لأصبر على البلاء الطويل؟

الوقفة الثالثة: وقفة التسخير

· لماذا سخر الله الريح على عاد بينما سخرها على سليمان رحمة؟
· ما الذي يجعل الشيء الواحد رحمة أو نقمة في حياتي؟) صحتك، مالك، وقتك(
· هل أنا أشكر نعم الله أم أستعملها في طغياني؟

الوقفة الرابعة: وقفة الحسوم

· ما هي الذنوب التي أحتاج أن أحسمها من حياتي اليوم؟
· كيف أجعل توبتي) حاسمة (لا مترددة؟
· هل أنتظر حتى تأتيني حسوم من الله قبل أن أحسم أمري؟

الوقفة الخامسة: وقفة العبرة

· لو عادت بي الأيام وعشت في قوم عاد، هل كنت سأكون مع هود أم مع الكافرين؟

· ما هو الموقف الذي أستطيع أن أتخذ فيه قراراً مختلفاً عن عاد اليوم؟

رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات أن قصة عاد ليست مجرد خبر تاريخي، بل هي تجربة إنسانية كاملة في الكبر والغرور وعاقبتهما. وتعلمنا أن القوة المادية مهما بلغت، فهي لا تنفع أمام قوة الله. وأن الله قد يسلط على الطغاة ما يذلهم، حتى من أضعف خلقه (الريح). وتعلمنا أن العقاب قد يكون مستمراً حسوماً، ليناسب استمرار الطغيان.

وندعو الله أن يخلصنا من كبر عاد، وأن يجعل قوتنا في طاعته، وأن يحول ما يخافه المؤمنون من الرياح الصرصر إلى رياح لواقح رحمة. اللهم لا تسلط علينا ريحاً صرصراً عاتية، ولا تحل بنا حسوماً من عذابك، واجعلنا ممن يتعظون بقوارع الدنيا قبل القارعة الكبرى. اللهم أصلح أحوالنا، وأذل كبرنا، وألهمنا التواضع والإنابة، إنك على كل شيء قدير.
ثالثا
هذا تفسير تفصيلي للآيتين الكريمتين (8-9) من سورة الحاقة:
{فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (4-7) ذكرت تكذيب ثمود وعاد بالقارعة، ثم فصلت مصير ثمود بالطاغية، ومصير عاد بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. والآن يأتي المشهد الأخير من قصة عاد: مشهد ما بعد العذاب. فبعد أن استمرت الريح عليهم تلك المدة الطويلة، أهلكتهم تماماً، وأصبحوا جثثاً متناثرة كأعجاز نخل خاوية. وهنا يدعو الله نبيه (والسامع) إلى أن ينظر إلى تلك الجثث ويتأملها، ثم يسأله: هل ترى لهم من باقية؟ أي هل بقي منهم أحد؟ والجواب: لا أحد. وهذا الربط يأتي بعد تفصيل العذاب مباشرة ليكتمل المشهد المؤلم، وتترسخ العبرة: هذه نهاية المكذبين بالقارعة.

كما أن الآية السابقة انتهت بذكر {حُسُومًا} أي قاطعة مستأصلة، وهذه الآية تؤكد هذا الاستئصال بقوله {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}، فكأن {حسوما} وصف للعذاب، و{لا باقية} وصف للنتيجة.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هاتان الآيتان في فكرة مركزية واحدة هي تصوير منظر هلاك عاد بعد انتهاء العذاب، وتتفرع إلى مراحل:

الفكرة الأولى: وصف منظر القوم صرعى {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى}. أي ترى عاداً بعد أن أهلكتهم الريح، أجسادهم ملقاة على الأرض صرعى، لا حراك فيها.

الفكرة الثانية: تشبيههم بأعجاز نخل خاوية {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}. أي هم كجذوع النخل التي سقطت وتآت وتجوفت وأصبحت فارغة خاوية، لا ثمر فيها ولا أوراق.

الفكرة الثالثة: النفي القاطع لبقائهم {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}. وهو سؤال استنكاري معناه النفي التام: لا ترى لهم باقية، أي لا أحد بقي منهم على قيد الحياة. فالعذاب استأصلهم تماماً.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: إظهار عاقبة الطغيان والغرور بالقوة. عاد كانوا أقوى الأمم، وأصحاب أجساد عمالقة، وأبنية شامخة، فجعلهم الله كأعجاز نخل خاوية، لا قوة ولا حراك. فالعبرة: لا تغتر بقوتك، فإنك إلى زوال.

المغزى الثاني: تحقير شأن المكذبين بعد موتهم. فبدلا ً من أن يكونوا في قبور أكرم، صاروا صرعى على وجه الأرض، كجذوع نخل بالية مهانة. وكل ذلك لأنهم كذبوا بيوم القيامة.

المغزى الثالث: الإشارة إلى تمام قدرة الله وسلطانه. فحين يقول {فهل ترى لهم من باقية}، كأنه

يتحدى: انظر هل تجد لهم بقية أو عيناً تتحرك؟ لا شيء.

المغزى الرابع: الربط بين مشهد عاد ومشهد القيامة. فكلمة {صرعى} و{أعجاز نخل خاوية} توحي بمشهد يوم القيامة حيث يبعث الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر، أو كأنهم أعجاز نخل منقعر. فكأن عذاب الدنيا هو نموذج مصغر لعذاب الآخرة.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: ترسيخ الإيمان بأن سنن الله في الأمم ثابتة: من كذب بالقارعة أهلكه الله، ولا يبقى له باقية. وهذا تهديد مباشر لقريش ومن يكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم.

الهدف العقدي الثاني: إثبات أن الله قادر على الاستئصال التام، فلا ملجأ لأحد من عذابه. فكما أهلك عاداً، قادر على إهلاك أي قوة أخرى.

الهدف النفسي: إثارة مشاعر الرهبة والاعتبار من خلال هذا المشهد المرعب. فتشبيه الأجساد العظيمة بأعجاز نخل خاوية يخلع القلوب، ويجعل السامع يتخيل نفسه مكانهم.

الهدف البياني: إظهار الإعجاز في التشبيه القرآني (أعجاز نخل خاوية) حيث جمع بين الدقة والحسية والتصوير المؤثر. وكذلك في الاستفهام الإنكاري (فهل ترى لهم من باقية) الذي يفيد الحصر والنفي المطلق.

الهدف التربوي: تعليم الناس أن الموت يأتي على الجميع، وأن الجبارين يصيرون كأعجاز نخل بعد الموت، فلا ينبغي الافتخار بالقوة الزائلة.

الهدف الدعوي: دعوة المشركين إلى النظر في آثار عاد إن كانوا يمرون بها (في منطقة الأحقاف)، ورؤية تلك الأجساد أو أطلالهم لعلهم يعتبرون.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى}

)فترى (الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكل من يسمع الآية ويتخيل المشهد كأنه يراه) .القوم (هم قوم عاد) .فيها (أي في أرضهم أو في تلك الديار) .صرعى (جمع صريع، وهو الملقى على الأرض بعد موته أو قتله .والصرعة هم الذين سقطوا على وجوههم أو جنوبهم، لا حراك فيهم .هذه كلمة تصور مشهد الموت الجماعي: أجساد منتشرة في كل مكان، بعضها على الوجه، وبعضها على الظهر، وبعضها متكوم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

الرسالة النفسية: كلمة (صرعى) تخلق في النفس شعوراً بالرعب من الموت الجماعي ومنظر الجثث المنتشرة. هذا الشعور يهز المشاعر ويجعل الإنسان يخاف من أن يكون مثلهم. والمطلوب نفسياً هو تحويل هذا الخوف إلى عمل استباقي، لا إلى شلل. فالإنسان الذي يخاف أن يكون صريعاً مثلهم، يبادر إلى الإيمان والطاعة.

الرسالة العقلية: العقل يتساءل: كيف أهلكت الريح هذه الأجساد العظيمة؟ لكن العقل يدرك أن قدرة الله فوق كل شيء. والرسالة العقلية هي إثبات أن القوة المادية لا تمنع الموت، فكل قوي سيموت ويصير صريعاً. فهذا يريح العقل من أوهام الخلود.

الرسالة التربوية: التربية على أن الغرور بالقوة يؤدي إلى هذا المنظر المشين. فربِّ نفسك على التواضع، وربِّ أبناءك على ألا يفخروا بقوتهم، لأنهم قد يصبحون صرعى كعاد. والتطبيق التربوي العملي: عند ذكر قصة عاد، يطلب من الأبناء أن يتخيلوا هذا المشهد، ثم يسألوا أنفسهم: ماذا نريد أن يكون مصيرنا؟

الرسالة العملية: التطبيق العملي أن نزور المقابر ونتذكر الموتى الصرعى في قبورهم، وإن لم يكونوا على سطح الأرض. ونتذكر أن كل قوة ستصبح صرعى يوماً. ونعمل لذلك اليوم.

ثانياً: دلالة التشبيه {كأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}

تحليل التشبيه: (أعجاز) جمع عجز، وهو أصل الشيء، وعجز النخل هو جذعه أو أصله. (نخل) هو النخيل. (خاوية) أي فارغة متجوفة ساقطة على الأرض. فالنخلة عندما تموت وتتآكل ويجف عودها، تصبح مجوفة خاوية، وربما تسقط على الأرض. فشبه الله أجساد عاد الصرعى بهذه الجذوع البالية.

لماذا هذا التشبيه تحديداً؟ لأن عاداً كانوا عمالقة طوالا ً، وكانت النخلة الطويلة تشبه طول القامة. وبعد موتهم، سقطوا واستداروا، فتشابهوا مع جذوع النخل المتساقطة. وفيه تحقير لهم: فبعد أن كانوا فخورين بقاماتهم وأجسادهم، صاروا كجذوع بالية لا قيمة لها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

الرسالة النفسية: تشبيه الإنسان الكبير القوي بجذع نخلة بالية يهز النفس ويحطم الغرور. فمن كان يظن نفسه عملاقاً، يراه القرآن كجذع خاو. وهذا يعالج مرض الكبر النفسي. والأثر المطلوب: التواضع، والاعتراف بأننا لا شيء.

الرسالة العقلية: العقل يتصور هذه الصورة بسهولة لأنه يرى النخل الخاوي في الواقع. فيقيس: إذا كان النخل الخاوي بهذا المنظر المهلهل، فكيف بجثث عاد؟ وهذا يرسخ العبرة في العقل.

الرسالة التربوية: التربية على أن طول القامة وجمال الشكل ليسا مقياساً للقيمة. والقيمة بالتقوى. و التطبيق: ألا نتفاخر بالأنساب والأجساد، بل بالعمل الصالح. ومثال تقريبي: لو رأى إنسان نخلة ساقطة خاوية، يتذكر عاداً ويعتبر.

الرسالة العملية: التطبيق العملي أن ننظر إلى النخل الميت فنعتبر، وألا نغتر بحياتنا وجمالنا. وأن نستخدم هذا التشبيه في وعظ الناس: أنتم مثل هذه النخلة، إن لم تعملوا للآخرة، فمصيركم كجذوع خاوية.

ثالثاً: دلالة الاستفهام {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}

)فهل ترى (استفهام إنكاري معناه النفي) .لهم (أي لعاد) .من باقية (أي بقية أو أحد باق .والمعنى: لا ترى لهم باقية، أي فُني الجميع ولم يبق منهم أحد .وهذه أبلغ صورة للاستئصال .وفي هذا الاستفهام تحدٍّ للناظر أن يبحث عن أي ناج، ثم الجواب: لن تجد.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

الرسالة النفسية: الاستفهام الإنكاري يخلق شعوراً بالهول واليقين المطلق بالفناء. النفس عندما تسمع هذا النفي الحاسم، تشعر أنها لن تفلت من الموت هي أيضاً. هذا يدفعها إلى الاستعداد.

الرسالة العقلية: العقل يدرك أن الاستفهام هنا ليس لطلب الجواب، بل لإثبات العجز عن وجود أي باقية. فيفهم العقل أن عذاب الله استأصلهم تماماً. ويدرك أن سنة الله في الكافرين واحدة: لا يبقى لهم باقية إذا تم عذابهم.

الرسالة التربوية: التربية على أن عاقبة التكذيب بالقارعة هي الفناء التام، فلا تبقى ذرية ولا نسلا ً ولا أثراً. فمن كذب باليوم الآخر، ذهبت ذكرى حسنة تبقى له. مثال تقريبي: تربية الطفل على أن الفاسدين يموتون ولا يبقى لهم اسم طيب، بينما الصالحون يبقى أثرهم.

الرسالة العملية: التطبيق العملي أن نسأل أنفسنا: إذا متنا اليوم، هل سيبقى لنا من باقية (ذكرى حسنة ، أو عمل صالح، أو ذرية صالحة)؟ فإن لم نجد، فلنبادر إلى العمل لنخلف خيراً. وأيضاً، أن نتيقن أنه لا يبقى من أحد بعد الموت إلا عمله، إما جنة وإما نار، فلا تغتر بالدنيا.

رابعاً: مناسبة هذا المشهد لعقاب عاد، وكيف نعيش التجربة كأننا منهم؟

المناسبة: الريح الصرصر العاتية جعلت القوم صرعى كأعجاز نخل خاوية. فكما كانت أجسادهم طوالا ً قوية، صارت كالنخل الطويل عندما يموت ويجف ويسقط. وكما كانوا متكبرين بقوتهم، صاروا ملقين على الأرض لا يتحركون. فالجزاء من جنس العمل: كبروا بطولهم، فأذلهم الله بأن جعلهم مثل ساقط النخل.

كيف نعيش التجربة كأننا منهم:

الخطوة الأولى: التخيل الحي. أغمض عينيك وتخيل أنك في أرض عاد. ترى الريح تهدأ، فتخرج من مخبئك. تنظر حولك، فترى الجثث متناثرة في كل مكان: هنا جثة ضخمة، وهناك أخرى، وهذه على وجهها، وتلك على ظهرها. إنهم قومك وأصحابك، كانوا أمس يتحدثون بفخر، واليوم هم صرعى. تقترب من أحدهم، فتراه كجذع نخلة ساقط، فارغ، لا روح فيه. تسمع صوت الريح فقط، ولا تسمع نفساً واحداً.

الخطوة الثانية: إسقاط التجربة على نفسك. اسأل نفسك: هل أنا مثل عاد في الكبر؟ هل أظن أن قوتي ومالي وجاهي يحميني من الموت؟ لو جاءت علي ريح مثل ريحهم اليوم، أين سأكون؟ منظر جثتي أيكون كأعجاز نخل خاوية؟ وماذا سيبقى لي بعد موتي؟ اسم طيب أم وبال؟

الخطوة الثالثة: استشعار الفناء التام. أؤمن بأن كل من عليها فان. وقد أهلك الله عاداً ولم يبق لهم باقية. وأنا أيضاً مصيري الموت، وربما لا يبقى لي باقية إن لم أتق الله. فالاستفهام {فهل ترى لهم من باقية} يوجه إلي أيضاً: هل سيتبقى مني شيء إذا مت دون عمل صالح؟

الخطوة الرابعة: تحويل التجربة إلى قرارات عملية. أتخذ اليوم قراراً: أتوب من كبري وتفاخري بقوتي. أبدأ في عمل صالح يبقى لي بعد موتي: صدقة جارية، علم ينتفع به، ولد صالح يدعو لي. أعاهد نفسي أن لا أكون مثل عاد صريعاً بلا باقية.

الخطوة الخامسة: التطبيق العملي في الحياة اليومية. كلما رأيت نخلة ساقطة خاوية، أتذكر عاداً. كلما سمعت عن زلزال أو إعصار أهلك قوماً، أتذكر أنهم ربما كانوا مثل عاد. وأسأل نفسي: هل نحن أفضل منهم؟ ونعود إلى الله.

الأمر الثاني: الأبعاد البيانية والتربوية وكيفية تحويل هذه الدلالات إلى قوة محركة للسلوك

أولا ً: البعد البياني في تشبيه الأجساد بأعجاز النخل الخاوية

هذا التشبيه ليس مجرد تشبيه عادي، بل هو تشبيه مركب. فوجه الشبه متعدد: في الطول، في السقوط على الأرض، في الفراغ والجفاف، في الهيئة غير المنتظمة. وهذه الصورة تترك أثراً عميقاً في النفس لأن النخل الخاوي شيء مرئي محسوس. فالقارئ يتصور المنظر كأنه يراه. وهذا البعد البياني يحوله إلى سلوك: كلما رأى نخلا ً خاوياً، ذكر عاداً، وتذكر الموت، فخضع لله.

مثال تقريبي: لو قال لك شخص: "فلان مات وصار جثة"، قد لا تتأثر كثيراً. لكن لو قال: "فلان كان طويلا ً فخيماً مثل نخلة، واليوم هو كجذع نخلة ساقط خاو"، فإن التأثير يكون أشد. وهذا ما فعله القرآن.

ثانياً: البعد البياني في الاستفهام الإنكاري (فهل ترى لهم من باقية)

الاستفهام هنا أسلوب بلاغي يهدف إلى إثبات العجز. فبدلا ً من أن يقول "لا بقي منهم أحد"، قال "فهل ترى لهم من باقية؟" كأنه يتحدى الناظر أن يبحث عن بقية، وعندما يبحث لا يجد، فيستقر النفي في نفسه. وهذا البعد يتحول إلى سلوك: يُعلِم المسلم أن يسأل نفسه أسئلة مماثلة: هل ترى في عملي خللا ً؟ هل ترى في توبتي صدقا؟ ثم يبحث في نفسه ويصلح.

ثالثاً: البعد البياني في إضافة (من) في {مِنْ بَاقِيَةٍ}

)من (هنا تفيد النفي العام الشامل، أي لا باقية ولا نصف باقية ولا شيء .والبقية: ما تبقى من الشيء .فالنفي ب-) من (في سياق الاستفهام الإنكاري يفيد الاستئصال التام .وهذا البعد يوجه السلوك إلى الجدية في التوبة، فلا نكتفي بتوبة نصفية، بل نريد توبة حاسمة تستأصل الذنوب.

رابعاً: كيفية تحويل هذه الدلالات مجتمعة إلى قوة محركة للسلوك (آلية عملية يومية)

.1إنشاء) مشهد عاد (في الذاكرة اليومية: احتفظ بصورة ذهنية لجثث كأعجاز نخل خاوية .استدعها كل صباح ومساء .هذه الصورة ستجعلك متواضعاً، خائفاً من الموت، جاداً في العمل.
.2استخدام سؤال) هل ترى لهم من باقية (كأداة محاسبة: في نهاية كل يوم، اسأل نفسك: ما الذي أبقيته اليوم من عمل صالح يبقى لي بعد موتي؟ هل عملت عملا ً يخلد؟ هل تركت أثراً طيباً؟
.3التطبيق على المجتمع: إذا رأيت فئة تتكبر بقوتها) دولة، شركة، جماعة(، ذكرهم بقصة عاد: أين ذهبت قوتهم؟ وهل ترى لهم من باقية؟ هذا يردع.
.4ربط التشبيه بالبيئة المحيطة: في البلدان التي بها نخيل، يمكن أن تكون هذه الآية مذكرة يومية . كل نخلة خاوية هي آية.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيتين وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني

هاتان الآيتان ترسمان لوحة حزينة مؤثرة:

المشهد الأول: مشهد الصرعى المنتشرين. {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى} – الكاميرا هنا عالية، تصور الأرض كلها. ترى جثثاً هنا وهناك، بعضها ملقى على الوجه، وبعضها على الجنب، وبعضها متكوم. كأنهم ناموا ولم يفيقوا. الرؤية من بعيد تعطي إحساساً بالخراب الشامل.

المشهد الثاني: مشهد التقاط القريب. {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} – الكاميرا تقترب من جثة واحدة. ترى جسماً طويلا ً كان قوياً، الآن هو كجذع نخلة ساقطة، مجوفة فارغة، لا حياة فيها. ربما الريح تحرك بعض أجزائها. هذا التشبيه يربط بين الموت الطبيعي والموت الأبدي.

المشهد الثالث: مشهد البحث عن ناجٍ. {فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} – الكاميرا تدور حول المكان، تبحث في كل زاوية، تبحث في البيوت والكهوف، فلم تجد أحداً. ثم يصوت السؤال: هل ترى؟ والإجابة: لا. فتطبق على المشهد لقطة أخيرة على الأرض الخاوية التي لا يحركها إلا الريح.

ثانياً: أغراض هذا التصوير

.1إثارة الشفقة الممزوجة بالرهبة .الشفقة على هؤلاء القوم الذين كانوا أقوياء فصاروا هكذا، والرهبة من أن يحل بنا مثل هذا.
.2تحقيق العبرة البصرية .الإنسان يتأثر بما يراه أكثر مما يتأثر بما يسمعه .فبجعل القارئ كأنه) يرى (المشهد، يتحقق التأثير الأعمق.
.3إظهار قدرة الله في الاستئصال .لو قال "أهلكناهم" فقط، لم تكن الصورة كاملة .لكن بوصفهم صرعى كأعجاز نخل، ترتسم عظمة القهر الإلهي.
.4الربط بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .في الآخرة، يخرج الناس من قبورهم كأنهم جراد منتشر، وفي الحديث: "يحشرون حفاة عراة غرلا ً" .وهنا عاد صرعى .فكأن مشهدهم نموذج مصغر.
.5تحقير شأن المكذبين .تشبيههم بنخل خاوٍ) جذوع بالية (يحقرهم ويبين أنهم بعد قوتهم صاروا لا شيء.

الأمر الرابع: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: الموت لا يستثني أحداً، ولا قوة تمنعه

استشعر أن عاداً كانوا عمالقة، ومع ذلك صاروا صرعى. فكل من يعتز بقوته، فليعلم أن الموت آتٍ لا محالة. الاستفادة: لا تتكبر على أحد، ولا تؤجل التوبة، فالموت يأتي فجأة ويجعلك كأعجاز نخل خاوية. واجعل هذا الاستشعار دافعاً للعمل الصالح قبل أن تموت.

الخاطرة الثانية: التشبيه بأعجاز النخل الخاوية يعلمنا التواضع

النخلة الخاوية رمز للشيء الذي كان له قيمة ثم أصبح بلا قيمة. فالإنسان الذي يطغى ويظن نفسه شيئاً، يصبح بعد الموت لا شيء. الاستفادة: كلما رأيت نخلة خاوية، تذكر نفسك بعد الموت، وتواضع لله وللناس. مثال تقريبي: لو رأيت مسناً ضعيفاً، تذكر أنه كان شاباً قوياً، وأنت ستكون مثله، فلا

تتكبر.

الخاطرة الثالثة: السؤال (فهل ترى لهم من باقية) يدعو إلى التفكير في إرثنا

ليس المطلوب فقط ألا يبقى منا أحد بعد الموت، بل المطلوب أن يبقى لنا عمل صالح. فعاد لم يبق لهم باقية (أي شخص حي)، ولا باقية (أي ذكرى حسنة)، بل بقيت آيات عذابهم عبرة. الاستفادة: اسأل نفسك: ماذا سيبقى مني بعد موتي؟ هل سيبقى علم نافع، صدقة جارية، ولد صالح، ذكرى طيبة؟ فإن لم تجد، فاعمل الآن.

الخاطرة الرابعة: مشهد الصرعى يذكرنا بمشاهد القيامة

يوم القيامة، الناس أحياء ولكنهم كالصرعى من هول الموقف. فمنظر عاد صرعى هو تذكير بأن القارعة الكبرى أشد. الاستفادة: اجعل هذا المشهد يدفعك إلى الاستعداد ليوم يقوم الناس لرب العالمين.

الخاطرة الخامسة: الفناء التام للكافرين لا يعني فناء أعمالهم

عاد فني جسدهم، لكن أعمالهم السيئة بقيت كآثار وعبرة. فالكافر قد يموت جسده، لكن عذابه باق. الا ستفادة: لا تغتر بأن الموت نهاية، بل هي بداية حياة جديدة. فاعمل لما بعد الموت.

ثالثاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية الكبر والغرور بالقوة الجسدية والمادية .عاد كانوا أقوى الناس، فأصبحوا صرعى، وهذه عبرة لكل متكبر.
.2قضية الفناء المحتوم لكل مخلوق .مهما بلغت قوتك وطولك، ستموت وتصير كأعجاز نخل خاوية.
.3قضية الاستئصال التام لمن كذب بالقارعة .لا يبقى لهم نسل ولا أثر خير.
.4قضية ضرورة الاعتبار بمناظر الموتى والهالكين .فرؤية الهالكين تذكر بالعاقبة.
.5قضية أن الأجساد العظيمة لا تساوي شيئاً بلا روح الإيمان .فإذا فارقت الروح الجسد، صار كجذع خاو.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن نقرأ الآية ونحن نستحضر أننا في أرض عاد، وأننا نرى بأعيننا هذه الجثث. أن نضع أنفسنا مكان الناجي الوحيد (هود والمؤمنون) الذين نظروا إلى قومهم صرعى. أن نشعر بالرعب والعبرة.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتنا اليومية: نزور المقابر ونتذكر الموتى، وننظر إلى الأجساد في قبورها كأنها صرعى، فنتعظ.
· في معاملاتنا: لا نتكبر على الضعفاء، فنحن مثلهم نموت.
· في تخطيطنا: لا نستثمر كل حياتنا في القوة المادية، بل نستثمر في الأعمال الباقية.
· في تربية أبنائنا: نخرجهم إلى المقابر أو نريهم صوراً للهلاك) من الكوارث الطبيعية (مع التعليق: هذا حال من كذب بالله، فاتقوا الله.

مثال تقريبي: لو رأى شخص إعصاراً دمر منطقة، فليتذكر آية عاد. وليقل: هؤلاء لو كانوا مؤمنين لنجوا، لكن ربما كانوا مثل عاد. وليستغفر ربه.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

· تغير النظرة إلى الجسد: الجسد الجميل القوي سيتحول إلى كأعجاز نخل خاوية .فلا نفتخر به، بل نستخدمه في طاعة الله.
· تغير النظرة إلى الموت: الموت ليس مجرد انتهاء حياة، بل هو انتقال من صورة قوية إلى صورة ضعيفة .فيجب الاستعداد له.

· تغير النظرة إلى القوة: القوة الحقيقية هي الباقية عند الله، أي العمل الصالح .فنسعى لها.
· تغير النظرة إلى الناس: لا نحتقر أحداً لضعفه، فنحن جميعاً صائرون إلى صرعى.
· تغير النظرة إلى الآخرة: مشهد عاد صرعى هو نموذج مصغر من أهوال يوم القيامة، فيجب أن نعيش في استعداد دائم.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: كل ذي قوة ستزول قوته. التطبيق: لا تكن كعاد تفتخر بعضلاتك أو مالك أو منصبك. اذكر نفسك دائماً بأنك ستصير كأعجاز نخل خاوية.

الدرس الثاني: الموت يجعل الجميع متساوين في الضعف. التطبيق: عامل الناس بالتواضع، ولا تتكبر على فقير أو ضعيف، فأنتما ستلتقيان في الموت سواء.

الدرس الثالث: العبرة بالباقيات الصالحات. التطبيق: احرص على الأعمال الباقية: الصدقة الجارية، العلم النافع، الولد الصالح. فهي التي تبقى بعد أن تصير أنت كالنخل الخاوي.

الدرس الرابع: النظر إلى الهالكين يعتبر. التطبيق: إذا رأيت جنازة، لا تمر سريعاً، بل تذكر أنك ستكون مثل الميت. وإذا رأيت أثر هلاك (زلزال، حرب)، تذكر عاداً.

الدرس الخامس: لا تغتر بطول الأجل. التطبيق: عاد بقوا سنين ثم أهلكوا دفعة واحدة. فلا تأمن مكر الله، وتب الآن.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية:

· مهارة التصور البصري للأحداث التاريخية.
· مهارة استخلاص العبرة من المشاهد البصرية.
· مهارة ربط التشبيهات القرآنية بالواقع المحسوس.
· مهارة تحليل عاقبة الكبر والغرور.

المهارات الحياتية:

· مهارة التواضع وترك الكبر.
· مهارة التعامل مع الموت كحقيقة محركة للعمل.
· مهارة الاعتبار بالآخرين الهالكين.
· مهارة إدارة الخوف من الموت بطريقة إيجابية) تحويله إلى عمل.(

المهارات العملية:

· مهارة زيارة المقابر للاعتبار.
· مهارة التذكير بقصة عاد في المجالس.
· مهارة الاستعداد للموت بالعمل الصالح.
· مهارة النظر إلى الظواهر الطبيعية) كالرياح (بتأمل وعظة.

الأمر السادس: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات:

.1تواضع ولا تتكبر، فإنك ستصير كأعجاز نخل خاوية.
.2زُر المقابر وتذكر الموتى الصرعى، فهي أفضل موعظة.
.3لا تغتر بقوتك، فعاد كانوا أقوى منك.
.4اترك أثراً طيباً بعد موتك) باقية صالحة (قبل أن تصير كالنخل الخاوي.
.5إذا رأيت آيات الله في الكون) كالريح العاتية(، فاخش عقابه وتب إليه.
.6علّم أولادك قصة عاد وشاهدهم على النخل الخاوي ليعتبروا.

دورها في تطوير الحياة:

· تطوير الوعي الفردي والجماعي بأن القوة زائلة، مما يقلل الصراعات على السلطة والجاه.
· تطوير ثقافة الاستعداد للموت، مما يجعل الناس أكثر جدية في العمل وأقل تعلقاً بالدنيا.
· تطوير منهجية التربية البصرية) استخدام المشاهد الحقيقية مثل النخل الخاوي والمقابر (لترسيخ العبر.
· تطوير مقدرة المجتمع على التعافي من الكوارث باعتبارها تذكيرات لا أهوالا ً فقط.

الأمر السابع: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الحياة قصيرة، وأن كل قوي سيموت ويصير ضعيفاً.
.2أن التواضع هو مفتاح النجاة من مشهد عاد.
.3أن النظر إلى الموتى يوقظ القلب من الغفلة.
.4أن الأعمال الصالحة هي الباقية لنا بعد موتنا.
.5أن الله لا يبقى على كافر إذا تمادى في طغيانه.
.6أن التكبر بالأنساب والأجساد جهل، فالناس كلهم صائرون إلى جثث.
.7أن كل إنسان يجب أن يسأل نفسه: ماذا سيبقى مني بعد موتي؟

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

· البعد البصري: اعتماد الآية على المشاهد البصرية) صرعى، أعجاز نخل، خاوية (لتحقيق التأثير.
· البعد الوجودي: التذكير بحقيقة الفناء التي لا مفر منها.
· البعد التاريخي: ربط الحاضر بالماضي من خلال مشاهد الهلاك.
· البعد النفسي: معالجة الكبر والغرور من خلال عرض عاقبة المتكبرين.
· البعد التربوي: استعمال التشبيه المحسوس في التعليم.

الآفاق:

· أفق الاعتبار بالموت كحاضر دائم في الحياة.
· أفق استثمار الزمن قبل أن يصير المرء كالنخل الخاوي.
· أفق بناء حضارة تقوم على التواضع لا على الكبر.
· أفق النظر إلى الطبيعة) كالنخل (بعين العبرة لا بعين المنفعة فقط.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة التواضع: نقيض كبر عاد.
.2قيمة الاعتبار: النظر إلى الموتى والهالكين للاتعاظ.
.3قيمة العمل للآخرة: السعي لما يبقى بعد الموت.
.4قيمة المساواة في الموت: فلا فرق بين قوي وضعيف.
.5قيمة الزهد في الدنيا: عدم الاغترار بالقوة الزائلة.
.6قيمة التذكير: أن نذكر أنفسنا والآخرين بالموت.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

· مفهوم) الصريع(: كل ميت على غير استعداد هو صريع، فعلينا ألا نكون منهم.
· مفهوم) أعجاز نخل خاوية(: كل متكبر سيكون هكذا، فلا نكبر.
· مفهوم) الباقية(: الإرث الحقيقي للإنسان هو عمله الصالح، لا ماله ولا جاهه.

مثال تقريبي: لو كان عندك شخص متكبر بماله، ذكره بأنه سيصير كأعجاز نخل خاوية، وأن ما يبقى هو الصدقة الجارية التي قدمها، لا الأموال التي جمعها.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

مفاهيم نفسية:

· علاج الكبر: بتذكير النفس بمشهد الصرعى.
· علاج الغفلة عن الموت: بتكرار تصور المشهد.
· علاج حب الدنيا: برؤية زوال أقوى الناس.

مفاهيم فكرية:

· فكرة فناء القوة: أن كل قوة مادية زائلة.
· فكرة الباقيات الصالحات: هي وحدها التي تبقى للإنسان.
· فكرة السنن الإلهية: أن عاقبة التكذيب الاستئصال.

مفاهيم تربوية:

· التربية بالمشاهدة: استخدام المشاهد البصرية) كالمقابر والنخل الخاوي (في التعليم.
· التربية بالتشبيه: ربط المجرد بالمحسوس.
· التربية بالاستفهام الإنكاري: لدفع المتعلم إلى التفكير.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

· بناء اليقين بالموت: كحقيقة ثابتة لا تزول.
· بناء الشخصية المتواضعة: التي لا تغتر بقوتها.
· بناء العمل المؤسسي: على أساس الباقيات الصالحات لا المظاهر الزائلة.
· بناء الذاكرة التاريخية: بالاعتبار بقصص الهالكين.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

· تنمية الوعي بأهمية الأثر الطيب) الباقية (في التنمية المستدامة .فالمجتمعات التي تبني مجداً على الكبر والفخر الزائل، مصيرها الفناء .أما التي تبني على العلم النافع والعمل الصالح، فتبقى.
· تنمية ثقافة التواضع في المؤسسات .فالمؤسسات المتكبرة تسقط كعاد.
· تنمية رأس المال الاجتماعي من خلال الأعمال الباقية) كالمدارس والمستشفيات والمساجد.(

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة في الحياة و الحضارة

الشخصية المسلمة التي تستوعب مشهد عاد (صرعى كأعجاز نخل خاوية) هي شخصية متواضعة، لا تتكبر بقوتها العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية. هي شخصية تدرك أن كل شيء زائل إلا وجه الله، فتعمل للآخرة مع سعيها للدنيا. هذه الشخصية هي أساس النهضة الحقيقية.

· في صناعة النهضة: الأمة التي لا تغتر بقوتها، وتعلم أنها ستصير كأعجاز نخل إذا طغت، هي أمة تحافظ على توازنها، ولا تنزلق إلى الديكتاتورية والفساد.
· في تطوير الحضارة: الحضارة الحقيقية هي التي تبني) باقيات صالحات(: علوم نافعة، أخلاق فاضلة، عدل مستدام .أما الحضارة التي تبنى على الكبر والطغيان، فمصيرها كأعجاز نخل خاوية.

خامساً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى التواضع الدائم، وتذكير أنفسنا بأننا سنصير صرعى كأعجاز نخل.

.2تدعونا إلى زيارة المقابر والاعتبار بالموتى.
.3تدعونا إلى العمل للباقيات الصالحات قبل أن نموت.
.4تدعونا إلى عدم الاغترار بالقوة المادية مهما بلغت.
.5تدعونا إلى استخدام المشاهد البصرية) كالنخل الخاوي (في وعظ أنفسنا والآخرين.
.6تدعونا إلى الاستعداد للموت في أي لحظة، فالمفاجأة قد تأتي.
.7تدعونا إلى تنشئة أطفالنا على قصة عاد ليكونوا متواضعين.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة التصور البصري

التدبر: تخيل نفسك واقفاً على أرض عاد بعد العذاب، تنظر إلى الجثث متناثرة كأعجاز نخل خاوية.

الأسئلة العملية:

· هل تخيلت هذا المشهد اليوم؟ ماذا شعرت؟ خوفاً، رهبة، تواضعاً؟
· لو كنت مكان هود عليه السلام، كيف كان سيكون شعورك وأنت ترى قومك هكذا؟
· كيف يمكنني أن أرسم هذا المشهد في ذهني كل يوم لأتذكر ضعف قوتي؟

التطبيق: خصص دقيقة كل صباح تغمض فيها عينيك وتتخيل هذا المشهد. سيزداد تواضعك.

الوقفة الثانية: وقفة النخل الخاوي

التدبر: النخلة الخاوية هي رمز للشيء الذي كان قوياً ثم صار لا شيء.

الأسئلة العملية:

· هل سبق أن رأيت نخلة خاوية ساقطة؟ ماذا شعرت حينها؟ وهل ربطتها بقصة عاد؟
· ما هي) النخلة الخاوية (في حياتي المعاصرة؟) مثلا ً: شخص كان قوياً ومات فجأة، أو حضارة انهارت.(
· كيف أستفيد من رؤية أي شيء خاوٍ) بناء مهدم، شجرة ميتة (في تذكير نفسي؟

التطبيق: كلما مررت بشيء خاوٍ أو مهدم، قل في نفسك: هكذا يكون حال المتكبرين، فتواضع لله.

الوقفة الثالثة: وقفة الباقية

التدبر: الاستفهام (فهل ترى لهم من باقية) يعني أنه لم يبق منهم أحد ولا أثر.

الأسئلة العملية:

· ماذا سيبقى مني بعد موتي؟ هل سيبقى ولد صالح يدعو لي، أو صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ذكرى طيبة؟ أم سأكون كعاد لا باقية لي؟
· ما هي الخطوة العملية التي سأتخذها اليوم لترك باقية صالحة؟
· هل أنتظر حتى أكبر في السن لأعمل هذه الباقيات، أم أعملها الآن؟

التطبيق: اكتب وصيتك (ليس القانونية، بل وصية العمل الصالح) اليوم. اختر عملا ً باقياً وابدأ فيه فوراً.

الوقفة الرابعة: وقفة الصرعى

التدبر: (صرعى) جمع صريع، وهم الملقى على الأرض.

الأسئلة العملية:

· متى آخر مرة زرت فيها المقبرة وتأملت فيها؟ كيف كان شعورك؟
· لو أن الموت جاءني الآن، هل سأموت على طاعة أم معصية؟ ما الذي يضمن لي حسن الخاتمة؟

· كيف أجعل منظر المقابر دافعاً لي لا باعثاً لليأس؟

التطبيق: حدد يوماً في الأسبوع أو الشهر تزور فيه المقبرة، أو تتأمل في الموت، وتجدد توبتك.

الوقفة الخامسة: وقفة التشبيه القرآني

التدبر: شبه الله أجساد عاد بأعجاز نخل خاوية. هذا التشبيه دقيق ومؤثر.

الأسئلة العملية:

· لماذا اختار الله النخل خصوصاً دون غيره من الأشجار؟ لعلوها ولأنها تشبه قامة عاد.
· كيف يمكنني استخدام هذا التشبيه في وعظ نفسي ووعظ أبنائي؟
· هل يمكنني أن أرسم أو أصور هذا المشهد) كرسوم أو حتى خيالا ً (لأتذكره؟

التطبيق: ابحث عن صورة لنخلة ساقطة خاوية، واجعلها خلفية لهاتفك أو حاسوبك، لتتذكر عاداً كل يوم.

رسالة الختام

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات أن قوة عاد الجسدية والحضارية لم تمنعهم من الموت الذليل، بل صاروا صرعى كأعجاز نخل خاوية، لا باقية لهم ولا أثر. وتعلمنا أن الكبر والغرور بالقوة هو طريق الهلاك، وأن التواضع لله هو طريق النجاة. وتعلمنا أن النظر إلى الموتى والهالكين هو أقوى موعظة للقلوب الغافلة. وتعلمنا أن الأعمال الصالحة الباقية هي رأس مال الإنسان بعد موته، فمن قدمها نجا، ومن أهملها صار كعاد لا باقية له.

فلنتخذ من هذه الآية منهج حياة: نتواضع ولا نكبر، نزور المقابر ونعتبر، نعمل للباقيات الصالحات، ونذكر أنفسنا كل يوم أننا سنصير يوماً كأعجاز نخل خاوية، فلا يبقى منا إلا عملنا.

اللهم اجعلنا من المتواضعين الذين يخشونك، ولا تجعلنا من المتكبرين الذين صاروا صرعى كأعجاز نخل خاوية. اللهم ثبتنا على العمل الصالح، واجعل لنا باقية صالحة بعد موتنا، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

القسم الثالث

هذا تفسير تفصيلي للآيتين الكريمتين (9-10) من سورة الحاقة:
{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً}

أولا ً: المقدمة التمهيدية

1.ربط الآيات بما قبلها

بعد أن ذكر الله في الآيات السابقة نماذج من الأمم المكذبة بيوم القيامة: ثمود الذين أهلكوا بالطاغية، وعاد الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية، وصوّر منظرهم بعد الهلاك كأعجاز نخل خاوية لا باقية لهم، انتقل السياق إلى نماذج أخرى من المكذبين الذين اجتمعت نفوسهم على الكفر والمعصية، وإن تباعدت أزمانهم وأمكنتهم. فهذه الآيات تأتي استكمالا ً لسلسلة العبر والعظات، وتأكيداً على أن سنة الله واحدة في كل الأمم: من كذب الرسل وجاء بالخطيئة، فإن الله يأخذه أخذاً رابية.

والربط أيضاً أن الآية السابقة انتهت بنفي الباقية عن عاد، وهذه الآية تبدأ بذكر أقوام آخرين ليس لهم باقية أيضاً، فالكفر واحد والعاقبة واحدة. كما أن الآيات كلها تندرج تحت عنوان السورة "الحاقة" الذي يعني يوم القيامة، فذكر هلاك هذه الأمم في الدنيا هو دليل على أن الحاقة آتية لا محالة، وأن من كذب بها في الدنيا فقد عوقب في الدنيا قبل الآخرة.

2.الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هاتان الآيتان في فكرة مركزية هي: وحدة مصير المكذبين على اختلاف أزمانهم وأماكنهم، بسبب وحدة باعثهم وهو المجيء بالخطيئة والمعصية. وتتفرع هذه الفكرة إلى عدة مراحل:

الفكرة الأولى: جمع ثلاثة نماذج من المكذبين في جملة واحدة {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ}. ففرعون نموذج الطاغية المتكبر صاحب السلطان والمال، ومن قبله يشمل أمماً متعددة سبقت فرعون (مثل قوم نوح، عاد، ثمود، وغيرهم ممن لم يقصص الله علينا)، والمؤتفكات هم قوم لوط وأهل القرى المنقلبة. هذه النماذج الثلاثة تجمعهم صفة واحدة: أنهم (جاءوا بالخاطئة) أي أتوا بـ المعصية العظيمة متعمدين.

الفكرة الثانية: بيان سبب العقاب الموحد {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ}. أي أنهم عصوا الرسول الذي أرسل إليهم، وهذا هو الجامع الأعظم: رفض الطاعة والتمرد على أمر الله. ولفظ (رسول ربهم) جاء مفرداً مع أن ثمود أرسل إليهم صالح، وعاد أرسل إليهم هود، وفرعون أرسل إليه موسى، والمؤتفكات أرسل إليهم لوط، وذلك لإثبات وحدة الرسالة ووحدة الحق، وأن الكل رسول واحد من حيث الجوهر، فـ الجميع جاءوا بالتوحيد.

الفكرة الثالثة: وحدة العقاب وإن اختلف شكله {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً}. أي أخذهم الله أخذة عظيمة شديدة زائدة على كل أخذ، سواء كانت غرقاً (لفرعون) أو خسفاً وقلباً (للمؤتفكات) أو صيحة وريحاً (لمن قبلهم). هذه (الأخذة الرابية) جامعة لصفة الشدة والعلو والزيادة.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن الكفر والمعصية يجمعان الناس على اختلاف أزمانهم وأجناسهم وألوانهم ولغاتهم. ففرعون مصري، ومن قبله عرب وعجم، والمؤتفكات في فلسطين أو سدوم، لكنهم اجتمعوا على (الخاطئة) وعلى عصيان الرسول، فتلقوا نفس العقاب وإن تنوع شكله. وهذا يبطل الفخر بالأنساب والأوطان إذا كان صاحبها على كفر.

المغزى الثاني: أن الباعث على الكفر ليس نقص الأدلة أو قلة المعجزات، بل هو مرض في النفوس: الخاطئة التي تأتي من تعمد الخطيئة وحبها. فالكفار في كل زمان يتلاقون على المشاعر الفاسدة: الكبر، حب الذات، اتباع الشهوة، وكراهية الحق.

المغزى الثالث: أن سنة الله في الأمم واحدة، والأخذة الرابية محصلة لكل من تمرّد وعصى. فمن ظن أنه بأمواله وجنوده وعلومه يستطيع أن يفلت من عذاب الله فهو واهم، ففرعون كان له ملك مصر وجنودها، فغرقه الله. وقوم لوط كانت لهم قوة الشهوة والانحراف، فقلب الله عليهم ديارهم.

المغزى الرابع: أن المشاعر لها أهمية كبرى في بناء العقيدة. فالأمة المسلمة لا ترتبط بالأوطان والأجناس، بل ترتبط بالمشاعر الإيمانية. والكفار يتلاقون بمشاعر الكفر، والمؤمنون يتلاقون بمشاعر الإيمان. وهذا يحرر المسلم من العصبية الجاهلية.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن الإيمان بالرسل جميعاً واجب، ومن كفر برسول واحد فقد كفر بالجميع، لأن الرسول في الجوهر واحد. فلفظ (رسول ربهم) مفرد ليوحد الدعوة.

الهدف العقدي الثاني: إثبات أن العقاب الإلهي ليس خاصاً بأمة دون أخرى، بل هو سنة ماضية في كل من جاهر بالمعصية وعاند الرسل.

الهدف النفسي: غرس النفور من المعصية والكفر، من خلال ربط القارئ نفسه بهؤلاء المجرمين. فإذا شعر الإنسان في نفسه بادعاء الكبر أو حب الذات أو اتباع الشهوة المحرمة، تذكر أن هذه مشاعر فرعون وقوم لوط، فينفر منها.

الهدف البياني: إظهار الإعجاز في اختيار لفظ (جاء) دون (أتى) للإشارة إلى القرب النفسي بين الكفار على اختلاف أزمانهم، وفي جمع نماذج متباعدة في جملة واحدة، وفي وصف فعلهم بـ (الخاطئة) وبصيغة المفرد، وفي وصف العقاب بـ (أخذاً رابية).

الهدف التربوي: تحذير الأمة من الانزلاق إلى مشاعر الكفار وأفعالهم، وتعليمها أن الميزان الحقيقي هو العمل الصالح لا الأنساب والأوطان، وأن التاريخ الإسلامي يمتد من آدم إلى آخر الزمان بالقرب النفسي لا بالزمان والمكان.

الهدف الدعوي: دعوة المشركين إلى النظر في هذه النماذج، وأنهم إن استمروا على تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، فسيلحقون بهؤلاء وإن اختلف الزمان، لأن سنة الله واحدة.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ}

.1دلالة لفظ) جاء (ولماذا لم يقل) أتى(:

في اللغة العربية، (جاء) تستعمل غالباً للقرب الزماني أو المكاني أو النفسي، بينما (أتى) قد تستعمل للبعد. هنا قال الله {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ} وليس (وأتى فرعون). وذلك لأن المعنى ليس مجرد إخبار عن حادثة قديمة، بل هو استحضار لهؤلاء في الزمن الحاضر، كأنهم يأتون أمام المشهد، وكأن القارئ يراهم ويرى فعلهم. أيضاً (جاء) تدل على القرب النفسي: فالكفار على اختلاف أزمانهم وأماكنهم، هم قريبون في صفاتهم وبواعثهم، كأنهم جاءوا معاً في مشهد واحد. فهذا اللفظ يحقق (تلاقي النفوس) بين فرعون ومن قبله والمؤتفكات، ويجعلهم كالجسم الواحد.

الرسالة النفسية: استخدام (جاء) يجعل القارئ يشعر أن هؤلاء ليسوا مجرد أسماء في التاريخ، بل هم حضور حاضر، وكأن أرواحهم الشريرة لا تزال قريبة، وكأن مشاعر الكبر والطغيان التي كانت فيهم تتنفس في كل من يشبههم. هذا يخلق يقظة نفسية: أن تخاف أن تكون مشاعرك قريبة من مشاعرهم.

الرسالة العقلية: العقل يتساءل: كيف يجتمع فرعون ومن قبله والمؤتفكات في (جاء) واحدة؟ لأن الزمن بينهم متباعد. لكن العقل يدرك أن المقصود ليس الزمان المادي، بل (القرب المعنوي) في صفة المجيء بالخاطئة. فهذا يوسع إدراك العقل أن المعاني الروحية والأخلاقية أقوى من الحواجز الزمانية والمكانية.

الرسالة التربوية: التربية على أن العبرة (بالقرب النفسي) وليس بالبعد الزماني. فلا تقل: "هؤلاء قوم قديمون، لا علاقة لنا بهم"، بل قل: "إن تشابهت مشاعري وأفعالي مع مشاعرهم وأفعالهم، فأنا قريب منهم وإن تباعد الزمان". والتطبيق العملي: عند تربية الأبناء، نقرأ لهم قصص فرعون وقوم لوط كأنهم يعيشون معنا الآن، ونسألهم: هل تشبهونهم في شيء؟.

الرسالة العملية: أن نجعل من (جاء) هذه أداة محاسبة ذاتية: كلما أتت إليّ مشاعر الكبر أو التكبر أو اتباع الشهوات، أتذكر أن فرعون وجاء بهذه المشاعر. فأقول لنفسي: "أنا الآن جئت مثلما جاءوا، فاحذر أن تكون عاقبتي مثل عاقبتهم".

.2دلالة ذكر) فرعون (ثم) من قبله (ثم) المؤتفكات(:

الترتيب هنا ليس زمنياً (فمن قبل فرعون أقدم من فرعون، والمؤتفكات – أي قوم لوط – كانوا قبل فرعون أيضاً). لكن بدأ بفرعون لأنه أقرب إلى أذهان السامعين من قريش (فمصر قريبة)، ولأن فرعون نموذج الطغيان والسلطان المطلق، وهو أقرب شبهاً بكفار قريش في الاعتزاز بالمال والجنود. ثم ذكر (من قبله) ليشمل كل الأمم السابقة التي كذبت، ثم ختم بـ (المؤتفكات) وهم قوم لوط لنبين أن الفساد الأخلاقي والشذوذ أيضاً من أسباب الهلاك.

وأيضاً: تقديم فرعون له حكمة: فرعون تمادى في الطغيان وكذب بموسى رغم الآيات، ثم جاء ذكر (من قبله) لبيان أن الكفر ليس بدعة جديدة، ثم (المؤتفكات) لبيان أن الكفر قد يقترن بفساد أخلاقي شديد كاللواط.

الرسالة النفسية: بدء الآية بفرعون يضرب وتر الخوف في النفوس من سلطان جائر متكبر. ثم تعميم (من قبله) يزيد الرهبة، ثم ختمها بالمؤتفكات يضيف بعداً آخر من الرهبة: فساد الفطرة. فهذا التدرج في ذكر النماذج يجعل النفس تخشى من كل أنواع الطغيان والفساد.

الرسالة العقلية: العقل يلاحظ أن الكفر ليس حكراً على أمة أو زمن، بل هو داء إنساني عام. فمن قبل فرعون ومن بعده ومن هم في زمنه، كلهم اجتمعوا على الكفر. فيدرك العقل أن التصديق بالرسل ليس

مسألة حضارة أو تقدم، بل مسألة اختيار قلب.

الرسالة التربوية: تعليم أن الفخر بالأنساب والأوطان لا قيمة له إذا كان صاحبها كافراً. ففرعون مصري، والمؤتفكات في فلسطين أو سدوم، ومن قبلهم في جزيرة العرب وفي بلاد أخرى، لكنهم اجتمعوا في صفة الكفر، فتساوت مصائرهم. فلا تقل: "أنا من قبيلة فلان، أو من بلد فلان"، بل انظر إلى عملك.

الرسالة العملية: أن نقارن بين أنفسنا وهذه النماذج. هل فينا كبر فرعون؟ هل فينا فساد قوم لوط؟ هل فينا جحود من قبلهم؟ فإن وجدنا شيئاً، تبنا منه.

.3دلالة لفظ) المؤتفكات(:

)المؤتفكات (جمع مؤتفكة، وهي القرى التي ائتفكت أي انقلبت وقلبت، وهم قوم لوط الذين جاءهم العذاب بقلب ديارهم فجعل عاليها سافلها .سماهم الله بالمؤتفكات نسبة إلى القرى المنقلبة، وليس بأسمائهم الشخصية، تحقيراً لهم وإشارة إلى أن العبرة بالعاقبة لا بالأسماء .وهم أهل القرى الخمس: سدوم وعمورة وصغر وأدمة وصبغيم.

الرسالة النفسية: تسميتهم (بالمؤتفكات) بدل (قوم لوط) تخلق شعوراً بالرعب من (الانقلاب). فالإنسان يخاف أن تنقلب حياته رأساً على عقب. وهذه التسمية تذكر بأن المعصية قد تؤدي إلى انقلاب الفطرة قبل انقلاب الديار.

الرسالة العقلية: العقل يتساءل: كيف تنقلب قرية بأكملها؟ القرآن يخبر أن الله قلبها رأساً على عقب، ف العقل يدرج هذا ضمن قدرة الله التي لا حدود لها.

الرسالة التربوية: تحذير من الانحراف الجنسي والشذوذ، وأن عاقبته انقلاب الديار والقلوب. وتربية النفس على الفطرة السليمة.

الرسالة العملية: أن نخاف من أن تكون قلوبنا (مؤتفكات) أي منقلبة عن الحق، ونكثر من دعاء (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).

.4دلالة قوله) بالخاطئة(:

)الخاطئة (صيغة مبالغة من الخطيئة، وهي الذنب العظيم المتعمد .وقد وصف الله فعل هؤلاء بأنهم)جاءوا بالخاطئة (وليس) جاءوا بخاطئة (أي أنهم جاءوا بالمعصية الكبرى التي هي الكفر والعصيان للرسل .ولفظ) الخاطئة (يحمل معنى الفاعلة، أي أنهم فعلوا الخطيئة باختيارهم وتعمدهم، وليس عن جهل أو إكراه .وهذا يدل على) القصد والإرادة (و)حب الفعل.(

دلالة إضافية: قال تعالى في نفس السورة في آية أخرى: {لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} (الحاقة: 37)، أي الذين تعمدوا الخطيئة واستمروا عليها. ف (الخاطئة) في الآية هي صفة ملازمة لهم، فهم (خاطئة) بذواتهم وليس مجرد فعل عابر.

الرسالة النفسية: تسمية فعلهم (بالخاطئة) تشعر القارئ بقبح الفعل وبشاعته، وأنه ليس خطأ عابراً، بل هو خطيئة متعمدة. وهذا يزرع في النفس نفوراً من التعمد في المعصية.

الرسالة العقلية: العقل يدرك أن العقاب نزل عليهم ليس بسبب الجهل، بل بسبب الإصرار على الخطيئة بعد معرفة الحق. فمن عرف الحق وخالفه، كان أشد استحقاقاً للعقاب.

الرسالة التربوية: التربية على أن المتعمد للخطيئة آثم أشد ممن يخطئ بغير قصد. فعلينا أن نراعي نوايانا. وتربية الأبناء على تحمل مسؤولية أفعالهم.

الرسالة العملية: أن نحاسب أنفسنا على كل فعل نعمله: هل هو باختيارنا وتعمدنا أم بغير قصد؟ فإن كان بتعمد، نخشى أن نكون من (الخاطئة) الذين استحقوا الأخذ الرابي.

.5دلالة جمع ثلاثة نماذج متباعدة في الجملة:

جمع الله في آية واحدة فرعون (مصر القديمة) ومن قبله (أمم متعددة من نوح وعاد وثمود وغيرهم) والمؤتفكات (قوم لوط في فلسطين) رغم تباعد أزمانهم (آلاف السنين) وأماكنهم (مصر،

الجزيرة العربية، الشام) وألسنتهم وألوانهم، وذلك لأن الباعث واحد والجريمة واحدة: (الخاطئة) وعصيان الرسول. وهذا إشارة إلى أن (القرب النفسي) و(تلاقي النفوس على المعصية) أهم من القرب الزماني والمكاني.

الرسالة النفسية: يشعر القارئ أن جبهة الكفر واحدة، وأن أرواح الكفار على اختلاف أزمانها تتلاقى في حب المعصية وكراهية الحق. فينفر من الانضمام إلى هذه الجبهة.

الرسالة العقلية: العقل يفهم أن سنة الله واحدة، وأنه لا عبرة باختلاف الأزمنة والأمكنة في تطبيق العدل الإلهي. ومن كفر في زمن فهو كمن كفر في زمن آخر.

الرسالة التربوية: التربية على أن الأمة المسلمة واحدة أيضاً وإن تباعدت ديارها، وأن مشاعر الإيمان تجمعهم. كما أن مشاعر الكفر تجمع أولئك. فلا ننظر لاختلاف الأجناس بل لاختلاف المشاعر.

الرسالة العملية: أن نختار رفاقنا ومجتمعنا على أساس المشاعر الإيمانية لا على أساس القبيلة أو الوطن. وأن نتجنب مشاعر الكفار وأفعالهم ولو كانوا أقاربنا.

ثانياً: دلالة قوله {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ}

.1دلالة لفظ) رسول (مفرداً:
مع أن ثمود أرسل إليهم صالح، وعاداً أرسل إليهم هود، وفرعون أرسل إليه موسى، والمؤتفكات أرسل إليهم لوطاً، إلا أن الله قال (رسول ربهم) مفرداً. وذلك للدلالة على أن الرسل جميعهم جاءوا برسالة واحدة هي التوحيد، وأن دعوتهم واحدة. فمن عصى رسولا ً واحداً فقد عصى جميع الرسل. وهذا يحقق (القرب النفسي) بين الرسل أيضاً، كما أن الكفار يتقاربون في العصيان.

الرسالة النفسية: يشعر القارئ بعظمة الجريمة: ليس مجرد عصيان بشر، بل عصيان (رسول ربهم). والإ ضافة إلى (ربهم) تزيد التهديد، لأنهم عصوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم. هذا يخلق رهبة من إضافة (رب) إلى (رسول).

الرسالة العقلية: العقل يدرك أن وحدة الرسالة توجب وحدة الإيمان بالجميع. فمن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر بالجميع. وهذا أصل من أصول العقيدة.

الرسالة التربوية: تعليم أن الاختلاف بين الأنبياء في الشرائع الفرعية لا يبرر التفرق، فالجوهر واحد. وكذلك الأمة المسلمة عليها أن تتوحد على جوهر الدين.

الرسالة العملية: أن نوقن أن كل من يدعو إلى التوحيد وطاعة الله فهو رسول في المعنى، وعلينا طاعته. كما أن من يعص الله ورسوله فقد دخل في زمرة (عصوا رسول ربهم).

.2دلالة إضافة) ربهم (إلى) رسول(:
لفظة (ربهم) تدل على المالك والمربي والخالق والمدبر. فكأن الآية تقول: هؤلاء عصوا رسول من هو ربهم وخالقهم ورازقهم الذي أوجدهم من عدم. فجريمتهم أعظم من أن يصفها وصف.

الرسالة النفسية: استحضار صفة (الربوبية) تزيد الشعور بالقبح، لأن المعصية صدرت في حق من له حق العبودية المطلقة. والنفس تشعر بالخزي والعار.

الرسالة العقلية: العقل يستنكر أن يعصي المخلوق خالقه الذي أوجده وأعطاه كل شيء. فهذا منافي للعقل السليم.

الرسالة التربوية: تربية النفس على استشعار نعمة الربوبية في كل وقت، وأن الطاعة واجبة شكراً لهذه النعم.

الرسالة العملية: أن نكثر من ذكر (ربي) و(ربنا) لترسيخ معنى الربوبية في قلوبنا، ونتذكر أن عصيان الله هو عصيان للرب الخالق الرازق.

ثالثاً: دلالة قوله {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً}

.1دلالة) أخذة(:

)الأخذة (هي المرة من الأخذ، أي أنه أخذهم أخذة واحدة لا أخذة بعدها .وتفيد السريع والمفاجئ والا ستئصال.

الرسالة النفسية: الإيقاع بالخذة المفاجئة يخلق رهبة من أن يأخذ الله العبد على غرة. فلا يشعر الإ نسان بالأمان.

الرسالة العقلية: العقل يتساءل: كيف أخذهم؟ بأي شكل؟ ولكن الصيغة عامة لتناسب كل أمة على حسب عذابها.

الرسالة التربوية: التربية على عدم الاغترار بالإمهال، فالأخذة قد تأتي فجأة.

الرسالة العملية: الاستعداد للموت في كل لحظة، وعدم التسويف.

.2دلالة) رابية(:
)رابية (من الربوة وهي الزيادة والعلو والشدة .والأخذة الرابية هي الأخذة الزائدة في الشدة على كل أخذة، العظيمة المرتفعة .وهي صيغة مبالغة من) ربا (إذا زاد وعلا .فهي عذاب عالٍ شديد زائد لا يقدر قدره.

الرسالة النفسية: كلمة (رابية) تخلق شعوراً بالرهبة من عذاب لا حد له، شديد جداً، زائد عن كل تصور. فهي تريع النفوس.

الرسالة العقلية: العقل يدرك أن الله قادر على أن يجعل الأخذة زائدة عن أي أخذة بشرية.

الرسالة التربوية: التخويف من عظمة بطش الله.

الرسالة العملية: السعي إلى النجاة من هذه الأخذة بالعمل الصالح.

.3إفراد) الأخذه (مع أن لكل أمة عذاباً مختلفاً:
مع أن فرعون أخذ بالغرق، والمؤتفكات بالقلب والخسف، ومن قبلهم بالصيحة أو الريح، إلا أن الله ق ال (أخذهم) بصيغة المفرد، لأنها أخذة واحدة من حيث الجوهر (هي عذاب الله وعقابه)، وإن اختلفت الصور. وهذا يؤكد وحدة السنة الإلهية.

الرسالة النفسية: عدم التفريق بين أنواع العذاب، فكلها مرعبة.

الرسالة العقلية: العقل يفهم أن العقاب واحد في مضمونه (القهر الإلهي).

الرسالة التربوية: لا نستهين بعذاب أحد، فالكل عذاب الله.

الرسالة العملية: أن نخاف من كل أنواع العقاب، لا من نوع واحد.

رابعاً: كيف نعيش تجربة فرعون ومن قبله والمؤتفكات كأننا منهم؟

لنصل إلى العلم المغروس بالقلب، علينا أن نعيش هذه التجربة بخطوات:

الخطوة الأولى: استحضار مشهد فرعون. نتخيل فرعون وهو يقول (أنا ربكم الأعلى)، وهو يبني الصرح ليطلع إلى إله موسى، وهو يغرق في اليم. نتخيل جنوده الغرقى وجثثهم تطفو على الماء. ثم نختبر مشاعرنا: هل فينا شيء من كبر فرعون؟ هل نظن أننا بسلطاننا ومالنا نستطيع أن نتحدى الله؟

الخطوة الثانية: استحضار المؤتفكات. نتخيل قرى لوط كيف انقلبت، والحجارة تمطر من السماء، والأ جساد تبتلعها الأرض. ثم نسأل أنفسنا: هل فينا شيء من الشذوذ والانحراف الأخلاقي؟ هل نرضى بـ الفواحش؟ هل نتبع الشهوات المحرمة؟

الخطوة الثالثة: إدراك أن (الخاطئة) تشمل كل معصية متعمدة. ليس شرطاً أن تكون معصيتنا بقتل الأ نبياء أو اللواط، بل أي معصية نتعمدها ونصر عليها هي (خاطئة) قد تلحقنا بهؤلاء.

الخطوة الرابعة: استشعار أن (الأخذة الرابية) قد تأتينا في أي لحظة. فلا نؤجل التوبة.

الخطوة الخامسة: تحويل المشاعر إلى قرارات. نقرر أن نتخلى عن كل كبر، وكل فساد، وكل تعمد للمعصية. ونتوب إلى الله توبة نصوحاً.

الأمر الثاني: الأبعاد البيانية والتربوية وكيفية تحويل الدلالات إلى قوة محركة للسلوك

أولا ً: البعد البياني في قوله (جاء) بدل (أتى):

)جاء (تفيد القرب الحسي أو المعنوي .باختيار) جاء (جعل الله هؤلاء الكفار كأنهم أمام أعيننا الآن، وكأنهم يأتون إلينا في زمننا هذا بخطيئتهم .وهذا البعد البياني يخلق إحساساً بالمعاصرة، فيتحول القارئ من مستمع لقصة قديمة إلى شاهد على حدث حاضر .والتطبيق العملي: أن نتعامل مع كل من يتكبر أو يفسد في الأرض كأنه) فرعون (حاضر، فنحذره ونتعظ.

ثانياً: البعد البياني في جمع فرعون ومن قبله والمؤتفكات في جملة واحدة:

هذا الجمع يلغي فروق الزمان والمكان، ويؤكد أن الباعث واحد والنتيجة واحدة. والجمال البياني في أن هذه النماذج الثلاثة تمثل أصول الكفر والطغيان: فرعون: كفر بالسلطان والجبروت. من قبله: كفر بـ التكذيب العام. المؤتفكات: كفر بالفساد الأخلاقي. فجمعها يغطي كل أنواع الكفر. والتحويل إلى سلوك: أن يدرك المسلم أن أي نوع من هذه الأنواع إذا وجد فيه، فهو مشترك معهم.

ثالثاً: البعد البياني في وصف الخطيئة بـ (الخاطئة) مؤنثة مفردة:

التأنيث والإفراد هنا يفيد التعظيم والشمول. فليست خطيئة واحدة، بل هي جنس الخطيئة. والخاطئة صفة لازمة. وهذا يحرك السلوك إلى اجتناب (جنس المعصية) لا مجرد نوع معين.

رابعاً: البعد البياني في (رسول ربهم) مضافاً إلى (ربهم):

الإضافة تفيد الاختصاص، أي أنهم عصوا رسول ربهم الذي خلقهم وتولى أمورهم. فجرت عليهم الأ خذة. وهذا يحول بين المسلم وبين المعصية، لأنه يستحضر ربوبية الله عليه.

خامساً: البعد البياني في (أخذاً رابية) بالنكرة:

النكرة تفيد التعظيم والتهويل، أي أخذاً لا يعلم شدتها إلا الله. والتحويل إلى سلوك: أن يخاف المؤمن من هذه الأخذة المجهولة الشدة، فيعمل ليوقي نفسه منها.

آلية تحويل هذه الدلالات إلى قوة محركة للسلوك:

.1تمرين التخيل الجماعي: اجلس في مجلس ذكر، واقرأ الآية، ثم اطلب من الحاضرين أن يتخيلوا أنهم يرون فرعون وجنوده يغرقون، ويرون قرى لوط منقلبة، ويسألوا أنفسهم: هل نحن مثلهم بشيء؟
.2تطبيق) جاء (في حياتك: كلما رأيت متكبراً، قل:) هذا فرعون جاء بالخاطئة .(كلما رأيت فاسقاً، قل:)هذا من المؤتفكات جاء بالخاطئة .(هذا يذكرك ويردعك أن تكون مثلهم.
.3ربط المعصية بـ) الخاطئة(: أي معصية تهم بها، سمها في نفسك) خاطئة (وتذكر أنها جنس الخطيئة التي جاء بها أولئك فأهلكوا.
.4تذكير النفس بـ) الأخذة الرابية(: اكتب هذه العبارة على بطاقة وضعها في مكان ظاهر:) الأخذة الرابية .(كلما أردت معصية، انظر إليها وتذكر أن الله قد يأخذك أخذة رابية في أي لحظة.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيتين وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني:

هاتان الآيتان ترسمان لوحة متحركة تجمع ثلاثة مشاهد في لقطة واحدة.

المشهد الأول: مشهد المجيء بالخاطئة. {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتفِكاتُ بِالخَاطِئَةِ}. كأن الكاميرا تلتقط موكباً طويلا ً من الكفار قادمين من أزمان مختلفة، جنسهم مختلف، لغاتهم مختلفة، لكنهم

يحملون شيئاً واحداً هو (الخاطئة). كل واحد منهم يحمل جريرة خطيئته على كتفه، وتعبيرات وجوههم تعكس الكبر والعناد. فرعون في المقدمة بتاجه وصولجانه، ومن قبله خلفه بأشكال متعددة، ثم المؤتفكات بملابسهم المنحرفة. والمشهد كله يتحرك نحو الهاوية.

المشهد الثاني: مشهد العصيان. {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ}. ترتفع أيادي السامعين، تتجه نحو السموات، ثم تنحرف بعيداً عن الرسول. الرسول (بمفهومه الموحد) يقف في مواجهتهم يمد يده بالحق، لكنهم يديرون وجوههم ويتكبرون.

المشهد الثالث: مشهد الأخذة الرابية. {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً}. فجأة، تظهر يد القدر من السماء، أو تغمرهم المياه (لفرعون)، أو تنقلب بهم الأرض (للمؤتفكات)، أو تهب عليهم ريح أو صيحة (لمن قبلهم). الأخذة شديدة، تقبض عليهم قبضة واحدة، فتصير أجسادهم هامدة، وأصواتهم صامتة، ويرفع الستار على مشهد الهلاك.

ثانياً: أغراض هذا التصوير:

.1تصوير وحدة الجبهة الكافرة: جعلهم في) جاء (واحدة وفي) عصوا (واحد وفي) أخذ (واحد، يوحي بأن الكفر كتلة واحدة، مهما تنوعت أشكاله.
.2تصوير استحقاق العقاب: أنهم لم يهلكوا ظلماً، بل) جاءوا بالخاطئة (ثم) عصوا (ثم) أخذوا .(ف الترتيب يصور العدل.
.3إظهار قدرة الله الجامعة: فهو يأخذ فرعون في الماء، ويأخذ المؤتفكات في الأرض، ويأخذ من قبلهم في الهواء) الصيحة .(فكل عناصر الكون مسخرة لعذابه.
.4تحقير شأن المجرمين: بتقديمهم في مشهد واحد مهين، وبوصف فعلهم بـ) الخاطئة (وبوصف عقابهم بـ) أخذاً رابية(، فهم بين خطيئة وعقاب عظيم.
.5إثارة الرهبة في قلوب المخاطبين: من خلال هذه الصور المتعددة، يخاف السامع من أن يكون مثلهم.

الأمر الرابع: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (جاء) تعني أن الكفر حاضر في كل زمان، والمسلم عليه ألا يشبههم

استشعر أن فرعون ومن قبله والمؤتفكات لم يذهبوا إلى غير رجعة، بل هم حاضرون في كل من تشبه بهم في صفاتهم. فكل متكبر هو فرعون روحاً، وكل فاسد هو من المؤتفكات قلباً. الاستفادة: حاسب نفسك كل يوم: هل أنا اليوم جئت بالخاطئة كفرعون؟ هل عصيت رسول ربي؟ احذر أن تكون الأخذة الرابية لك.

الخاطرة الثانية: (الخاطئة) هي التعمد والإصرار، وليست الخطأ العرضي

استشعر أن هؤلاء عوقبوا ليس لأنهم أخطأوا فقط، بل لأنهم تعمدوا الخطيئة وأصروا عليها. الاستفادة: إذا أخطأت خطأً عارضاً فتب بسرعة، ولا تصر. أما إذا تعمدت المعصية فخف عذاب الله.

الخاطرة الثالثة: (رسول ربهم) مفرد، فمن عصى رسولا ً واحداً فقد عصى الجميع

استشعر أن كل الأنبياء رسالة واحدة، ومن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كذب بموسى وعيسى ولوط وهود وصالح. الاستفادة: أيها المسلم، لا تفرق بين الرسل، وآمن بهم جميعاً. واحذر من تكذيب أي نبي.

الخاطرة الرابعة: (الأخذه الرابية) قد تأتي فجأة، لا تظن أنك بأمان

استشعر أن فرعون كان في قصر، والمؤتفكات في قصورهم، فجاءتهم الأخذة وهم غافلون. الاستفادة: لا تغتر بطول الأمد، وتب الآن قبل أن تأخذك الأخذة الرابية.

الخاطرة الخامسة: تلاقي نفوس الكفار عبر الزمن يدعونا إلى تلاقي نفوس المؤمنين

إذا كان الكفار يتلاقون على الكفر رغم تباعد أزمانهم، فالمؤمنون أولى بأن يتلاقوا على الإيمان. الا

استفادة: اجعل مشاعرك متلاقية مع مشاعر الأنبياء والمؤمنين في كل زمان، بالتمسك بالحق.

ثالثاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية وحدة الجريمة ووحدة العقاب رغم تنوع المجرمين وأزمانهم وأماكنهم.
.2قضية أن العصيان ليس مجرد فعل، بل يتضمن) المجيء بالخاطئة (أي القصد والتعمد.
.3قضية أن الرسل جميعهم رسول واحد في الحقيقة، ومن عصى واحداً فقد عصى الجميع.
.4قضية أن أسباب الهلاك قد تتنوع) غرق، خسف، صيحة، ريح (لكنها كلها) أخذه رابية (من الله.
.5قضية التحذير من الكبر) فرعون(، ومن فساد الأخلاق) المؤتفكات(، ومن الكفر العام) من قبله.(
.6قضية أن المشاعر النفسية) حب المعصية والإصرار (هي التي تلحق الإنسان بجماعة الكفار عبر الزمان.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن نقرأ الآية ونتخيل أننا وقوف أمام مشهد (مجيء) فرعون ومن قبله والمؤتفكات، ونحن نرى خطاياهم وأعذابهم. ثم نسأل أنفسنا: هل نحن شركاؤهم في (الخاطئة) و (العصيان) ولو بدرجات أقل؟

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في النفس: نطهر قلوبنا من الكبر والغرور) شبه فرعون(، ونطهرها من الشهوات المحرمة) شبه المؤتفكات.(
· في المجتمع: ننهى عن الفساد ونحارب كل من يتشبه بفرعون في طغيانه أو بقوم لوط في فجورهم.
· في الدعوة: نذكر الناس بأن سنة الله واحدة، وأن المصير واحد لمن سلك سبيلهم.
· في السياسة: لا نغتر بقوة الدول الطاغية، فإن الله آخذهم أخذة رابية.
· في الإعلام: نصنع أفلاماً وثائقية قصيرة تحاكي مشهد) جاء (وتصور هؤلاء المجرمين.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغير النظرة إلى التاريخ: التاريخ ليس مجرد ماضٍ منفصل، بل هو حاضر متصل عبر المشاعر . فمشاعر الكبر والفساد تعيد إنتاج فرعون وقوم لوط في كل عصر.
.2تغير النظرة إلى الأنساب والأوطان: أن نفتخر بأننا من نسب أو وطن معين لا قيمة له إذا كنا نعصي الله، ففرعون مصري عريق، وأهل سدوم من كنعان، لكنهم هلكوا.
.3تغير النظرة إلى السلطان والقوة: السلطان والمال والجنود لا يحمون من الأخذة الرابية، كما لم يحموا فرعون.
.4تغير النظرة إلى المعصية: المعصية ليست مجرد فعل فردي عابر، بل هي) جاء بالخاطئة (تنضم إلى قطار المجرمين عبر الزمن.
.5تغير النظرة إلى الرسل: أنهم كلهم رسول واحد، فاتباعهم واجب جماعي.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الكفر والمعصية يجمعان الناس على اختلاف أزمانهم. التطبيق: لا تقل هؤلاء قوم قديمون لا علاقة لنا بهم، بل انظر إلى أفعالك، فإن شابهتهم فأنت منهم.

الدرس الثاني: (الخاطئة) هي الخطيئة المتعمدة، وليست الخطأ غير المقصود. التطبيق: لا تتمادى في المعصية، فكل إصرار يجعلك من (الخاطئة).

الدرس الثالث: عصيان الرسول هو عصيان للرب. التطبيق: أطع الله ورسوله، ولا تظن أن المعصية تضر الله، إنما تضرك أنت.

الدرس الرابع: الأخذة الرابية تأتي فجأة ومن حيث لا تحتسب. التطبيق: لا تؤجل التوبة، وتب قبل أن

تؤخذ.

الدرس الخامس: القرب النفسي أهم من القرب الجسدي. التطبيق: اختار أصدقاءك ومجتمعك ممن يتقاربون معك في الإيمان، لا في النسب والوطن.

الدرس السادس: الحضارات تهلك عندما تطغى وتفسد. التطبيق: احرص على إصلاح مجتمعك أخلاقياً، لا تكتف بالقوة المادية.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية:

· مهارة الربط بين الأحداث التاريخية رغم تباعدها، لاكتشاف السنن الإلهية.
· مهارة تحليل دلالات الأفعال) جاء، أتى (ومعرفة الفروق الدقيقة بينهما.
· مهارة التمييز بين الخطيئة العارضة والخطيئة المتعمدة) الخاطئة.(
· مهارة استنتاج وحدة الرسالة من وحدة لفظ) رسول.(

المهارات الحياتية:

· مهارة البعد عن الكبر والطغيان) علاج صفة فرعون.(
· مهارة البعد عن الفواحش والانحراف) علاج صفة قوم لوط.(
· مهارة الاعتبار بقصص السابقين في بناء السلوك.
· مهارة تلاقي المشاعر الإيجابية مع المؤمنين عبر الزمن.

المهارات العملية:

· مهارة كتابة قائمة بأخلاق فرعون وقوم لوط ومقارنتها بأخلاقنا.
· مهارة إقامة مجالس للذكر والتذكير بقصة هؤلاء.
· مهارة تصميم دعوات توعوية تحاكي) جاء (وتصور عاقبة المجرمين.

الأمر السادس: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات:

.1لا تفتخر بقوتك المادية، ففرعون كان أقوى منك وأهلك.
.2احذر من الانحراف الأخلاقي، فقوم لوط كانوا في مجتمع متحضر وأهلكهم الله.
.3تعلم أن الكفر ليس حكراً على أمة، بل هو داء نفسي يظهر في كل زمان.
.4وحِّد مشاعرك مع المؤمنين في كل زمان، ولا تفرقك الحواجز المادية.
.5كل معصية متعمدة هي) خاطئة (قد تلحقك بهؤلاء، فاجتنبها.
.6أطع الرسول في كل أمر، وإلا فأنت معرض للأخذة الرابية.

دورها في تطوير الحياة:

· تطوير الوعي الجماعي بأن الأمة الإسلامية وحدة واحدة مشاعرها وأهدافها، مما يقي من العصبيات الجاهلية.
· تطوير النزعة الإصلاحية من خلال تحذير الناس من صفات فرعون وقوم لوط.
· تطوير ثقافة الاعتبار بالتاريخ، بدلا ً من الانبهار بالقوة المادية المؤقتة.
· تطوير الاستعداد الدائم للتوبة والرجوع إلى الله.

الأمر السابع: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الحضارات العظيمة تزول إذا ما طغت وكفرت.
.2أن الأنساب لا تنفع إذا كان صاحبها عاصياً.
.3أن الرسل صف واحد، والإيمان بهم واجب جماعي.

.4أن الأخذة الرابية قدر مشترك لكل من عصى وتكبر.
.5أننا مطالبون بأن نكون أمة واحدة، كما أن الكفار أمة واحدة في المعصية.
.6أن التاريخ يعيد نفسه، فيجب أن نتعلم من أخطاء الماضين.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد التاريخي: الآية تربط بين أحداث تاريخية متباعدة) فرعون في مصر القديمة، المؤتفكات في سدوم وعمورة، ومن قبله من عاد وثمود ونوح(، فتخلق رؤية تاريخية كلية تقوم على) وحدة المصير (و)وحدة السنن.(
.2البعد النفسي: الآية تعالج الأمراض النفسية المسببة للكفر: الكبر) فرعون(، الفساد الشهواني)المؤتفكات(، والعناد المطلق) من قبله .(كما تغرس مشاعر النفور من هذه الأمراض، وتدفع إلى التطهر منها.
.3البعد العقدي: تثبت وحدة الرسالة ووحدة الإيمان بجميع الرسل، وأن من كفر بأحدهم فقد كفر بـ الجميع) كما أنهم عصوا ربهم مفرداً .(وتثبت سنن الله في العقاب.
.4البعد البياني: في اختيار) جاء (دون) أتى(، وفي الإفراد والجمع، وفي) الخاطئة (و)الأخذه الرابية(، كلها دلالات بيانية عالية.
.5البعد التربوي: تعليم الأمة أن الاعتبار يكون بالصفات والأفعال وليس بالزمان والمكان، وأن المشاعر الإيمانية هي جامعة الأمة، وأن مشاعر الكفر هي جامعة أعدائها.
.6البعد الاجتماعي: تصحيح معايير الانتماء: لا انتماء لأمة بغير مشاعر الإيمان، ولا انتماء لقبيلة بغير طاعة الله.
.7البعد الحضاري: تحذير الحضارات من الانهيار إذا فسدت أخلاقها وطغى أهلها.

الآفاق:

.1أفق الوحدة الإسلامية: إذا كان الكفار متلاقين على الكفر عبر الزمان والمكان، فالمسلمون أحق بالتـ لاقي على الإيمان .تفتح الآية باب الوحدة الإسلامية على مصراعيه.
.2أفق الاجتهاد التاريخي: يمكن للمسلم أن يقرأ تاريخ الأمم السابقة كمادة للعبرة، ويستخرج السنن التي تنطبق على واقعه.
.3أفق محاربة التغريب والتشبه بالكفار: الآية تدعو إلى مقارعة كل من يشبه فرعون أو قوم لوط في صفاته، وأن هذا التشبه هو عين الخطر.
.4أفق التنمية الأخلاقية: إن بناء الحضارة الصحيحة يبدأ من تطهير النفوس من صفات فرعون وقوم لوط، ثم البناء المادي.
.5أفق فهم النصوص الشرعية: الآية تعلمنا كيف نقرأ النص القرآني: ننظر إلى الجوامع) الخاطئة، الرسول، الأخذة (لا إلى الفروق الجزئية.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة التوحيد العقلي: إدراك أن الرسول واحد في الجوهر، وأن الله رب واحد.
.2قيمة الخوف من الله: بسبب الأخذة الرابية.
.3قيمة النفور من المعصية المتعمدة: بسبب) الخاطئة.(
.4قيمة البعد عن الكبر: نقيض صفة فرعون.
.5قيمة العفة والبعد عن الفواحش: نقيض صفة قوم لوط.
.6قيمة الاعتبار بالتاريخ: استخلاص العبر من الأمم السابقة.
.7قيمة الأخوة الإيمانية: لأن المؤمنين يتلاقون على الطاعة كما تلاقى الكفار على المعصية.
.8قيمة المسؤولية الفردية والجماعية: لأن) جاء فرعون ومن قبله (يدل على أن الجماعة كلها تشارك في الخطيئة فتهلك.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (المجيء بالخاطئة): ليس الكفر فقط، بل كل معصية يتعمدها الإنسان ويصر عليها، ويأتي بها

كأنها حمل يحمله. في حياتنا العملية، علينا أن ننظر إلى كل ذنب نتعمده على أنه (خاطئة) نأتي بها ندمجها في سجلنا السيئ.

مفهوم (من قبله): شمول كل الأمم السابقة حتى لا يظن إنسان أنه أفضل من غيره. في حياتنا، يعني أن لا نغتر بأننا من أمة الإسلام، فالأمم السابقة كانت كثيرة وهدموا.

مفهوم (المؤتفكات): الانقلاب والفساد الشامل. في حياتنا، كل مجتمع ينقلب عن الفطرة وينحرف أخلا قياً هو في طريق (الائتفاك).

مفهوم (رسول ربهم): الوحدة النبوية. في حياتنا، يعني أن نؤمن بجميع الأنبياء، ونحبهم، ونقدس رسالتهم.

مفهوم (الأخذه الرابية): العقاب الشديد المفاجئ. في حياتنا، يجب أن نكون في حالة ترقب دائمة، لا نأمن العقاب.

مفهوم (القرب النفسي): وحدة المشاعر عبر الزمان والمكان. في حياتنا، يعني أن نختار أصدقاءنا ومجتمعنا على أساس تشابه المشاعر الإيمانية.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) تلاقي النفوس(: النفوس البشرية تتلاقى ليس بالأجساد، بل بالمشاعر والبواعث .نفوس الكفار تتلاقى على الكبر والشهوة والعناد.
.2مفهوم) الخاطئة كمرض نفسي(: الخطيئة المتعمدة ليست مجرد فعل، بل هي حالة نفسية من الإ صرار وحب الفعل، وهذا يحتاج إلى علاج بالتوبة.
.3مفهوم) كسر الكبر(: الآية تحطم كبر الإنسان بأن تربطه بفرعون، فتنزع عنه الشعور بأنه أفضل.
.4مفهوم) الخوف من المفاجأة(: الأخذة الرابية تحافظ على حالة من القلق الإيجابي) أن لا يأمن مكر الله.(

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) سنن التاريخ(: التاريخ ليس فوضوي، بل يخضع لسنن إلهية ثابتة، منها إهلاك المكذبين.
.2مفهوم) نسبية الفخر بالزمان والمكان(: الفخر بقدم النسب أو عراقة المكان لا قيمة له إذا كان صاحبه فاسداً.
.3مفهوم) واقعية العقاب(: العقاب ليس أسطورة، بل حدث تاريخي وقع ويقع.
.4مفهوم) الرؤية المركبة للتاريخ(: الجمع بين فرعون ومن قبله والمؤتفكات يعطي رؤية مركبة، تجمع ما يبدو متفرقاً.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالجمع(: تجميع نماذج متعددة من الشر لتربية المتلقي على النفور من الشر بكل أنواعه.
.2مفهوم) التربية بضرب الأمثلة التاريخية(: استخدام الأمثلة الواقعية من التاريخ بدل النظريات المجردة.
.3مفهوم) تعليم وحدة الأمة(: تعليم الطفل أن الأمة الإسلامية واحدة، وأن الوحدة ليست في الزمان والمكان بل في المشاعر والعقيدة.
.4مفهوم) تعليم الخطأ المتعمد(: التفريق بين الخطأ العارض والخطأ المتعمد، وبيان خطورة الثاني.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء العقيدة: على أساس الإيمان بجميع الرسل، والخوف من الأخذة الرابية.
.2بناء الأخلاق: على التخلي عن الكبر) فرعون (والفساد) قوم لوط (والإصرار على المعصية)الخاطئة.(
.3بناء المجتمع: على الأخوة الإيمانية التي تتخطى الحدود الزمانية والمكانية، فالمسلم أخو المسلم ولو كان في عصر آخر.

.4بناء التاريخ: على قراءة التاريخ قراءة هادفة تستخرج السنن، لا على قراءة الأنساب والأمجاد المجردة.
.5بناء الشخصية: شخصية متواضعة لا تكبر، عفيفة لا تنحرف، تخشى الله في السر والعلن، وتتوب من ذنوبها ولا تصر عليها.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية الوعي الأخلاقي: أن أي تنمية مادية بدون إصلاح أخلاقي مصيرها الزوال كما زالت مدائن فرعون وقوم لوط.
.2تنمية روح الوحدة: أن تكون الأمة الإسلامية يداً واحدة، كما كانت كلمة الكفر واحدة.
.3تنمية ثقافة الاعتبار: جعل الماضي حاضراً في التخطيط للمستقبل، وتجنب أخطاء السابقين.
.4تنمية التواضع في القيادة: تحذير القادة من صفات فرعون من كبر واستبداد، والتأكيد على أن القوة المالية والعسكرية لا تمنع العقاب.
.5تنمية الأسر والمجتمعات على العفة: من خلال ذكر عاقبة قوم لوط.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة في الحياة و الحضارة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآية تتسم بـ:

· التواضع: لأنها تعرف عاقبة فرعون المتكبر.
· العفة: لأنها تعرف عاقبة قوم لوط.
· اليقظة: لأنها تخاف الأخذة الرابية.
· الوحدة: لأنها تشعر أنها جزء من أمة واحدة ممتدة عبر الزمن.
· الحرص على التوبة: لأنها تعرف أن الإصرار على المعصية هو) الخاطئة.(

صناعة التطور والنهضة:

أي نهضة حقيقية تقوم على أسس أخلاقية. الآية تقدم لنا النموذج السلبي: فرعون (قوة مادية بدون أخلاق) أدى إلى هلاكه. وقوم لوط (انحراف أخلاقي) أدى إلى هلاكه. فالنهضة المطلوبة هي التي تمزج بين القوة المادية (كقوة عاد وفرعون) والأخلاق الفاضلة (نقيض صفاتهم). كما أن النهضة الحقيقية تحتاج إلى (تلاقي النفوس) على الإيمان والتعاون، كما تلاقت نفوس الكفار على الكفر. فإن اجتمع المسلمون على المشاعر الإيمانية، واجتنبوا مشاعر الكبر والفساد، وأطاعوا رسول ربهم، وأخذوا العبرة ممن قبلهم، فإن الله سيمكنهم في الأرض، ولن يأخذهم أخذة رابية، بل سيجعل لهم باقية حسنة.

خامساً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى تطهير قلوبنا من الكبر والطغيان) صفات فرعون.(
.2تدعونا إلى تطهير مجتمعاتنا من الفواحش والانحرافات) صفات قوم لوط.(
.3تدعونا إلى التوبة الفورية من الإصرار على المعاصي) الخاطئة.(
.4تدعونا إلى طاعة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وطاعة كل رسول من حيث الجوهر.
.5تدعونا إلى العبرة بقصص السابقين، وعدم الاغترار بالقوة المادية أو الأنساب.
.6تدعونا إلى الوحدة الإسلامية، فكما اجتمع الكفار على الكبر والفساد فلننجتمع على الإيمان والتقوى.
.7تدعونا إلى استشعار خطر) الأخذة الرابية (التي قد تأخذنا في أي لحظة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة المجيء بالخاطئة

التدبر: تخيل أنك واقف أمام الله، معك صحيفة أعمالك، وفيها (الخاطئة) التي جئت بها. هل هي كفر ؟ أم كبيرة؟ أم صغيرة أصررت عليها؟

الأسئلة العملية:

· ما هي أكبر) خاطئة (في حياتي الآن؟ هل هي الكبر كما لفرعون؟ أم الفساد الأخلاقي كما لقوم لوط ؟ أم العناد كما لمن قبلهم؟
· هل أتيت بهذه الخاطئة بتعمد وإصرار؟ أم كانت خطأ ثم تبعت؟
· كيف أتخلص من هذه الخاطئة اليوم؟

التطبيق: اكتب قائمة بأكبر ثلاث خطايا متعمدة في حياتك، وضع خطة للتوبة منها فوراً.

الوقفة الثانية: وقفة عصيان رسول ربهم

التدبر: كل معصية هي عصيان للرسول، لأنه بلغ الأمر. وأنت حين تعصي، فكأنك تقف في مواجهة (رسول ربهم).

الأسئلة العملية:

· ما هي أوامر الرسول التي أعصيها في حياتي اليومية) في الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الأخلاق، المعاملات(؟
· لماذا أعصيه مع أني أؤمن بأنه رسول رب العالمين؟
· كيف أجعل طاعته دائمة؟

التطبيق: اختر أمراً واحداً من أوامر الرسول كنت مقصراً فيه، واجعل له ورداً يومياً حتى تلتزم.

الوقفة الثالثة: وقفة الأخذة الرابية

التدبر: لو أخذك الله الآن أخذة رابية، هل ستكون مستعداً؟ هل تظن أن مالك أو جاهك أو قوتك ستحميك؟

الأسئلة العملية:

· ما هي) الأخذة الرابية (التي أخافها في حياتي اليوم؟) موت مفاجئ، مرض عضال، فضيحة، خسارة مدوية(
· ماذا سأفعل لو حدثت الآن؟ هل توبتي جاهزة؟
· كيف أستعد لتجنبها؟

التطبيق: خصص 5 دقائق كل يوم تتخيل فيها أن الأخذة الرابية قد حلت بك، ثم فكر فيما يمكنك تحسينه.

الوقفة الرابعة: وقفة الجمع بين النماذج

التدبر: لماذا جمع الله فرعون ومن قبله والمؤتفكات في جملة واحدة؟

الأسئلة العملية:

· هل تشعر أن هؤلاء مختلفون عنك؟ أنت تعيش في القرن الخامس عشر الهجري، وهم قبل آلاف السنين .لكن الآية جمعتهم، فلماذا؟
· هل توجد في نفسي صفات فرعون) كبر، ادعاء الألوهية، طغيان (ولو بنسبة صغيرة؟
· هل توجد في مجتمعي صفات قوم لوط) فواحش، انحراف (ولو كانت خفية؟
· ماذا أفعل لأكون متعاوناً مع المؤمنين في كل زمان، كما تعاون هؤلاء الكفار عبر الزمان؟

التطبيق: انظر إلى الأخطاء الأخلاقية في مجتمعك، وساهم في إصلاحها بمقدار استطاعتك.

الوقفة الخامسة: وقفة المشاعر والبواعث

التدبر: الآية تشير إلى أن (جاء) تعني القرب النفسي. الكفار تقاربت مشاعرهم على الكفر. فكيف بمشاعري أنا؟

الأسئلة العملية:

· هل مشاعري أقرب إلى مشاعر المؤمنين الصالحين أم إلى مشاعر فرعون وقوم لوط؟) قارن: حب التواضع أم حب الكبر؟ حب العفة أم حب الشهوات؟(
· كيف أبني) قرباً نفسياً (مع النبي والمؤمنين عبر الزمان؟
· كيف أقطع) القرب النفسي (مع الكفار وإن كانوا في نفس بلدي؟

التطبيق: اختر قدوة من المؤمنين الأوائل (كأبي بكر وعمر) وحاول أن تقلد مشاعرك مشاعرهم.

رسالة الختام

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيتين الكريمتين {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} أن الكفر ليس مجرد فكرة، بل هو حالة نفسية وروحية تتمثل في (المجيء بالخاطئة) عن تعمد وإصرار، وفي (عصيان الرسول) رغم قيام الحجة، وأن العاقبة واحدة وهي (الأخذه الرابية) وإن تنوعت صورها.

وتعلمنا أن الكفار عبر العصور، رغم اختلاف أزمانهم وأماكنهم وألوانهم وألسنتهم، يتلاقون على مشاعر الكبر والفساد والعناد، وكأنهم جيش واحد عابر للزمن. وفي المقابل، فإن المؤمنين مدعوون إلى أن يتلاقوا على مشاعر التواضع والتقوى والإيمان، وأن يكونوا أمة واحدة، تسير على منهج الأنبياء، وتستفيد من تاريخ السابقين، وتتجنب أخطاءهم.

وتعلمنا أن الاعتزاز بالمال والسلطان (كسنة فرعون) وبالأنساب والحضارات (كعاد) وبالقوة المادية المجردة (كثمود) لن يقي من عذاب الله شيئاً، وأن العبرة هي بالقرب النفسي من الحق والبعد عن المعاصي المتعمدة.

فلنحاسب أنفسنا كل يوم: هل (جئنا) كما جاء أولئك بالخاطئة؟ هل عصينا رسول ربنا في خلواتنا وعلانيتنا؟ فإن كان الأمر كذلك، فلنبادر إلى التوبة قبل أن تأخذنا (الأخذه الرابية). ولنعمل على أن تكون مشاعرنا متلاقية مع مشاعر الأنبياء والمؤمنين الصالحين، ونتحد عبر الزمان والمكان على كلمة التوحيد والتمسك بالشريعة.

اللهم إنا نعوذ بك من الكبر الذي كان في فرعون، والفساد الذي كان في قوم لوط، والعناد الذي كان في من قبلهم. اللهم طهر قلوبنا من (الخاطئة)، واجعلنا من المطيعين لرسولك، واعصمنا من الأخذة الرابية، واجمعنا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في جنات النعيم.

القسم الرابع

هذا تفسير تفصيلي للآيتين الكريمتين (11-12) من سورة الحاقة:
{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}

أولاً: المقدمة التمهيدية

1.ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (1-10) كانت في صدد التهويل من يوم القيامة (الحاقة، القارعة)، ثم ذكر نماذج من الأمم المكذبة التي حلت بها نقمة الله: ثمود بالطاغية، وعاد بالريح الصرصر العاتية، وفرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة، فأخذهم الله أخذة رابية. بعد هذا السرد المرعب لمصائر المكذبين، يأتي التحول فجأة إلى الحديث عن نعمة عظيمة من نعم الله على البشرية جمعاء: نجاة المؤمنين مع نوح في السفينة عند طغيان الماء. هذا التحول له حكمتان عظيمتان: الأولى، أن الله لا يذكر النقم إلا ويذكر معها النعم لئلا يقنط العبد، وليجمع بين الخوف والرجاء. والثانية، أن نجاة المؤمنين من الطوفان هي سبب وجود البشرية بعدهم، ففي هذه النعمة امتنان على كل إنسان حي، مؤمنه وكافره، لأن السفينة حملت الأصول التي تناسلت منها البشرية كلها. فالربط هنا: بعد أن رأيت هلاك الكفار، انظر إلى نعمة الله على المؤمنين، واعلم أنك إن شكرت نجوت، وإن كفرت هلكت.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هاتان الآيتان في فكرة مركزية هي: امتنان الله على البشرية بنجاة المؤمنين في سفينة نوح، وجعل هذه الحادثة تذكرة وعبرة لأولي الألباب. وتتفرع إلى مراحل:

الفكرة الأولى: الإخبار بحادثة طغيان الماء وحمل المؤمنين في السفينة {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}. (إنا) للدلالة على أن الفاعل هو الله وحده، (لما) للدلالة على وقت حدوث الطغيان، (طغى الماء) أي ارتفع وتجاوز حدوده الطبيعية حتى غمر الأرض كلها، (حملناكم) خطاب للبشرية جمعاء لأنهم ينحدرون من نسل من ركب السفينة، (في الجارية) أي السفينة الجارية على وجه الماء.

الفكرة الثانية: بيان الغرض من جعل هذه الحادثة تذكرة {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً}. أي جعلنا هذه السفينة وهذه الحادثة عبرة وذكرى لكم، تتذكرون بها قدرة الله ونعمته، وتتعظون بمصير الكافرين.

الفكرة الثالثة: شرط الانتفاع بهذه التذكرة {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}. أي أن هذه التذكرة لا تنفع إلا من كان له أذن واعية، أي قلب يعقل ويفهم ويتدبر ويتأثر.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: امتنان الله العظيم على البشرية، حيث أنقذ أصولهم من الغرق، وجعلهم يستمرون على وجه الأرض. فكل إنسان حي اليوم – مؤمنه وكافره – مدين بالوجود لهذه النعمة. فهو مطالب بشكر الله عليها.

المغزى الثاني: جعل التاريخ عبرة، فحادثة الطوفان ليست مجرد قصة قديمة، بل هي تذكرة دائمة لكل الأجيال. والسفينة لم تعد موجودة، ولكن ذكرها وما تمثله من قدرة الله ورحمته باقية في القرآن.

المغزى الثالث: أن الانتفاع بالآيات مشروط بوجود (أذن واعية). فليست كل أذن تسمع تتعظ، بل الأذن التي تعي وتفهم وتستجيب. وهذا رد على الذين يسمعون الحق ولا يتأثرون.

المغزى الرابع: الانتقال من الغائب إلى المخاطب، فبعد أن كان الحديث عن ثمود وعاد وفرعون بصيغة الغائب (كذبت، أهلكوا، جاء، عصوا)، تحول الخطاب فجأة إلى (حملناكم، لكم، تعيها). فهذا الانتقال يجعل القارئ المعاصر مشاركاً في القصة، وكأنه كان في السفينة، وكأن النجاة كانت له شخصياً.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات نبوة نوح عليه السلام، وإثبات قدرة الله على الإهلاك والنجاة. فالطوفان دليل على أن الله يمهل ولا يهمل، وأن العذاب قد ينزل بالعصاة.

الهدف العقدي الثاني: إثبات أن الله هو المنعم المتفضل، وله الفضل على البشرية في بقائها. فلو شاء لأغرق الجميع، لكنه رحم المؤمنين فأبقى أصول البشرية.

الهدف النفسي: غرس مشاعر الشكر والامتنان في النفوس، وربط الحاضر بالماضي. فكل إنسان يشعر أنه مدين لله بحياته، إذ لولا نجاة أولئك المؤمنين ما كان هو موجوداً. هذا الشعور يدفع إلى الطاعة والامتناع عن المعصية.

الهدف البياني: إظهار روعة التحول من أسلوب التهديد إلى أسلوب الامتنان، ومن الغائب إلى المخاطب، ومن الحديث عن الهلاك إلى الحديث عن النجاة. كما في التلاؤم الصوتي لكلمات {طَغَى الْمَاءُ} و{الْجَارِيَةِ} و{تَذْكِرَةً} و{وَاعِيَةٌ}، حيث تخلق إيقاعاً موسيقياً يريح الأذن ويشد الانتباه.

الهدف التربوي: تعليم الأجيال أن يتذكروا نعم الله عليهم، وأن يعتبروا بمن كان قبلهم، وأن يقدروا الله حق قدره. وأن يكونوا من (الأذن الواعية) التي تستمع إلى الحق فتعيه وتعمل به، لا من الذين يسمعون فلا يعون.

الهدف الدعوي: دعوة الناس إلى التفكر في قصة نوح، فكما أنجى الله المؤمنين في السفينة، فإنه ينجي المؤمنين في الدنيا والآخرة، وكما أغرق الكافرين فإنه سيعذبهم في الآخرة.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}

.1دلالة) إنا (و)لما(:

)إنا (تأكيد للفاعل وهو الله وحده، وتفيد الاختصاص: أي أن الذي فعل هذا الفعل هو الله لا غيره . فهو الذي طغى الماء بقدرته، وهو الذي حمل المؤمنين في السفينة .وتقديم الضمير) إنا (يفيد الحصر، وأنه لا معبود سواه يفعل هذه الأفعال) .لما (ظرفية تفيد أن الحمل في السفينة كان في الوقت الذي حدث فيه طغيان الماء، لا قبله ولا بعده .وهذا يصور مشهداً دقيقاً: الماء يرتفع، والناس في ذهول، وفجأة تأتي السفينة لتحمل المؤمنين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

نفسياً: (إنا) تخلق شعوراً بالرهبة من قدرة الله المهيمنة، ثم الشعور بالامتنان لأن هذه القدرة استخدمت لإنقاذ أصول البشرية. فالضمير المتكلم المعظم يفيد القرب الإلهي مع العظمة، فيشعر المؤمن أنه في عناية الله. وأيضاً، (لما) تفيد المفاجأة والتوقيت الدقيق، مما يخلق تشويقاً في النفس.

عقلياً: العقل يدرك أن حادثة الطوفان لم تكن عشوائية، بل كانت مقدرة بتوقيت محدد (لما طغى الماء). وهذا يعطي مصداقية للقصة، ويبعدها عن كونها أسطورة.

تربوياً: تعليم أن نعم الله تأتي في أوقات الشدة، وأن الفرج يأتي بعد الكرب. يربى الطفل على أن يثق بأن الله سيحميه كما حمى المؤمنين.

عملياً: أن نستحضر (إنا) في حياتنا: كل نعمة نحن فيها هي من الله وحده. وأن نستحضر (لما) فنوقن أن لكل شيء وقته.

.2دلالة) طغى الماء(:

)طغى (من الطغيان، وهو تجاوز الحد .والماء هنا تجاوز حده المعتاد فغمر كل شيء، حتى الجبال . واستخدام) طغى (مع الماء فيه تنبيه: الماء الذي هو مصدر الحياة، وعنصر اللطف والرقة، يمكن أن يتحول إلى عنصر هلاك إذا تجاوز حدود قدر الله .وهو من جنس ما حدث مع ثمود) الطاغية (– فهناك طغت الصيحة، وهنا طغى الماء .وفيه أيضاً إشارة إلى أن الطغيان) في الكفر (يقابل بطغيان)العناصر.(

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: كلمة (طغى) تحمل وقعاً ثقيلا ً، فهي تفيد أن الماء خرج عن طبيعته اللطيفة إلى طبيعة عنيفة مخيفة، وهذا يزرع الرهبة.

عقلياً: العقل يتساءل: كيف يطغى الماء؟ لكن العقل المؤمن يعلم أن الماء مسخر بأمر الله.

تربوياً: تعليم أن الشيء نفسه يمكن أن يكون رحمة أو نقمة بحسب أمر الله. فالماء رحمة بالمطر ونقمة بالطوفان.

عملياً: أن نحترم نعم الله ولا نطغى بها، فإذا طغينا سلطت علينا.

مثال تقريبي: تخيل أنك في منزلك، والمياه تغمر الشوارع فجأة، وتصبح كالوحوش. هذا مشهد (طغى الماء). هكذا شعر قوم نوح، فخافوا وهلكوا إلا من رحم الله.

.3دلالة) حملناكم(:

هذا هو التحول العجيب: بعد الحديث عن ثمود وعاد وفرعون بصيغة الغائب (كذبت، أهلكوا، جاء،

عصوا)، نجد الخطاب يتحول إلى الحاضر المخاطب (حملناكم). فلم يقل (حملناهم) أي المؤمنين من قوم نوح، بل قال (حملناكم) أيها الناس جميعاً، لأنكم تنحدرون من أولئك المؤمنين الذين ركبوا السفينة، فكأن الله يوجه الخطاب إلى كل إنسان حي يقول له: أنا الذي أنقذت أصلك في تلك السفينة. وتكرار الضمير (كم) يفيد أن المخاطبين مشاركون في النعمة. ومعنى (حملناكم): حملنا أصولكم وآباءكم، فأنتم كأنكم حملتم. وهذا من أبلغ أساليب الامتنان.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: الخطاب المباشر (حملناكم) يخلق شعوراً بالامتنان الشخصي، وكأن الله ينعم عليك مباشرة، فيشعر الإنسان بالحب لله والعرفان بفضله. ويشعر أيضاً بالمسؤولية: أنت من نسل من نجوا، فعليك أن تشكر.

عقلياً: العقل يفهم أن استمرار الحياة البشرية كان بفضل هذا الإنجاء، فلو لم ينج أولئك المؤمنون، لما وُجد البشر. فهذا حجة عقلية على وجوب شكر الله.

تربوياً: تعليم أن الأجيال الحالية تحمل تراث الأجيال السابقة من النعم والتكاليف. فالطفل يتعلم أنه مدين لأسلافه المؤمنين، فكيف لا يرضى أن يكون مثلهم؟

عملياً: أن نكتب في قلوبنا أن الله حملنا (أصولنا) في السفينة، فعلينا أن نحمل أمانة الإيمان لأجيالنا القادمة.

مثال تقريبي: لو أن جدك أنقذك من حريق كبير، فستشعر بالامتنان له طوال حياتك. فكيف إذا كان الذي أنقذ جدك (وأصلك) هو رب العالمين؟ هذا هو معنى (حملناكم).

.4دلالة) في الجارية(:

)الجارية (اسم فاعل من جرى، وهي السفينة التي تجري على وجه الماء .وصفها بالجارية لبيان حركتها وسيرها بأمر الله، ولبيان أنها لم تكن طافية ساكنة بل كانت تسير بقدرة الله لتنجو من الطوفان .وإضافة) الجارية (دون تعريف أو إضافة إلى نوح، فيها إشارة إلى أنها آية عظيمة بذاتها، وأنها من صنع الله بتعليمه لنوح.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: كلمة (الجارية) تحمل إيقاعاً خفيفاً، يبعث في النفس شعوراً بالأمان بعد الخوف من (طغى الماء). فهي كلمة توحي بالحركة والنجاة.

عقلياً: العقل يتصور السفينة الكبيرة التي تحمل المؤمنين والحيوانات، وتجري فوق الماء الطاغي، فيدرك قدرة الله وعظمة الصنعة التي ألهمها نوحاً.

تربوياً: تعليم أن الله يسبب الأسباب، فالسفينة سبب، لكن الأسباب لا تنفع بدون إرادة الله.

عملياً: كلما ركبنا وسيلة مواصلات، نتذكر سفينة نوح، ونشكر الله على نعمة النقل والتنقل.

.5دلالة العدول من ضمير الغائبين إلى ضمير المخاطبين وأثره:

في الآيات السابقة، كان السياق: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ}، {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا}، {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا}، {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ...}. الكل بضمير الغائب (هم). وفجأة هنا: {حَمَلْنَاكُمْ}. هذا الانتقال من الغائب إلى المخاطب هو أسلوب قرآني يُسمى (الالتفات)، وله فوائد عظيمة:

· شد انتباه السامع: بعد أن كان سامعاً لقصة، أصبح مشاركاً فيها.
· إشعاره بأن النعمة عليه مباشرة، فيستعد للشكر.
· ربط الحاضر بالماضي، وجعل التاريخ حياً متصلاً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: الالتفات يخلق صدمة إيجابية، تنتقل بالسامع من حالة المتفرج إلى حالة المعني، فيزيد تفاعله

وانتباهه.

عقلياً: العقل يدرك أن الأحداث الماضية ليست منفصلة عن الحاضر، وأن سنة الله مستمرة، وأن الحاضرين معنيون بها.

تربوياً: تعليم أن التاريخ الإسلامي ليس للمتعة، بل هو تربية للحاضرين.

عملياً: عند قراءة القصص القرآنية، علينا أن نتعامل معها كأننا فيها.

ثانياً: دلالة قوله {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً}

.1دلالة اللام في) لنجعلها(:

اللام لام التعليل، أي أن الغرض من هذا الحمل في الجارية هو جعل هذه الحادثة تذكرة. فالله لم يخلق الأحداث عبثاً، بل خلقها لتكون عبرة. وهذه اللام تشير إلى العناية الإلهية بالبشر، حيث يضع لهم علامات ودروساً في الأحداث الكبرى.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: يشعر الإنسان أن حياته لها معنى، وأن الأحداث الكونية ليست عبثاً، بل هي دروس موجهة له.

عقلياً: العقل يفهم أن القرآن لا يحكي القصص للتسلية، بل للعبرة.

تربوياً: تعليم أن كل حدث كبير في حياة الإنسان يجب أن يكون عنده (تذكرة)، أي عظة وعبرة.

عملياً: أن نجعل أي حدث (كالزلزال، الحرب، الوباء) تذكرة لنا، وليس مجرد خبر نمر عليه.

.2دلالة) نجعلها(:

الفعل (جعل) يفيد التحويل والتكوين، أي أن الله جعل من هذه السفينة ومن حادثة الطوفان عبرة دائمة. والمضارع (نجعل) يدل على الاستمرار: أن الله لا يزال يجعل هذه الحادثة تذكرة في كل زمان لمن يتذكر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: الشعور بأن الحادثة لم تنتهِ، بل هي متجددة في تأثيرها كلما تليت الآيات، مما يبقي الخشية حية.

عقلياً: العقل يدرك أن كلمة الله حية تؤثر في كل جيل.

تربوياً: تعليم أن العبرة لا تتقادم.

عملياً: قراءة قصة نوح وتكرارها في المناسبات لتجديد التذكرة.

.3دلالة) لكم(:

اللام هنا للاختصاص، أي جعلناها تذكرة لكم أيها الناس (المخاطبون)، وليست تذكرة لقوم نوح فقط. فقوم نوح عايشوا الحادثة، أما أنتم فتحتاجون إلى تذكرة بها لأنكم لم تعايشوها. وهذا من رحمة الله أنه جعل أخبار الماضين تذكرة للحاضرين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: شعور بالامتنان لأن الله خصنا بهذه التذكرة، رغم أننا لم نعاصر الأحداث.

عقلياً: العقل يدرك أن غياب الإنسان عن الحدث لا يمنع أن يكون معتبراً به.

تربوياً: تعليم أن التاريخ وعاء للعبر للأجيال اللاحقة.

عملياً: الاهتمام بدراسة التاريخ الإسلامي وخاصة قصص الأنبياء.

.4دلالة) تذكرة(:

)تذكرة (مفعلة من الذكر، وهي ما يذكر الإنسان بشيء كان قد غفل عنه .فالإنسان بطبيعته غافل، يحتاج إلى من يذكره .وهذه الحادثة تذكر الإنسان بعدة أمور: تذكره بقدرة الله، وتذكره بنعمته، وتذكره بعاقبة الكافرين، وتذكره بأن النجاة كانت بالإيمان .وجاءت) تذكرة (منكرة) بدون أل (للتفخيم، أي تذكرة عظيمة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: التذكرة تخفف عن النفس غفلتها، وتبعث اليقظة. وهي دواء للقسوة.

عقلياً: العقل يحتاج إلى أدلة تذكره بحقائق الغيب، فهذه التذكرة دليل.

تربوياً: تعليم أن الإنسان يحتاج إلى تذكير دائم، وأفضل التذكير هو قصص القرآن.

عملياً: جعل (تذكرة) لنفسك كل يوم بآية أو حديث أو قصة.

ثالثاً: دلالة قوله {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}

.1دلالة) تعيها(:

)تعيها (من الوعي، وهو حفظ الشيء في النفس والعقل مع فهم وتدبر واستعداد للعمل .والوعي أعمق من مجرد السماع، فهو يشمل الفهم والتأثر والتذكر والعمل .والفعل) تعيها (يدل على أن هذه التذكرة محتاجة إلى وعي، فهي ليست ذكرى عابرة بل تحتاج إلى استيعاب .وقدم الفعل على الفاعل) أذن واعية (للاهتمام.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: الوعي يحول الإنسان من كائن منفعل إلى كائن فاعل. فالنفس الواعية تشعر بأنها مسؤولة ومؤثرة.

عقلياً: العقل يدرك أن مجرد سماع الخبر لا يكفي، بل لابد من إعمال العقل فيه.

تربوياً: تعليم أن التربية الحقيقية هي تربية الوعي، لا تلقين المعلومات فقط.

عملياً: أن نستمع إلى المواعظ ونتدبر فيها، ونحاول تطبيقها فوراً.

.2دلالة) أذن واعية(:

)أذن (مفرد يراد به الجنس، أي كل أذن تتسم بالوعي .والأذن هنا كناية عن القلب والعقل، لأن الأذن هي أداة السمع، ولكن السمع دون وعي لا ينفع .فالأذن الواعية هي التي تسمع فتتفكر وتتذكر وتتعظ . وهناك أنواع من الأذن:

- أذن لا تسمع) صماء.(
- أذن تسمع ولا تعي) غافلة.(
- أذن تعي ولكن لا تعمل) عاقلة مقصرة.(
- أذن تعي وتعمل) واعية.(

والآية تمدح النوع الأخير .وجاءت) واعية (بصيغة المبالغة، أي كثيرة الوعي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: تحفيز النفس على أن تكون من أهل الوعي، والشعور بالتميز لأن الله خصص من يملك (أذن واعية) بالانتفاع بهذه التذكرة.

عقلياً: العقل يفهم أن التفاوت بين الناس ليس في القدرة على السمع، بل في القدرة على الوعي.

تربوياً: تعليم أن نربى أطفالنا على أن يكونوا (أذن واعية)، أي يستمعون بتدبر.

عملياً: جلسات التدبر الجماعي للقرآن، حيث نتدرب على أن نعي ما نسمع.

.3دلالة) أذن (مفردة وليست جمعاً:

استخدام المفرد (أذن) مع أن المخاطبين جمع، يفيد أن هذا الوصف (الواعية) ليس صفة للجميع، بل هو صفة لآحاد الناس. فالمؤمنون متفاوتون، وليس كل أذن تسمع تعي. فهذه إشارة إلى أن التذكرة لا تنفع إلا من خصه الله بالوعي. وفي هذا تشجيع على أن يسعى الإنسان ليكون من هذه الأذن الواعية ، وتحذير من أن يكون من الغافلين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

نفسياً: شعور بالمسؤولية الفردية، فكل إنسان مطالب بأن يكون هو هذه (الأذن الواعية).

عقلياً: العقل يفهم أن الوعي نعمة من الله، لكن الإنسان يسعى إليها.

تربوياً: تعليم أن العبرة بجودة الفرد لا بكثرتهم.

عملياً: الاهتمام بتربية النفس والبحث عن الوعي.

رابعاً: كيف نعيش تجربة نوح ونشعر بأننا المشاركون الأصليون في القصة؟

لتحقيق ما أراده القرآن من الانتقال من ضمير الغائبين إلى ضمير المخاطبين، وتفعيل معنى {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً}، يجب أن نعيش التجربة بخطوات:

الخطوة الأولى: التخيل الحسي. أغمض عينيك وتخيل أنك تعيش في زمن نوح. ترى السفينة تُبنى، وترى الناس يسخرون، وترى الماء يبدأ بالتدفق من الأرض، وتسمع صوت الطوفان، ثم ترى نفسك (أو أصولك) يصعدون إلى السفينة، وتبحر بكم فوق الجبال.

الخطوة الثانية: إدراك أنك لست متفرجاً. أنت من نسل من ركب السفينة، فلو لم ينجوا لما كنت موجوداً. فأنت طرف في القصة، والخطاب (حملناكم) موجه إليك شخصياً. فتخيل أن الله أنقذ جدك ا لأكبر من الغرق، فأنت مدين لهذه النعمة.

الخطوة الثالثة: ربط الحادثة بالواقع الحالي. كل سفينة تركبها، كل وسيلة نجاة في حياتك، تذكرك بسفينة نوح. كل نعمة بالاستمرار في الحياة، تذكرك بأن الله هو المنجي.

الخطوة الرابعة: استشعار (التذكرة). اجعل من قصة نوح درساً لك: الإيمان ينجي، والكفر يهلك. لا تظن أن قصص الماضين لا تعنيك.

الخطوة الخامسة: تحويل المشاعر إلى قرارات. أتخذ قراراً اليوم بأن أكون (أذناً واعية)، أسمع الحق فأعيه وأعمل به، وأشكر الله على نعمة النجاة التي امتدت لتشمل أصولي.

مثال تقريبي: تخيل أنك في فيلم سينمائي، وفجأة توقف الفيلم وخرج المخرج وقال لك: "أنت البطل الحقيقي لهذه القصة، فهي عن أجدادك". هذا ما يفعله القرآن بـ (حملناكم) – يجعلك بطلا ً في قصة نوح.

الأمر الثاني: الأبعاد البيانية والتربوية وكيفية تحويل الدلالات إلى قوة محركة للسلوك

أولا ً: البعد البياني في التلاؤم الصوتي والفواصل:

الآية {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} فيها فواصل موسيقية جميلة: (طَغَى الْمَاءُ) – (الْجَارِيَةِ) – (تَذْكِرَةً) – (وَاعِيَةٌ). الحرف الأخير في (الماء) هو المد، وفي (الجارية) المد، وفي (تذكرة) التاء

المربوطة، وفي (واعية) التاء المربوطة. هذه الفواصل تخلق إيقاعاً هادئاً مطمئناً بعد الإيقاع العنيف في آيات عاد وثمود (الصرصر، الطاغية، الرابية). وهذا التنغيم الصوتي يساعد على استقبال المعنى بحب وتقبل. فالآيات العنيفة كانت كالصاعقة، وهذه الآيات كالبلسم.

ثانياً: البعد البياني في تقديم النعمة (السفينة) بعد النقمة (طغيان الماء):

هذا الترتيب يخلق في النفس مشاعر متضادة: الخوف من طغيان الماء، ثم الفرح بالنجاة في الجارية. وهذا التنقل بين المشاعر يجعل الأثر أعمق، ويحول النفس من الخوف إلى الشكر، وهو تحويل بياني بارع.

ثالثاً: البعد البياني في قصر النعمة على الله (إنا):

تأكيد الفاعل (إنا) يعني: لا أحد غيري فعل ذلك. وهذا يمنع الشرك، ويوجه الشكر لله وحده.

رابعاً: البعد البياني في تحويل الضمير من الغائب إلى المخاطب:

هذا الالتفات يجعل المخاطب يشعر بأن النعمة عليه شخصياً، فيتحرك للشكر والطاعة. وهو من أبلغ أساليب الإقناع.

خامساً: كيفية تحويل هذه الدلالات إلى قوة محركة للسلوك (آلية عملية يومية):

.1تمرين) حملناكم(: كل صباح، قل في نفسك: "الحمد لله الذي حمل أصولي في سفينة نوح، وأنجاهم من الغرق، وجعلني من نسلهم" .هذا التذكير يزرع الشكر.
.2تمرين) أذن واعية(: عند سماع أي آية أو حديث أو موعظة، اسأل نفسك: "هل أعيت هذه؟ هل فهمتها؟ هل سأعمل بها؟" إذا لم تعها، أعد سماعها أو قراءتها حتى تعيها.
.3تمرين) التذكرة(: خصص دفتراً تكتب فيه) تذكراتك اليومية(: كل حادثة تراها) مثل حادث سيارة، نجاة من خطر، مرض (اعتبرها) تذكرة (تذكرك بقدرة الله، واكتب درساً منها.
.4استخدام قصة نوح في المواقف: عند ركوب البحر أو السفينة أو الطائرة، تذكر قصة نوح واسأل الله السلامة .عند الشعور بالكفر أو المعصية، تذكر أن الكافرين غرقوا والمؤمنين نجوا، فاختر طريق النجاة.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيتين وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني:

ترسم هاتان الآيتان مشهدين متصلين:

المشهد الأول: مشهد طغيان الماء وحمل المؤمنين. {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ}. الكاميرا تبدأ بلقطة واسعة للماء يرتفع بعنف، تجاوز حدوده، كل شيء يغرق: البيوت، الجبال، الناس. ثم فجأة، تظهر سفينة (الجارية) تجري على وجه الماء، تحمل مجموعة من الناس. الكاميرا تقترب منهم، ترى وجوههم خائفة ولكنها مطمئنة لأنهم مع الله. الكاميرا تبتعد مرة أخرى لترى الماء يعلو فوق كل شيء، والسفينة هي النجاة الوحيدة.

المشهد الثاني: مشهد التحول من حدث إلى تذكرة. {لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}. الكاميرا تنتقل من الماضي إلى الحاضر: نرى الناس في عصور مختلفة، بعضهم يسمع القصة فيتأثر ويبكي ويتوب، وبعضهم يسمعها فيمر كأنه لم يسمع. الكاميرا تقترب من (الأذن الواعية): نرى أذناً تستمع، ثم نرى عقلا ً يفكر، ثم قلباً يخشع، ثم جوارح تعمل. الكاميرا تبتعد لتظهر أن القليلين هم من يملكون هذه الأذن الواعية.

ثانياً: أغراض هذا التصوير:

.1تصوير نعمة النجاة في قالب بشري .يريد الله أن يشعر الإنسان بأن نجاة أصوله كانت معجزة، وليست أمراً عادياً .فالماء طغى، والسفينة جارية، والإرادة إلهية.
.2تصوير العلاقة بين الماضي والحاضر .جعل الماضي مشهداً مرئياً، ثم نقله إلى الحاضر، ليرى القارئ

أن الآثار لا تزال موجودة في القلوب الواعية.
.3تصوير التفاوت بين الناس .منظر الأذن الواعية مقابل الأذن الغافلة، يبين أن الناس ليسوا سواء، وأن التفاوت في الوعي.
.4إثارة الشكر .المشهد الأول يبعث الخوف ثم الفرح، فيولد الشكر .والمشهد الثاني يبعث المسؤولية، فيولد العمل.
.5دعوة إلى الاعتبار .الصورة تحول السامع من متفرج إلى مشارك، فيتأثر أكثر.

الأمر الرابع: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (طغى الماء) تذكير بأن الطغيان يقابل بطغيان

استشعر أن الماء الذي هو ألطف الأشياء طغى بسبب طغيان قوم نوح بالكفر والمعاصي. فالطغيان بأمر الله يقابل بطغيان عناصر الكون. الاستفادة: لا تطغ في كفرك أو معصيتك، فقد يطغى عليك ما هو ألطف من الماء.

الخاطرة الثانية: (حملناكم) تذكير بأنك مدين بالوجود لله

استشعر أن لولا نجاة أولئك المؤمنين، ما كنت موجوداً. فأنت موجود بنعمة الله وإرادته. الاستفادة: لا تنس من أنعم عليك بالحياة، واشكره بطاعته.

الخاطرة الثالثة: (الجارية) رمز للنجاة بالإيمان

كما أن السفينة حملت المؤمنين، فالإيمان يحملك على نجاتك في الدنيا والآخرة. الاستفادة: تمسك بالإ يمان، فإنه سفينة نجاة في طوفان الشهوات والشبهات.

الخاطرة الرابعة: (لنجعلها لكم تذكرة) تعني أن الأحداث ليست عبثاً

كل حدث عظيم في التاريخ هو تذكرة لك. فلا تمر عليها مرور الكرام. الاستفادة: اجعل من كل أزمة أو كارثة تذكرة توقظ قلبك.

الخاطرة الخامسة: (أذن واعية) هي وصف لمن ينتفع بالآيات

ليس كل من يسمع يتعظ، بل من يفهم ويتدبر ويعمل. الاستفادة: اسعَ لأن تكون من هؤلاء، واحذر أن تكون من الذين يسمعون ولا يعون.

الخاطرة السادسة: نعمة النجاة من الطوفان نعمة متجددة في كل زمان

كل مرة تنجو فيها من خطر (مرض، حادث، فتنة) فهي كطوفان نجاك الله منه. الاستفادة: انظر إلى نعم الله عليك في كل نجاة، واشكره.

الخاطرة السابعة: الانتقال من الغائب إلى المخاطب يجعل التاريخ حياً

عندما تشعر أن قصة نوح تحكي عن أصولك، فإنك تعيشها بوجدانك. الاستفادة: اقرأ القرآن كأنه نزل عليك، وكأن القصص حدثت لأجدادك.

ثالثاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية الامتنان الإلهي على البشرية من خلال إنقاذ أصولهم من الطوفان.
.2قضية جعل التاريخ عبرة، وعدم جعله مجرد حكايات مسلية.
.3قضية التفاوت بين الناس في الانتفاع بالآيات) الأذن الواعية مقابل الغافلة.(
.4قضية وحدة الأصول البشرية، فكل البشر ينحدرون من نسل من ركب السفينة مع نوح، مما يدعو إلى نبذ العنصرية.

.5قضية العلاقة بين الإيمان والنجاة، فالمؤمنون هم وحدهم من نجا.
.6قضية أسلوب الالتفات في القرآن وأثره في نفس السامع.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل أن الله يخاطبك شخصياً: (حملناك، لك هذه التذكرة، فكن أذناً واعية). وأن تدرك أن نجاة أصولك من الطوفان هي نعمة تستوجب منك الشكر العملي.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: ابدأ يومك بالشكر على نعمة الوجود، وقل: "الحمد لله الذي أنقذ أجدادي في سفينة نوح، وجعلني من نسلهم، وهداني للإسلام".
· في عباداتك: اجعل في صلاتك تذكرة بقصة نوح، فإذا سجدت، تذكر أن الماء طغى والسفينة جرت، وأن السجود هو سفينة نجاتك.
· في معاملاتك: لا تظلم ولا تكفر، فإن الطغيان يطغي الماء وغيره.
· في تربيتك: احكِ قصة نوح لأطفالك كأنها حدثت لهم، وقل لهم: "لولا المؤمنون في السفينة، لما كنتم موجودين".
· في دعوتك: إذا دعتك نفسك إلى اليأس من إيمان الناس، تذكر أن نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يؤمن إلا قليل، ومع ذلك أنجاه الله، واستمرت البشرية من ذريته.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغير النظرة إلى التاريخ: التاريخ ليس ماضياً ميتاً، بل هو حي يؤثر في الحاضر .فقصة نوح ليست قديمة، بل هي) تذكرة (لكل جيل.
.2تغير النظرة إلى النجاة: النجاة ليست مجرد صدفة، بل هي نعمة من الله تستوجب الشكر.
.3تغير النظرة إلى الأصول: الافتخار بالأصول لا يكون بالأنساب فقط، بل بالإيمان .فالأصل الحقيقي لـ لإنسانية هو المؤمنون الذين نجوا في السفينة.
.4تغير النظرة إلى المصائب والكوارث: كل كارثة هي) طغيان ماء (في زمانها، تذكرنا بأن الطغيان يقابل بطغيان.
.5تغير النظرة إلى السمع: السمع الحقيقي ليس بالأذن فقط، بل بالوعي والعمل.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الإيمان ينجي والكفر يهلك. التطبيق: تمسك بالإيمان، واجتهد في طاعة الله، فإنها سفينة نجاتك في الدنيا والآخرة.

الدرس الثاني: نعم الله على البشر عظيمة، ومنها استمرار الحياة. التطبيق: احمد الله كل يوم على نعمة الوجود، وأصلح في الأرض كما أصلح نوح.

الدرس الثالث: التاريخ وعاء للعبر. التطبيق: ادرس قصص الأنبياء والأمم السابقة، واستخرج الدروس لحياتك المعاصرة.

الدرس الرابع: لا ينفع السمع بلا وعي. التطبيق: تدبر الآيات التي تسمعها، ورددها في قلبك، واسأل: ماذا أتعلم؟ ماذا سأعمل؟

الدرس الخامس: الأذن الواعية صفة المؤمنين. التطبيق: كن حريصاً على حضور مجالس العلم والذكر بأذن واعية، واكتب ما تسمعه، وتفكر فيه، وطبقه.

الدرس السادس: الله يخاطب البشر عبر الأجيال بصيغة المخاطب ليشعرهم بالارتباط. التطبيق: اقرأ القرآن وكأنه نزل عليك، وليس على من مضى.

الأمر الخامس: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية:

· مهارة ربط الحاضر بالماضي) استخلاص العبرة من الأحداث التاريخية.(

· مهارة التفريق بين السمع والوعي) معرفة أن مجرد الاستماع لا يكفي.(
· مهارة تحليل النصوص من حيث أسلوب الالتفات والضمائر.
· مهارة فهم دلالة طغيان الماء كرمز لطغيان الكفر.

المهارات الحياتية:

· مهارة الشكر العملي) تحويل النعم إلى طاعة.(
· مهارة الوعي) القدرة على استقبال المعلومة بتدبر وتفاعل.(
· مهارة الاعتبار بالكوارث) تحويل أي أزمة إلى درس.(
· مهارة البعد عن الطغيان في القول والعمل.

المهارات العملية:

· مهارة رواية القصص القرآنية بأسلوب مؤثر يشد السامع.
· مهارة كتابة) تذكرة يومية (تدون فيها عبر اليوم.
· مهارة الاستماع الفعال في المجالس.
· مهارة إحياء سنة التذكير بقصة نوح في المناسبات.

الأمر السادس: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات:

.1اشكر الله على نعمة النجاة التي امتدت لأصولك، واجعل شكرك بطاعته.
.2لا تمر على قصة نوح مرور الكرام، بل اجعلها تذكرة لك كل يوم.
.3كن من أصحاب) الأذن الواعية(، واستمع إلى الآيات والمواعظ بتدبر.
.4تذكر أن الطغيان يقابل بطغيان، فلا تطغ في دنياك.
.5انشر هذه التذكرة في مجتمعك، وذكِر الناس بنعمة الله عليهم.
.6استخدم أسلوب الالتفات في تربيتك) انتقل من الحديث عن الغائبين إلى المخاطبة المباشرة (لشد انتباه أبنائك.

دورها في تطوير الحياة:

· تطوير وعي الأمة بتاريخها، وجعل التاريخ مادة حية للتغيير.
· تطوير ثقافة الشكر) عبادة الشكر (التي تزيد النعم.
· تطوير مهارات الاستماع والوعي في المجتمع، مما يقلل من التلقين الأعمى.
· تطوير المناهج التربوية باستخدام القصص بأسلوب الالتفات.
· تطوير العلاقة بين الأجيال) كل جيل يشعر أنه جزء من السلسلة الإيمانية منذ نوح.(

الأمر السابع: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن استمرار الحياة البشرية على الأرض كان بنعمة الله وإنقاذه للمؤمنين في سفينة نوح.
.2أن الله يحب لنا أن نتذكر نعمه، فجعل لنا) تذكرة (في كل حدث عظيم.
.3أن التفاوت بين الناس ليس في الأنساب، بل في الوعي والإيمان.
.4أن نوحاً كان أباً ثانياً للبشرية بعد آدم، فله فضل علينا جميعاً.
.5أن السفينة رمز للجماعة المؤمنة التي تنجو معاً، فلا تنجو وحدك بل احرص على صحبة الخير.
.6أن القرآن يتحدث إلينا مباشرة، وكأننا نعاصر الأحداث، فلا نعتبر أنفسنا متفرجين.
.7أن الشكر العملي هو استخدام النعم في طاعة الله.

رابعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد التاريخي: ربط الحاضر بأقدم حدث تاريخي بعد آدم، وهو طوفان نوح .وهو حدث مشترك في جميع الديانات والحضارات، مما يجعله مرجعية عالمية.
.2البعد النفسي: علاج الغفلة عن طريق التذكرة، وعلاج الكفر عن طريق الشكر .وفيه تحويل الشعور بالخوف من طغيان الماء إلى شعور بالأمان في السفينة، ثم إلى شعور بالمسؤولية) الأذن الواعية.(
.3البعد العقدي: إثبات أن الله هو المنجي والمهلك، وأن الإيمان سبب النجاة، والكفر سبب الهلاك . وإثبات نبوة نوح وصدق القرآن.
.4البعد البياني: في أسلوب الالتفات) من الغائب إلى المخاطب(، وفي التلاؤم الصوتي، وفي الفواصل، وفي التشبيه الضمني بين طغيان الماء وطغيان الكفار.
.5البعد التربوي: تعليم أن التذكرة لا تنفع إلا من كان له أذن واعية، مما يحث المتعلم على بذل الجهد في الفهم والتدبر، وليس مجرد الحفظ.
.6البعد الاجتماعي: أن البشرية كلها من نسل من ركب السفينة، مما يبطل العصبية القبلية والعنصرية، ويؤكد أن الناس سواسية في الأصل، فالتفاضل بالتقوى.
.7البعد الحضاري: أن الحضارات تهلك بالطغيان كما هلك قوم نوح، وأن النجاة تكون بالعودة إلى الله والإيمان .ففيه درس للأمم المعاصرة التي تطغى بعلومها وقوتها.

الآفاق:

.1أفق الشكر الدائم: فتح باب الشكر على نعمة الوجود ذاتها، وهي نعمة يغفل عنها كثير من الناس.
.2أفق التربية بالقصص: يمكن استخدام قصة نوح في مناهج التربية لتعليم الأطفال معنى الإيمان و النجاة والطغيان.
.3أفق الوحدة الإنسانية: الإنسان ابن السفينة، بغض النظر عن لونه ودينه، في أصل الخلق .وهذا يمكن أن يكون أساساً للحوار والتعايش.
.4أفق الوعي الإعلامي: يمكن استخدام فكرة) التذكرة (في الإعلام، بحيث تحول الأحداث الكبرى) ك الكوارث الطبيعية (إلى دروس توعوية.
.5أفق تجديد الخطاب الديني: استخدام أسلوب الالتفات) مخاطبة الناس كأنهم عاصروا الحدث (لتجديد الوعي الديني.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة الشكر: الاعتراف بنعمة الله على البشرية في إنقاذ أصولهم، والتعبير عن هذا الشكر بالطاعة.
.2قيمة الاعتبار: استخلاص العبرة من أحداث الماضي، وتطبيقها على الحاضر.
.3قيمة الوعي: الفهم العميق والتدبر والعمل على هدى.
.4قيمة التواضع: تذكر أن أصول الإنسان كانت ضعيفة في سفينة نوح، فلا يتكبر على غيره.
.5قيمة الإيمان: كسبب للنجاة، والتمسك به.
.6قيمة الأخوة الإنسانية: لأن البشر كلهم من نسل من ركب السفينة.
.7قيمة الأمانة: الحفاظ على هذه التذكرة ونقلها للأجيال.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (طغى الماء): أي طغيان العناصر عند طغيان البشر بالكفر، وهذا مفهوم ينطبق على كل كارثة طبيعية: الزلازل، البراكين، الفيضانات، الأعاصير، الأوبئة. في حياتنا العملية، عندما نرى كارثة، نتذكر أن وراءها طغياناً بشرياً بالمعاصي، فنعود إلى الله.

مفهوم (حملناكم): الانتقال من الغائب إلى المخاطب، أي أن التاريخ ليس منفصلا ً عنا، بل نحن جزء منه. في حياتنا العملية، نتعامل مع الأحداث التاريخية كأنها دروس لنا، لا كأخبار للأسف فقط.

مفهوم (الجارية): السفينة كرمز للجماعة المؤمنة التي تتمسك بأمر الله وتنجو. في حياتنا العملية، نحرص على الانتماء إلى جماعة المؤمنين، ونشارك في بناء سفينة النجاة (المسجد، المؤسسة الخيرية، الأسرة المسلمة).

مفهوم (تذكرة): كل حدث عظيم هو ذكرى للعبرة. في حياتنا العملية، نحتفل بالمناسبات الدينية و التاريخية كتذكرة، وليس كعادات مجردة.

مفهوم (أذن واعية): السمع المقرون بالفهم والعمل. في حياتنا العملية، نتدرب على الاستماع النشط، ونتجنب التشتت أثناء المواعظ والمحاضرات.

مفهوم (الوعي): إعمال العقل والقلب معاً. في حياتنا العملية، نتعلم ألا نكتفي بالمعرفة النظرية، بل نضيف إليها الشعور والالتزام.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الامتنان النفسي(: أن يشعر الإنسان بالامتنان لنعمة لا يراها مباشرة) نجاة أجداده(، وهذا ا لامتنان يرفع من صحته النفسية ويجعله أقل اكتئاباً.
.2مفهوم) التذكرة النفسية(: تكرار التذكير بالأحداث الماضية لتقوية الإيمان وخشية الله، وهو أسلوب علاجي للغفلة.
.3مفهوم) الوعي الانتقائي(: الأذن الواعية تختار ما تعيه، وهذا يعني أن الإنسان مسؤول عن تدريب أذنه على وعي الخير.
.4مفهوم) الأمان النفسي(: الشعور بأن الله أنقذ أصولك يمنحك إحساساً بالأمان والرعاية الإلهية.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) السببية الإلهية(: الماء طغى بأمر الله، والسفينة جرت بأمر الله، فالحدث ليس طبيعياً بحتاً بل هو معجزة.
.2مفهوم) جدلية الغائب والمخاطب(: الانتقال بين الضمائر يكسر الحاجز الزمني، ويجعل النص القرآني متجدداً لكل عصر.
.3مفهوم) التذكرة كأداة معرفية(: التذكرة ليست مجرد تخزين معلومة، بل هي عملية معرفية تحفز التفكير والاستبطان.
.4مفهوم) تفاوت الإدراك(: ليس كل الناس يدركون الحقائق بنفس الدرجة، وهذا يفسر التفاوت في الإ يمان.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالامتنان(: تعليم الطفل أن يشكر الله على نعم لا يدركها مباشرة، كنجاة أجداده.
.2مفهوم) التربية بالقصص التاريخية(: استخدام قصص الأنبياء في التربية، مع جعل الطفل مشاركاً فيها.
.3مفهوم) تنمية الوعي السمعي(: تدريب الطفل على الاستماع بانتباه، ثم سؤاله عما وعاه.
.4مفهوم) التربية بالالتفات(: تحويل أسلوب الكلام من الغائب إلى المخاطب لشد انتباه الطفل.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الوعي التاريخي: أن يكون للإنسان وعي تاريخي يرتبط فيه حاضر الإنسان بماضيه، ويعرف أن استمراره هو استمرار لخط المؤمنين.
.2بناء الشخصية الشاكرة: شخصية تعترف بالفضل لأهله، وتشكر الله على كل نعمة، صغرى وكبرى.
.3بناء الأمة الواعية: أمة تستمع إلى الآيات والمواعظ فتعيها وتعمل بها، لا أمة تسمع فلا تعي.
.4بناء المناهج التربوية: على أساس جعل المتعلم طرفاً في القصة، وليس مجرد متلق.
.5بناء جسور التواصل بين الأجيال: من خلال تذكير الجيل الحالي بأنه امتداد للجيل المؤمن الذي نجا.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الشكر: الشكر هو مفتاح زيادة النعم، والآية تدعو إلى شكر نعمة الوجود ذاتها، وهذا ينمي روح الإيجابية.
.2تنمية الوعي بالكوارث الطبيعية: فهم أن الكوارث قد تكون نتاج طغيان بشري، مما يدعو إلى إصلا ح المجتمعات أخلاقياً.
.3تنمية مهارات الاستماع والوعي: الوعي هو رأس المال الفكري للأمة، والأذن الواعية هي التي تتعلم وتتطور.
.4تنمية الروابط الإنسانية: تذكير البشر بأصلهم المشترك) السفينة (يقلل من الصراعات العرقية و القبلية.
.5تنمية الاستعداد للأزمات: بناء سفينة النجاة) المؤسسات، التخطيط، الإيمان (قبل وقوع الطوفان.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة في الحياة و الحضارة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآية تتسم بـ:

· الشكر الدائم: لأنها تعلم أنها مدينة لله بوجودها، فتشكره بقلبها ولسانها وجوارحها.
· الوعي العميق: لأنها تعلم أن مجرد السماع لا يكفي، بل لابد من الوعي والعمل.
· التواضع: لأنها تعلم أن أصلها كان في سفينة نوح، وأن البشر جميعاً من أصل واحد.
· الاستعداد للأزمات: كمن يبني سفينة قبل الطوفان.
· الانتماء للأمة الإيمانية: كمن يركب السفينة مع المؤمنين.

صناعة التطور والنهضة في الحياة والحضارة:

· أولا ً: الأمة التي لديها) أذن واعية (هي أمة تتعلم من تاريخها، وتستمع إلى النصائح، وتطور نفسها .فالنهضة تبدأ بالوعي.
· ثانياً: الأمة التي تشكر الله على نعمه تستحق المزيد من النعم، ومنها نعمة التقدم الحضاري.
· ثالثاً: الأمة التي تدرك أن) طغيان الماء (نتيجة لطغيان البشر، تعمل على إصلاح أخلاقها لتحمي نفسها من الكوارث.
· رابعاً: الأمة التي تتعامل مع قصص الأنبياء كتذكرة وليس كحكايات، تبني حضارتها على أسس متينة.
· خامساً: الأمة التي تشعر أن أصولها كانت في السفينة، تدرك أن وحدتها الإنسانية أعمق من الخلا فات العارضة، فتنمو حضارياً بتعاونها.

مثال تقريبي: عندما ننظر إلى الدول المتقدمة التي تهتم بتاريخها وتحتفل به وتتعلم منه، ونقارنها بمن يهمل تاريخه، ندرك قيمة (التذكرة). الآية تريد للأمة الإسلامية أن تجعل من تاريخها (تذكرة) حية ، لتبني مستقبلها على أسس واعية.

خامساً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى الشكر العملي لله على نعمة الوجود، بأن نستخدم حياتنا في طاعته.
.2تدعونا إلى جعل قصص الأنبياء تذكرة لنا، لا مجرد حكايات نرويها.
.3تدعونا إلى تطوير) الأذن الواعية (فينا، بأن نسمع الآيات بتدبر وتفكر.
.4تدعونا إلى عدم الطغيان في الأرض، كما طغى قوم نوح فطغى الماء عليهم.
.5تدعونا إلى الاعتبار بأن النجاة تكون بالإيمان والجماعة، كما في السفينة.
.6تدعونا إلى مخاطبة الأجيال بأسلوب الالتفات، ليشعروا بأنهم جزء من الأحداث.
.7تدعونا إلى إحياء ذكرى نوح في قلوبنا، ونشر قصته كتذكرة للأجيال.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة (طغى الماء)

التدبر: تخيل الماء يرتفع فجأة، كل شيء يغرق، لا ملجأ إلا الله.

الأسئلة العملية:

· هل في حياتي) طغيان (يشبه طغيان قوم نوح؟) كفر، ظلم، فساد، غرور(
· هل أشعر أن الكون قد يطغي عليّ نتيجة لطغياني؟
· ما هي) الفيضانات (التي حدثت في حياتي وكانت إنذاراً لي؟

التطبيق: كلما رأيت فيضاناً أو سيولا ً، توقف وتأمل وتذكر قصة نوح، واسأل نفسك: هل لي ذنوب قد تسبب طغيان الماء؟ وتب إلى الله.

الوقفة الثانية: وقفة (حملناكم)

التدبر: تخيل أن الله يخاطبك مباشرة: (حملناك في السفينة). كيف سيكون شعورك؟

الأسئلة العملية:

· هل أشعر أن نعمة الوجود هي نعمة شخصية من الله إليّ؟
· كيف سأتغير لو تذكرت كل يوم أن الله حملني) أي حمل أصولي (في السفينة؟
· ماذا سأقدم شكراً لهذه النعمة؟

التطبيق: اكتب في دفتر (نعم الله عليّ) واكتب أول نعمة: (نعمة الوجود بفضل الله)، ثم اكتب عملا ً تشكر به الله اليوم.

الوقفة الثالثة: وقفة (الجارية)

التدبر: السفينة تجري على وجه الماء بأمر الله، رغم أن الماء طاغٍ.

الأسئلة العملية:

· ما هي) السفينة (التي أنقذتني في حياتي؟) الإيمان، الأسرة، الأصدقاء الصالحون، العلم(
· هل أنا أركب سفينة النجاة مع المؤمنين، أم أسبح وحدي في طوفان الدنيا؟
· كيف أبني سفينة نجاة لعائلتي ومجتمعي؟

التطبيق: ابحث عن جماعة مؤمنة تنتمي إليها (مسجد، حلقة علم، جمعية خيرية) وشارك فيها، تكن سفينتك.

الوقفة الرابعة: وقفة (لنجعلها لكم تذكرة)

التدبر: الله جعل قصة نوح تذكرة لكل الأجيال.

الأسئلة العملية:

· كيف أجعل من هذه القصة تذكرة لي يومياً؟
· هل أتذكرها عند الغضب؟ عند المعصية؟ عند الشدة؟ عند الرخاء؟
· ما هي القصص الأخرى التي جعلها الله تذكرة لي؟

التطبيق: اختر قصة قرآنية (كنوح، أو يوسف، أو موسى) واجعلها (تذكرة أسبوعية) تقرأها كل يوم جمعة.

الوقفة الخامسة: وقفة (وتعيها أذن واعية)

التدبر: الأذن الواعية هي التي تسمع فتتفكر وتعمل.

الأسئلة العملية:

· هل أذني واعية عندما أسمع القرآن؟ أم أسمع ولا أعي؟
· كيف أدرب أذني على الوعي؟
· ما هي آداب الاستماع التي تطبقها حتى تعي؟

التطبيق: عند سماع أي آية، اسأل نفسك: (ما معناها؟ ما دلالتها؟ ما الرسالة لي؟ كيف أطبقها؟). ولا تنتقل إلى الآية التالية حتى تجيب.

الوقفة السادسة: وقفة أسلوب الالتفات

التدبر: لماذا تحول الخطاب من الغائب إلى المخاطب؟

الأسئلة العملية:

· هل أشعر بأن الله يتحدث إلي مباشرة في هذه الآية؟
· كيف يمكنني استخدام أسلوب الالتفات في تربية أبنائي أو وعظ أصدقائي؟
· هل هناك آيات أخرى أشعر فيها أن الله يخاطبني شخصياً؟

التطبيق: اختر آية فيها التفات (كحملناكم)، وكررها على مسامع نفسك كل يوم بصيغة (أنت)، مثلا ً: (لما طغى الماء حملك في الجارية). هذا سيجعلها حية في قلبك.

رسالة الختام

لقد تبين لنا من خلال هاتين الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى يمن على البشرية جمعاء بنعمة عظيمة: إنقاذ أصولهم من الطوفان، وجعل هذا الحادث تذكرة خالدة. وقد تعلمنا أن هذه النعمة تستوجب الشكر العملي، وأن الانتفاع بها يكون بوجود (أذن واعية) تسمع فتفهم، وتفهم فتعي، وتعيه فتعمل.

وتعلمنا أن القرآن عندما ينتقل من الحديث عن الأمم الغابرة بصيغة الغائب إلى الحديث إلينا بصيغة المخاطب، فإنما يريد أن يجعلنا شركاء في القصة، وأن نشعر بأننا من نسل الناجين، وأن علينا أن نكون مثلهم بالإيمان، وألا نكون مثل الغارقين بالكفر.

وتعلمنا أن طغيان الماء كان نتيجة طغيان قوم نوح بالكفر والمعاصي، فكل طغيان بشري يقابله طغيان في عناصر الكون. وهذا درس لنا ولأجيالنا أن نصلح ما بيننا وبين الله، فإن الطوفان ليس بعيداً، والزلازل والأعاصير والأوبئة قد تكون تذكرة لمن له أذن واعية.

فلنختم هذه الرحلة بالتأمل في قوله تعالى: {وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} (القمر:15). نسأل الله أن يجعلنا من المدكرين الواعين، وأن يحملنا في سفينة النجاة مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما حمل أجدادنا مع نوح. اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك.

والحمد لله رب العالمين.

المقطع الثاني
القسم الاول
المبحث الأول
تفسير تفصيلي للآيات الكريمة13) - (15من سورة الحاقة

}فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ{

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة11) - (12تحدثت عن نعمة عظيمة من نعم الله على البشرية: نجاة المؤمنين مع نوح في السفينة عند طغيان الماء، وجعل هذه الحادثة تذكرة للأجيال، بشرط وجود أذن واعية تسمع وتعي وتتعظ.

بعد هذا الامتنان الجميل، يعود السياق فجأة إلى التهويل من يوم القيامة، وكأن الله يقول: إذا كنتم تذكرتم نعمتي عليكم في الماضي من خلال إنقاذ أصولكم من الطوفان، فاستعدوا ليوم القيامة الذي هو أكبر وأعظم .فالطوفان كان هلاكاً لبعض الناس، أما النفخة في الصور فهي هلاك للكون كله ثم بعث جديد.

وهذا الربط له حكمة عظيمة: أن لا تغتروا بنعم الله فتنسوا يوم الحساب .فكما أنجيناكم من طوفان نوح برحمتنا، فسوف نبعثكم ليوم القيامة بعدله .وكما كانت التذكرة لمن له أذن واعية، فالنفخة في الصور ستوقظ كل غافل، لكن الوعي قبل النفخة هو ما ينفع.

والسياق العام للسورة) الحاقة (يتحدث عن يوم القيامة، وبينت الآيات السابقة1) - (10هلاك المكذبين، ثم جاءت آيات الامتنان11) - (12كاستراحة أو كتذكير بالرحمة في أثناء الحديث عن العذاب، ثم تعود الآيات13) - (15إلى صلب موضوع السورة: القيامة وأهوالها، بقوة أكبر، لأنها تنتقل من الحديث عن حوادث ماضية محدودة) طوفان نوح، هلاك عاد وثمود وفرعون (إلى حدث كوني شامل: نهاية الكون وقيام الساعة.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الثلاث في فكرة مركزية واحدة هي: مشهد النفخة الأولى في الصور التي تنتهي بها الحياة الدنيا، ويبدأ بها يوم القيامة .وتتفرع إلى ثلاث مراحل متسلسلة:

الفكرة الأولى: النفخة في الصور} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ.{

· إذا (ظرف للمستقبل تفيد التحقيق واليقين، أي أن هذا سيحدث لا محالة.
· نفخ في الصور (هو النفخة الأولى التي يموت بها جميع من في السموات والأرض إلا من شاء الله.
· نفخة واحدة (للتأكيد على أنها تحدث مرة واحدة لا تتكرر، وتفيد السرعة والمفاجأة والشمول.

الفكرة الثانية: دك الأرض والجبال} وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً.{

· الأرض والجبال تحمل من أماكنها، ثم تدك وتكسر وتتفتت دكة واحدة.
· تصوير لحالة الكون عند قيام الساعة: الأرض تخرج من استقرارها، الجبال الشامخة تصبح كالعهن المنفوش.

الفكرة الثالثة: وقوع الواقعة} فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ.{

· يومئذ (أي في ذلك اليوم الذي تنفخ فيه الصور وتدك الأرض والجبال.
· وقعت الواقعة (أي قامت القيامة وتحقق ما وعد الله به، والواقعة من أسماء يوم القيامة لأنها واقعة لا محالة.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، وأنه يبدأ بنفخة واحدة تنهي الحياة الدنيا كلها في لحظة .هذا يزرع في النفس اليقين والاستعداد لذلك اليوم.

المغزى الثاني: تصوير عظمة الله وقدرته، فهو الذي يفني هذا الكون الهائل في لحظة واحدة بنفخة واحدة .فإذا كان الله قد أنجى المؤمنين في سفينة نوح بقدرته، فهو القادر أيضاً على إنهاء الكون متى شاء.

المغزى الثالث: أن الدنيا مهما كانت عظيمة في أعيننا، فهي زائلة .فالأرض التي نعيش عليها والجبال التي نراها شامخة ستُحمل وتدك كأنها لم تكن.

المغزى الرابع: الانتقال من نعمة النجاة في سفينة نوح إلى هول النفخة في الصور فيه تنبيه على أن نعمة الدنيا ليست أبدية، وأن الآخرة هي دار القرار، فالاستعداد لها بالتذكرة والوعي هو ما ينفع.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات البعث والنشور، وأن الساعة آتية لا محالة، وأن الله قادر على إماتة الخلق كلهم ثم إحيائهم.

الهدف العقدي الثاني: تفخيم أمر يوم القيامة في قلوب المؤمنين، وجعلهم يعيشون خشيته، فيستعدون له بالأعمال الصالحة.

الهدف النفسي: إيقاظ النفوس الغافلة التي عاشت في الدنيا كأنها باقية، وتذكيرها بأن لحظة واحدة تأتي فتنتهي الدنيا كلها .وهذا يخلق حالة من الجدية والاستعداد.

الهدف البياني: التدرج في تصوير أهوال القيامة: تبدأ بالصوت) النفخ(، ثم بالحركة) حمل الأرض و الجبال(، ثم بالتدمير) الدك(، ثم بالإعلان) وقوع الواقعة .(وهذا التدرج يخلق إحساساً بالرهبة المتزايدة.

الهدف التربوي: تعليم أن الإيمان باليوم الآخر يجب أن يكون حاضراً في الضمير، وأن التفكر في زوال الدنيا يربي في النفس الزهد والتعلق بالآخرة.

الهدف الدعوي: دعوة الناس إلى التوبة والاستعداد قبل فوات الأوان، فالنفخة تأتي فجأة، فمن لم يستعد يندم حيث لا ينفع الندم.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ{

.1دلالة) إذا(:

)إذا (ظرف للمستقبل، ولكنه يفيد التحقيق والحتمية، أي أن هذا الأمر سيقع لا محالة .وهي تختلف عن) إن (الشرطية التي تفيد الشك والتوقع .فاستخدام) إذا (بدلا ً من) إن (يدل على أن النفخ في الصور ليس احتمالا ً بل حقيقة مؤكدة .وفي هذا طمأنة للمؤمنين بأن وعد الله حق، وتهديد للكافرين بأن ما يستعجلون به سيأتي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية من هذه الدلالة:

· نفسياً: إذا (تخلق شعوراً بالترقب والخوف الممزوج باليقين .إنها كمن يقول لك: "انتظر، فالحدث قادم لا محالة" .هذا يبقي النفس في حالة استعداد دائم.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكون يسير بنظام، لكن هذه) إذا (تخبر أن هذا النظام سينتهي في لحظة بأمر الله، مما يوقظ العقل من غفلته عن الموت والبعث.
· تربوياً: تعليم أن اليقين بالآخرة هو أساس الإيمان، وأن الشك فيها مرض يحتاج إلى علاج.
· عملياً: نربط قلوبنا بهذا اليوم، ونتذكره في كل صباح ومساء، فنقول في أنفسنا: "لعل النفخة تكون اليوم".

.2دلالة) نُفِخَ فِي الصُورِ(:

الصور: قرن أو بوق ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام بأمر الله .النفخ فيه مرات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق) الموت(، ونفخة البعث .والظاهر من سياق الآية أنها نفخة الصعق التي يموت بها جميع الخلق . الفعل) نُفِخَ (مبني للمجهول، للدلالة على عظمة الفاعل) الله(، فلم يقل "ينفخ إسرافيل" بل "نُفِخَ" ليُصرف الذهن إلى الأمر الإلهي العظيم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) الصور (تحمل وقعاً مهيباً في النفس، فهي آلة غير عادية، وصوتها ليس كالأصوات . تخيل صوتاً واحداً يميت كل شيء - هذا يزرع رهبة لا توصف.
· عقلياً: العقل يتساءل: كيف يمكن لصوت أن يميت الملايين؟ لكن العقل المؤمن يعلم أن الله يفعل ما يشاء، وأن الأسباب كلها بيده.
· تربوياً: نربي أنفسنا وأبناءنا على أن لا نستهين بأمر القيامة، وأن نذكرهم بأن الموت يأتي فجأة.
· عملياً: كلما سمعنا صوتاً عالياً) رعد، انفجار، جرس(، نتذكر صورة النفخ في الصور، ونتذكر أن الصوت الحقيقي المخيف هو صوت البعث.

.3دلالة) نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ(:

)واحدة (هنا تحمل عدة دلالات عظيمة:

· دلالة السرعة: النفخة واحدة فقط، وليست متعددة .وهذا يعني أن نهاية الدنيا تحدث في لحظة واحدة، وليس على مراحل.
· دلالة الشمول: نفخة واحدة تشمل كل الخلق، من كان في المشرق ومن كان في المغرب، في لحظة واحدة.
· دلالة القوة: نفخة واحدة كافية لإنهاء هذا الكون الهائل، وهذا يدل على عظمة الأمر الإلهي.
· دلالة المفاجأة: واحدة تعني أنها تأتي دون سابق إنذار متكرر، بل فجأة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) واحدة (تخلق في النفس شعوراً بالخوف من المفاجأة، فالإنسان لا يدري متى تأتي هذه النفخة .كما تخلق شعوراً بالعظمة الإلهية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الخالق القادر على خلق هذا الكون بقدرته، قادر على إفنائه بلحظة.
· تربوياً: تعليم ألا نؤجل التوبة والتغيير، فاللحظة الواحدة قد تأتي ونحن على حال لا يرضي الله.
· عملياً: أن نستعد للموت وكأنه في اللحظة القادمة، وأن ننظر إلى كل يوم كأنه فرصتنا الأخيرة.

.4ما بين} طغى الماء {و}نفخة واحدة {من علاقة:

في الآية السابقة (11) حدث طغيان الماء وكان محدوداً بزمن نوح ومكانه، أما هنا فالنفخة ستطغى على الكون كله .هناك طغيان الماء كان نعمة لمن نجا) لأنه كان سبباً لبقاء النسل البشري(، وطغيان النفخة سيكون نقمة على الكافرين وابتلاء للمؤمنين ثم نعمة لهم بالجنة .وهذه المقارنة تزيد المؤمن خشية وشكراً.

ثانياً: دلالة قوله} وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً{

.1دلالة) حُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ(:

)حُمِلَتْ (من الحمل، أي رفعت من أماكنها وأزيلت عن قرارها .والأرض والجبال - وهما أثقل ما نعرف - تصبحان كأنهما لا وزن لهما، يُحملان بسهولة .هذا تصوير لزوال الاستقرار الكوني .فالأرض التي هي قرار الإنسان ومستقره تُحمل كأنها شيء خفيف .والجبال الراسيات الثوابت تُقلع من جذورها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تخيل أن تشعر فجأة بأن الأرض التي تحت قدميك تتحرك وترتفع، وتشاهد الجبال تطير .هذا مشهد يخلق رعباً وفزعاً لا يوصف.

· عقلياً: العقل يتصور زوال كل معالم الاستقرار في الكون، وهذا يوقظ العقل إلى أن كل شيء في الدنيا زائل، وأن المستقر الحقيقي هو عند الله.
· تربوياً: تعليم ألا نطمئن إلى الدنيا كثيراً، وألا نبني عليها آمالا ً طويلة .فالبيت الذي نسكنه والأرض التي نمشي عليها سترفع وتزول.
· عملياً: أن نكون في الدنيا كأننا مسافرون، نأخذ منها ما ينفعنا للآخرة، ولا نرتبط بها ارتباطاً يجعل زوالها صعباً علينا.

.2دلالة) فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(:

)دُكَّتَا (من الدك، وهو الكسر والطحن والتسوية بالأرض .والدكة هي المرة الواحدة من الدك .والمعنى: أن الأرض والجبال تُسحق وتسوى بالأرض دكة واحدة .وقد وصف الله هذا المشهد في آيات أخرى: }وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) {المزمل:(14،} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) {الواقعة: .(5الدكة الواحدة تفيد أن التدمير شامل وكامل في لحظة واحدة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) دُكَّتَا (تحمل معنى العنف والتدمير الكامل، كأن جبلا ً عظيماً يُسحق ويصبح كالغبار . هذا يزرع في النفس الخوف من قدرة الله، والتواضع أمام عظمته.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجبال التي نراها صامدة آلاف السنين، ستنتهي في لحظة بأمر الله .فهي ليست أبدية كما يظن الجاهلون.
· تربوياً: نتعلم أننا لا نثق في قوة الدنيا، فليست الجبال بمنعة من أمر الله، فكيف بنا نحن الضعفاء؟
· عملياً: ألا نفتخر بالقوة البدنية أو المادية، فهي كلها زائلة كزوال الجبال.

.3دلالة الجمع بين) حُمِلَتْ (و)دُكَّتَا(:

هما مرحلتان متتاليتان: الأولى حمل الأرض والجبال من أماكنها، والثانية دكها وتفتيتها .وهما صورتان لزوال الكون: الأولى زوال المكان والاستقرار، والثانية زوال الشكل والمادة .فالأرض تصبح غير مستقرة ، ثم تصبح غير موجودة بهيئتها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: لا يمكن للعقل البشري أن يستوعب هول هذا المشهد، وهذا يخلق شعوراً بالعجز أمام عظمة الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن كل نظام في الكون قابل للانهيار، وأن الله وحده هو الباقي.
· ترباوياً: نربي أنفسنا على عدم التعلق بالدنيا، فحتى الأرض التي نسير عليها ليست ثابتة.
· عملياً: نسأل الله الثبات على دينه، فنحن نتحرك يوم القيامة إلى أرض أخرى غير هذه الأرض.

ثالثاً: دلالة قوله} فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ{

.1دلالة) يَوْمَئِذٍ(:

)يومئذ (إشارة إلى اليوم الذي تنفخ فيه الصور وتدك الأرض والجبال .وهو يوم عظيم مخصوص، وليس كسائر الأيام .فالأيام في الدنيا محدودة معروفة، أما هذا اليوم فهو من أيام الآخرة التي لا نهاية لها .وتقديم) يومئذ (على الفعل) وقعت (يفيد الاهتمام بهذا اليوم وتعظيمه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: اسم الإشارة) ذلك (البعيد يفيد تعظيم ذلك اليوم وعلو شأنه، وأنه بعيد عن أذهاننا لكنه قريب في علم الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن هناك يوماً سيأتي مختلفاً عن كل الأيام التي عشناها، يوم لا تشرق فيه شمس ولا يغرب قمر، يوم ينكشف فيه السرائر.
· تربوياً: نربي أنفسنا على أن نستعد لذلك اليوم بالإيمان والعمل الصالح.
· عملياً: نخصص وقتاً كل أسبوع للتفكر في هذا اليوم، ونتذكر أنه آت لا محالة.

.2دلالة) وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(:

)وقعت (أي حدثت وحلت وقامت .و)الواقعة (اسم من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لأنها واقعة لا محالة، ولأنها تقع بغتة، ولأنها تقع بالخلق وتنزل بهم .وفي تسميتها) الواقعة (مع) وقعت (تأكيد وتكرير لغرض التفخيم، أي تحققت القيامة التي وعدتم بها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) وقعت (كلمة تحمل معنى الحتمية والوقوع الذي لا مفر منه .فكما أن الشيء إذا وقع لا يمكن رفعه، فالقيامة إذا وقعت لا يمكن تأخيرها.
· عقلياً: العقل يدرك أن كل ما وعد الله به سيتحقق، وأن الكافرين سيرون يوم القيامة عياناً.
· تربوياً: نتعلم أن لا نستهين بوعد الله، وأن نوقن بأن كل ما أخبر به القرآن حق.
· عملياً: نردد في أنفسنا:) الواقعة (ستقع، فهل أنا مستعد؟

.3ما بين) الواقعة (في الآية (15) و)الحاقة (في أول السورة:

السورة افتتحت ب) الحاقة (وهو اسم آخر للقيامة، ثم ختمت بأهوال القيامة ووقوع الواقعة .وهناك تناسق بديع: الحاقة تثبت حقيقة القيامة، والواقعة تبين وقوعها .فالحاقة تهول من شأنها، والواقعة تؤكد حدوثها.

الأمر الثاني: الربط بين الآيات11) - (12و13)- (15- مقارنة بين طغيان الماء والنفخة في الصور

وجه المقارنه	طغيان الماء في الايات 11 و 12	النفخه في الصور في الايات 13 و 14 15
النطاق	محدود (زمن نوح، الأرض في ذلك الزمن)	شامل الكون كله
السبب	طغيان البشر بالكفر	امر الله بانهاء الدنيا
النتيجه	هلاك الكفار ونجاه المؤمنين	هلاك كل الخلق ثم بعثهم
التوقيت	حدث وانتهى	سيحدث في المستقبل ولا يعلم به الا الله
الغرض	تذكره للبشريه	تذكره وحساب الخلائق

العلاقة بالمخاطب) حملناكم (- المخاطبون كانوا في السفينة بأصولهم) يومئذ (- المخاطبون سيشهدونها بأنفسهم

هذه المقارنة تؤكد أن نعم الله السابقة) النجاة من الطوفان (هي تذكرة لحدث أعظم) القيامة(، وأن من شكر الله على النعمة السابقة يستعد للحدث القادم.

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني

ترسم هذه الآيات مشهداً واحداً متكاملا ً في ثلاث لوحات:

اللوحة الأولى: مشهد النفخة} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ{

الكاميرا تبدأ بصمت تام .ثم فجأة، صوت مدوٍ يصدر من) الصور(، صوت واحد فقط .الكاميرا تظهر رد فعل كل شيء: الإنسان يسقط، الحيوان يموت، الطيور تسقط من السماء .كل شيء يتوقف .الكاميرا تتسع لترى الأرض كلها، البشر جميعهم يسقطون في لحظة واحدة .الصوت يخفت، ثم يعود الصمت، صمت الموت.

اللوحة الثانية: مشهد حمل الأرض والجبال ودكها} وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً{

الكاميرا تنتقل إلى الأرض .فجأة، تشعر وكأن الأرض قد رفعت من مكانها، كأنها طبق طائر .الكاميرا تظهر الجبال الشامخة تقلع من جذورها وترفع في الهواء .ثم لحظة الدك: الكاميرا تصور الجبال وهي تتصادم مع الأرض، فتتفتت كأنها رمل .الأرض تصبح مستوية، لا جبال فيها ولا وديان .الكاميرا تظهر كل شيء أصبح هباءً منثوراً.

اللوحة الثالثة: مشهد وقوع الواقعة} فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ{

الكاميرا تعلن: الآن بدأ يوم القيامة .الواقعة قد وقعت .الكاميرا تظهر الخلائق تبعث من قبورها، و السماء تتشقق، والملائكة تصطف، والله يأتي للحساب .وهذا المشهد يبقى معلقاً، ليفتح المجال لبقية السورة التي تصف الحساب والجزاء.

ثانياً: أغراض هذا التصوير

.1تصوير أهوال القيامة بصورة حسية: القيامة غيب، لكن القرآن يصوّرها كأننا نراها بأعيننا.
.2إثارة الرهبة في النفوس: التصوير المتدرج من الصوت إلى الحركة إلى الدمار يخلق قمة من الرهبة.
.3ربط الماضي بالحاضر والمستقبل: كما صور الله طوفان نوح، يصور قيام الساعة، ليعلم الناس أن سنة الله واحدة.
.4الدعوة إلى الاستعداد: الصورة تجعل السامع كأنه يعيش الحدث، فيستعد له قبل أن يقع.
.5إظهار عظمة الله: من خلال تصوير قدرته على إنهاء هذا الكون الهائل بلحظة.

رابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى:) نفخة واحدة (تذكير بأن الدنيا تنتهي في لحظة

تخيل أنك تعيش حياتك طبيعياً، وفجأة تصدر نفخة واحدة، فتنتهي كل شيء .هذا يعني أن كل ما نبنيه ونخطط له يمكن أن ينتهي في لحظة .الاستفادة: لا تؤجل التوبة أبداً، فالنفخة قد تأتي وأنت على حال لا يرضى الله.

الخاطرة الثانية:) حُمِلَتِ الأَرْضُ (تذكير بأن الأرض ليست مستقراً أبدياً

نحن نعيش على الأرض وكأنها باقية، نبني البيوت ونزرع الأشجار ونخطط لعقود قادمة .لكن الآية تخبر أن الأرض ستحمل وتزول .الاستفادة: قل تعلقي بالدنيا، واجعل همك الآخرة، فالدار الحقيقية هي عند الله.

الخاطرة الثالثة:) دُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (تذكير بأن الجبال ليست بمنعة

الجبال هي أقوى ما نراه في الطبيعة، صامدة أمام العواصف والزلازل آلاف السنين .لكنها أمام أمر الله تصبح كالغبار .الاستفادة: لا تتكل على قوتك أو مالك أو منصبك، فهذه كلها أضعف من أن تقف أمام قدرة الله.

الخاطرة الرابعة:) وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ (تذكير بأن يوم القيامة حتمي

كثير من الناس يعيشون وكأن القيامة لن تأتي، أو يؤجلون فكرتها إلى آخر العمر .الآية تؤكد أنها)واقعة(، أي حاصلة لا محالة .الاستفادة: اجعل إيمانك بالآخرة حاضراً في قلبك، فكر في الحساب و الجنة والنار يومياً.

الخاطرة الخامسة: الانتقال من) الجارية (إلى) الصور (تذكير بأن النعم تتبعها الأهوال

بعد أن تحدث الله عن سفينة النجاة وتذكرة الأذن الواعية، يأتي الحديث عن النفخة التي لا تنجي أحداً .هذا يعني أن نعم الدنيا مؤقتة، والاستعداد للآخرة هو الباقي .الاستفادة: لا تغتر بنعم الله فتنشغل بها عن شكره والاستعداد للقائه.

الخاطرة السادسة:) واحدة (في النفخة والدكة تذكير بالإتقان الإلهي

تكررت) واحدة (مرتين: نفخة واحدة، دكة واحدة .هذا يدل على أن الله يفعل ما يشاء بكلمة واحدة)كن فيكون .(فكما خلق الكون بكلمة، يفنيه بكلمة .الاستفادة: عظِّم الله في قلبك، وتذكر أنه على كل شيء قدير.

الخاطرة السابعة: غياب الفاعل) نُفِخَ، حُمِلَتْ، دُكَّتَا (لتعظيم الفاعل الحقيقي

كل الأفعال في الآيات مبنية للمجهول، لم يُذكر فيها فاعل، ليوحي بعظمة الفاعل الحقيقي وهو الله .

وكأن الأمر عظيم لدرجة أن ذكر الفاعل فيه يزيد الأمر هولا ً .الاستفادة: اشعر بعظمة الله كلما قرأت هذه الآيات، واسجد له خاضعاً.

خامساً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية الإيمان باليوم الآخر وبعده أساسي في العقيدة الإسلامية.
.2قضية نهاية الكون، وبيان أن كل شيء في هذا الكون زائل إلا الله.
.3قضية القدرة الإلهية المطلقة على الإفناء كما على الإيجاد.
.4قضية مفاجأة الموت والقيامة، والحث على الاستعداد الدائم.
.5قضية ارتباط نهاية كل نبي وأمته بقيامة كبرى تنتهي فيها الدنيا كلها.
.6قضية الموازنة بين الخوف والرجاء) فبعد آيات الطوفان التي فيها رجاء، تأتي آيات النفخة التي فيها خوف.(

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك تعيش هذا المشهد، وتشعر بأن النفخة قد تنفخ في أي لحظة، فتسأل نفسك: هل أنا مستعد؟

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: ابدأ يومك بتذكير نفسك: "اليوم قد تنفخ الصور، فكيف سألقى الله؟"
· في عباداتك: في صلاتك، عندما تقرأ) مالك يوم الدين(، تذكر أن هذا اليوم هو يوم النفخة والواقعة.
· في معاملاتك: لا تظلم ولا تغش، وكأنك ترى يوم القيامة أمام عينيك.
· في تربيتك: علم أطفالك أن الدنيا زائلة، وأن اليوم الحقيقي هو يوم القيامة.
· في دعوتك: ذكر الناس بأن الغفلة عن الموت والقيامة هي داء، وأن تذكرهما هو الدواء.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى الدنيا: الدنيا ليست دار قرار، بل هي ممر إلى الآخرة .فكل ما فيها - الأرض و الجبال والسماء - سيزول.
.2تغيير النظرة إلى الموت: الموت ليس نهاية الحياة، بل هو بداية حياة جديدة، والقيامة هي الا نتقال الكامل.
.3تغيير النظرة إلى الأمان: الأمان الحقيقي ليس في المال أو الجاه أو القوة، بل في الإعداد ليوم القيامة.
.4تغيير النظرة إلى الوقت: الوقت ثمين، فكل لحظة تمر نقترب بها من النفخة، فعلينا استغلالها في الطاعة.
.5تغيير النظرة إلى الهموم: هموم الدنيا صغيرة أمام هول يوم القيامة، فلا نشتغل بها عن الهم الأ كبر.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الدنيا زائلة ولو طال بقاؤها .التطبيق: لا تعلق قلبك بالدنيا، واجعل الآخرة همك الأكبر.

الدرس الثاني: قدرة الله عظيمة، يفني الكون بلحظة .التطبيق: أكثر من التسبيح والاسترجاع والتذلل لله.

الدرس الثالث: يوم القيامة آت لا محالة .التطبيق: استعد له بالتوبة والعمل الصالح كل يوم.

الدرس الرابع: لا ينفع مال ولا بنون يوم القيامة .التطبيق: أكثر من الأعمال التي تنفع هناك: الإيمان، الصلاة، الصدقة، الصوم، الحج، الذكر.

الدرس الخامس: النفخة مفاجأة، فلا تعرف متى تأتي .التطبيق: لا تؤخر التوبة إلى الغد، فقد لا يأتي

الغد.

الدرس السادس: الجبال الشامخة ستصبح هباء .التطبيق: لا تتكبر على الناس، فأنت أضعف من الجبال.

سادساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة التصور والتخيل) تخيل مشهد القيامة من خلال الوصف القرآني.(
· مهارة التحليل المقارن) مقارنة طوفان نوح بنهاية الكون.(
· مهارة استخلاص العبر من الأحداث الغيبية.
· مهارة فهم دلالات التكرار في القرآن) نفخة واحدة، دكة واحدة.(

المهارات الحياتية

· مهارة الاستعداد للموت) التوبة، الاستغفار، الإخلاص.(
· مهارة إدارة الوقت) استغلال الوقت في الطاعة قبل فواته.(
· مهارة ضبط الأولويات) جعل الآخرة أولا ً.(
· مهارة التواضع) تذكير النفس بأن الجبال ستدك فكيف بي أنا؟.(

المهارات العملية

· مهارة التخطيط للآخرة) وضع خطة عمل يومية تخدم الهدف الأخروي.(
· مهارة تذكير النفس والآخرين بيوم القيامة.
· مهارة تحويل الخوف من القيامة إلى طاقة إيجابية للعبادة.
· مهارة الاستعداد الدائم) كمن يسافر في كل لحظة.(

سابعاً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1لا تغفل عن ذكر الموت والقيامة، فذكرهما يزكي النفس.
.2كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ولا تتخذها وطناً.
.3ازرع في قلبك خشية الله، فالخوف من يوم القيامة عبادة.
.4استعد للنفخة كما يستعد المسافر لرحلته.
.5انظر إلى الجبال وتذكر أنها ستدك، فلا تفتخر بقوتك.
.6علم أبناءك أن الدنيا قصيرة والآخرة طويلة.
.7استغل كل فرصة للطاعة، فربما تكون آخر فرصة.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الوعي الإيماني: تجعل المؤمن يعيش بيقين الآخرة، فيتغير سلوكه وأخلاقه.
· تطوير الأخلاق: الخوف من القيامة يردع عن المعاصي ويحث على الطاعات.
· تطوير المناهج التربوية: إدراج التفكر في نهاية الكون في المناهج لتربية الأجيال على الاستعداد.
· تطوير العلاقات الاجتماعية: تذكير الناس بأنهم سيجتمعون يوم القيامة يقلل من الخصومات والظلم.
· تطوير ثقافة التخطيط: تعليم الناس أن يخططوا للآخرة كما يخططون للدنيا.

ثامناً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الحياة الدنيا مهما طالت، فهي قصيرة جداً مقارنة بالآخرة، ومصيرها إلى زوال.
.2أن القوة الحقيقية ليست في الجبال ولا في التكنولوجيا، بل في الإيمان بالله.
.3أن الاستعداد ليوم القيامة هو أهم مشروع في حياتنا.
.4أن الموت قد يأتي في أي لحظة، فعلينا أن نكون على استعداد دائم.
.5أن التفكر في نهاية الكون يمنحنا منظوراً صحيحاً للحياة: لا نغتر بالدنيا، ولا نيأس من رحمة الله.
.6أن الأذن الواعية التي تعلمت من طوفان نوح هي نفسها التي تستعد لنفخة الصور.
.7أن السفينة التي نجت بنا في الدنيا) الإيمان والجماعة (هي التي تنجينا في الآخرة أيضاً.

تاسعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد الكوني: الآية تتحدث عن نهاية الكون كلها، الأرض والجبال وكل ما فيها .هذا البعد يجعل الإ نسان يشعر بضآلته أمام هذا الحدث العظيم.
.2البعد الزمني:) نفخة واحدة، دكة واحدة (تفيد أن هذه النهاية تحدث في زمن قصير جداً، وهذا يضيف إلى هول المشهد.
.3البعد النفسي: الآية تخلق في النفس مزيجاً من الخوف والرجاء: الخوف من الهول، والرجاء في رحمة الله لمن آمن وعمل صالحاً.
.4البعد العقدي: إثبات أن الله هو الفاعل الحقيقي، وأن كل شيء بأمره، وأن اليوم الآخر حق.
.5البعد البياني: التدرج في الأهوال) النفخ ← الحمل ← الدك ← وقوع الواقعة (يخلق إيقاعاً تصاعدياً يصل إلى الذروة في) وقعت الواقعة.(
.6البعد التربوي: تربية النفس على الاستعداد الدائم واليقظة، وعدم الركون إلى الدنيا.

الآفاق:

.1أفق الاستعداد: فتح باب الاستعداد الدائم للآخرة، فلا يعيش الإنسان يوماً واحداً دون أن يكون مستعداً.
.2أفق التدبر الكوني: النظر إلى السماء والأرض والجبال كآيات تذكرنا بيوم القيامة.
.3أفق التوازن النفسي: التذكير بأن الدنيا زائلة يخفف من وطأة المصائب، ويهون من فرط الأفراح.
.4أفق التجديد الإيماني: كلما قرأ الإنسان هذه الآيات، جدد إيمانه باليوم الآخر.
.5أفق التخطيط الطويل المدى: تعليم الناس أن يخططوا لأبعد من حياتهم الدنيا، إلى الحياة الأبدية.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة اليقين: الإيمان الجازم بأن يوم القيامة آت لا محالة.
.2قيمة الاستعداد: التهيؤ للقاء الله بالأعمال الصالحة.
.3قيمة التواضع: لأن الجبال ستدك، فكيف بنا أن نتكبر؟
.4قيمة الزهد: عدم التعلق بالدنيا لأنها زائلة.
.5قيمة الخشية: الخوف من الله ومن يوم القيامة.
.6قيمة الرجاء: رجاء رحمة الله لمن آمن وعمل صالحاً.
.7قيمة التذكير: تذكير النفس والآخرين بهذا اليوم العظيم.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم) نفخة واحدة(: في حياتنا العملية، هذا المفهوم يذكرنا بأن اللحظة الواحدة يمكن أن تغير كل شيء .فموت الإنسان يأتي في لحظة، وتغيير الحياة يأتي في لحظة، والتوبة قد تأتي في لحظة . فعلينا ألا نستهين باللحظة الواحدة.

مفهوم) حُمِلَتِ الأَرْضُ(: في حياتنا العملية، عندما نشعر بالأمان والاستقرار، نتذكر أن هذا الاستقرار مؤقت .فالأرض التي نعيش عليها يمكن أن تهتز بالزلازل أو تبتلعنا أو تنقلب بنا .فعلينا أن لا نطمئن إلى الدنيا كثيراً.

مفهوم) دُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(: في حياتنا العملية، هذا المفهوم يذكرنا بأن أقوى الأشياء قابلة للكسر . الجبال تندك، فكيف بكراماتنا وقوتنا ومراكزنا؟ فعلينا ألا نعتد بقوتنا الدنيوية.

مفهوم) وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ(: في حياتنا العملية، هذا المفهوم يذكرنا بأن كل ما وعد الله به سيقع .فالوعد الإلهي ليس كوعود البشر .فعلينا أن نثق في وعد الله، ونستعد له.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف الإيجابي(: الخوف من يوم القيامة ليس خوفاً مرضياً، بل هو خوف يدفع إلى العمل والاستعداد .إنه محرك نفسي للطاعة.
.2مفهوم) اليقظة الوجودية(: التفكر في نهاية الكون يوقظ الإنسان من غفلته، ويجعله يعيش حياته بوعي وحضور.
.3مفهوم) تصغير الدنيا(: تذكر هول القيامة يقلل من حجم مشاكل الدنيا، فلا يضخم الإنسان صغائر ا لأمور.
.4مفهوم) الاستعداد الدائم(: أن يعيش الإنسان في حالة من التأهب، كمن ينتظر حدثاً عظيماً في أي لحظة.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) الحتمية الإلهية(: الأحداث الكونية ليست عشوائية، بل هي محكومة بأمر الله وإرادته.
.2مفهوم) الزمن القرآني(: القرآن لا يتحدث عن الماضي فقط، بل يربطه بالحاضر والمستقبل، فيجعل الأحداث كلها حية.
.3مفهوم) السببية واللامسببية(: قد نرى أسباباً طبيعية للأحداث، لكن وراءها قدرة الله المطلقة التي تفعل ما تشاء بدون أسباب.
.4مفهوم) غائية الخلق(: للخلق غاية، وهي الابتلاء ثم الجزاء في الآخرة .ونهاية الكون هي بداية الجزاء.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالخوف والرجاء(: الجمع بين آيات الرجاء) كطوفان نوح (وآيات الخوف) كنفخة الصور (يربي النفس على التوازن.
.2مفهوم) التربية بالتصوير(: استخدام التصوير البياني القوي لترسيخ المعاني في النفوس.
.3مفهوم) التربية بالتذكير(: التكرار والتذكير الدائم بيوم القيامة يبقي الإيمان حياً في القلب.
.4مفهوم) التربية بالقدوة(: جعل قصص الأنبياء والأمم السابقة عبرة، وجعل يوم القيامة هدفاً.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الوعي الأخروي: أن يكون الإنسان واعياً بأن هناك حياة بعد الموت، وأن هذه الحياة هي الهدف الحقيقي.
.2بناء الشخصية المتزنة: شخصية لا تغتر بالدنيا ولا تيأس من الآخرة، تجمع بين العمل للدنيا والا ستعداد للآخرة.
.3بناء الأمة الواعية: أمة تعيش بيقين الآخرة، فتستعد لها إعداداً يغير واقعها نحو الأفضل.
.4بناء المناهج التربوية: على أساس ربط كل عمل بالجزاء الأخروي.
.5بناء العلاقات الاجتماعية: على أساس أن الجميع سيلتقون يوم القيامة، فلا ظلم ولا عدوان.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الاستعداد الدائم: تعليم الناس أن يستعدوا للموت كما يستعدون للسفر.
.2تنمية ثقافة عدم التعلق: عدم التعلق بالدنيا وفتنها، مما يريح النفس من كثير من الهموم.
.3تنمية ثقافة التواضع: تذكير النفس بأن الجبال ستدك، فالإنسان أولى بالتواضع.
.4تنمية ثقافة الإخاء: لأن الجميع سيبعثون يوم القيامة، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.
.5تنمية ثقافة المسؤولية: كل إنسان مسؤول عن استعداده للقيامة، لا ينفعه فيه مال ولا ولد.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة في الحياة و الحضارة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· اليقين بالآخرة: تعيش وكأن القيامة أمام عينيها، فتحاسب نفسها قبل أن تحاسب.
· التوازن: لا تفرط في الدنيا ولا تنسى الآخرة.
· الاستعداد الدائم: كمن ينتظر حدثاً عظيماً في أي لحظة.
· التواضع: لأنها تعلم أن الجبال ستدك، فما بالها هي؟
· الزهد في الدنيا: لا تتعلق بها، ولا تحزن على فواتها.
· الخشية من الله: خوف يدفع إلى الطاعة، لا إلى اليأس.

صناعة التطور والنهضة في الحياة والحضارة:

· أولا ً: الأمة التي تستعد ليوم القيامة هي أمة تعمل وتجتهد، لأنها تعلم أن العمل الصالح هو رصيدها هناك .فالإيمان بالآخرة محرك للعمل والتطور، وليس مثبطاً كما يظن البعض.
· ثانياً: الأمة التي تعيش بيقين أن الدنيا زائلة، لا تتعلق بها ولا تبكي على فواتها، فتنهض بعد كل سقوط، لأن همها الأكبر هو الآخرة.
· ثالثاً: الأمة التي تتذكر أن الجبال ستدك، تتواضع ولا تتكبر، والخلافات بين أبنائها تقل، فتتحد وتتطور.
· رابعاً: الأمة التي تخاف يوم القيامة، تترك الظلم والفساد، فتستحق نصر الله وتقدمه.
· خامساً: الأمة التي تؤمن بالبعث والحساب، تبني حضارتها على العدل والأخلاق، لأنها تعلم أنها ستُسأل عن كل شيء.

عاشراً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى اليقين بأن يوم القيامة آت لا محالة، والاستعداد له.
.2تدعونا إلى التفكر في نهاية الكون، وعدم الاغترار بالدنيا.
.3تدعونا إلى التواضع وعدم الكبر، فالجبال ستدك فكيف بنا؟
.4تدعونا إلى عدم التعلق بالدنيا، فهي زائلة.
.5تدعونا إلى استغلال الوقت قبل فواته، فالنفخة قد تأتي في أي لحظة.
.6تدعونا إلى تجديد الإيمان بالآخرة في قلوبنا كل يوم.
.7تدعونا إلى الدعوة إلى الله بتذكير الناس بيوم القيامة.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة) نفخة واحدة(

التدبر: تخيل أنك تعيش حياتك العادية، وفجأة تسمع صوتاً يصم الآذان، ثم يسقط كل شيء .تخيل نفسك في تلك اللحظة، ماذا سيكون شعورك؟

الأسئلة العملية:

· لو نفخت الصور بعد دقيقة واحدة، هل أنا مستعد؟
· ما هي آخر عمل قمت به؟ هل يرضي الله؟
· هل تبت من ذنوبي؟ هل رجعت إلى الله؟

التطبيق: كل ليلة قبل النوم، قل في نفسك: "ربما تنفخ الصور وأنا نائم، فهل أنا مستعد؟" وتب من ذنوب اليوم، واعزم على عدم العودة.

الوقفة الثانية: وقفة) حُمِلَتِ الأَرْضُ(

التدبر: تخيل أن الأرض التي تقف عليها بدأت تهتز ثم ترتفع في الهواء .تشعر بأن كل شيء فقد استقراره .البيوت، الشوارع، كل المعالم التي تعرفها تختفي.

الأسئلة العملية:

· ما مقدار تعلقي بالأرض والبيت والمال؟
· هل أستطيع أن أترك الدنيا بسهولة عندما يأتي أمر الله؟
· ماذا لو فقدت كل شيء اليوم؟

التطبيق: مارس "تمرين التخلي" - تخيل أنك تخسر كل ممتلكاتك، وتذكر أن الحقيقي هو ما يبقى للآ خرة.

الوقفة الثالثة: وقفة) دُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(

التدبر: تخيل جبلا ً عظيماً كجبال الألب أو الهيمالايا، تراه ينهار ويتفتت كأنه رمل .كل شموخه يزول في لحظة.

الأسئلة العملية:

· هل أفتخر بقوتي أو جاهي أو مالي؟ وهل هذا الافتخار يليق بي والجبال ستدك؟
· لماذا أتكبر على الناس وأنا أضعف من الجبال؟
· كيف أستطيع أن أزرع التواضع في قلبي؟

التطبيق: كلما رأيت جبلا ً أو منظراً طبيعياً عظيماً، تذكر أن الله قادر على دكه في لحظة، واسجد لله شكراً على قدرته.

الوقفة الرابعة: وقفة) وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ(

التدبر: تخيل أن كل ما وعد الله به قد تحقق أمام عينيك .ترى الناس يخرجون من القبور، والكتب تُنشر، والميزان يُنصب.

الأسئلة العملية:

· ماذا سيكون وضعي في ذلك اليوم؟
· هل أنا من أهل اليمين أم من أهل الشمال؟
· ماذا أتمنى لو وقفت بين يدي الله اليوم؟

التطبيق: اكتب وصيتك لنفسك: "ماذا أريد أن أكون عليه عندما ألقى الله؟" ثم اعمل على تحقيق ذلك كل يوم.

الوقفة الخامسة: وقفة) الربط بين سفينة نوح ونفخة الصور(

التدبر: في الآية السابقة، الله حملنا في السفينة وأنقذ أصولنا .في هذه الآية، الله سينفخ الصور ليميتنا ثم يبعثنا .بين النجاة والموت، فرصة للعمل.

الأسئلة العملية:

· كيف أستغل هذه الفرصة) الحياة (التي بين النجاة والموت؟
· هل أنا شاكر على نعمة الوجود التي أمتدت إليّ من سفينة نوح؟
· هل أنا مستعد للقاء الله بعد نفخة الصور؟

التطبيق: ابدأ كل يوم بدعاء: "اللهم كما أنقذت أصولنا في سفينة نوح، فأنقذنا في سفينة الإسلام، وارحمنا يوم القيامة".

الوقفة السادسة: وقفة) واحدة (للتأمل

التدبر: تكررت كلمة) واحدة (مرتين: نفخة واحدة، دكة واحدة .كل شيء يحدث مرة واحدة، لا فرصة ثانية.

الأسئلة العملية:

· هل أتعامل مع الفرص) كالتوبة، العمل الصالح، الدعوة (كأنها فرصة واحدة لا تتكرر؟
· ما هي الأشياء التي أؤجلها إلى "مرة أخرى"؟ وماذا لو لم تأت مرة أخرى؟
· كيف أجعل حياتي كلها "مرة واحدة" عظيمة؟

التطبيق: تعامل مع كل يوم وكأنه يومك الوحيد والأخير .قم فيه بأفضل عمل، وقل فيه أفضل قول، واترك فيه أفضل أثر.

رسالة الختام

الحمد لله الذي أخبرنا بيوم القيامة، وأنذرنا به، وجعل لنا فيه آيات وعبراً .والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم النبيين، الذي جاء بالذكر الحكيم، وأنذر قومه يوم الآزفة.

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى صور لنا نهاية الكون في مشاهد مرعبة: نفخة واحدة في الصور تنتهي بها الحياة، ثم حمل الأرض والجبال ودكهما دكة واحدة، ثم وقوع الواقعة التي وعد بها الله.

وتعلمنا أن هذا اليوم آت لا محالة، وأنه لا بد من الاستعداد له .كما تعلمنا أن الدنيا مهما كانت عظيمة فهي زائلة، وأن الجبال الشامخة ستصبح كالغبار، فما بالنا نحن الضعفاء؟ وتعلمنا أن الأذن الواعية التي وعت قصة نوح وتذكرتها، هي نفسها التي تستعد لنفخة الصور.

وتعلمنا أن القرآن يربط بين الأحداث الماضية) طوفان نوح (والأحداث المستقبلية) القيامة (ليجعل المؤمن دائماً في حالة من اليقظة والاستعداد .فكما أنجى الله المؤمنين في السفينة، سينجيهم يوم القيامة في الجنة .وكما أغرق الكافرين في الطوفان، سيعذبهم في النار.

فلنختم هذه الرحلة بالتأمل في قوله تعالى:} اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) {الأنبياء:.(1

.

ثانيا

تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (16-18) من سورة الحاقة

}وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ *يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ{

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (13-15) صورت المشهد الأول من أهوال يوم القيامة: النفخة في الصور نفخة واحدة، ثم حمل الأرض والجبال ودكهما دكة واحدة، ثم وقوع الواقعة. كان التركيز هناك على الأرض وما يحدث لها من زلزال ورفع ودك، وعلى الموت الشامل بالنفخة.

ثم تأتي الآيات (16-18) لتنتقل الكاميرا الكونية من الأرض إلى السماء، وتكمل تصوير المشهد من أعلى. فبعد أن انتهت الأرض (حُملت ودُكت)، ننظر الآن إلى السماء: إنها تنشق وتتصدع وتصبح واهية ضعيفة بعد أن كانت صلبة محكمة. ثم نرى الملائكة على أطراف السماء، ثم نرى حملة العرش الثمانية وهم يحملون عرش ربنا فوق الجميع. ثم نختم بمشهد العرض على الله: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}.

وهذا الربط له حكمة عظيمة: فبعد أن تهدمت الأرض التي هي مقر البشر، وتصدعت السماء التي هي سقفهم، يبقى المشهد الأهم: اللقاء مع الله وعرض الأعمال. فليس الهدم هو النهاية، بل هو تمهيد للعرض والحساب.

والربط أيضاً يظهر التدرج في هول القيامة:

المرحلة الآيات الحدث
الأولى 13-15 نفخة الصور ← موت الخلق ← دك الأرض والجبال
الثانية 16-17 انشقاق السماء ← وهنها ← ظهور الملائكة ← حملة العرش
الثالثة 18 عرض الخلق على الله ← لا تخفى خافية

وهكذا يكتمل المشهد: الأرض دُكت، السماء انشقت، العرش ظهر بحملته، والخلق كلهم يعرضون على الله.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات في ثلاث أفكار رئيسية:

الفكرة الأولى: انشقاق السماء ووهنها {وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}

· السماء التي كانت رفعها الله بلا عمد، والتي هي سقف محفوظ، تنشق وتتصدع.
· تصبح) واهية (أي ضعيفة، بعد أن كانت صلبة قوية، وكأنها فقدت قوتها وتماسكها.

الفكرة الثانية: الملائكة على أرجاء السماء وحملة العرش {وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}

· الملائكة يقفون على أطراف السماء وأرجائها) جوانبها ونواحيها(، ينتظرون أوامر الله.
· ثمانية من الملائكة) أو ثمانية صفوف أو ثمانية أملاك (يحملون عرش الرب فوق الجميع.

الفكرة الثالثة: عرض الخلق على الله {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}

· في ذلك اليوم العظيم، تعرضون على الله للحساب والجزاء.
· لا يخفى عليه شيء منكم، لا ظاهركم ولا باطنكم، لا صغيركم ولا كبيركم، لا سركم ولا علنكم.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن الكون كله - سماؤه وأرضه - يتغير يوم القيامة. السماء التي نراها صلبة متماسكة ستصبح واهية متصدعة. هذا يوقظ في النفس عظمة ذلك اليوم وأنه ليس كأيام الدنيا.

المغزى الثاني: ظهور الملائكة وحملة العرش يبين عظمة الله وجلاله. فالعرش أعظم المخلوقات، ويحمله ملائكة عظام، والله فوق عرشه يدبر الأمر. هذا يزرع في النفس الخشية والتعظيم.

المغزى الثالث: (تُعْرَضُونَ) في ذلك اليوم تعرضون على الله، كل واحد سيقف بين يدي ربه، لا يستطيع أن يخفي شيئاً. هذا يزرع في النفس المراقبة والاستعداد للحساب.

المغزى الرابط: بعد أن تحدث عن نعمة النجاة في سفينة نوح (الآيات 11-12)، ثم عن أهوال نهاية الكون (13-15)، ثم عن انشقاق السماء والعرض (16-18)، يصبح المؤمن على يقين بأنه مسؤول عن حياته كلها أمام الله، وأن الغفلة عن هذا اليوم هي الخسران المبين.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن السماء التي يراها الناس صامدة، هي في الحقيقة مخلوقة ضعيفة بأمر الله، وسينتهي تماسكها يوم القيامة. وهذا يثبت أن كل شيء في الكون زائل.

الهدف العقدي الثاني: إثبات وجود الملائكة، وأنهم خلق عظيم مكلف بحمل العرش وغيره، وإثبات أن الله له عرش فوق السموات.

الهدف العقدي الثالث: إثبات العرض على الله يوم القيامة، وأنه لا يخفى عليه شيء، وأن كل إنسان سيجازى بما عمل.

الهدف النفسي: غرس الرهبة من ذلك اليوم، والشعور بالمراقبة الدائمة (أن الله يراك ويعلم سرك وعلا نيتك). هذا يدفع إلى الاستقامة في الحياة.

الهدف البياني: التصوير المتدرج من السماء (الأعلى) إلى الملائكة (الوسط) إلى العرش (الأعلى منه) إلى العرض على الله (القمة). هذا التدرج يخلق إحساساً بالصعود إلى القمة.

الهدف التربوي: تعليم أن الإنسان مهما أخفى، فالله يعلم كل شيء، وأنه يجب أن يربي نفسه على الصدق والإخلاص، لأن يوم العرض سيكشف كل شيء.

الهدف الدعوي: دعوة الناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، والتذكير بأنهم سيعرضون عليه، فلا يغرنهم إخفاء ذنوبهم عن الناس، فالله لا تخفى عليه خافية.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {وَانشَقتِ السّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}

.1دلالة) انشقت السماء(:

)انشقت (من الشق، أي تصدعت وتباعد بعضها عن بعض .والسماء في الأصل كانت مرفوعة بقدرة الله ، محكمة البناء، ليس فيها صدوع ولا فطور .قال تعالى:} الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ) {الملك: .(3أما يوم القيامة، فتنشق وتتصدع، كما قال تعالى:} إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ) {الانفطار:(1،} وَانشَقتِ السّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ .{هذا المشهد يعاكس تماماً ما نراه في الدنيا من سماء صامدة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الإنسان معتاد أن ينظر إلى السماء فيجدها ثابتة، فتصور انشقاقها يخلق شعوراً بعدم الأمان المطلق، حتى السقف الذي فوق رؤوسنا ينهار.
· عقلياً: العقل يدرك أن السماء ليست أبدية، وأن الذي خلقها قادر على شقها وتفكيكها.
· تربوياً: تعليم ألا نأمن مكر الله، وألا نغتر باستقرار الدنيا، فالسماء التي هي أقوى ما نراه ستنشق.
· عملياً: كلما نظرت إلى السماء، تذكر يوم القيامة، وقل في نفسك: "هذه السماء ستنشق يوماً، فكيف حالي أنا؟"

.2دلالة) واهية(:

)واهية (اسم فاعل من وهن، أي ضعيفة لا قوة فيها .السماء كانت قوية صلبة، تحمل السماوات التي فوقها، وتحفظ الأرض من النيازك والشهب، ولكن يوم القيامة تصبح واهية تتداعى وتتساقط .هذا الوصف يبين التغير الكامل في طبيعة الكون .والوصف بـ)واهية (مع) يومئذ (يفيد أن الوهن يكون في ذلك اليوم فقط، لأنه يوم تبديل الأرض غير الأرض والسماوات.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) واهية (توحي بالضعف والانهيار، تخلق شعوراً بالهشاشة والزوال، فحتى أقوى المخلوقات تصبح واهية أمام قدرة الله.
· عقلياً: العقل يتساءل: كيف تكون السماء واهية؟ لكن العقل المؤمن يعلم أن الله يفعل ما يشاء، وأن القوة الحقيقية لله وحده.
· تربوياً: نتعلم أن القوة ليست في المخلوقات، فالقوة الحقيقية لله .فلا نفتخر بقوتنا أو علمنا أو جاهنا، فهي كلها واهية يوم القيامة.
· عملياً: ندرب أنفسنا على التوكل على الله وحده، لا على الأسباب المادية التي توهن يوم القيامة.

.3دلالة) فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (من حيث الترتيب:

استخدام الفاء في (فَهِيَ) تفيد السببية أو التعقيب، أي نتيجة لانشقاقها صارت واهية. ومعنى ذلك أن الانشقاق نفسه يضعفها، أو أنها لحظة انشقاقها أصبحت واهية. وهذا يصور مشهداً سينمائياً: لحظة التشقق تؤدي إلى الوهن والضعف.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق التسلسل السريع) انشقت ← فهي واهية (شعوراً بأن الأمور تحدث بسرعة مرعبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الترتيب الزمني للأهوال له معنى، فالسماء لا تنشق ثم تبقى قوية، بل تنشق فتضعف.
· تربوياً: نتعلم أن الأسباب تؤدي إلى مسبباتها بإذن الله، وأن الضعف قد يأتي بعد القوة.
· عملياً: ألا نغتر بحالتنا القوية، فربما ننشق ونصبح واهين في لحظة.
ثانياً: دلالة قوله {وَالمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا}

.1دلالة) الملك(:

)الملك (هنا اسم جنس مفرد يراد به الجمع، أي الملائكة .وقيل: هو جبريل عليه السلام أو ملك خاص .والأرجح أنه عام يشمل جميع الملائكة أو صنفاً منهم .والإضافة هنا للتعريف، أي الملائكة المعروفون بعظمتهم وهم على أرجائها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر الملائكة يخلق في النفس شعوراً بالرهبة، فالملائكة خلق عظيم، وهم يقفون منتظرين أوامر الله، مما يدل على أن حدثاً عظيماً سيقع.
· عقلياً: العقل يدرك وجود الملائكة كحقيقة غيبية، وأنهم جزء من نظام الكون.
· تربوياً: نتعلم أن نؤمن بالملائكة، وأنهم خلق مطيعون لا يعصون الله، فيكونوا قدوة في الطاعة.
· عملياً: نستشعر أن الملائكة معنا في حياتنا) كراماً كاتبين(، وهذا يدفعنا إلى مراقبة الله.

.2دلالة) على أرجائها(:

)أرجاء (جمع رجا) مقصور (أو رجو) ممدود(، وهو الناحية والجانب والطرف .فأرجاء السماء هي نواحيها وأطرافها .والملائكة يقفون على هذه الأطراف، وكأن السماء قد انشقت فظهرت جوانبها، والملا ئكة يملؤونها .وهذا المشهد يوحي بأن الملائكة في كل مكان، مستعدين لتنفيذ أمر الله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تخيل السماء المنشقة، وعلى كل جانب منها ملائكة عظام .هذا المشهد يملأ النفس هيبة.
· عقلياً: العقل يتصور عظمة الملائكة الذين يملؤون أطراف السماء، وكثرة عددهم.
· تربوياً: نتعلم أن الملائكة محيطون بنا، لا يغفلون عن طاعة الله.
· عملياً: نردد الاستغفار والذكر، فنحن في محضر الملائكة.

.3دلالة الترتيب) انشقت السماء ← الملائكة على أرجائها(:

الانشقاق أظهر أرجاء السماء، وعندها ظهر الملائكة على تلك الأرجاء. وكأن السماء كانت محجبة لهم، فلما انشقت ظهر الملائكة جهرة. وهذا يعطي إحساساً بأن ما كان مخفياً أصبح مكشوفاً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: شعور بأن الغيب أصبح شهادة، وأن الملائكة الذين نؤمن بهم سيظهرون عياناً.
· عقلياً: العقل يدرك أن يوم القيامة يوم انكشاف الحقائق.
· تربوياً: نتعلم أن ما نخفيه عن الناس سينكشف يوم القيامة.
· عملياً: نحرص على إخفاء ذنوبنا في الدنيا، ونتوب منها قبل أن تنكشف يوم القيامة.

ثالثاً: دلالة قوله {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}

.1دلالة) يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ(:

)العرش (هو أعظم المخلوقات، وهو سقف المخلوقات، والله سبحانه وتعالى استوى عليه استواء يليق بجلاله .وحملة العرش هم ملائكة عظام، عددهم في الدنيا أربعة، ويوم القيامة يصبحون ثمانية . ووصف العرش بأنه) عرش ربك (إضافة إلى ضمير المخاطب) ربك (تزيد من تعظيم هذا المشهد في نفس المؤمن، وكأن الله ينسب العرش إلى ربوبيته ليشعر القارئ بقربه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر العرش وحملته يملأ القلب بالخشية والهيبة، فعرش الرحمن هو أعظم المخلوقات.
· عقلياً: العقل يعجز عن تصور عظمة العرش، لكنه يدرك أنه مخلوق ضخم يحمله ملائكة عظام.
· تربوياً: نتعلم أن لله عظماً وجلالا ً يفوق كل شيء، وأن الملائكة خلق مطيعون يحملون عرشه.
· عملياً: نكثر من الدعاء بقول: "يا ذا الجلال والإكرام"، ونتذكر عظمة الله كلما دعوناه.

.2دلالة) فَوْقَهُمْ(:

)فوقهم (أي أن العرش وحملته هم فوق الملائكة الذين على أرجاء السماء، وفوق الخلق كلهم .وهذا يصور التسلسل الهرمي في ذلك اليوم: الأرض والجبال في الأسفل) دُكت(، ثم السماء المنشقة، ثم الم لائكة على أرجائها، ثم حملة العرش فوقهم، ثم العرش الذي هو أعلى، ثم الله فوق العرش استواءً يليق به .وهذا التسلسل يبين عظمة الله وعظمة خلقه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) فوقهم (تخلق شعوراً بالعظمة المتصاعدة، فيشعر الإنسان بضآلته.
· عقلياً: العقل يدرك أن هناك تراتباً في المخلوقات، وأن العرش هو أعلى المخلوقات.
· تربوياً: نتعلم أن لله علواً ومجداً، وأن نرفع أيدينا إليه بالدعاء.
· عملياً: في سجودنا، نشعر بأن الله فوق كل شيء، ونخضع لهذا العلو.

.3دلالة) ثَمَانِيَةٌ(:

)ثمانية (هم حملة العرش .في الدنيا يحمله أربعة، ويوم القيامة يزيدهم الله أربعة آخرين فيصيرون ثمانية .وقيل: هم ثمانية صفوف من الملائكة، أو ثمانية أملاك عظام .والتعبير ب)ثمانية (دون ذكر أنهم ملائكة، يدل على شهرتهم وعظمتهم، فهم معروفون بهذه الصفة .والعدد) ثمانية (في القرآن له د لالة على الزيادة والقوة، فالله خلق السموات سبعاً، وجعل حملة العرش ثمانية، تفخيماً للأمر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: العدد المحدد) ثمانية (يخلق في النفس تصوراً محدداً، لكن العظمة تكمن في أن هؤلاء الثمانية يحملون أعظم مخلوق.
· عقلياً: العقل يدرك أن حملة العرش خلق عظيم، وأن عددهم يزيد يوم القيامة لعظمة هذا اليوم.
· تربوياً: نتعلم أن الأمور العظيمة تحتاج إلى قوة عظيمة، وأن الله يكرم عباده في الآخرة.
· عملياً: نتذكر دائماً أن الله أكبر من كل شيء، وأنه لا يعجزه شيء.

.4دلالة) ربك (في) عرش ربك(:

لفتة عظيمة: لم يقل (عرش الله) بل قال (عرش ربك) بضمير الخطاب (الكاف) الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد به كل مؤمن يقرأ الآية. فهذا التعبير يجعل القارئ يشعر بأن هذا العرش الذي يحمله الثمانية هو عرش ربه الذي يربيه وينعم عليه. وهو أسلوب من أساليب الالتفات التي تخلق الألفة في قلب الهيبة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الجمع بين الهيبة) العرش (والألفة) ربك (يخلق شعوراً بالرهبة الممزوجة بالحب.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله هو رب كل شيء، وهو خالق العرش وخالقنا.
· تربوياً: نتعلم أن ننسب كل عظمة إلى الله، وندعوه باسمه) رب (الذي يقتضي التربية والرعاية.
· عملياً: في دعائنا نقول: "ربنا، ربنا"، ونشعر بأن الله قريب مع علوه.

.5العلاقة بين حملة العرش والملائكة على الأرجاء:

أولا ً: الملائكة على الأرجاء يشهدون المشهد. ثانياً: حملة العرش فوق الجميع. ثالثاً: هذا الترتيب يفيد أن الكون كله من أعلاه إلى أسفله خاضع لله، وأن الجميع - الملائكة وحملة العرش - هم عبيد مطيعون لله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التسلسل يخلق شعوراً بالانتقال من الأسفل إلى الأعلى، فيشعر القارئ بقمة العظمة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله فوق كل شيء، وأنه ليس كمثله شيء.
· تربوياً: نتعلم أن التواضع لله هو الطريق إلى العزة، فالملائكة العظام يحملون العرش وهم خاضعون لله.
· عملياً: نكثر من قول "سبحان الله وبحمده"، تسبيحاً لله وتعظيماً.

رابعاً: دلالة قوله {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}

.1دلالة) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ(:

)يومئذ (إشارة إلى ذلك اليوم العظيم) يوم القيامة (الذي تنفخ فيه الصور وتدك الأرض وتنشق السماء .)تُعْرَضُونَ (من العرض، وهو تقديم الشيء ليراه الناس، أو تقديم الجيش للحساب .والمعنى: تعرضون على الله للحساب والجزاء .والعرض هنا عرضان: عرض على الله، وعرض على الملائكة والخلائق .وفيه معنى التذليل، فكما يعرض العبد على سيده، يعرض الخلق على خالقهم .واستخدام صيغة المضارع)تُعْرَضُونَ (مع أنها ستحدث في المستقبل، يدل على التحقق والتجدد، أي أنها حاصلة لا محالة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) تُعْرَضُونَ (تخلق شعوراً بالمسؤولية والخوف، فكل إنسان سيعرض على الله، لا مفر منه.
· عقلياً: العقل يدرك أن العرض على الله هو الهدف من الخلق، وأنه سيحدث لا محالة.
· تربوياً: نتعلم ألا نغفل عن هذا اليوم، وأن نستعد له كما يستعد المعروض للعرض.
· عملياً: نحاسب أنفسنا كل يوم قبل أن تُعرض على الله، ونتوب من ذنوبنا.

.2دلالة) لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ(:

)لا تخفى (نفي للخفاء، و)خافية (اسم فاعل بمعنى شيء خافٍ .أي لا يخفى على الله شيء من أحوالكم وأعمالكم وأسراركم .وهي جملة مؤكدة للنفي، تفيد الشمول: لا صغيرة ولا كبيرة، لا سر ولا علن، لا ظاهر ولا باطن، كل شيء مكشوف لله .وهذه الآية نظير قوله تعالى:} يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ {)الطارق:(9، وقوله:} وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا ۚ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا ۚ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) {يونس:.(61

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) لا تخفى منكم خافية (تزرع في النفس شعوراً بالمراقبة الدائمة، فلا يجرؤ الإنسان على المعصية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله عليم بكل شيء، وعلمه محيط بكل شيء.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أنفسنا على الصدق والإخلاص، فالسر الذي نخفيه عن الناس لا يخفى على الله.
· عملياً: نجعل ألسنتنا رطبة بذكر الله، ونستغفر الله من كل خافية في قلوبنا.

.3دلالة النفي) لا (مع التوكيد:

استخدام (لا) النافية مع الفعل (تخفى) ثم (خافية) نكرة في سياق النفي تفيد العموم. أي لا تخفى أي خافية، مهما كانت دقيقة ومهما حاول الإنسان إخفاءها. وهذا من أعظم الآيات التي توجب مراقبة الله في السر والعلن.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الشعور بأن لا ملجأ من الله إلا إليه، فيلجأ الإنسان إلى التوبة والاستغفار.
· عقلياً: العقل يدرك أن علم الله محيط بكل شيء، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
· تربوياً: نتعلم ألا نخفي ذنوبنا على أنفسنا، بل نفضحها أمام الله بالتوبة.
· عملياً: نجلس مع أنفسنا كل يوم جلسة محاسبة، ونقول: "ما هي الخافية التي أخفيها عن الناس وأعلم أن الله يعلمها؟" ثم نتوب منها.

.4ما بين) تُعْرَضُونَ (و)لا تخْفَىٰ (من تلازم:

العرض يستلزم الكشف، فالله يعرض الخلق عليه، وفي هذا العرض لا يمكن لأي شيء أن يخفى. فالإنسان في الدنيا قد يخفي ذنوبه عن الناس، ولكن يوم العرض تنكشف كل خافية. وهذا يذكر الإنسان بأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالشفافية الكاملة يوم القيامة، فلا مكان للتزييف أو الادعاء.
· عقلياً: العقل يدرك أن يوم القيامة هو يوم الحقائق.
· تربوياً: نتعلم ألا نعتمد على التظاهر بالصلاح، بل نصلح بواطننا.
· عملياً: نعمل على تطهير قلوبنا من الحسد والرياء والكبر، فهذه الخفايا ستظهر يوم العرض.

الأمر الثاني: الربط بين الآيات (16-18) وما قبلها - استكمال المشهد الكوني

المشهد الآيات السابقة (13-15) الآيات (16-18)
التركيز الأرض والجبال السماء والملائكة والعرش
الفعل النفخ، الحمل، الدك الانشقاق، الوهن، الحمل، العرض
الشعور الخوف من زوال الأرض الخوف من انكشاف السماء واللقاء بالله
الهدف إثبات نهاية العالم إثبات العرض والحساب

هذا الترابط يجعل السورة تصور القيامة من الأسفل إلى الأعلى: تبدأ بالأرض فتهتز وتدك، ثم ترفع السماء وتنشق، ثم يظهر الملائكة، ثم يحمل العرش، ثم يعرض الخلق على الله. وكأن القارئ يصعد في سلم الرهبة حتى يصل إلى القمة: لقاء الله وعرض الأعمال.

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني

ترسم هذه الآيات مشهداً متكاملا ً من ثلاثة مستويات:

المشهد الأول: السماء المنشقة الواهية {وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}

الكاميرا ترفع بصرها إلى الأعلى. السماء التي نراها كل يوم زرقاء صافية، بدأت تتصدع وتتشقق. نرى شقوقاً كبيرة تمتد في جسد السماء، وكأنها سقف ينهار. السماء التي كانت صلبة قوية أصبحت الآن (واهية)، ترتجف وتتداعى. الكاميرا تصور قطعاً من السماء تتساقط، وتظهر من خلفها عوالم أخرى.

المشهد الثاني: الملائكة على أطراف السماء وحملة العرش {وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}

الكاميرا تظهر على جوانب السماء المنشقة ملائكة عظاماً، طوالا ً، باهرين، يملؤون الأرجاء. ثم ترفع الكاميرا أكثر: فوق هؤلاء الملائكة، نرى ثمانية حملة عرش الرحمن، وهم أعظم خلق الله، يحملون العرش الهائل الذي لا يعلم عظمته إلا الله. والعرش فوق الجميع.

المشهد الثالث: عرض الخلق {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}

الكاميرا تعود إلى الأرض (أو ما تبقى منها)، فنرى الخلق كلهم - من أولهم إلى آخرهم - يُصطفون ويعرضون على الله. الكاميرا تقترب من وجوههم، نرى الخائفين، الخاضعين، المنكسرين. ثم نرى أشعة تكشف كل شيء: القلوب، النوايا، الأعمال السرية. لا شيء يبقى خافياً.

ثانياً: أغراض هذا التصوير

.1تصوير تحول الكون كله: السماء التي هي رمز الثبات والعلو تصبح واهية، وهذا يصور عظم التحول.
.2تصوير عظمة الملكوت: ظهور الملائكة وحملة العرش يصور عالماً غيبياً هائلا ً كان محجوباً عنا.
.3تصوير الشفافية المطلقة: يوم القيامة يوم لا تخفى فيه خافية، وهذا يصور الحساب الدقيق.
.4إثارة الهيبة: التصوير من الأسفل إلى الأعلى يخلق في النفس شعوراً بالعظمة المتصاعدة.
.5الدعوة إلى الاستعداد: رؤية هذا المشهد في الخيال تدعو إلى العمل الجاد للنجاة.
رابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: انشقاق السماء تذكير بأن كل سقف سيسقط

في الدنيا، نحن نأمن بأسقف بيوتنا، والسماء هي السقف الأعظم. لكن يوم القيامة، حتى هذا السقف سينشق ويتهاوى. الاستفادة: لا تشعر بالأمان المطلق في الدنيا، فالأمان الحقيقي عند الله في الآخرة.

الخاطرة الثانية: (واهية) تذكير بأن القوة الحقيقية لله وحده

السماء التي هي أقوى المخلوقات تصبح واهية ضعيفة. الاستفادة: لا تفتخر بقوتك، فأنت أضعف من السماء التي أصبحت واهية.

الخاطرة الثالثة: الملائكة على الأرجاء تذكير بأننا في محضر دائم

الملائكة على أطراف السماء، وفي الدنيا هم معنا (كراماً كاتبين). الاستفادة: راقب الله في كل حركة وسكنة، فالملائكة تسجل كل شيء.

الخاطرة الرابعة: حملة العرش الثمانية تذكير بعظمة الله

عرش الله يحمله ثمانية من أعظم الملائكة. ما أعظم الله الذي يحتاج عرشه إلى هذه القوة! الا ستفادة: أكثر من التسبيح والتعظيم لله.

الخاطرة الخامسة: (فوقهم) تذكير بعلو الله

العرش وحملته فوق الملائكة الذين على الأرجاء، والله فوق العرش. الاستفادة: ارفع يديك بالدعاء إلى الله العلي الأعلى.

الخاطرة السادسة: (تُعْرَضُونَ) تذكير بأننا مسؤولون

كل واحد منا سيعرض على الله، لا بد من هذا العرض. الاستفادة: قدم لنفسك ما يعرض عليها يوم القيامة.

الخاطرة السابعة: (لا تخفى منكم خافية) تذكير بعلم الله المحيط

كل سر في قلبك، كل ذنب أخفيته، كل نية أضمرتها، الله يعلمها. الاستفادة: أخلص النية لله في كل عمل، وتب من كل ذنب خفي.

خامساً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية تغير الكون يوم القيامة) السماء تنشق وتصبح واهية.(
.2قضية وجود الملائكة وظهورهم يوم القيامة.
.3قضية حملة العرش وعظمة هذا المخلوق.
.4قضية العرض على الله والحساب.
.5قضية شمولية علم الله) لا تخفى خافية.(
.6قضية بطلان التظاهر والإخفاء يوم القيامة.

.7قضية ضرورة الاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك في ذلك اليوم: السماء تنشق من حولك، ترى الملائكة على أرجائها، ترى حملة العرش فوق الجميع، ثم تعرض أنت على الله، وكل أسرارك مكشوفة.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: اتق الله في السر والعلن، وكأنك تراه.
· في عباداتك: أخلص لله، فلا ترائ أحداً، فالرياء خافية ستكشف يوم العرض.
· في معاملاتك: لا تظلم أحداً، فالمظالم ستُكشف يوم لا تخفى خافية.
· في تربيتك: علم أبناءك أن الله يعلم السر وأخفى، وربهم على مراقبة الله.
· في دعوتك: ذكر الناس بأن كل شيء مكشوف لله، وبأن يوم العرض قريب.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى السماء: السماء ليست سقفاً آمناً، بل ستنشق وتصبح واهية .فلا نطمئن إلى أي سقف غير عرش الله.
.2تغيير النظرة إلى الملائكة: الملائكة موجودون معنا، وهم شهود علينا، فيجب أن نستحي منهم كما نستحي من الله.
.3تغيير النظرة إلى العظمة: العظمة الحقيقية لله وحده، فحتى حملة العرش هم عبيده.
.4تغيير النظرة إلى الإخفاء: لا فائدة من إخفاء الذنوب عن الناس، فالله يعلمها وسيكشفها يوم القيامة .فالعلاج هو التوبة لا الإخفاء.
.5تغيير النظرة إلى الحساب: الحياة كلها تمهيد ليوم العرض، فعلينا أن نعيش كل يوم كأننا سنعرض فيه.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: السماء ستنشق وتصبح واهية. التطبيق: لا تشعر بالأمان التام في الدنيا، واجعل أملك بالله لا بالمخلوقات.

الدرس الثاني: الملائكة على أرجاء السماء. التطبيق: استحضر الملائكة الكرام الكاتبين في حياتك اليومية، وقل: "يكتبون كل شيء".

الدرس الثالث: حملة العرش ثمانية. التطبيق: عظم الله في قلبك، واذكره بكبريائه وعظمته.

الدرس الرابع: تعرضون على الله. التطبيق: حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وزن أعمالك قبل أن توزن.

الدرس الخامس: لا تخفى منكم خافية. التطبيق: تب إلى الله من كل ذنب، واجعل توبتك خالصة، ولا تخف ذنباً على الله.

الدرس السادس: يوم القيامة يوم انكشاف الأسرار. التطبيق: أصلح سريرتك، فالله يعلمها، وسيظهرها يوم القيامة.
سادساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة تصور الأحداث الغيبية من خلال الوصف القرآني.
· مهارة فهم التسلسل الهرمي للمخلوقات) السماء ← الملائكة ← حملة العرش ← العرش.(
· مهارة تحليل دلالات النفي والعموم في قوله) لا تخفى منكم خافية.(
· مهارة الربط بين آيات القيامة المختلفة.

المهارات الحياتية

· مهارة المراقبة الذاتية) استحضار أن الله يعلم كل خافية.(

· مهارة الإخلاص في العمل) لأن الرياء سينكشف.(
· مهارة التوبة النصوح) كشف الذنب لله مع الندم والعزم على الترك.(
· مهارة التواضع) لأن السماء العظيمة تصبح واهية.(

المهارات العملية

· مهارة محاسبة النفس اليومية) جرد للخفايا والأسرار.(
· مهارة التغلب على الخوف من كشف الأسرار بالتوبة.
· مهارة استشعار عظمة الله في الصلاة والعبادة.
· مهارة تعليم الأطفال مراقبة الله.

سابعاً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1لا تركن إلى الدنيا، فسماواتها وأرضها زائلة.
.2استشعر أن الملائكة معك، فاستحي منهم كما تستحي من الله.
.3عظم الله في قلبك، فهو صاحب العرش العظيم.
.4أخلص في عملك، فكل خافية ستظهر يوم العرض.
.5بادر بالتوبة، فاليوم تستطيع إخفاء ذنبك عن الناس، لكن غداً لا تخفى خافية.
.6علم أبناءك أن الله يراهم ويرى أسرارهم.
.7اجعل هدفك الأكبر هو الفوز يوم العرض، لا الفوز في الدنيا.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الوعي الأخلاقي: الإيمان بأن كل خافية ستنكشف يردع عن الفساد السرّي.
· تطوير الصدق: المجتمع الذي يؤمن بأن الله يعلم كل شيء، يقل فيه الكذب والنفاق.
· تطوير روح المسؤولية: كل إنسان يعلم أنه سيعرض على الله، فيتحمل مسؤولية أعماله.
· تطوير التواضع: لا كبر ولا غرور عندما تعلم أن السماء التي هي أعظم منك ستصبح واهية.
· تطوير الإخلاص: يقل الرياء والسمعة في مجتمع يؤمن بيوم لا تخفى فيه خافية.

ثامناً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن السماء التي نراها صامدة اليوم ستنشق وتتصدع يوم القيامة، فلا تطمئنوا إليها.
.2أن الملائكة موجودون في كل مكان، وهم على أطراف السماء يوم القيامة، فما بالكم في حياتكم الدنيا؟
.3أن عرش الله أعظم المخلوقات، ويحمله ثمانية من كبار الملائكة.
.4أن يوم القيامة هو يوم العرض الأكبر، كل واحد سيقف بين يدي الله.
.5أن الله يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، مهما أتقن الإنسان الإخفاء.
.6أن السريرة والنية والحديث النفسي كلها محصاة ومكشوفة لله.
.7أن الاستعداد ليوم العرض يكون بالإخلاص والصدق والتوبة في الدنيا.

تاسعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد الكوني: تصور انشقاق السماء كحدث كوني عظيم، يتجاوز أي انفجار أو زلزال في الدنيا.
.2البعد الغيبي: الكشف عن عالم الملائكة والعرش، وهو ما لا يمكن للبشر رؤيته في الدنيا.
.3البعد النفسي: خلق الرهبة من العرض، وشعور المراقبة الدائمة.
.4البعد العقدي: إثبات علم الله المحيط، وإثبات البعث والحساب.
.5البعد البياني: التصوير المتدرج من السماء إلى العرش إلى العرض.
.6البعد التربوي: غرس قيمة الصدق والإخلاص ومراقبة الله.

الآفاق:

1.أفق المراقبة الدائمة: أن يعيش المؤمن في كل لحظة شعوراً بأن الله يراه، وأن كل شيء مسجل.
2.أفق التوبة الدائمة: بما أن لا خافية تخفى، فبادر بالتوبة من كل خافية.
3.أفق التواضع الكوني: السماء التي هي أكبر منا ستنشق وتصبح واهية، فعلينا أن نتواضع.
4.أفق تعليم الأجيال: غرس مفهوم مراقبة الله في الأطفال منذ الصغر.
5.أفق الاستعداد للعرض: تنظيم الحياة اليومية على أساس أنها تمهيد ليوم العرض.

الأمر الثاني: القيم من الآية

1.قيمة المراقبة: استحضار أن الله مطلع على كل شيء.
2.قيمة الصدق: لأن الكذب سيظهر يوم العرض.
3.قيمة الإخلاص: لأن الرياء خافية ستنكشف.
4.قيمة التواضع: السماء توهن فلا تكبر أنت.
5.قيمة التوبة: المبادرة إلى كشف الذنب لله والندم عليه.
6.قيمة الاستعداد: التجهيز ليوم العرض بالعمل الصالح.
7.قيمة التعظيم: تعظيم الله الذي له العرش العظيم.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (انشقت السماء): في حياتنا العملية، كل سقف نراه، كل مبنى شامخ، كل حماية نشعر بها، نتذكر أن السقف الأعظم (السماء) سينشق، فلا نغتر بالحماية المادية.

مفهوم (واهية): القوة التي نفتخر بها (قوة جسدية، مالية، سياسية) كلها واهية يوم القيامة. فعلينا أن نعتز بقوة الإيمان لا بقوة الدنيا.

مفهوم (الملك على أرجائها): نحن في محضر الملائكة كل يوم، فعلينا أن نستحي منهم، وأن نتجنب المعاصي التي يرونها ويكتبونها.

مفهوم (يحمل عرش ربك): عظمة الله فوق كل شيء. في حياتنا العملية، عندما تتعقد الأمور، نتذكر أن الله على عرشه يدبر الأمر، فهو القادر على كل شيء.

مفهوم (تعرضون): كل عمل نقوم به، كل قول نقوله، هو معروض على الله. فعلينا أن نحرص أن يكون عرضنا جميلاً.

مفهوم (لا تخفى منكم خافية): لا فائدة من النفاق والرياء وإخفاء الذنوب. الحل هو التوبة والصدق و الإخلاص.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

1.مفهوم) المراقبة الذاتية(: تربية النفس على استشعار رقابة الله الدائمة، مما يقلل من الذنوب السرية.
2.مفهوم) الشفافية النفسية(: تقبل حقيقة أن كل شيء في النفس مكشوف لله، مما يحرر الإنسان من عناء الإخفاء والرياء.
3.مفهوم) الخوف الصحي(: الخوف من يوم العرض ليس خوفاً مرضياً، بل هو دافع للتغيير الإيجابي.
4.مفهوم) التوبة كتحرر(: التوبة هي وسيلة لتطهير الخفايا، وتحرير النفس من ثقل الذنوب المكبوتة.

المفاهيم الفكرية:

1.مفهوم) الكون غير الأبدي(: الكون كله - سماؤه وأرضه - زائل، وهذا يغير النظرة المادية للكون.
2.مفهوم) التراتب المخلوقات(: لله مخلوقات متفاوتة في العظمة، وأعظمها العرش.
3.مفهوم) العلم الإلهي المطلق(: علم الله شامل لكل شيء، حتى الخفايا، وهذا يبطل قول من ينكر علم الله بالجزئيات.

.4مفهوم) الجزاء العادل(: العرض على الله يضمن العدل المطلق، لأن كل شيء مكشوف.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالمراقبة(: تعليم الطفل أن الله يراه في كل مكان، فيقل سلوكه السيئ عندما يكون وحده.
.2مفهوم) التربية بالشفافية(: تشجيع الأطفال على الصدق وعدم إخفاء الأخطاء، واللجوء إلى التوبة بدلا ً من الكذب.
.3مفهوم) التربية بالعظمة(: تعليم الأطفال عظمة الله من خلال عرشه وملائكته، فيكبر الله في قلوبهم.
.4مفهوم) التربية بالمسؤولية(: كل طفل يعلم أنه سيعرض على الله، فيتحمل مسؤولية أفعاله.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الوعي الغيبي: الإيمان بالملائكة والعرش والعرض يبني وعياً بأبعاد تتجاوز المحسوس.
.2بناء الشخصية الصادقة: من يعلم أن كل خافية ستنكشف، يحرص على الصدق والوضوح.
.3بناء الأمة المتقنة: أمة تستشعر مراقبة الله تعمل بإتقان في السر والعلن.
.4بناء المناهج التربوية: على أساس غرس قيمة مراقبة الله في كل مناهج التعليم.
.5بناء المجتمع النزيه: مجتمع يعلم أن الله يطلع على السرائر يقل فيه الفساد والرشوة والغش.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الإخلاص: لأن الرياء والسمعة لا قيمة لها يوم العرض.
.2تنمية ثقافة التوبة: الإقبال على الله والتخلص من الخفايا الذنوبية.
.3تنمية ثقافة التواضع: السماء توهن، فلا تكبر أنت على الناس.
.4تنمية ثقافة المسؤولية: كل إنسان سيعرض، فعليه أن يتحمل مسؤولية بناء نفسه ومجتمعه.
.5تنمية ثقافة الأمل: رغم هول العرض، إلا أن رحمة الله واسعة للمؤمنين المخلصين.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· المراقبة الدائمة: تعيش كأن الله أمامها، فلا تجرؤ على معصية في السر.
· الصدق المطلق: لا كذب ولا نفاق، لأن كل شيء سينكشف.
· التواضع: لأن السماء العظيمة توهن، فما بالها هي؟
· الإخلاص: تعمل لله وحده، لا تنتظر مدح الناس.
· التوبة المستمرة: تفيض إلى الله باستمرار لتنقية خفاياها.
· الاستعداد الدائم: تعيش وكأن العرض غداً.

صناعة التطور والنهضة:

· أولا ً: أمة تستشعر أن الله يعلم خافية أسرارها، تبني مؤسسات نزيهة، وتقل فيها الفساد الإداري و المالي.
· ثانياً: أمة تؤمن بالعرض على الله، ترفع مستوى الأمانة والصدق في التعاملات.
· ثالثاً: أمة تتواضع وتعرف أن القوة الحقيقية لله، تتحد وتتعاون، وتتخلى عن الكبر والصراعات.
· رابعاً: أمة تربى أبناؤها على مراقبة الله، تنتج جيلا ً مبدعاً أميناً، يقوم بنهضة حقيقية.
· خامساً: أمة تعمل للإخلاص وليس للسمعة، تقدم أعمالا ً نوعية تخلد، لأنها خالصة لوجه الله.

عاشراً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى مراقبة الله في السر والعلن، لأن كل خافية ستنكشف.
.2تدعونا إلى التوبة النصوح من كل ذنب أخفيناه عن الناس.

.3تدعونا إلى التواضع، فالسماء ستنشق وتصبح واهية.
.4تدعونا إلى تعظيم الله، فهو صاحب العرش العظيم وحملته الثمانية.
.5تدعونا إلى الاستعداد ليوم العرض بالإيمان والعمل الصالح.
.6تدعونا إلى الإخلاص وترك الرياء، فالرياء خافية.
.7تدعونا إلى تعليم الأجيال معنى المراقبة والصدق.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة (انشقت السماء)

التدبر: تخيل أن السماء تتصدع أمام عينيك، وتسمع صوت التشقق، وترى قطع السماء تتساقط.

الأسئلة العملية:

· كم مرة نظرت إلى السماء وغفلت عن أنها ستنشق؟
· هل أعددت نفسي ليوم تنشق فيه السماء؟
· ما الذي يشغلني عن التفكر في هذا اليوم؟

التطبيق: كلما نظرت إلى السماء، قل: "اللهم إني أسألك السلامة يوم تنشق السماء".

الوقفة الثانية: وقفة (واهية)

التدبر: تخيل أقوى شيء في الكون - السماء - وقد أصبح واهياً ضعيفاً ينهار.

الأسئلة العملية:

· ما هي القوة التي أفتخر بها في حياتي؟ وهل ستكون واهية يوم القيامة؟
· لماذا أتعب لأجمع قوة دنياوية تزول؟
· كيف أكتسب قوة لا توهن يوم القيامة؟

التطبيق: اكتب قائمة بقوتك الدنيوية (مال، جاه، صحة)، ثم اكتب بجانبها أنها ستزول يوم القيامة، واجعل قوتك في الإيمان والتقوى.

الوقفة الثالثة: وقفة (الملك على أرجائها)

التدبر: تخيل الملائكة العظام يملؤون أطراف السماء، ينظرون إلى الخلق.

الأسئلة العملية:

· هل أستحي من الملائكة الذين يكتبون أعمالي؟
· ما هي الأفعال التي أفعلها في الخلوة ولا أريد لأحد أن يراني فيها؟
· كيف أستعد لرؤية الملائكة عياناً يوم القيامة؟

التطبيق: اختر فعلا ً واحداً كنت تخفيه، وتب منه اليوم، واستحضر أن الملائكة يكتبون كل شيء.

الوقفة الرابعة: وقفة (يحمل عرش ربك فوقهم ثمانية)

التدبر: تخيل عظمة العرش، وضخامة حملته الثمانية، وعلوهم فوق الجميع.

الأسئلة العملية:

· كم أعظم الله في قلبي؟
· هل أدعو الله بخشوع وتذلل لعظمته؟
· كيف أزيد من تعظيم الله في صلاتي؟

التطبيق: قبل كل صلاة، توقف لحظة وتأمل: أنت تصلي لله الذي عرشه يحمله ثمانية من أعظم الملا ئكة. فقم إلى الصلاة بخشوع أعظم.

الوقفة الخامسة: وقفة (تعرضون)

التدبر: تخيل نفسك في هذا الموقف العظيم: تقف وحيداً أمام الله، وكل أعمالك معروضة.

الأسئلة العملية:

· كيف سيكون وقوفي بين يدي الله غداً؟
· ماذا أتمنى أن يكون في صحيفة أعمالي؟
· هل أنا سعيد بما قدمت أم نادم؟

التطبيق: كل مساء، احاسب نفسك: ماذا قدمت اليوم ليكون عرضي جميلا ً؟

الوقفة السادسة: وقفة (لا تخفى منكم خافية)

التدبر: تخيل أن كل أسرارك - أحلامك، نواياك، ذنوبك الخفية، حديث نفسك - كلها مكشوفة.

الأسئلة العملية:

· ما هي الخافية في قلبي التي أخاف أن تظهر؟
· لماذا أصر على إخفائها وأنا أعلم أن الله يعلمها؟
· ما هو الذنب الذي أفعله في السر ولا أجرؤ على فعله في العلن؟

التطبيق: اختر خافية واحدة في قلبك، تب منها اليوم توبة نصوحاً، واكتب في دفترك: "تبت إلى الله من ..."، واحتفظ بها سراً بينك وبين الله.
رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه صور لنا المشهد الثاني من مشاهد يوم القيامة: السماء تنشق وتصبح واهية، والملائكة تملأ أرجاءها، وحملة العرش الثمانية يعلون فوق الجميع ، ثم يعرض الخلق على الله، ولا تخفى منهم خافية.

وتعلمنا أن هذا اليوم هو يوم الحقائق، لا ينفع فيه إخفاء ولا تمويه ولا نفاق. فكل ما أخفاه الإنسان في الدنيا سينكشف. كما تعلمنا أن السماء التي هي رمز القوة والثبات ستصبح واهية، فكيف بنا نحن الضعفاء؟ وتعلمنا أن الملائكة حاضرون، وأن علينا أن نستحي منهم ونراقب الله.

وتعلمنا أن الاستعداد لهذا اليوم يكون بالإخلاص والتوبة والصدق والعمل الصالح، وأن الخفايا تحتاج إلى تطهير دائم بالتوبة والاستغفار.

فلنختم هذه الرحلة بالتأمل في قوله تعالى: {أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ} (هود:8). نسأل الله أن يجعلنا من الذين يعرضون عليه فيأمنون، وأن يبيض وجوهنا يوم تسودّ وجوه الكافرين، وأن يستر خفايانا في الدنيا والآخرة.
القسم الثاني
المبحث الأول
تفسير تفصيلي للآيتين الكريمتين (19-20) من سورة الحاقة

}فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ{

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (13-18) صورت مشاهد القيامة الكبرى: النفخة في الصور، ودك الأرض والجبال، وانشقاق السماء وظهور الملائكة على أرجائها، وحملة العرش الثمانية، ثم العرض على الله حيث {لا تخْفَىٰ مِنكمْ خَافِيَةٌ}. بعد هذا العرض والحساب الدقيق، يأتي دور الجزاء و الفرز النهائي للخلائق.

وهنا يأتي دور حرف "فأما" في فاتحة الآية (19). هذا الحرف له دلالة عظيمة في سياق النص القرآني:

دلالة "فأما" للفصل بين المراحل:

· "الفاء" تفيد الترتيب والتعقيب، أي أن ما بعدها يأتي مباشرة بعد ما قبلها.
· "أما" تفيد التفصيل والتقسيم.
· فـ"فأما" في هذا السياق تشير إلى انتهاء المرحلة الأولى من البعث والنشور) مرحلة الحشر والعرض والحساب(، وبداية مرحلة جديدة هي مرحلة الجزاء والفرز، حيث يتم فصل الناس إلى فريقين: فريق يأخذ كتابه بيمينه، وفريق يأخذه بشماله) أو من وراء ظهره كما في سورة الانشقاق.(

إذاً، "فأما" تفيد التحول الكبير من مرحلة الحساب إلى مرحلة إعلان النتائج. فبعد أن انتهى الحساب وعُرضت الأعمال، حان وقت توزيع الكتب وبدء الجزاء. فالمؤمنون يتوجهون إلى الجنة والكافرون إلى النار.

والربط مع ما قبلها وثيق جداً: بعد أن أخبر الله أن {تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ}، أصبح كل شيء مكشوفاً، ثم جاء حرف "فأما" ليبين نتيجة هذا العرض: فريق يمنى وفريق شمال.

2.الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هاتان الآيتان في فكرة مركزية هي: إعلان نتائج الحساب وتوزيع كتب الأعمال، وفرحة المؤمنين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، وتصوير حالهم من الفرح والابتهاج.

وتتفرع إلى مراحل:

الفكرة الأولى: تفصيل حال من يؤتى كتابه بيمينه {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ}

·) فأما (للتفصيل بعد الفراغ من المرحلة السابقة.
·) من أوتي كتابه بيمينه (هم المؤمنون الذين فازوا.
· اليمين في اللغة العربية رمز للخير والبركة والقوة واليمن؛ والشمال رمز للشر والضعف والشؤم.

الفكرة الثانية: تصوير فرحة المؤمن ونشوته {فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}

·) هاؤُم (كلمة تستعمل للنداء والإقبال، وتفيد النداء الحماسي الفرح: "تعالوا انظروا".
·) اقرءوا كتابيه (يدعو كل من حوله لقراءة كتابه بكل فخر واعتزاز.

الفكرة الثالثة: سبب فرحه ويقينه السابق {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}

·) ظننت (هنا بمعنى أيقنت وعلمت، وتأتي في القرآن بمعنى اليقين أحياناً.
·) ملاق حسابيه (أي سأحاسب وسألقى جزائي.
· هذا اليقين السابق في الدنيا هو الذي أوصله إلى هذا الفوز العظيم.

3.المغزى من الآية

المغزى الأول: أن اليوم الآخر هو يوم تجسيد الأعمال وتوزيع الكتب، وأن اليمين في هذا اليوم تعبر عن الرفعة والمكانة والقوة والنعيم، بينما الشمال تعبر عن الخفض والمذلة والعذاب. وهذا يعكس واقع الأعمال في الدنيا: الأعمال الصالحة "طاهرة" فتؤخذ باليمين (يد الطهارة والخير)، والأعمال القذرة تؤخذ بالشمال (يد الاستقذار).

المغزى الثاني: أن الإيمان باليوم الآخر والاستعداد له بحسن الظن بالله والعمل الصالح هو سبب الفوز. فالمؤمن الذي كان يظن (أي يوقن) أنه سيلقى ربه ويحاسب، عمل لذلك اليوم، فأنجاه عمله.

المغزى الثالث: أن المؤمن في الآخرة لا يخاف من اطلاع الآخرين على كتابه، بل يفتخر به ويدعوهم لقراءته، لأنه قد مُحيت سيئاته وبدلت حسنات، أو لأنه موقن بأن الله غفر له. وهذا عكس حال الكافر الذي يستحي من كتابه ويتمنى لو لم يؤته.

المغزى الرابع: أن الفرحة الحقيقية هي فرحة النجاة والفوز بالجنة، وهذه الفرحة تجعل المؤمن ينطلق إلى أهله (أي إخوانه المؤمنين) مسروراً يريد مشاركتهم فرحته، كما سيأتي في الآيات اللاحقة (21-

24) حيث ينقلب إلى أهله مسروراً.

المغزى الخامس: دلالة تخصيص اليمين للمؤمنين والشمال للكافرين تشير إلى أن الأعمال الصالحة تمنح صاحبها القوة والنجاح في الآخرة، كما كانت اليمين مصدر القوة في الدنيا عند العرب. والله تعالى يقول: {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} (الحاقة: 45) إشارة إلى القوة. فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه قوة وكرامة، و الكافر يأخذه بشماله ضعفاً وهواناً.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن أعمال العباد تكتب وتعرض، وأن لكل إنسان كتاباً يحويه، وأن هذا الكتاب سيؤتاه يوم القيامة إما بيمينه أو بشماله.

الهدف العقدي الثاني: بيان أن الإيمان باليوم الآخر والاستعداد له هو سبب الفوز، وأن الظن الحسن ب الله (مع العمل) ينجي.

الهدف النفسي: غرس حب الأعمال الصالحة في النفوس، لأنها تمنح المؤمن في الآخرة القوة والنجاح والفوز العظيم. وتصوير فرحة المؤمن بهذا الكتاب يدفع المسلم إلى الاجتهاد في الطاعات.

الهدف البياني: استخدام (فأما) للفصل بين المراحل يخلق إحساساً بالانتقال من مرحلة الرهبة (العرض والحساب) إلى مرحلة الفرج والجزاء. واستخدام (هاؤُم) وصيغة الأمر (اقرءوا) يعبر عن شدة الفرح و الثقة. والمد في (كتابيه) و(حسابيه) – بالهاء الساكنة في الوقف – يعطي إيقاعاً موسيقياً يعبر عن التمدد في الفرح.

الهدف التربوي: تعليم أن المسلم يجب أن يكون من الذين إذا نوقش الحساب كان يسيراً، وذلك بالإ يمان والعمل الصالح. وأن شدة الفرح يوم القيامة تكون بقدر الإيمان واليقين في الدنيا.

الهدف الدعوي: دعوة الناس إلى أن يعيشوا حالة اليقين بلقاء الله، فيعملوا لدنياهم وآخرتهم، ويستعدوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ}

.1دلالة) فأما (للفصل بين مراحل البعث والجزاء:

كما أشرنا، (فأما) مركبة من (الفاء) و(أما). والفاء للترتيب والتعقيب، و(أما) للتفصيل. وهنا تفيد الا نتقال من مرحلة الحشر والعرض والحساب إلى مرحلة إعلان النتائج وتوزيع الكتب. فكأن الله يقول: بعد أن تم العرض وحوسب الخلق، جاء دور التفصيل: فأما من أوتي كتابه بيمينه فله كذا، وأما من أوتي كتابه بشماله فله كذا (وهذا في الآيات التالية). وهذا الأسلوب موجود في القرآن في مواضع التفصيل بعد الإجمال.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: فأما (تخلق لحظة ترقب وتشويق، كمن يقول: "بعد أن انتهى المقدم، ها هي النتائج" .ينتقل القارئ من جو الرهبة إلى جو الترقب.
· عقلياً: العقل يدرك أن هناك ترتيباً زمنياً دقيقاً في أحداث القيامة: العرض ثم الحساب ثم توزيع الكتب ثم الجزاء.
· تربوياً: تعليم أن لكل مرحلة من مراحل الحياة الآخرة نظامها، وأن على المؤمن أن يفقه هذه المراحل ليستعد لكل مرحلة بما يناسبها.
· عملياً: عند تنظيم أي عمل، نتعلم ترتيب المراحل وعدم خلطها، كما رتب الله مراحل القيامة.

.2دلالة) مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(:

هذا هم المؤمنون الذين فازوا برضا الله. (أُوتِيَ) فعل مبني للمجهول، والفاعل هو الله أو الملائكة

المكلفون. (كتابه) أي صحيفة أعماله التي سجلت في الدنيا. (بيمينه) أي تناوله بيده اليمنى. وفي آيات أخرى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} (الانشقاق: 7-8).

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: اليمين في ثقافة العرب مرتبطة بالخير والبركة والقوة .فذكر اليمين يبعث في النفس شعوراً بالكرامة والفخر .يقابل ذلك الشمال التي تعبر عن الضعف والهوان.
· عقلياً: العقل يدرك أن هذه إشارة رمزية إلى طهارة الأعمال الصالحة، فاليمين تستخدم للأعمال الطيبة) الأكل والشرب والكتابة وإعطاء السلام(، بينما الشمال تستخدم للأعمال المستقذرة) إزالة الأ وساخ .(فكأن المؤمن بأعماله الطاهرة يستحق أن يتناول كتابه باليمين.
· تربوياً: نتعلم أن نظافة القلب والنية والعمل تظهر يوم القيامة في صورة كريمة) اليمين .(فمن أراد أن يأخذ كتابه بيمينه فليطهّر أعماله في الدنيا.
· عملياً: نعود أنفسنا على استعمال اليمين في الأمور المستحبة) الأكل، الشرب، الكتابة، السلام (تيمناً واقتداءً، ولتذكير أنفسنا بأن الخير في اليمين.

.3دلالة تخصيص اليمين للمؤمنين والشمال للكافرين - بعدان رئيسيان:

البعد الأول: تجسيد الأعمال وجزاؤها البصري:

هذا التخصيص يشير إلى أن اليوم الآخر هو يوم تجسيد للأعمال التي عملها الإنسان في الدنيا. ف المؤمن الذي عمل صالحاً وطهر نفسه تجسد عمله في صورة كريمة: كتابه في يمينه القوية المباركة. والكافر الذي عمل الخبائث تجسد عمله في صورة مهينة: كتابه في شماله الضعيفة المشؤومة، أو من وراء ظهره كما في سورة الانشقاق: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} (الانشقاق: 10). فهذا التوزيع يخبرنا أن هذا اليوم هو مستقبلنا الحقيقي الذي فيه حياتنا الأبدية، وأن الأعمال هي التي تحدد مستقبل الإنسان بل وأهله الحقيقيين الذين ينتسب إليهم: الإيمان يجعل المؤمنين فريقاً واحداً وأسرة واحدة، والكفر يجعل الكافرين فريقاً آخر.

البعد الثاني: اليمين رمز القوة واليمن والشرف:

في اللغة العربية وثقافتها، اليمين ترتبط بـ:

· اليمن والبركة: ومنه التيمن) بدء العمل باليمين.(
· القوة: قال تعالى:} لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) {الحاقة: (45 أي بقوة.
· الشرف: كانوا يعطون الشرفاء بأيمانهم.
بينما الشمال ترتبط بـ:
· الشؤم والنحس) تشاءم من الشمال.(
· الضعف) اليد الشمالى أضعف عادة.(
· الهوان) يعطى اللئيم بشماله.(
فإعطاء كتاب المؤمن بيمينه فيه إشارة إلى رفعته ومكانته وقوته ومنزلته، وإعطاء كتاب الكافر بشماله) أو من وراء ظهره (فيه إشارة إلى خفض مقامه ومقداره وعذابه، كما ورد في سورة الواقعة: }خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) {الواقعة: .(3 فاليمين ترفع المؤمن، والشمال تخفض الكافر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق هذا التخصيص رغبة عارمة في النفس لتكون من أصحاب اليمين، ونفرة من أن تكون من أصحاب الشمال .وهو محفز نفسي قوي للعمل الصالح.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله جعل لكل شيء أثراً، فالطهارة تؤدي إلى اليمين، والخبث يؤدي إلى الشمال .وهذا يتفق مع الفطرة السليمة.
· تربوياً: نربي أبناءنا على أن الأعمال الصالحة "طاهرة" تقدم باليمين، والأعمال السيئة "قذرة" تدفع بـ الشمال .فيحبون الطهارة وينفرون من القذارة.
· عملياً: نجعل من أخذ الكتاب باليمين هدفاً نسعى إليه كل يوم، فنقول لأنفسنا: "ماذا سأكتب اليوم في كتابي؟ كيف سيكون تناوله؟"

ثانياً: دلالة قوله {فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}

.1دلالة) هاؤُم(:

)هاؤُم (كلمة تستعمل في اللغة العربية للنداء والإقبال، وهي من) ها (التنبيه و)ؤم (بمعنى أقبل .وتفيد النداء الحماسي، كأنه يقول: "تعالوا، أقبلوا، انظروا" .والمؤمن هنا في قمة الفرح والنشوة، ينادي كل من حوله ليروا كتابه العظيم .وهذا يعبر عن شدة الفرح التي تغمره، فهي ليست فرحة عادية بل فرحة تطفح بها النفس حتى تريد أن تشرك الآخرين فيها .ولفظ) هاؤُم (فيه مد) الهمزة الممدودة (وصوت ء ال كأنه يصرخ فرحاً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التعبير ب-)هاؤُم (يصور لنا حالة من الفرح الذي لا يحتمل الكتمان، بل يتجاوز صاحبه إلى مشاركة الآخرين .وهذا يعكس أن السعادة الحقيقية تكبر عندما تشاركها مع من تحب.
· عقلياً: العقل يفهم أن المؤمن في الآخرة لم يعد خائفاً من اطلاع أحد على كتابه، بل هو يفتخر به . وهذا لأن الله محا سيئاته وبدلها حسنات، أو لأنه وثق من مغفرته.
· تربوياً: نتعلم أن الفرح بالنعمة والنجاح ليس عيباً، بل هو من شكر الله، إذا كان مع التواضع لله . وأن مشاركة الآخرين فرحتنا من مكارم الأخلاق.
· عملياً: نطبق هذا بأن نفرح بنجاحاتنا ونخبر بها من نحب، ونحاول أن نشارك إخواننا أفراحهم.

.2دلالة) اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(:

)اقرءوا (فعل أمر، والمؤمن هنا يأمر الناس بقراءة كتابه .وهذا يدل على أنه ليس لديه ما يخفيه، بل كل ما فيه خير وفضل .وقد اختلف المفسرون: هل هو يأمر الملائكة أو المؤمنين الآخرين؟ الأرجح أنه ينادي كل من حوله من المؤمنين الفائزين كما سيأتي أنه ينقلب إلى أهله) أي إخوانه المؤمنين (مسروراً .إنه يريدهم أن يشاركوه فرحته، وكأنه يقول: "انظروا كيف تجسد عملي الصالح في هذا الكتاب المجيد" .وفيه إشارة إلى أن الله قد يريه حسناته فقط، أو قد يبدل سيئاته حسنات، أو يغفرها فلا تظهر .وفي رواية عن ابن عباس: المؤمن يعطى كتابه بيمينه، فيه حسناته وسيئاته، فيقرأ سيئاته فيتغير لونه، ثم يقرأ حسناته فيرجع لونه، ثم يرى السيئات قد بدلت حسنات فيقول:} هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ.{

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذا المشهد يخلق شعوراً بالفخر والاعتزاز بالنفس، لكنه فخر لله وبنعمته .كما يخلق شعوراً با لارتياح لأن السيئات قد غفرت أو حُولت.
· عقلياً: العقل يتساءل: كيف يدعوهم لقراءة كتابه؟ لكن العقل المؤمن يدرك أن هذه هي حلاوة الإ يمان والثقة برحمة الله.
· تربوياً: نتعلم ألا نستحي من فضل الله علينا، وأن نشكر الله علناً .فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإظهار نعمة الله.
· عملياً: عندما ننجح في عمل خيري أو علمي، نخبر إخواننا به ليفرحوا معنا ويقتدوا بنا، دون رياء.

.3دلالة المد في) كتابيه (و)حسابيه (- الوقف بالهاء:

في المصحف، تكتب هاتان الكلمتان (كِتَابِيَهْ) و(حِسَابِيَهْ) بهاء السكت عند الوقف. وهذا يخلق مداً صوتياً يعبر عن التمدد في الفرح. كما لو أن الإنسان عندما يفرح يمد صوته. وهذا من الإعجاز الصوتي في القرآن: تلاؤم النصوص والأصوات والمعاني. فالآية تصور حال المؤمن بحسن الكلام وبمد الصوت، فتصل مشاعر الفرح إلى قلب السامع مباشرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الصوت الممدود يوحي بالاتساع والانطلاق والفرح العارم.
· عقلياً: العقل يدرك أن القرآن لم يأتِ عفوياً، بل هو محكم في لفظه ومعناه وصوته.
· تربوياً: نتعلم أن نقرأ القرآن بتجويده ووقفاته الصحيحة، لنعيش هذه المشاعر.
· عملياً: نقرأ هذه الآية بتدبر وتطريب، ونحاول أن نشعر بفرحة المؤمن ونحن نتلوها.
ثالثاً: دلالة قوله {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}

.1دلالة) ظَنَنْتُ (في القرآن:

)ظن (في اللغة قد تأتي بمعنى اليقين والعلم، وليس الشك .ومنه قوله تعالى:} الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو

رَبِّهِمْ) {البقرة: (46 أي يوقنون .ف-)ظننت (هنا بمعنى أيقنت وعلمت يقيناً .فالمؤمن يقول: إني أيقنت في الدنيا أني سألقى حسابي، فاستعددت لهذا اليوم، والآن ها أنا ذا قد فزت .ومعنى آخر: إني ظننت ظناً حسناً باللّه أن رحمته ستسبق غضبه، فكان ظني صدقاً .وهناك قول ثالث: "ظننت" بمعنى توقعت وخفت، وهذا يناسب أن المؤمن كان خائفاً من الحساب، ولكنه بعد أن غفر اللّه له أصبح يقول: ها أنتم اقرؤوا كتابي، إني كنت أظن أني سأحاسب حساباً عسيراً، لكن اللّه يسره لي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذا الكلام يزرع في النفس أهمية اليقين باللّه واليوم الآخر .فاليقين ينتج عملا ً، والعمل ينتج فوزاً .وأيضاً يزرع الأمل: من كان ظنه باللّه حسناً وصدقه بعمله، نال الخير.
· عقلياً: العقل يدرك أن الظن الحسن باللّه مع العمل الصالح هو الذي ينجي .فليس الظن وحده ولا العمل وحده، بل الاثنان معاً.
· تربوياً: نتعلم ألا نغفل عن ذكر الموت والحساب، وأن نعمل لدنيانا كما لو كنا نعيش أبداً، ولآخرتنا كما لو كنا نموت غداً.
· عملياً: نجدد ظننا باللّه كل يوم، ونعمل عملا ً يليق بهذا الظن، ونقول في دعائنا: "اللّهم إني ظننت بك خيراً فأعطني خيراً".

.2دلالة) مُلاقٍ حِسَابِيَهْ(:

)ملاق (أي لاقٍ ومصادف،) حسابيه (أي محاسبتي وجزائي .والمعنى: إني أيقنت أني سأقف بين يدي اللّه وأحاسب على أعمالي .وهذه الحالة من اليقين هي التي جعلته يعمل الصالحات ويجتنب السيئات . والآن بعد أن نجى، هو يذكر هذا اليقين كسبب لنجاته .وفيه إشارة أيضاً إلى أنه كان خائفاً من الحساب، كما ورد عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: "من نوقش الحساب عذب" .فالمؤمن كان يظن أنه سيلاقي حساباً، لكن اللّه لم يناقشه مناقشة شديدة بل حاسبه حساباً يسيراً، فأصبح في أمان .ولهذا قال:} هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ {لأنه تأمن من العذاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذا الكلام يخلق خوفاً صحياً من الحساب في الدنيا، ورجاءً في الآخرة .فالخوف يدفع للعمل، والرجاء يمنع اليأس.
· عقلياً: العقل يدرك أن المؤمن لا يخلو من خوف ورجاء، وأن خوفه من الحساب كان سبباً في نجاته.
· تربوياً: نتعلم ألا نأمن مكر اللّه، وأن نكون دائماً بين الخوف والرجاء.
· عملياً: نردد كثيراً: "اللّهم حاسبني حساباً يسيراً"، ونتعوذ من مناقشة الحساب.

.3العلاقة بين "ظننت" و"ملاق حسابيه" - سبب الفرح:

المؤمن يصرح الآن بسبب فرحه العارم: لقد كنت في الدنيا على يقين بأني سألقى حسابي، فاستعددت لهذا اليوم، واليوم أرى النتيجة، وقد فزت. كما أن قوله (ظننت) يتضمن معنى الظن الحسن باللّه، أي أني كنت أظن أن اللّه سيرحمني ويغفر لي ويعطيني فوق ما أستحق، فكان ظني صادقاً. وقد ورد في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي". فهذا المؤمن ظن باللّه خيراً فوجد خيراً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يزرع الأمل والتفاؤل باللّه، مع ضرورة العمل .فالظن الحسن بدون عمل قد يكون غروراً، لكن الظن الحسن مع العمل هو الذي ينجي.
· عقلياً: العقل يدرك أن اللّه لا يخلف ظن عباده به، فمن ظن به خيراً أعطاه خيراً.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أبناءنا على التفاؤل باللّه وحسن الظن به، مع الاجتهاد في العمل.
· عملياً: كل صباح نقول: "اللّهم إني ظننت بك خيراً، فحقق لي خيراً".

الأمر الثاني: ما بين (هاؤُم) و(انقلب إلى أهله مسروراً) - تكامل المشهد

في الآيات اللاحقة (21-24)، سيذكر اللّه أن صاحب اليمين {يَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا}. أي أنه بعد أن أخذ كتابه وقرأه وفرح، ينطلق إلى أهله (أي زوجته وأولاده المؤمنين، أو إلى إخوانه المؤمنين في الجنة) مسروراً. وهناك علاقة وثيقة بين قوله (هاؤُم اقرءوا كتابيه) وانقلابه إلى أهله: فهو أولا ً ينادي من حوله ليشاهدوا كتابه، ثم يذهب إلى أهله ليفرحهم بنجاته. وهذا يعكس أن المؤمن يريد

مشاركة الآخرين فرحته، خصوصاً أهله وأحبابه الذين آمنوا مثله.

وهذا يبين أن المؤمنين في الآخرة يشكلون (أهلا ً) وأسرة واحدة، وأن النجاة تجمع شملهم. بينما الكفار يتبرأ بعضهم من بعض.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الإنسان اجتماعي بطبيعته، والفرحة تكتمل بالمشاركة .الله راعى هذه الفطرة حتى في الآخرة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجنة تجمع الأحبة على الإيمان.
· تربوياً: نتعلم أن نشارك إخواننا وأهلنا أفراحنا الدينية والدنيوية، فهذا يزيد الألفة.
· عملياً: عند فوز أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء بنجاح، نهرع لنهنئه ونشاركه فرحته، اقتداءً بالمؤمنين في الآخرة.
الأمر الثالث: ما يصوره المؤمن بقوله (هاؤُم اقرءُوا كِتَابِيَهْ) - غرس حب الأعمال الصالحة

هذه العبارة العظيمة تصور لنا حال المؤمن بعد استلام كتابه بيمينه. إنه في قمة السعادة والفرح، لدرجة أنه يغلب لسانه النطق من شدة الفرح فينادي بصوت عال: (هاؤُم) أقبلوا، تعالوا. وهو يريد أن يطلع الجميع على كتابه، ليس فيه شيء يخجل منه، بل كله فضل وإحسان من الله. وهذا يدل على أن الله قد محا سيئاته وبدلها حسنات، أو غفرها له فلم تظهر في الكتاب. ولذلك لم يعد يخاف من اطلاع الآخرين على ما كان يخاف منه في الدنيا (من فضيحة الذنوب).

وهذه الآية تغرس في قلوب المؤمنين حب الأعمال الصالحة، لأنها تمنح صاحبها في الآخرة القوة و النجاح والفوز العظيم. وتجعل المؤمن يتوق إلى هذا اليوم ليس خوفاً بل شوقاً إلى لقاء الله ورؤية ثمرة عمله.

وقد ورد عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما أن المؤمن يعطى كتابه بيمينه، فيقرأ سيئاته فيتغير لونه خوفاً، ثم يقرأ حسناته فيرجع لونه، ثم يرى السيئات قد بدلت حسنات، فيقول: {هَاؤُمُ اقرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِي ظَنَنْتُ أَنِي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}. وهذا يدل على أن شدة الفرح تأتي بعد زوال الخوف، وأن الله يبدل السيئات حسنات لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شوقاً إلى ذلك اليوم الجميل، ويخفف الخوف من الموت لأنه بوابة إلى هذا النعيم.
· عقلياً: العقل يدرك أن الأعمال الصالحة هي استثمار للآخرة، وهي التي تمنح الإنسان هذه الثقة و الفرح.
· تربوياً: نتعلم أن نعلم أبناءنا أن الجنة تنال بالأعمال، وليس بالأماني فقط .وأن الفرحة الحقيقية هي فرحة الفوز برضى الله.
· عملياً: نجعل نصب أعيننا هذا المشهد الجميل، ونعمل كل يوم ليكون كتابنا يوم القيامة مشرفاً.

ثالثاً: التصوير البياني للآيتين وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني

ترسم هاتان الآيتان مشهداً واحداً من مشاهد الجنة في القيامة، ولكن بعد الفرز:

المشهد: المؤمن الفائز يستلم كتابه بيمينه

الكاميرا تركز على مجموعة من الناس (المؤمنين) وقد أعطوا كتبهم. أحدهم ينظر إلى كتابه الذي في يده اليمنى، فينفرج وجهه فرحاً. ثم يرفع رأسه وينظر حوله إلى بقية المؤمنين. يفتح فمه وينادي بصوت عالٍ ممدود: "هاؤُمُ اقرَءُوا كِتَابِيَهْ" – تعالوا، أقبلوا، اقرؤوا كتابي! الكاميرا تقترب من وجهه: نرى عينيه تلمعان فرحاً، ويداه ترتجفان من النشوة. ثم يتابع: "إِنِي ظَنَنْتُ أَنِي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ" – إني كنت على يقين في الدنيا أني سألقى ربي وأحاسب، فاستعددت، والآن ها أنا ذا قد فزت. الكاميرا تبتعد لترى بقية المؤمنين يهرعون إليه ليشاركوه الفرح، ثم ينطلق إلى أهله (كما في الآية التالية) وهو مسرور.

المشهد الثاني المقابل (غير موجود في هاتين الآيتين لكن يكمله السياق): الكافر يستلم كتابه بشماله أو من وراء ظهره، فيتمنى لو لم يؤته كتابه، ويقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ} (الحاقة: 25). هذا

التناقض الصارخ بين الفرح والحسرة يخلق لوحة بيانية بديعة.

ثانياً: أغراض هذا التصوير

.1تصوير الفرحة الإيمانية: تصوير كيف يكون فرح المؤمن بلقاء ربه ونجاحه .هذا يحرك مشاعر القارئ ويجعله يتوق إلى هذه اللحظة.
.2تصوير الثقة بالله: المؤمن واثق من ربه، لا يخاف من اطلاع أحد على كتابه.
.3تصوير التحول من الخوف إلى الأمان: المؤمن كان يظن أنه سيلاقي حساباً عسيراً، فإذا به يلقى حساباً يسيراً ومغفرة.
.4غرس حب العمل الصالح: رؤية هذا المشهد تجعل المؤمن يحب أن يكون صاحب هذا الموقف، فيكثر من العمل الصالح.
.5إظهار فضل الله: فوز المؤمن ليس بعمله فقط، بل بفضل الله ورحمته.

رابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (فأما) تذكير بأن الحياة الدنيا مرحلة والآخرة مرحلة

فكما أننا ننتقل من مرحلة الدراسة إلى مرحلة النتائج، كذلك ننتقل من الدنيا إلى الآخرة. الاستفادة: لا تغتر بمرحلة العمل (الدنيا) دون إعداد للنتيجة (الآخرة).

الخاطرة الثانية: (أوتي كتابه بيمينه) تذكير بأن الأعمال الصالحة تمنح القوة

في الدنيا، القوة بالمال والسلاح. في الآخرة، القوة بالإيمان والعمل الصالح، وتتجلى في أخذ الكتاب بـ اليمين. الاستفادة: لا تطلب القوة من غير الله، واطلبها بطاعته.

الخاطرة الثالثة: (هاؤُم اقرءُوا كتابيه) تذكير بأن المؤمن لا يخاف الفضيحة بعد التوبة

فمن تاب تاب الله عليه، ومحى سيئاته. الاستفادة: بادر بالتوبة النصوح، واسأل الله الستر في الدنيا و الآخرة.

الخاطرة الرابعة: (إني ظننت أني ملاق حسابيه) تذكير بأهمية اليقين

اليقين بالله واليوم الآخر هو مفتاح الاستعداد. الاستفادة: جدد إيمانك كل يوم بتذكر الموت و الحساب.

الخاطرة الخامسة: الفرحة المشاركة هي أكمل الفرح

المؤمن لا يفرح وحده، بل يدعو الآخرين لمشاركته. الاستفادة: شارك إخوانك أفراحهم، وافرح لفرحهم.

الخاطرة السادسة: اليمين يمنى والشمال شؤم

هذا يذكرنا بأن الله جعل لكل شيء أثراً، فالخير يجلب اليمن، والشر يجلب الشؤم. الاستفادة: اختر اليمين في كل أمر، وتيمن بالخير.

الخاطرة السابعة: الظن الحسن بالله سبب النجاة

من ظن بالله خيراً وجد خيراً، لكن مع العمل. الاستفادة: أحسن ظنك بالله، ولكن لا تتكل على الظن وحده، بل اعمل.

خامساً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية توزيع كتب الأعمال يوم القيامة.
.2قضية دلالة اليمين والشمال على المنزلة والقوة والهوان.
.3قضية أن اليوم الآخر تجسيد للأعمال، وليس مجرد جزاء مجرد.

.4قضية اليقين بلقاء الله وأثره في استعداد العبد.
.5قضية أن المؤمنين أمة واحدة وأسرة واحدة في الآخرة.
.6قضية دور التوبة في تحويل السيئات إلى حسنات.
.7قضية أهمية حسن الظن بالله مع العمل.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك في ذلك الموقف: أنت تقف بين يدي الله، وقد أُعطيت كتابك بيمينك. تشعر بفرحة لا توصف. ترفع صوتك وتنادي كل من حولك: تعالوا اقرؤوا كتابي! تريدهم أن يروا كيف تجسد عملي الصالح في هذا الكتاب المجيد.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: كل عمل صالح تقوم به) صلاة، صدقة، ذكر، صوم(، تخيل أنه يكتب في كتابك بيمينك.
· في عباداتك: عندما تسأل الله الجنة، قل: "اللهم اجعلني من أصحاب اليمين".
· في معاملاتك: اختر اليمين في البدء بالأعمال الطيبة، ليذكرك بيوم اليمين.
· في تربيتك: علم أولادك أن اليمين للخير والشمال للشر، وأن الله سيعطيهم كتبهم بأيمانهم إذا أطاعوه.
· في دعوتك: ذكر الناس بهذا المشهد الجميل، ليرغبوا في العمل الصالح.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى العمل الصالح: العمل الصالح ليس مجرد واجب، بل هو استثمار في مستقبل أبدي ، وهو سبب للفرح الدائم.
.2تغيير النظرة إلى الخطيئة: الخطيئة ستظهر يوم القيامة في كتاب العبد، وقد تسبب له الخزي، فلا نستهين بها.
.3تغيير النظرة إلى الفرح: الفرح الحقيقي ليس بمال أو جاه، بل بالفوز بالجنة ورؤية الله.
.4تغيير النظرة إلى الأهل: الأهل الحقيقيون هم المؤمنون الذين يجمعون في الجنة، لا الأهل بالنسب فقط.
.5تغيير النظرة إلى الظن بالله: الظن الحسن بالله يجب أن يكون مقترناً بالعمل، لا مجرد أمنية.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الأعمال الصالحة تُعطى صاحبها القوة والكرامة في الآخرة (اليمين). التطبيق: أكثر من ا لأعمال الصالحة، واجعلها قوتك اليوم وغداً.

الدرس الثاني: اليمين رمز الخير والبركة، فاستعملها في الخير. التطبيق: ابدأ كل عمل طيب بيمينك (ا لأكل، الشرب، السلام، إعطاء الصدقة).

الدرس الثالث: المؤمن في الآخرة لا يخاف من اطلاع الناس على كتابه. التطبيق: كن صادقاً في علنك وسرك، حتى لا تخاف من كشف أعمالك.

الدرس الرابع: اليقين بلقاء الله هو دافع للعمل. التطبيق: اكتب وصية لنفسك: "إني موقن بأني سألقى حسابي"، واجعلها نصب عينيك.

الدرس الخامس: الفرحة المشاركة هي أعمق فرحة. التطبيق: إذا أصبت بخير، فأخبر به إخوانك ليفرحوا معك ويشجعوا.

الدرس السادس: حسن الظن بالله مع العمل سبب النجاة. التطبيق: كل صباح قل: "اللهم إني ظننت بك خيراً، فحقق لي ظني".

الدرس السابع: الله يبدل السيئات حسنات لمن تاب. التطبيق: تب من ذنوبك اليوم، وأحسن العمل، وانتظر تبديل السيئات.
سادساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة فهم دلالة) فأما (في الفصل بين مراحل القيامة.
· مهارة تحليل الرمزية اللغوية) اليمين والشمال (في الثقافة العربية.
· مهارة التفريق بين الظن بمعنى الشك والظن بمعنى اليقين.
· مهارة ربط الآيات ببعضها) هذه الآية مع سورة الانشقاق والواقعة.(

المهارات الحياتية

· مهارة المشاركة العاطفية) مشاركة الآخرين الأفراح.(
· مهارة اليقين والثقة باللّٰه مع العمل.
· مهارة التفاؤل) حسن الظن باللّٰه.(
· مهارة التوبة والاستغفار) تطهير الكتاب.(

المهارات العملية

· مهارة تنظيم الأولويات) جعل الآخرة الهدف الأكبر.(
· مهارة محاسبة النفس) مراجعة كتاب الأعمال يومياً.(
· مهارة استعمال اليمين في الخير.
· مهارة التحدث عن نعم اللّٰه بإيجابية) كما قال المؤمن: هاؤم اقرؤوا كتابيه.(

سابعاً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1اجعل اليقين بلقاء اللّٰه نصب عينيك، وسل نفسك كل يوم: "لو عرض علي كتابي اليوم، فبأي يد سآخذه؟"
.2استعمل اليمين في الخير تيمناً وتذكيراً بهذا اليوم.
.3شارك إخوانك أفراحك وأحزانك، فالمؤمنون أمة واحدة.
.4أحسن الظن باللّٰه، واعمل عملا ً يليق بهذا الظن.
.5بادر بالتوبة من الذنوب، فربما تكون سبباً في تحويل سيئاتك إلى حسنات.
.6لا تخف من الناس في إظهار طاعتك) مع ترك الرياء(، فالمؤمن يفتخر بطاعته كما افتخر صاحب اليمين.
.7علم أبناءك هذه المعاني لتتربى قلوبهم على حب الآخرة.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الوعي الأخلاقي: استشعار أن كل عمل سيُعرض ويُؤخذ باليمين أو الشمال يزيد من المسؤولية الأخلاقية.
· تطوير العلاقات الأسرية: تذكير بأن الأهل الحقيقيين هم أهل الإيمان، يزيد من التماسك الأسري على الدين.
· تطوير ثقافة التفاؤل: حسن الظن باللّٰه يمنع اليأس ويحفز على العمل.
· تطوير النزاهة: الخوف من أن يأخذ الإنسان كتابه بشماله يردعه عن الغش والكذب.
· تطوير الإخلاص: المؤمن يريد أن يأخذ كتابه بيمينه، فيخلص العمل لله.
ثامناً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن هناك مرحلتين منفصلتين في القيامة: مرحلة الحساب ومرحلة الجزاء، و) فأما (تفصل بينهما.
.2أن اليمين في الآخرة علامة على القوة واليمن والبركة، وهي للمؤمنين.
.3أن الشمال علامة على الضعف والشؤم والهوان، وهي للكافرين.
.4أن المؤمنين سيشكلون أسرة واحدة وأهلا ً حقيقيين في الآخرة، ينطلق إليهم الفائز مسروراً.
.5أن المؤمن يفتخر بكتابه ويدعو الآخرين لقراءته، لأنه مطمئن من غفران اللّٰه.
.6أن اليقين بلقاء اللّٰه هو دافع قوي للعمل الصالح.
.7أن حسن الظن باللّٰه مع العمل يؤدي إلى الفوز العظيم.
.8أن الفرحة الحقيقية هي فرحة الفوز بالجنة، وهي فرحة عارمة لا توصف.

تاسعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد الزمني المرحلي: الفصل بين مراحل القيامة) حشر، عرض، حساب، توزيع كتب، جزاء .(هذا البعد يعطي صورة منظمة لأحداث اليوم الآخر.
.2البعد الرمزي: اليمين والشمال ليسا مجرد جهتين، بل هما رمزان لقوة الإيمان وضعف الكفر.
.3البعد النفسي الاجتماعي: المؤمن يريد مشاركة الآخرين فرحته، وهذا يعكس الطبيعة الاجتماعية للإ نسان.
.4البعد العقدي: إثبات كتابة الأعمال، وعرضها، وتجسيدها يوم القيامة.
.5البعد التربوي: غرس حب الأعمال الصالحة بربطها بالفرح والفخر في الآخرة.
.6البعد البياني: استخدام صيغة الأمر) اقرءوا (والنداء) هاؤُم (والمد) كتابيه (لإيصال مشاعر الفرح.

الآفاق:

.1أفق الاستعداد الدائم: أن يعيش المؤمن في كل لحظة استعداداً ليوم العرض.
.2أفق مشاركة الفرح: أن نشارك إخواننا أفراحهم الدينية والدنيوية.
.3أفق حسن الظن بالله: أن نربي أنفسنا على التفاؤل والثقة بالله مع العمل.
.4أفق تجديد النية: كل عمل نبدأه، ننوي به أن يكون في كتابنا بيميننا.
.5أفق التوبة والتبديل: أن نؤمن بأن الله يبدل السيئات حسنات، فنبادر بالتوبة.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة اليقين: الإيمان الجازم بلقاء الله والحساب.
.2قيمة الفخر بالطاعة: دون كبر أو رياء، بل شكراً لله.
.3قيمة المشاركة: مشاركة الآخرين الأفراح.
.4قيمة التيمن: استعمال اليمين في الخير تبركاً وتيمناً.
.5قيمة حسن الظن بالله: الثقة برحمة الله مع العمل.
.6قيمة التوبة: المبادرة إلى تطهير الكتاب قبل يوم العرض.
.7قيمة الأخوة الإيمانية: المؤمنون إخوة وأسرة واحدة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (فأما): في حياتنا العملية، هذا المفهوم يذكرنا بضرورة ترتيب أعمالنا ومراحلها. لا نخلط بين مرحلة العمل ومرحلة النتائج. وكذلك نعلم أن لكل مرحلة حكمها.

مفهوم (اليمين): في حياتنا العملية، عندما نستعمل اليمين في الخير، نتذكر أن الله سيعطينا كتابنا بها يوم القيامة. فنجعل اليمين لنا عادة حسنة.

مفهوم (هاؤُم): في حياتنا العملية، عندما نحقق نجاحاً، لا نخجل من إخبار إخواننا به ليفرحوا معنا، ولكن بلا رياء.

مفهوم (اقرءوا كتابيه): في حياتنا العملية، نحرص على أن يكون كتاب أعمالنا مشرفاً، ونفرح بإطلاع الناس على أعمالنا الصالحة إذا كان في ذلك مصلحة (كالدعوة إلى الله).

مفهوم (ظننت): في حياتنا العملية، نتعامل مع الله بحسن الظن، فنرجو رحمته، ونخاف عذابه، ونعمل بجد.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الفرح الإيجابي(: الفرح بنعمة الله والنجاح ليس مذموماً، بل هو من شكر الله إذا صاحبه

تواضع.
.2مفهوم) الثقة بعد الخوف(: المؤمن كان يخاف الحساب، فلما رأى رحمة الله تحول خوفه إلى فرح . هذا يعكس مفهوم) الأمان النفسي (بعد التوبة.
.3مفهوم) المشاركة العاطفية(: حاجة الإنسان لمشاركة الآخرين أفراحه هي حاجة نفسية عميقة، والآ ية تراعيها.
.4مفهوم) اليقين كمحفز(: اليقين بلقاء الله يحفز النفس على العمل الجاد.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) الرمزية في القرآن(: اليمين والشمال ليسا مجرد جهات، بل يحملان دلالات عميقة.
.2مفهوم) تجسيد الأعمال(: يوم القيامة هو يوم تجسيد للأعمال، لا يوم جزاء مجرد.
.3مفهوم) المراحل الزمنية للآخرة(: للآخرة مراحل متعددة: بعث، حشر، عرض، حساب، توزيع كتب، جزاء.
.4مفهوم) الظن بين الشك واليقين(: الظن في القرآن يأتي بمعنيين، حسب السياق.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالصورة(: تصوير فرحة المؤمن بأخذ الكتاب بيمينه يغرس حب الطاعة.
.2مفهوم) التربية بالتفضيل(: تفضيل اليمين على الشمال يعلم الطفل قيمة الخير والشر.
.3مفهوم) التربية بالمشاركة(: تعليم الطفل مشاركة الآخرين أفراحهم.
.4مفهوم) التربية باليقين(: غرس اليقين بالله واليوم الآخر في قلوب الأبناء.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء اليقين الإيماني: أن يصل المؤمن إلى درجة اليقين بأنه سيلقى ربه، فيعمل لذلك اليوم.
.2بناء الشخصية الفخورة بطاعتها: شخصية مسلمة تعتز بطاعتها لله، وتفرح بها، وتدعو إليها) بلا رياء.(
.3بناء الأمة المترابطة: أمة يفرح أفرادها لفرح بعضهم، ويحزنون لحزن بعضهم.
.4بناء المناهج التربوية: على أساس ربط العمل الصالح بالفرح والفخر في الآخرة.
.5بناء العلاقات الأسرية: على أساس أن الأسرة المسلمة هي أهله الحقيقيون الذين سينقلب إليهم مسروراً.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الأمل والتفاؤل: الإيمان بأن حسن الظن بالله يؤدي إلى الخير يدفع إلى العمل.
.2تنمية ثقافة المشاركة: مشاركة الآخرين الأفراح والإنجازات تزيد الترابط المجتمعي.
.3تنمية ثقافة العمل للإتقان: لأن العمل المتقن هو الذي يفتخر به صاحبه يوم القيامة.
.4تنمية ثقافة التوبة المستمرة: لتحويل السيئات إلى حسنات وتطهير الكتاب.
.5تنمية ثقافة التيمن: البدء باليمين في الأعمال الحسنة عادة مباركة.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· اليقين بالله واليوم الآخر: تعيش على يقين أنها ستحاسب، فتحاسب نفسها.
· الفرح بالطاعة: تفرح إذا عملت حسنة، وتدعو إليها.
· المشاركة الإيجابية: تفرح لفرح إخوانها وتشاركهم أفراحهم.
· حسن الظن بالله: متفائلة، تعمل وتثق برحمة الله.
· التوبة الدائمة: تسارع إلى التوبة إذا أخطأت، راجية تبديل السيئات حسنات.
· التمسك باليمين: تعودت على استعمال اليمين في الخير تيمناً.

صناعة التطور والنهضة:

· أولا ً: أمة تعيش يقين الحساب تبني مجتمعاً نزيهاً خالياً من الفساد، وهذا أساس النهضة.

· ثانياً: أمة تفرح بطاعة الله وتدعو إليها تنتشر فيها الفضيلة، وتقل الجريمة والرذيلة.
· ثالثاً: أمة تشارك أفراح بعضها تصبح مترابطة، والترابط يؤدي إلى التعاون، والتعاون يؤدي إلى التطور.
· رابعاً: أمة تحسن الظن بالله تعمل بجد ولا تيأس، وتنهض من كبواتها بسرعة.
· خامساً: أمة تمارس التوبة والاستغفار تطهر نفسها من الذنوب، وتستحق نصر الله وتأييده.

عاشراً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى اليقين بلقاء الله والاستعداد الدائم لهذا اليوم.
.2تدعونا إلى العمل الصالح الذي يجعلنا من أصحاب اليمين.
.3تدعونا إلى التوبة والمبادرة بمحو السيئات قبل أن تظهر في الكتاب.
.4تدعونا إلى حسن الظن بالله والثقة برحمته مع الجد في العمل.
.5تدعونا إلى مشاركة الآخرين أفراحنا الدينية والدنيوية) بلا رياء.(
.6تدعونا إلى الافتخار بطاعة الله) مع التواضع (ونشر الخير بين الناس.
.7تدعونا إلى استعمال اليمين في الأمور الحسنة تذكرة بهذا اليوم.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة (فأما - الفصل بين المراحل)

التدبر: تخيل أنك انتهيت من الحساب، والآن حان وقت إعلان النتيجة. قلبك يخفق. فجأة يُنادى: "فأما من أوتي كتابه بيمينه...".

الأسئلة العملية:

· هل أنا مستعد لهذه اللحظة الفاصلة؟
· كيف سيكون قلبي في تلك اللحظة؟
· ماذا أتمنى أن تكون نتيجتي؟

التطبيق: كل يوم، خصص دقيقة تتخيل فيها هذه اللحظة، وقل: "اللهم اجعلني من أصحاب اليمين".

الوقفة الثانية: وقفة (بيمينه - اليمين رمز القوة والبركة)

التدبر: تخيل أن كتاب أعمالك - الذي سجل فيه كل صغيرة وكبيرة - يُدفع إليك، وتتناوله بيدك اليمنى. تشعر بوزنه الخفيف (لأنه مليء بالحسنات) أو الثقيل؟ تشعر بفرحة غامرة.

الأسئلة العملية:

· ماذا سيكون في كتابي؟ حسنات أم سيئات؟
· هل سأكون من الذين يأخذون كتابهم باليمين أم بالشمال؟
· ماذا أفعل اليوم لأكون من أصحاب اليمين؟

التطبيق: احتفظ بدفتر صغير تكتب فيه حسناتك اليومية (صلاة، صدقة، ذكر، إحسان)، وتخيل أن هذا هو كتابك الذي ستأخذه بيمينك.

الوقفة الثالثة: وقفة (هاؤُم - نداء الفرح)

التدبر: تخيل أنك تنادي بأعلى صوتك: تعالوا، أقبلوا، انظروا إلى كتابي! تريد أن يرى الجميع كيف أكرمك الله.

الأسئلة العملية:

· هل سأكون فرحي بتلك الدرجة؟
· ما هي الأعمال التي تجعلني أفتخر بكتابي؟

· هل أخجل من إطلاع الناس على أعمالي اليوم؟ ولماذا؟

التطبيق: اختر عملا ً صالحاً تفعله اليوم (كالصدقة أو صلة الرحم)، وافعله بنية أن يكون سبباً في فرحتك يوم القيامة.

الوقفة الرابعة: وقفة (اقرءوا كتابيه - الدعوة للاطلاع)

التدبر: تخيل أنك تطلب من الآخرين قراءة كتابك. أنت لا تخشى من شيء فيه، بل تريدهم أن يروا فضل الله عليك.

الأسئلة العملية:

· هل أعمالي في السر مثل أعمالي في العلن؟
· لو اطلع الناس على كتاب أعمالي اليوم، هل سأخجل؟
· كيف أصل إلى درجة لا أخجل فيها من اطلاع الناس على أعمالي؟

التطبيق: جرب أن تخبر صديقاً مقرباً عن عمل صالح قمت به (بقصد التشجيع لا الرياء)، ولاحظ شعورك. هل شعرت بالخجل أم بالفخر؟ درب نفسك على الفخر بالطاعة مع التواضع.

الوقفة الخامسة: وقفة (إني ظننت أني ملاق حسابيه - اليقين السابق)

التدبر: تخيل أنك تقول: لقد كنت في الدنيا على يقين أني سأقف بين يدي الله وأحاسب، فاستعددت، والآن ها أنا أجن ثمار استعدادي.

الأسئلة العملية:

· هل أنا اليوم على يقين أني سألقى حسابي؟
· كيف أغير حياتي بناءً على هذا اليقين؟
· ما هي العوائق التي تمنعني من العيش بهذا اليقين؟

التطبيق: اكتب على ورقة كبيرة: "إني موقن أني ملاق حسابي"، وضعها في مكان تراه يومياً. كلما نظرت إليها، قل: "اللهم حاسبني حساباً يسيراً".

الوقفة السادسة: وقفة (الظن الحسن بالله)

التدبر: المؤمن قال "ظننت"، وكان ظنه حسناً بالله، فوجد خيراً.

الأسئلة العملية:

· ما هو ظني بالله اليوم؟
· هل أظن أن الله سيرحمني ويغفر لي ويقبل توبتي؟
· كيف أحسن ظني بالله مع الاستمرار في العمل؟

التطبيق: كل صباح، ابدأ يومك بقول: "اللهم إني ظننت بك خيراً، فحقق لي خيراً"، واعمل عملا ً صالحاً يليق بهذا الظن.

رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هاتين الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى بعد أن انتهى من مشاهد القيامة الكبرى (النفخ، الدك، انشقاق السماء، العرض)، يأتي دور "فأما" ليفصل بين مرحلة الحساب ومرحلة إعلان النتائج. فيبدأ بتفصيل حال السعداء: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ}.

وتعلمنا أن اليمين في هذا اليوم هي رمز القوة واليمن والبركة والرفعة، بينما الشمال رمز الضعف و الشؤم والهوان. وهذا التخصيص يعكس طهارة أعمال المؤمنين وقذارة أعمال الكافرين، ويعكس تجسيد الأعمال يوم القيامة.

وتعلمنا أن المؤمن عندما يأخذ كتابه بيمينه يفيض فرحاً حتى ينادي: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}، داعياً كل

من حوله لمشاركته فرحته، ومصرحاً بسبب نجاحه: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}، أي أيقنت في الدنيا أني سألقى ربي وأحاسب، فاستعددت، فأكرمني الله.

وتعلمنا أن المؤمنين في الآخرة هم أهل بعضهم، أمة واحدة وأسرة واحدة، ينطلق الفائز إلى أهله مسروراً. وأن الأعمال الصالحة هي التي تمنح هذه القوة والفرح والفخر.

فلنختم هذه الرحلة بالتأمل في قوله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} (آل عمران: 30).

نسأل الله أن يجعلنا من أصحاب اليمين، وأن يعطينا كتبنا بأيماننا، وأن يجعلنا ممن يقولون: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}، وأن ينقلب بنا إلى أهلنا في الجنة مسرورين.

المبحث الثاني

تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (21-24) من سورة الحاقة

}فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ{

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (19-20) صورت لنا المشهد الأول من مشاهد تكريم المؤمنين: استلام الكتاب باليمين، و النداء الفرح {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}، والإعلان عن سبب الفوز {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}. ثم أخبر الله أن هذا المؤمن {يَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا} (الآية 21 في ترتيب المصحف، قبل هذه الآيات). أي أنه بعد أن أخذ كتابه بيمينه وفرح به، ينطلق إلى أهله - زوجاته وأولاده المؤمنين - وهو مسرور.

ثم تأتي الآيات (21-24 من حيث النص الذي ندرسه، وهي في ترتيب المصحف الآيات 22-25 تقريباً) لتصف لنا حال هذا المؤمن بعد انتقاله إلى أهله: إنه في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، ويُقال له ولأهله: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

وهذا الربط وثيق جداً:

· الآية19 : استلام الكتاب باليمين ← فرحة فردية.
· الآية20 : إعلان سبب الفرحة) اليقين السابق.(
· الآية21 : الانتقال إلى الأهل ← فرحة اجتماعية.
· الآيات22 -) 25حسب العد المدني(: وصف العيشة الراضية والجنة العالية والقطوف الدانية والأمر بالأكل والشرب.

إذاً، القصة تكتمل: المؤمن يُعطى كتابه، يفرح، ينادي، يذهب إلى أهله في الجنة، ويدخلون جميعاً في عيشة راضية، في جنة عالية، يتناولون ثمارها الدانية، ويؤمرون بالأكل والشرب الهنيء، وذلك جزاء لما قدموه من أعمال صالحة في أيام الدنيا الخالية.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الأربع في فكرة مركزية هي: وصف النعيم المقيم الذي يعيشه المؤمن في الجنة، بأسلوب يغرس الشوق ويحفز على الأعمال الصالحة. وتتفرع إلى أربع مراحل متكاملة:

الفكرة الأولى: وصف العيشة الراضية {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ}

·) فهو (أي صاحب اليمين المذكور في الآية.19
·) في عيشة راضية (أي حياة كاملة مرضية، جامعة لكل أنواع الراحة والسرور والهناء.
· كلمة) راضية (تحمل معنى الإرضاء الكامل: هي عيشة يرضاها المؤمن ولا يطلب فوقها شيئاً، وقد رضيها الله له.

الفكرة الثانية: وصف الجنة العالية {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ}

· جنة (دار النعيم المقيم.
· عالية (أي مرتفعة المكانة والقدر، أو عالية البناء والغرف، أو عالية الدرجات.
· العلو هنا للتعظيم والتضخيم في النفوس، ولإشعار المؤمن بأن له منزلة رفيعة عند الله.

الفكرة الثالثة: وصف القطوف الدانية {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ}

· قطوفها (ثمارها التي تُجنى وتقطف.
· دانية (قريبة متدلية، تنال بسهولة ويسر دون تعب أو مشقة.

الفكرة الرابعة: الأمر بالأكل والشرب الهنيء {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}

· كلوا واشربوا (أمر إباحة وإكرام من الله.
· هنيئاً (طيباً لا أذى فيه ولا كدر ولا نكد.
· بما أسلفتم (بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة.
· في الأيام الخالية (في أيام الدنيا الماضية المنقضية.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن حياة المؤمن في الآخرة توصف بأنها (عيشة راضية)، أي جامعة لكل ما يرضي النفس، متفوقة على أي تصور بشري. وهذا يغرس في القلب أن السعادة الحقيقية ليست في الدنيا، بل في تلك العيشة الراضية.

المغزى الثاني: وصف الجنة بـ(عالية) له بعدان: بعد مكاني (علو البناء والغرف) وبعد معنوي (علو المكانة والمنزلة عند الله). وهذا يجعل المؤمن يتشوق إلى الرفعة الحقيقية التي لا يضاهيها أي رفعة في الدنيا.

المغزى الثالث: (قطوفها دانية) تعلم أن نعيم الجنة سهل المنال، لا تعب فيه ولا مشقة. وهذا يبعث في النفس الراحة والطمأنينة، ويدفع إلى الصبر على تعب الدنيا.

المغزى الرابع: استخدام فعل الأمر (كلوا واشربوا) يدل على الإكرام والإباحة المطلقة، وكأن الله هو المضيف لهؤلاء الضيوف الأعزاء. وهذا يزرع في القلب الشعور بالعناية الإلهية والكرامة.

المغزى الخامس: كلمة (هنيئاً) تعني أن هذا الأكل والشرب خالص من كل أذى، ليس فيه مرض ولا تخمة ولا ندم، ولا يتعقبه بول ولا غائط. إنه هناء كامل.

المغزى السادس: (بما أسلفتم) تذكير بأن النعيم ليس عبثاً ولا جزافاً، بل هو نتيجة الأعمال الصالحة التي قدمها المؤمن في الدنيا. وهذا يحفز على العمل ويزهد في الكسل.

المغزى السابع: (في الأيام الخالية) توقظ القلب إلى قيمة الوقت، وأن الدنيا أيام معدودة تمضي سريعاً، فمن لم يغتنمها فاته الخير. وفي مقابل ذلك، نعيم الآخرة خالد لا ينفد.

المغزى الثامن: الآيات تعلم مظاهر النجاح والسرور والنعم التي يعيش بها المؤمن: عيشة راضية (راحة نفسية)، جنة عالية (رفعة مكانية)، قطوف دانية (سهولة في المتع)، أكل وشرب هنيء (لذة حسية). وهذه المظاهر مجتمعة تغرس الشوق إلى الجنة وتوجه القلب إلى الأعمال الصالحة بحرارة ورغبة.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن الجنة دار حقيقية ذات عيشة حقيقية، وأن النعيم فيها متفوق على أي نعيم دنيوي.

الهدف العقدي الثاني: إثبات أن الأعمال الصالحة هي سبب دخول الجنة، وأن الله يجازي المحسنين بإحسانهم.

الهدف النفسي: غرس الشوق إلى الجنة في قلوب المؤمنين، وتحويل هذه المشاعر إلى طاقة دافعة للعمل الصالح، وإعطاء المؤمنين الصبر على مصائب الدنيا وحاجتها، لأن ما عند الله هو الباقي.

الهدف البياني: استخدام ألفاظ متنوعة (عيشة راضية - جنة عالية - قطوف دانية - كلوا واشربوا هنيئاً) لتؤدي الغرض في وصف ضخامة النعم وحسن العيش والرفعة والمنزلة والتكريم. واستخدام صيغة الماضي (أسلفتم) للإشارة إلى أن الأعمال قد مضت وانتهت، وأن الجزاء حاضر الآن.

الهدف التربوي: تعليم المؤمن أن ينظر إلى ما عند الله لا إلى ما عند الكفار من زينة الدنيا، فما عند الله هو العيشة الراضية الحقيقية. وتنبيهه إلى أن الأيام الخالية لن تعود، فعليه أن يبادر بالتوبة و العمل الصالح.

الهدف الدعوي: دعوة الناس إلى الإيمان والعمل الصالح، ووعدهم بهذا النعيم المقيم، وتذكيرهم بأن نعيم الدنيا زائل مهما عظم.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ}

.1دلالة) فهو(:

)فهو (إشارة إلى صاحب اليمين الذي أخذ كتابه بيمينه في الآية السابقة .والفاء هنا للتفريع والترتيب، أي بعد أن أخذ كتابه بيمينه وفرح وانقلب إلى أهله مسروراً، فهو الآن في عيشة راضية .وهذا التسلسل يخلق إحساساً بأن النعيم يأتي نتيجة للفوز السابق.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

. نفسياً: الربط بين الفوز باليمين والعيشة الراضية يخلق في النفس رغبة قوية في أن تكون من أصحاب اليمين.
. عقلياً: العقل يدرك أن النتيجة) العيشة الراضية (مرتبطة بسببها) الإيمان والعمل الصالح.(
. تربوياً: نتعلم أن نربط بين الأعمال ونتائجها، فيدرك الطفل أن طاعته اليوم تقوده إلى عيشة راضية غداً.
. عملياً: كل عمل صالح نعمله، نتخيل أن هذا العمل هو خطوة نحو تلك العيشة الراضية.

.2دلالة) عِيشَةٍ(:

)عيشة (اسم للحياة بما فيها من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وسرور .وهي مفردة) عيش (مع إضافة التاء للدلالة على الوحدة والنوعية، أي نوع خاص من العيش لا يشبه عيش الدنيا .وفي هذا إشارة إلى أن حياة الجنة تختلف تماماً عن حياة الدنيا .فهي عيشة لا نصب فيها ولا تعب، ولا حزن ولا هم، ولا مرض ولا موت.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

. نفسياً: كلمة) عيشة (توحي بالاستقرار والاستمرارية، عكس عيش الدنيا المتقلب.
. عقلياً: العقل يدرك أن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة، وأنها متفوقة عليها.
. تربوياً: نتعلم ألا نعلق قلوبنا على عيش الدنيا الزائل، بل نعلقها على تلك العيشة.
. عملياً: إذا أصابك هم أو تعب في الدنيا، ذكر نفسك أن العيشة الحقيقية هي تلك العيشة الراضية.

.3دلالة) رَّاضِيَةٍ(:

)راضية (صفة للعيشة، ومعانيها متعددة وعميقة:

. معنى الإرضاء: هي عيشة يرضاها صاحبها ولا يتمنى فوقها شيئاً .قال تعالى:} وَرَضُوا بِهَا {أي رضوا بما أعطاهم الله.
. معنى الرضى الإلهي: هي عيشة رضيها الله لعباده المؤمنين، وأرضاهم بها.
. معنى الجمع للخير: هي عيشة جامعة لكل أنواع الراحة والسرور، لا ينقصها شيء مما تشتهي الأ نفس وتلذ الأعين.
. معنى الهناء والطمأنينة: ليس فيها كدر ولا نكد ولا تعب.

وكلمة (راضية) صيغت بصيغة اسم الفاعل (راضية) وليس (مرضية) للدلالة على أن العيشة نفسها فيها صفة الرضا والهناء، أو أن صاحبها راضٍ عنها رضاً تاماً. فهي عيشة مرضية عن الله، ومرضية عند المؤمن.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) راضية (تزرع في النفس السكينة والطمأنينة، وتدفعها للتشوق إلى هذه العيشة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الرضا التام لا يتحقق إلا في الجنة، لأن الدنيا فيها نقص وقلق.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أنفسنا على الرضا بقضاء الله في الدنيا، فهذا الرضا هو تدريب على العيشة الراضية في الآخرة.
· عملياً: كلما شعرت بعدم الرضا في الدنيا، تذكر أن هناك عيشة راضية تنتظرك، فتصبر وتحتسب.

.4دلالة) عيشة راضية (تجمع كل أنواع الراحة:

هذه العبارة موجزة لكنها جامعة. قال المفسرون: العيشة الراضية هي التي لا يشوبها نكد ولا أذى، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، فيها الأمن والصحة والشباب الدائم والغنى والكرامة. وهي مقابل العيشة الضنك التي وعد بها الكافر في قوله: {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} (طه: 124). ف(راضية) مقابل (ضنك)، والضنك هو الضيق والشدة. فهذا التناقض يبين الفرق بين جزاء المؤمن وجزاء الكافر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: معرفة أن هناك عيشة ضنك للكافرين تزيد المؤمن شكراً على نعمة الإيمان.
· عقلياً: العقل يدرك العدل الإلهي: المؤمن رضي بالله فكان في عيشة راضية، والكافر ضن على نفسه بالإيمان فكان في عيشة ضنك.
· تربوياً: نعلم أبناءنا أن الكافر وإن كان في رغد من العيش في الدنيا، فمعيشته في الآخرة ضنك.
· عملياً: لا تحسد الكفار على ما هم فيه من نعيم دنيوي، فإن عيشهم في الآخرة ضنك وعذاب.

ثانياً: دلالة قوله {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ}

.1دلالة) جَنَّةٍ(:

الجنة اسم للدار التي أعدها الله للمؤمنين، وفيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. والجنة مشتقة من الستر والاختفاء، لأنها مستورة عنا بأشجارها وثمارها، أو لأن نعيمها مخفي عن أعيننا. وهي دار الخلود والرضوان، وفيها الأنهار والظلال والثمار والحور العين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) جنة (توحي بالخضرة والجمال والنضارة، فتبعث في النفس راحة وطمأنينة وشوقاً.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجنة حقيقة وليست خيالاً، وهي أعدت للمتقين.
· تربوياً: نتعلم أن نشوق أنفسنا وأبناءنا إلى الجنة بذكر أوصافها.
· عملياً: أكثر من الدعاء: "اللهم إني أسألك الجنة".

.2دلالة) عَالِيَةٍ(:

)عالية (صفة للجنة، ومعاني العلو متعددة وعميقة، وفيها تضخيم وتعظيم للجنة في النفوس:

· علو المكانة والقدر: الجنة أعلى المنازل وأشرفها، ومنزلة صاحبها عالية عند الله.
· علو البناء والغرف: غرف الجنة عالية، مبنية من الذهب والفضة، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها.
· علو الدرجات: فيها درجات متفاوتة، بعضها فوق بعض، وكلما كان العبد أطوع ارتفعت درجته.
· علو النعيم: نعيمها خالص من كل نقص وكدر، فهو عالٍ في صفاته.
· علو المكان: الجنة في السماء السابعة، فوق السموات كلها، فهي عالية في المكان.

يقابلها النار التي هي سفلى. ف(عالية) تزرع في نفس المؤمن أن له منزلة رفيعة عند الله، وهو فوق أهل النار. وهذا التضخيم والتعظيم للجنة يجعل المؤمن يتشوق إليها ويزهد في الدنيا.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: العلو يوحي بالشرف والعزة والرفعة، فتشعر النفس بالاعتزاز بكونها من أهل الجنة العالية، ولا تحزن على فقرها أو حاجتها في الدنيا، فالدنيا منخفضة والجنة عالية.
· عقلياً: العقل يدرك أن العلو الحقيقي ليس بالمال أو الجاه في الدنيا، بل بالدرجات في الجنة العالية.
· تربوياً: نتعلم أن نسعى للعلو في الدرجات بالعمل الصالح، لا بالتكبر على الناس .ونعلم أبناءنا أن الرفعة الحقيقية عند الله.
· عملياً: عندما تصلي، تذكر أن سجودك وطاعتك ترفع درجتك في جنة عالية.

.3ما بين) عيشة راضية (و)جنة عالية(:

العيشة الراضية تصف نوع الحياة، والجنة العالية تصف مكان هذه الحياة. فالمؤمن يعيش حياة راضية في مكان مرتفع عال. وهما صفتان متكاملتان: حياة كاملة في مكان شريف.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الجمع بين الجودة) عيشة راضية (والمكانة) جنة عالية (يخلق صورة كاملة للسعادة.
· عقلياً: العقل يدرك أن نعيم الآخرة شامل في كل جوانبه.
· تربوياً: نتعلم أن نسعى لتحسين جودة حياتنا الدينية، ولرفعة مكانتنا عند الله.
· عملياً: جدد نيتك أن كل عمل صالح تفعله هو لتحقيق عيشة راضية في جنة عالية.

.4دلالة) عالية (في مقابل الدنيا:

الدنيا منخفضة وضيقة ومليئة بالهموم، والجنة عالية ورحبة وملئ بالسرور. هذا التباين يدفع المؤمن إلى الزهد في الدنيا وعدم الحزن لفقرها أو حاجته فيها، لأن الآخرة هي الحقيقة والجنة هي الرفعة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تذكير بأن الدنيا ليست دار القرار، وأن ما فيها من حاجة أو ضيق لا يهم، فالآخرة هي العالية.
· عقلياً: العقل يدرك أن المقارنة بين الدنيا والآخرة هي مقارنة بين المنخفض والمرتفع، بين الزائل و الباقي.
· تربوياً: نتعلم ألا نحزن على ما فاتنا من حظوظ الدنيا، فهي منخفضة مهما علت.
· عملياً: إذا حرمت من شيء في الدنيا، قل: "الحمد لله، الجنة العالية تنتظرني".

-
ثالثاً: دلالة قوله {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ}

.1دلالة) قُطُوفُهَا(:

)قطوف (جمع قِطف، وهو ما يُقطف من الثمر .والقطف هو الجني والتناول .فالمعنى: ثمار الجنة التي تُجنى وتُقطف .والجنة مليئة بكل أنواع الثمار: النخيل، الرمان، العنب، وغيرها مما لا يعلمه إلا الله .وا لإشارة إلى الثمار تثير الشهوة والرغبة، وتذكر المؤمن بأن الجنة فيها لذات حسية كما فيها لذات روحانية.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر الثمار يثير الشهية والرغبة، فتشوق النفس إلى الجنة وتزيد رغبتها في العمل الصالح.
· عقلياً: العقل يدرك أن نعيم الجنة نعيم حسي وليس روحياً فقط، وهو ما يخاطب طبيعة الإنسان.
· تربوياً: نتعلم أن نذكر أبناءنا بثمار الجنة ليشوقوها إليها.
· عملياً: عندما تأكل فاكهة لذيذة في الدنيا، تذكر أن ثمار الجنة ألذ وأطيب، واشكر الله واسأله من ثمار الجنة.

.2دلالة) دَانِيَةٌ(:

)دانية (قريبة متدلية، تنال بسهولة ويسر دون تعب أو مشقة .وفي الدنيا، الثمار قد تكون بعيدة، تحتاج إلى صعود أو مد يد أو تسلق أو صيانة شاقة .أما في الجنة، فالثمار دانية: تنزل لمن يشاء، يقف تحتها فتقطفها دون عناء .وقد قال تعالى:} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) {الإنسان: .(14والذليل هو السهل المنقاد.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الدنو والقرب يخلق شعوراً باليسر والراحة والكرامة، لا تعب ولا مشقة ولا ذل .وهذه صورة محببة للنفس.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجنة دار راحة تامة، لا عناء فيها، وأن الله أعدها لتكون جزاءً للمتعبين في الدنيا.
· تربوياً: نتعلم أن التعب والمشقة في الدنيا هي استثمار للراحة والسهولة في الآخرة .فمن تعب في طاعة الله نال قطوفاً دانية.
· عملياً: عندما تتعب في عمل صالح) كصيام يوم حار، أو قيام ليل، أو بذل صدقة مع حاجة(، تذكر أن هذا التعب يوصلك إلى جنة قطوفها دانية.

.3دلالة التكامل بين) عالية (و)دانية(:

الجنة عالية في المكانة والشرف، ولكن قطوفها دانية قريبة. فهي جامعة بين العلو والسهولة، بين الشرف واليسر. وهذا عكس الدنيا، حيث كلما علا المكان صعبت الثمار واحتاجت إلى جهد. فمن تمام النعيم في الجنة أن العلو لا يمنع القرب، بل الكل في خدمة المؤمن.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: شعور بالتناغم بين الكرامة والسهولة، مما يزيد الراحة النفسية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله جمع لأهل الجنة بين ما يظن أنهما متناقضان: العلو والسهولة.
· تربوياً: نتعلم أن الخير الحقيقي يجمع بين الرفعة واليسر، فنسعى في دنيانا أيضاً إلى الجمع بين العلو في الأخلاق واليسر في التعامل.
· عملياً: نطلب من الله الجنة بكل ما فيها من علو ودون، ونسأله أن ييسر لنا طريقها.

.4كيف تثير) قطوفها دانية (مشاعر الشوق:

وصف الثمار بأنها دانية يحرك في النفس مشاعر متعددة: الشهوة للثمار، الشعور باليسر والسهولة، الشعور بالكرامة لأنها تتدلى له، الشعور بالراحة لأنه لا تعب. هذه المشاعر مجتمعة تجعل المؤمن يتشوق إلى الجنة تشوقاً كبيراً، فيبذل الجهد في الدنيا لتحقيق هذا الحلم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: خلق شوق إيجابي يدفع للعمل لا للكسل.
· عقلياً: العقل يدرك أن الشوق إلى الجنة هو دافع قوي للعبادة.
· تربوياً: نتعلم أن نثير في قلوب أبنائنا الشوق إلى الجنة بذكر أوصافها الجميلة.
· عملياً: نردد على أنفسنا: "الجنة تنتظرني بقطوفها الدانية، فماذا أعد لها اليوم؟"

رابعاً: دلالة قوله {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}

.1دلالة) كُلُوا وَاشْرَبُوا(:

فعل الأمر هنا للإباحة والإكرام، وليس للإيجاب. فالله يأمرهم أن يأكلوا ويشربوا، أي يفعلوا ما يشتهون دون تحريم أو تحديد. وهذا الأمر صادر من الله سبحانه وتعالى، وكأنه يقول لهم: "انطلقوا، كلوا مما تشتهون، اشربوا مما تريدون، أنا الضيف وأنا المضيف". وهذا منتهى الكرم والإكرام.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الأمر بالأكل والشرب من الله يوحي بالترحيب والكرم والحب، فتشعر النفس بالراحة والانطلاق.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجنة فيها ملذات حسية بالإضافة إلى الروحية، وأن الله لم يخلق هذه الملذات عبثاً.
· تربوياً: نتعلم ألا ننفر من الملذات الحلال في الدنيا، بل نشكر الله عليها، ونطلبها في الآخرة بشكل أكمل.
· عملياً: عند الأكل والشرب في الدنيا، قل: "الحمد لله الذي أطعمني وسقاني"، واجعل نيتك التقوي على طاعته، لتنال مثل هذا الأمر الإلهي في الآخرة.

.2دلالة) هَنِيئًا(:

)هنيئاً (صفة للأكل والشرب، وهي مشتقة من الهناء، وهو الطعام الذي لا يتبع بعطش ولا تعب ولا كدر .وفي الجنة، أكل وشرب هنيء: لا ضرر فيه، لا صداع، لا تثاقل، لا تخمة، لا ندم، لا بول، لا غائط .وهو خالص من كل أذى .قال تعالى:} لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ) {الحجر: .(48 والهنيء هو ضد الألم والمرض والكدر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) هنيئاً (توحي بالهناء والطمأنينة والصفاء، عكس التوتر والمرض والقلق في الدنيا.
· عقلياً: العقل يفهم أن نعيم الجنة خالص من كل شائبة، وأنه نعيم كامل لا يشوبه نقص.
· تربوياً: نتعلم أن الدنيا ليست دار هناء كامل، فما فيها من لذة مشوب بنكد .والآخرة هي دار الهناء التام.
· عملياً: لا تحزن إذا فاتك بعض لذات الدنيا أو أصابك فيها مرض أو تعب، فلك في الآخرة هنيئاً لا يعادله شيء.

.3دلالة) بِمَا أَسْلَفْتُمْ(:

)بما (الباء للسببية، أي بسبب ما أسلفتم) .أسلفتم (من الإسلاف، وهو تقديم الشيء ليكون سلفاً ورصيداً للمستقبل .والمعنى: بسبب الأعمال الصالحة التي قدمتموها لأنفسكم في الدنيا .وهذا تذكير بأن الجزاء من جنس العمل، وأن ما يأكلونه ويشربونه الآن هو ثمرة ما زرعوه بأيديهم في الدنيا.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذا الكلام يزرع في النفس الشعور بالعدل الإلهي: قدمتم خيراً فتلقيتم خيراً .كما يزرع الرغبة في التزود من الأعمال الصالحة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الآخرة نتيجة حتمية للدنيا، وأن ما يفعله الإنسان اليوم يلقاه غداً .وهذا حافز قوي للعمل.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أنفسنا وأبناءنا على مفهوم "الإسلاف": كل عمل صالح هو سلف نقدمه لأنفسنا ليوم فقرنا وحاجتنا.
· عملياً: نتعامل مع كل عمل صالح كأننا نضع مالا ً في بنك الآخرة .كل صلاة، صدقة، ذكر، صوم، هو سلف يعود إلينا مضاعفاً.

.4دلالة) فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(:

)الخالية (أي الماضية المنقضية الخالية منكم الآن، التي ذهبت وولت .وهي أيام الدنيا القصيرة المحدودة .ووصفها بـ)الخالية (فيه تذكير بأنها ستمضي وتخلو من الإنسان، ولا يعود إليها أبداً .فمن فاته العمل فيها لن يعوضه .وهذا تحذير من التسويف والتأجيل، وحث على اغتنام كل لحظة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأهمية الوقت وضرورة استغلاله، ويزرع ندماً على ما فات، وحافزاً لاستغلال ما تبقى.
· عقلياً: العقل يدرك أن الحياة قصيرة، وأن ما فات لا يعود .والأيام الخالية تشبه الورقة البيضاء التي نكتب فيها مصيرنا.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أنفسنا على اغتنام اللحظة الحاضرة، وألا نؤجل عمل الخير.

· عملياً: لا تؤجل التوبة والعمل الصالح أبداً، فربما لا تأتي الأيام الخالية بعد اليوم .ابدأ الآن.

.5دلالة الجمع بين) كلوا واشربوا (و)بما أسلفتم(:

هذه العلاقة بين الأمر بالأكل والشرب وبين الإسلاف في الأيام الخالية تعلم المؤمن أن النعيم ليس جزافاً، بل هو ثمن للأعمال الصالحة. وهذا يزيل أي شعور بالاستحقاق الذاتي، ويعلم التواضع: فالنعيم بفضل الله أولا ً، ثم بسبب العمل الصالح. وفي نفس الوقت، يحفز على العمل: فمن أراد أن يأكل ويشرب هنيئاً في الآخرة، فليقدم سلفاً في الدنيا.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق توازناً بين الرجاء) أن الله سيكرمه (والخوف) أن عمله قد لا يكون كافياً (فيدفعه للعمل.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجنة لا تدخل بالأعمال فقط، بل برحمة الله، ولكن العمل سبب.
· تربوياً: نتعلم أن نعلم أبناءنا أن الجنة هبة من الله، ولكنها تُنال بالعمل.
· عملياً: اجعل شعارك: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً".

.6كيف تستهدف هذه النصوص المشاعر لتجعل المؤمن يتشوق إلى الجنة ويصبر على المصائب و الحاجة في الدنيا؟

هذه الآيات تعمل على المستوى العاطفي والنفسي بعدة طرق:

· استخدام ألفاظ المحبة والترحيب:) كلوا واشربوا (بصيغة الأمر المباشر من الله، كأنه يقول لهم "تفضلوا".
· وصف النعيم بأنه هنيء: أي خالص لا كدر فيه، مما يجعل النفس تتوق إلى نقاء هذه اللذة.
· ذكر الثمار الدانية: مما يخلق صورة سهلة وجميلة.
· وصف العيشة بأنها راضية: أي جامعة لكل المطالب، مما يخلق شعوراً بالكمال.
· وصف الجنة بأنها عالية: مما يخلق شعوراً بالرفعة والعزة، في مقابل حاجة الدنيا وسفلتها.

كل هذه المشاعر تجعل المؤمن يتشوق إلى الجنة لدرجة أنه يصبر على مصائب الدنيا وحاجتها. فهو يعلم أن هذه المصائب مؤقتة، وأن هناك عيشة راضية تنتظره. كما أنه يزداد يقيناً بأن ما عند الكفار من مال وجاه وجاه سلطان هو زائل، والجنة هي الباقية.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تحويل الألم في الدنيا إلى أمل في الآخرة، وتحويل الحاجة إلى طاقة للعمل.
· عقلياً: العقل يدرك أن المقارنة العادلة هي بين عيشة دنيوية زائلة وعيشة أخروية باقية، فالرابح من اختار الباقية.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أبناءنا على الصبر والاحتمال، مع ربط قلوبهم بالجنة.
· عملياً: عندما تشعر بحاجة أو ضيق في الدنيا، تذكر قوله} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{، وقل: "هذه الدنيا تمضي، وتلك العيشة تنتظرني".

.7دلالة) أسلفتم (في مقابل) الأيام الخالية(:

)أسلفتم (فعل ماض، و)الخالية (صفة للماضي .فكلتا الكلمتين تشيران إلى الماضي .وهذا التعبير بصيغة الماضي له غرض عظيم: فهو يخبر أن الأعمال الصالحة قد مضت وانتهت، وأن الجزاء حاضر الآن . وهذا يغرس في قلب المؤمن في الدنيا شعوراً بأن الوقت يمضي بسرعة، فعليه ألا يضيع لحظة .وفي قلب المؤمن في الآخرة شعوراً بالرضا بأن تعبه السابق قد أثمر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: صيغة الماضي توحي بالانتهاء والحساب، فتوقظ القلب من الغفلة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الحياة قصيرة، وأن ما فات لا يعود، فالفرصة هي الآن.
· تربوياً: نتعلم أن نستثمر الحاضر للمستقبل.
· عملياً: نبدأ اليوم في عمل صالح جديد، ولا نقول "سأفعل غداً".

الأمر الثاني: مظاهر النجاح والسرور والنعم التي يعيش بها المؤمن في هذه الآيات

تتجلى مظاهر النجاح والسرور والنعم في هذه الآيات من خلال ألفاظ متنوعة تؤدي الغرض في غرس مشاعر الشوق إلى الجنة والتوجه بالأعمال الصالحة بحرارة ورغبة:

المظهر	اللفظ الدلالة
راحة النفس ورضاها	عيشة راضية حياة كاملة جامعة لكل ما يرضي النفس
الرفعة والمكانة	جنة عالية علو المنزلة والمكان والقدر
سهولة النعيم ويسره	قطوفها دانية ثمار قريبة متدلية لا تعب فيها
كرم الله وإكرامه	كلوا واشربوا أمر إلهي مباشر بالإباحة
نقاء اللذة وصفاؤها	هنيئاً لا أذى ولا كدر ولا نكد
سبب النعيم	بما أسلفتم الأعمال الصالحة هي الثمن
قيمة الوقت	في الأيام الخالية الدنيا قصيرة، فلا تضيعوها

هذه المظاهر مجتمعة ترسم صورة متكاملة لحياة المؤمن في الآخرة: حياة راضية (نفسياً)، في مكان عالٍ (مكانياً)، بنعيم سهل (جسدياً)، مع كرم إلهي (روحياً)، بسبب أعمال سابقة (عملياً)، في مقابل أيام مضت (زمنياً).

الأمر الثالث: لماذا استعمل فعل الأمر (كلوا واشربوا)؟ وما علاقة التذليل ب(بما أسلفتم)؟

أولاً: لماذا استعمل فعل الأمر (كلوا واشربوا)؟

استعمال صيغة الأمر هنا يحمل عدة دلالات عظيمة:

1. دلالة الإكرام والترحيب: الأمر من الله للمؤمنين بالأكل والشرب فيه معنى الاستضافة والكرم. كأن الله يقول لهم: "تفضلوا، هذا طعامكم وشرابكم، أنا الضيف وأنا المضيف". وهذا يزرع في النفس مشاعر الحب والامتنان.
2. دلالة الإباحة المطلقة: الأمر هنا ليس للإيجاب (فليس واجباً عليهم أن يأكلوا)، بل للإباحة والإذن. أي أن الله يبيح لهم أن يفعلوا ما يشتهون دون حدود.
3. دلالة التكريم بالخطاب المباشر: الله يتحدث إليهم مباشرة بصيغة (كلوا واشربوا)، وهذا من أعلى مراتب التكريم، كما يكرم الملك ضيفه بأن يدعوه مباشرة.
4. دلالة الفرح والانطلاق: الأمر فيه معنى الدعوة للاحتفال والفرح، كما نقول لصديق في وليمة: "تفضل، كل واشرب".

ثانياً: ما علاقة التذليل ب(بما أسلفتم في الأيام الخالية)؟

علاقة التذليل (أن النعيم مذلل لهم) ب(بما أسلفتم) هي علاقة السبب والمسبب:

- التذليل: يعني أن النعيم في الجنة مذلل للمؤمنين، أي مسخر لهم وسهل المنال. وهذا واضح في (قطوفها دانية) أي ثمارها مذللة لهم تنزل إليهم.
- السبب: هذا التذليل والسهولة ليس عبثاً، بل بسبب (بما أسلفتم) ما أسلفتم (من الأعمال الصالحة في الدنيا).

فالمؤمن في الدنيا تعب وتذلل لله بالطاعة، فجازاه الله بأن جعل له نعيم الجنة مذللاً سهلاً. وهذه الآية تغرس في القلب مشاعر اليقظة والمبادرة بالتوبة والأعمال الصالحة، لأن المؤمن يعلم أن ما يفعله اليوم سيُجازى به غداً. كما تمنعه من النظر إلى ما عند الكفار من طرب ومال وجاه سلطان، لأن ذلك زائل، وما عند الله هو الباقي المذلل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

- نفسياً: (كلوا واشربوا) تخلق شعوراً بالألفة والقرب من الله، وتجعل العبادة محبة لا خوفاً فقط.
- عقلياً: العقل يدرك أن الجزاء من جنس العمل: من تذلل لله في الدنيا، ذلل الله له النعيم في الآخرة.
- تربوياً: نتعلم أن نربي أبناءنا على أن العمل الصالح يسهل لهم الآخرة.

· عملياً: كل عمل صالح نعمله، نتذكره عندما نأكل فاكهة لذيذة ونقول: "هذا نموذج مما ادخرته لنفسي".

ثالثاً: التصوير البياني للآيات وأغراضه

أولا ً: بيان التصوير البياني

ترسم هذه الآيات مشهداً واحداً متكاملا ً من أربع لوحات:

اللوحة الأولى: العيشة الراضية

الكاميرا تركز على المؤمن بعد أن أخذ كتابه بيمينه وانقلب إلى أهله. الكاميرا تصور وجهه: لا قلق، لا حزن، لا تعب. إنه في حالة من الرضا التام. نراه يجلس مع أهله، يشعر بالراحة والطمأنينة. الكاميرا تظهر من حوله كل ما تشتهي النفس: أنهار، ظلال، حور عين، خدم. كل شيء يقول له: "هذه عيشة راضية".

اللوحة الثانية: الجنة العالية

الكاميرا ترفع لترى المكان. هي جنة عالية، فوق كل شيء. نرى غرفاً من اللؤلؤ والذهب والفضة، مبنية بعضها فوق بعض. كلما ارتفعت الكاميرا، رأت غرفاً أجمل وأعلى. المؤمن وأهله في أعلى الغرف. منظر الجنة من فوق: أنهار تجري، أشجار مثمرة، قصور شامخة. الشعور بالعزة والرفعة يملأ القلوب.

اللوحة الثالثة: القطوف الدانية

الكاميرا تقترب من الأشجار. فيها عناقيد من الفاكهة، ناضجة، متدلية إلى الأسفل. لا يحتاج المؤمن إلى صعود أو تعب، يمد يده فقط فيقطف الثمرة. الكاميرا تظهر ثماراً غريبة جميلة، ألوانها زاهية، رائحتها عطرة. بعض الثمار تنزل حتى تصبح في متناول اليد. الطفل يقطف بسهولة، الشيخ يقطف بيسر، لا فرق.

اللوحة الرابعة: الأكل والشرب الهنيء

الكاميرا تصور المؤمنين وهم جالسون على الأرائك، يتناولون الطعام والشراب. وجوههم تعلوها البشاشة. يسمعون صوتاً لطيفاً من ربهم يقول لهم: (كلوا واشربوا هنيئاً). لا يوجد عجل، لا يوجد حرمان، لا يوجد مرض. كل شيء هنيء. ثم تسمعهم يرددون: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا". ثم تسمع التذكير بسبب هذا النعيم: (بما أسلفتم في الأيام الخالية). الكاميرا تعود بالمشهد إلى الدنيا (فلا ش باك) لترى أعمالهم الصالحة: صلاة، صيام، صدقة، ذكر، بر بالوالدين... ثم تعود إلى المشهد في الجنة، وهم يبتسمون شاكرين الله.

ثانياً: أغراض هذا التصوير

.1تصوير السعادة الكاملة: الجمع بين العيشة الراضية) نفسياً (والجنة العالية) مكانياً (والقطوف الدانية)جسدياً (والأكل الهنيء) حسياً.(
.2ترغيب المؤمنين في العمل الصالح: بربط العمل الصالح بهذا النعيم.
.3إظهار كرم الله: الله هو الذي يأمرهم بالأكل والشرب، كأنه يستضيفهم.
.4إظهار سهولة النعيم: القطوف دانية، والعيشة راضية، والأكل هنيء.
.5تذكير بقيمة الوقت: الأيام الخالية تذكير بأن الدنيا قصيرة، فلا تضيعوها.
.6غرس مشاعر الشوق إلى الجنة: من خلال التصوير الجميل، يُغرس في القلب شوق عارم إلى هذه الحياة.

رابعاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (عيشة راضية) تذكير بأن الرضا الحقيقي في الآخرة

في الدنيا، نادراً ما نرضى. نريد أكثر، نشتكي من القليل، نقارن أنفسنا بغيرنا. أما في الآخرة، فالعيشة راضية: لا ينقصها شيء، ولا يتمنى صاحبها فوقها. الاستفادة: تدرب على الرضا في الدنيا بقضاء الله، فهو تدريب على العيشة الراضية في الآخرة.

الخاطرة الثانية: (جنة عالية) تذكير بأن الرفعة الحقيقية عند الله

في الدنيا، يرفع الناس أنفسهم بالمال والجاه والسلطان. في الآخرة، الرفعة لمن أطاع الله. الاستفادة: لا تحزن إذا كنت وضيعاً في الدنيا، فالمؤمن عالٍ في الآخرة.

الخاطرة الثالثة: (قطوفها دانية) تذكير بأن الجنة دار راحة

في الدنيا، كل شيء يحتاج إلى تعب: نزرع لنأكل، نعمل لنشرب، نكد لنرتاح. في الآخرة، النعيم بلا تعب. الاستفادة: لا تتعب كثيراً لأجل الدنيا، وتعب قليلاً لأجل الآخرة.

الخاطرة الرابعة: (كلوا واشربوا هنيئاً) تذكير بنعيم الجنة الحسي

بعض الناس يتصورون الجنة روحانية فقط. الآية تؤكد أن فيها أكل وشرب، بل وتأمر بهما. الاستفادة: اشكر الله على نعمة الطعام والشراب في الدنيا، واسأله نعيماً أفضل في الآخرة.

الخاطرة الخامسة: (بما أسلفتم) تذكير بأن الجزاء من جنس العمل

كل عمل صالح تقدمه، سترى ثمرته في الآخرة. الاستفادة: كلما عملت حسنة، تخيل أنها تشتري لك طعاماً في الجنة، أو ترفع درجتك في الجنة العالية.

الخاطرة السادسة: (في الأيام الخالية) تذكير بقصر الدنيا

الدنيا تمر سريعاً، وكل يوم يمضي لا يعود. الأيام الخالية كالورقة البيضاء: ما كتبته فيها هو رصيدك. الاستفادة: لا تؤجل التوبة والعمل الصالح، فالوقت يمضي.

الخاطرة السابعة: من اليمين إلى العيشة الراضية - طريق السعيد

هذا هو الطريق: إيمان وعمل صالح ← كتاب باليمين ← فرح ← أهل ← عيشة راضية ← جنة عالية ← نعيم. الاستفادة: اجعل هدفك واضحاً: الجنة مع الأهل، في عيشة راضية.

الخاطرة الثامنة: تجاهل ما عند الكفار من طرب ومال

الآيات لا تذكر ما عند الكفار هنا، لأن المقام مقام ترغيب. لكن المؤمن يعلم أن ما عند الكفار من جاه وسلطان زائل، وأن العيشة الراضية هي الباقية. الاستفادة: لا تحسد الكفار على ما هم فيه، فجزاؤهم في الآخرة عيشة ضنك، وجزاؤك عيشة راضية.

خامساً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

1. قضية رضا المؤمن في الآخرة) عيشة راضية.(
2. قضية علو مكانة الجنة ودرجاتها) جنة عالية.(
3. قضية سهولة النعيم في الجنة) قطوف دانية.(
4. قضية الأكل والشرب في الجنة وكونه هنيئاً.
5. قضية سبب النعيم: الأعمال الصالحة المقدمة في الدنيا) بما أسلفتم.(
6. قضية قيمة الوقت واغتنام الأيام الخالية.
7. قضية الفرق بين نعيم الدنيا الزائل ونعيم الآخرة الباقي.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك في ذلك الموقف: أنت في عيشة راضية، كل ما تريد حاضر، كل شيء يرضيك. أنت في جنة عالية، فوق الجميع، تشعر بالعزة والرفعة. ترى الثمار دانية قريبة، تمد يدك فتقطف. تسمع صوتاً لطيفاً يقول لك: كل واشرب هنيئاً. تشعر بأن كل تعب الدنيا كان ثميناً.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: كل صباح، قل: "اللهم إني أسألك عيشة راضية في جنة عالية".
· في عباداتك: بعد الصلاة، اسأل الله الجنة، وقل: "اللهم اجعلني من آكلي ثمار الجنة".
· في معاملاتك: عامل أهلك وأولادك معاملة ترجو بها أن تكون معهم في العيشة الراضية.
· في تربيتك: حدث أبناءك عن الجنة وثمارها وأكلها وشرابها، ليشوقوا إليها.
· في دعوتك: وعد الناس بالعيشة الراضية إذا آمنوا وعملوا صالحاً.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى الرضا: الرضا الحقيقي ليس في الدنيا، بل في الآخرة .فلا نطلب الرضا الكامل هنا.
.2تغيير النظرة إلى الرفعة: الرفعة الحقيقية ليست في المال والجاه، بل في الجنة العالية.
.3تغيير النظرة إلى الراحة: الراحة الحقيقية ليست في النوم والكسل، بل في الجنة حيث القطوف الدانية.
.4تغيير النظرة إلى الطعام والشراب: هما نعمة من الله، ونماذج مصغرة عن نعيم الجنة.
.5تغيير النظرة إلى الوقت: الوقت هو رأس المال الذي نشتري به العيشة الراضية.
.6تغيير النظرة إلى الكفار: ما عندهم من زينة الدنيا لا يستحق الحسد، فجزاؤهم عيشة ضنك.
.7تغيير النظرة إلى المصائب: المصائب في الدنيا هي استثمار في الآخرة، وهي تمهيد للعيشة الراضية.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: العيشة الراضية هي هدف المؤمن. التطبيق: لا ترضَ بالدنيا بديلا ً عنها، واسعَ إليها بكل جهد.

الدرس الثاني: الجنة عالية المكانة والدرجات. التطبيق: سابق إلى الدرجات العالية بالطاعات، فالدرجات متفاوتة.

الدرس الثالث: ثمار الجنة دانية سهلة. التطبيق: لا تيأس من رحمة الله، فدخول الجنة أسهل مما تتصور إذا أخلصت.

الدرس الرابع: الأكل والشرب في الجنة هنيء. التطبيق: اشكر الله على كل لقمة في الدنيا، واسأله أن يطعمك من الجنة.

الدرس الخامس: السبب هو الأعمال الصالحة. التطبيق: أكثر من الأعمال الصالحة، ولا تحتقر شيئاً من الخير.

الدرس السادس: الدنيا أيام خالية ستمضي. التطبيق: اغتنم شبابك وصحتك وفراغك قبل أن تفقدها.

الدرس السابع: ما عند الكفار زائل، والجنة باقية. التطبيق: لا تحسد الكفار على ما هم فيه، واشكر الله على نعمة الإيمان.

الدرس الثامن: الآخرة هي الحياة الحقيقية. التطبيق: لا تفرط في الآخرة من أجل الدنيا، فالدنيا زائلة والآخرة باقية.

سادساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة فهم العلاقة بين الأعمال الصالحة والجزاء في الآخرة.
· مهارة التمييز بين أوصاف الجنة في القرآن) عيشة راضية، جنة عالية، قطوف دانية.(
· مهارة تحليل دلالة الأمر) كلوا واشربوا (في سياق التكريم.
· مهارة فهم دلالة الألفاظ) هنيئاً - أسلفتم - الخالية.(

المهارات الحياتية

· مهارة الرضا بالقضاء والقدر) التدريب على العيشة الراضية في الدنيا.(
· مهارة اغتنام الوقت) الأيام الخالية.(
· مهارة الصبر على الحاجة والمصائب في الدنيا مع ربط القلب بالجنة.
· مهارة عدم حسد الكفار على ما هم فيه من مال وجاه.

المهارات العملية

· مهارة تخطيط الأعمال الصالحة لتحقيق أهداف أخروية.
· مهارة تربية الأبناء على حب الجنة ووصفها.
· مهارة شكر النعم) الطعام والشراب (بنية الاستعداد للجنة.
· مهارة الدعاء) اللّهم إني أسألك الجنة والعيشة الراضية.(

سابعاً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1اجعل هدفك الأكبر هو العيشة الراضية في الجنة، لا جمع المال في الدنيا.
.2اطلب العلو في الجنة، لا في الدنيا بالتكبر على الناس.
.3كل من ثمار الدنيا وتذكر ثمار الجنة، واشكر الله.
.4اغتنم كل يوم من أيامك الخالية، فهو فرصة قد لا تعود.
.5لا تحسد الكفار على ما هم فيه من زينة دنيا، فجزاؤهم عكس جزائك.
.6إذا أصابتك مصيبة أو حاجة، تذكر أن العيشة الراضية تنتظرك.
.7أكثر من الأعمال الصالحة التي تقدمها لنفسك سلفاً ليوم فقرك وحاجتك.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير ثقافة الرضا: الإيمان بالعيشة الراضية في الآخرة يزرع الرضا في الدنيا، فيقل القلق والا كتئاب.
· تطوير ثقافة الرفعة الحقيقية: السعي للجنة العالية يوجه الطاقات نحو العبادة والعمل الصالح.
· تطوير ثقافة اليسر: تذكر القطوف الدانية يجعل العبادة سهلة محببة.
· تطوير العلاقة مع النعم: كل نعمة نشكرها ونربطها بالجنة.
· تطوير استثمار الوقت: الأيام الخالية تدفع للاستغلال الأمثل للوقت.

ثامناً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الجنة دار حقيقية فيها عيشة راضية وأكل وشرب ولذات.
.2أن الأهل المؤمنين هم من يجتمعون معنا في هذه العيشة الراضية.
.3أن الجنة عالية في المكانة والدرجات، والمؤمن فيها في رفعة.
.4أن نعيم الجنة سهل المنال) قطوفها دانية.(
.5أن الأكل والشرب فيها هنيء لا نكد فيه.
.6أن سبب النعيم هو الأعمال التي قدمناها في الدنيا) الإسلاف.(
.7أن أيام الدنيا معدودة) خالية (فلا نضيعها.
.8أن ما عند الكفار من مال وجاه سلطان زائل، وما عند الله هو الباقي.
.9أن المؤمن لا يحزن لفقر أو حاجة في الدنيا، فالآخرة هي الحياة الحقيقية.
.10أن سهولة الحساب) عيشة راضية - هنيئاً - خالية (تشير إلى أن المؤمن يحاسب حساباً يسيراً.

تاسعاً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد النفسي الوجداني: العيشة الراضية تلمس جانب الرضا والطمأنينة في نفس المؤمن.

.2البعد المكاني: الجنة العالية تلمس جانب الرفعة والمكانة.
.3البعد الحسي: القطوف الدانية والأكل والشرب الهنيء يلمس جانب اللذة الجسدية.
.4البعد الزمني: الأيام الخالية تذكر بقصر الدنيا وأهمية الوقت.
.5البعد العقدي: الإسلاف يذكر بأن الأعمال سبب الجزاء.
.6البعد الاجتماعي:) فهو (يشير إلى الفرد، لكن السياق العام يشمل الأهل.

الآفاق:

.1أفق الرضا الإيماني: تدريب النفس على الرضا بقضاء الله في الدنيا تمهيداً للعيشة الراضية.
.2أفق الرفعة الأخروية: السعي للعلو في الجنة بالطاعات.
.3أفق اليسر في العبادة: تذكر أن الجنة قطوفها دانية يسهل أداء العبادات.
.4أفق شكر النعم: كل نعمة في الدنيا تذكرنا بنعيم الجنة.
.5أفق استثمار الوقت: الأيام الخالية تدفع لاغتنام كل لحظة.
.6أفق التوبة والمبادرة: لا تأخير، فالدنيا أيام خالية تمضي.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة الرضا: القناعة بما قسم الله، والرضا بالعيشة الراضية هدفاً.
.2قيمة الرفعة: السعي للعلو عند الله لا عند الناس.
.3قيمة اليسر: نبذ التعقيد في العبادة والحياة.
.4قيمة الشكر: شكر الله على كل نعيم دنيا وأخرى.
.5قيمة العمل: الاعتماد على العمل الصالح للنجاة.
.6قيمة الوقت: اغتنام الأيام الخالية قبل فواتها.
.7قيمة الزهد: عدم التعلق بالدنيا الزائلة.
.8قيمة الصبر: الصبر على المصائب والحاجة في الدنيا.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (عيشة راضية): في حياتنا العملية، نسعى للرضا النفسي من خلال الإيمان. الرضا لا يأتي من كثرة المال، بل من قلة التعلق بالدنيا وكثرة التعلق بالآخرة.

مفهوم (جنة عالية): في حياتنا العملية، نسعى للرفعة بالعلم النافع والعمل الصالح، لا بالتكبر أو التفاخر.

مفهوم (قطوفها دانية): في حياتنا العملية، نتعامل مع الطاعات على أنها سهلة قريبة، لا نستصعبها.

مفهوم (كلوا واشربوا هنيئا): في حياتنا العملية، نأكل ونشرب بنية التقوي على الطاعة، ونشكر الله، ونتذكر أن هذا نموذج لنعيم الجنة.

مفهوم (بما أسلفتم): في حياتنا العملية، نتعامل مع الأعمال كاستثمار في الآخرة، كل عمل له مردود.

مفهوم (الأيام الخالية): في حياتنا العملية، ندرك أن الحياة قصيرة، فلا نؤجل التوبة والعمل الصالح.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الرضا النفسي العميق(: العيشة الراضية تمثل الرضا الكامل الذي لا تشوبه شائبة، وهو ما يفتقده الإنسان في الدنيا.
.2مفهوم) التعويض الإلهي(: من حرم لذات الدنيا أو ابتلي بحاجة فيها، عوضه الله بلذات الآخرة)عيشة راضية - قطوف دانية - أكل هنيء.(
.3مفهوم) التشويق الإيجابي(: وصف الجنة يخلق شوقاً نفسياً يدفع للعمل بحرارة ورغبة.
.4مفهوم) الصبر بالرجاء(: الألم في الدنيا يخف عندما يكون هناك أمل بالجنة والعيشة الراضية.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) العلو الإيماني(: العلو الحقيقي ليس بالمكان بل بالدرجات عند الله.
.2مفهوم) اليسر الإلهي(: الله جعل الطريق إلى الجنة يسيراً، والجنة نفسها يسيرة النيل) قطوف دانية.(
.3مفهوم) سببية الجزاء(: النعيم ليس اعتباطياً، بل له أسباب هي الأعمال الصالحة) بما أسلفتم.(
.4مفهوم) قيمة الزمن(: الأيام الخالية تذكير بسرعة انقضاء الدنيا وضرورة الاستثمار الأخروي.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالجنة(: تحبيب الأطفال بالجنة بوصفها) عيشة راضية - جنة عالية - قطوف دانية - أكل هنيء.(
.2مفهوم) التربية بالعمل(: ربط العمل الصالح بهذا النعيم يجعله محبوباً إلى النفس.
.3مفهوم) التربية بالوقت(: تعليم قيمة الوقت وأن الأيام خالية، فلا تضيع.
.4مفهوم) التربية بالزهد(: تعليم أن الدنيا ليست الغاية، وأن ما عند الله خير وأبقى.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الرضا الإيماني: شخصية مسلمة ترضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وتتطلع للعيشة الراضية.
.2بناء الرفعة الحقيقية: يسعى لرفعة الدرجات عند الله بالعلم والعمل.
.3بناء ثقافة اليسر: في العبادة والدعوة، لأن الجنة قطوفها دانية.
.4بناء علاقة شكر مع النعم: كل أكلة وشربة تذكره بالجنة.
.5بناء الاستثمار الزمني: يستثمر كل يوم في ما ينفع في الأيام الخالية.
.6بناء الصبر على الحاجة: لا يحزن لفقره أو حاجته في الدنيا، فالآخرة هي العيشة الراضية.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الرضا: مجتمع راضٍ بقضاء الله أقل توتراً وقلقاً.
.2تنمية السعي للعلو المعنوي: التنمية الحقيقية هي في رفع الدرجات عند الله.
.3تنمية ثقافة اليسر: نبذ التعقيد في العبادة والدعوة يزيد الإقبال على الدين.
.4تنمية ثقافة الشكر: شكر النعم يزيدها.
.5تنمية ثقافة استثمار الوقت: الوقت هو الحياة، نطوره بالعمل الصالح.
.6تنمية ثقافة الصبر على الحاجة: لا حسد للكفار على ما هم فيه، ولا يأس من رحمة الله.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· الرضا الإيماني: ترضى بقضاء الله وتتطلع للعيشة الراضية.
· الطموح الأخروي: تطلب الدرجات العالية في الجنة العالية.
· اليسر والسهولة: لا تعقد الأمور، وتتذكر أن الجنة قطوفها دانية.
· الشكر الدائم: تشكر الله على كل نعيم، صغيراً كان أم كبيراً.
· الجدية في العمل: لأن الأيام خالية فتمضي سريعاً.
· الصبر على الحاجة: لا تحزن لحرمانها في الدنيا، فالآخرة هي العيشة الراضية.
· عدم حسد الكفار: تعلم أن ما عندهم زائل، وما عند الله باق.

صناعة التطور والنهضة:

· أولاً: المجتمع الذي يتحلى بالرضا الإيماني يكون أقل صراعاً وأكثر تعاوناً، وهذا أساس النهضة.
· ثانياً: الأمة التي تطلب العلو في الجنة تسعى للعلو في الدنيا أيضاً، ولكن بالحق والقيم.
· ثالثاً: ثقافة اليسر في العبادة تجعل الناس يقبلون على الدين، فتكثر الطاعات، ويستحق المجتمع النصر.
· رابعاً: الشكر يزيد النعم، والأمة الشاكرة ينعم الله عليها بالتطور والرخاء.
· خامساً: استثمار الوقت في العمل الصالح ينتج مجتمعاً منتجاً أخلاقياً ومادياً.
· سادساً: الصبر على الحاجة وعدم حسد الكفار يمنع المجتمع من الانحراف والفساد، ويوجه الطاقات

نحو البناء الحقيقي.

عاشراً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى الرضا بقضاء الله والاطمئنان بأن العيشة الراضية تنتظرنا.
.2تدعونا إلى السعي لعلو الدرجات في الجنة بالطاعات.
.3تدعونا إلى تذوق نعم الله في الدنيا والشكر عليها، تمهيداً لنعيم الجنة.
.4تدعونا إلى اغتنام الأيام الخالية) الدنيا (قبل أن تمضي.
.5تدعونا إلى إخلاص العمل لله، لأنه هو ما سيؤتينا في الآخرة.
.6تدعونا إلى الصبر على المصائب والحاجة في الدنيا، مع ربط القلب بالجنة.
.7تدعونا إلى عدم النظر إلى ما عند الكفار من زينة، فالزائل لا يستحق الحسد.
.8تدعونا إلى المبادرة بالتوبة والأعمال الصالحة دون تأخير.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة (عيشة راضية)

التدبر: تخيل أنك تعيش حياة لا ينقصها شيء، كل ما تريد حاضر، كل شيء يرضيك، لا قلق، لا حزن، لا تعب. هذا هو شعورك في العيشة الراضية.

الأسئلة العملية:

· هل أشعر بالرضا في حياتي الدنيا؟ أم أنا دائم القلق والطمع؟
· كيف أتدرب على الرضا بقضاء الله اليوم؟
· هل أتطلع إلى العيشة الراضية بفارغ الصبر؟

التطبيق: كل ليلة قبل النوم، احمد الله على كل شيء، وقل: "اللهم إني أسألك العيشة الراضية"، وارض بما قسمه الله لك في ذلك اليوم.

الوقفة الثانية: وقفة (جنة عالية)

التدبر: تخيل نفسك في مكان عالٍ جداً، تنظر إلى كل شيء من فوق. تشعر بالعزة والشرف. هذا هو شعورك في الجنة العالية.

الأسئلة العملية:

· ما هي الدرجة التي أطمح إليها في الجنة؟
· كيف أرفع درجتي اليوم بعمل صالح؟
· هل أتذكر أن العلو الحقيقي عند الله؟

التطبيق: اكتب قائمة بالأعمال الصالحة التي ترفع الدرجات (صلاة الليل، الصدقة، العلم النافع، صلة الرحم)، واختر واحداً منها لتداوم عليه.

الوقفة الثالثة: وقفة (قطوفها دانية)

التدبر: تخيل أنك جالس تحت شجرة، وثمارها تتدلى حتى تصل إلى يدك. تقطفها بسهولة. لا حاجة إلى سلالم أو تعب أو صعود.

الأسئلة العملية:

· هل أتعب في العبادة فأضجر؟ أم أتذكر أن نتيجة التعب ستكون قطوفاً دانية؟
· كيف أجعل عباداتي سهلة على نفسي؟
· هل أتخيل أن ثمار الدنيا الدانية) الفواكه السهلة (هي نموذج لقطوف الجنة؟

التطبيق: لا تكلف نفسك فوق طاقتها في العبادة، فالدين يسر. اعمل القليل باستمرار خير من الكثير المنقطع. وعندما تأكل فاكهة سهلة، تذكر قطوف الجنة.

الوقفة الرابعة: وقفة (كلوا واشربوا هنيئاً)

التدبر: تخيل أنك جالس على مائدة فيها كل ما تشتهي. تأكل وتشرب، لا تشبع ولا تمرض. كل لقمة هنيئة. وتسمع صوتاً لطيفاً يقول: "هذا لك، تفضل، كل واشرب".

الأسئلة العملية:

· هل أشكر الله على كل وجبة آكلها؟
· هل أتخيل أن هذه الوجبة نموذج مصغر من أكل الجنة الهنيء؟
· هل أحرص على أكل الحلال فقط، لأنه سيأكلني في الآخرة؟

التطبيق: قبل كل وجبة، قل بسم الله، وبعدها قل الحمد لله، وقل: "اللهم اطعمنا من أكل الجنة واسقنا من شرابها".

الوقفة الخامسة: وقفة (بما أسلفتم في الأيام الخالية)

التدبر: تمر أمامك صور الأعمال التي عملتها في الدنيا. كل صلاة، كل صدقة، كل كلمة طيبة. تراها مجسدة في طعامك وشرابك وقطوفك الدانية في الجنة. تبتسم وتقول: هذا من فضل ربي، وهذا بسبب عملي.

الأسئلة العملية:

· ماذا أعددت لآخرتي اليوم؟
· ما هو العمل الذي سأبدأ به الآن ليصبح "إسلافاً" لي؟
· هل سأندم على أيام ضيعتها بلا عمل؟

التطبيق: قبل النوم، اكتب عملاً صالحاً قمت به اليوم. وتذكر أنه سيكون لك في الآخرة ثمراً تأكله. ولا تؤجل عملاً صالحاً أبداً، فربما لا تأتي الأيام الخالية بعد اليوم.

الوقفة السادسة: وقفة (مقارنة بين ما عند المؤمن وما عند الكافر)

التدبر: الكافر قد يكون في قصور عالية، ويأكل أطيب الطعام، ويعيش في رغد. لكن هذه كلها زائلة. والمؤمن قد يكون فقيراً محتاجاً في الدنيا، لكن عنده في الآخرة عيشة راضية وجنة عالية وقطوف دانية وأكلاً هنيئاً.

الأسئلة العملية:

· هل أحسد الكفار على ما هم فيه من مال وجاه؟
· هل أتذكر أن نعيمهم زائل ونعيمي دائم؟
· كيف أزيد يقيني بأن الآخرة خير وأبقى؟

التطبيق: إذا رأيت كافراً في نعمة، قل: "ما عند الله خير وأبقى" (القصص: 60). ولا تحزن على ما فاتك من الدنيا.

الوقفة السابعة: وقفة (الأيام الخالية - قيمة الوقت)

التدبر: أيام الدنيا تمر كالسهم. كل يوم يمضي تقول: "كان خالياً" أي مضى وانتهى. هل ملأته بالخير أم بالشر؟ لن تعود الأيام التي مضت أبداً.

الأسئلة العملية:

· كيف سأقضي يومي هذا ليكون غير خالٍ من العمل الصالح؟
· ما هي الفرص التي ضيعتها في الماضي؟

. كيف أستغل ما تبقى من عمري؟

التطبيق: لا تنتظر غداً. ابدأ الآن بعمل صالح ولو صغيراً. فالأيام خالية تذهب ولا تعود. وعلم أبناءك هذه القيمة.

رسالة الختام

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بعد أن صور لنا مشاهد القيامة و الحساب وتوزيع الكتب، انتقل إلى تصوير نعيم المؤمنين. فهم في عيشة راضية جامعة لكل ما يرضي النفس، في جنة عالية مرتفعة المكانة والدرجات، ثمارها دانية قريبة سهلة المنال، ويؤمرون بالأكل و الشرب الهنيء الخالص من كل كدر، وذلك بسبب ما أسلفوا من أعمال صالحة في أيام الدنيا الخالية.

وتعلمنا أن هذه الآيات تعلم مظاهر النجاح والسرور والنعم التي يعيش بها المؤمن، باستعمال ألفاظ متنوعة (عيشة راضية - جنة عالية - قطوف دانية - كلوا واشربوا هنيئاً) لتؤدي الغرض في غرس مشاعر الشوق إلى الجنة والتوجه بالأعمال الصالحة بحرارة ورغبة. وتعلمنا أن استعمال صيغة الماضي (أسلفتم - الخالية) يشير إلى ضخامة النعم مقابل الأعمال الصالحة، ويوقظ القلب إلى قيمة الوقت.

وتعلمنا أن وصف العيشة بأنها (راضية) فيه إشارة إلى أنها جامعة لكل أنواع الراحة التي ينعم بها المؤمن بما يفوق تصوره، فهي هنيئة مريحة مرضية. وأن وصف الجنة ب(عالية) فيه تضخيم وتعظيم للجنة في النفوس، ليكون ذلك دافعاً إلى الأعمال الصالحة والزهد في الدنيا، وألا يحزنوا لفقرهم وحاجتهم في الدنيا، لأن الآخرة هي الحقيقة والحياة الأبدية.

وتعلمنا أن استخدام فعل الأمر (كلوا واشربوا) فيه إكرام وترحيب من الله، وأن كلمة (هنيئاً) تعني نقاء اللذة من كل كدر. وأن علاقة التذليل (قطوفها دانية) ب(بما أسلفتم) هي علاقة الجزاء بالعمل: من تعب في الدنيا لله، ذل الله له النعيم في الآخرة.

وتعلمنا أن هذه النصوص تستهدف المشاعر لتجعل المؤمن يتشوق إلى العيش بهذه الحياة، ويصبر على المصائب والحاجة في الدنيا، وتجعله يزداد يقيناً بأن ما عند الكفار من طرب ومال وجاه سلطان هو زائل، وما في النصوص من سهولة (عيشة راضية - قطوف دانية - هنيئاً - خالية) تشير إلى سهولة حساب المؤمن.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أصحاب العيشة الراضية في الجنة العالية، وأن يطعمنا من قطوفها الدانية، وأن يقول لنا {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}.

الشق الثاني

تحدث الايات عن حال الكفار في هذا الموقف بعد ذكر حال المؤمنين

المبحث الأول

تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (25-29) من سورة الحاقة

}وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ{

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (19-24) صورت لنا المشهد المشرق لأصحاب اليمين: فرحتهم بأخذ الكتاب بيمينهم، نداءهم {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}، عيشتهم الراضية، جنتهم العالية، قطوفهم الدانية، أمر الله لهم بالأكل و الشرب الهنيء بما أسلفوا في الأيام الخالية. كان ذلك كله في سياق الامتنان والتكريم والترغيب.

ثم يأتي حرف العطف والتفصيل (وأمّا) ليقلب الصفحة إلى المشهد المقابل: مشهد أصحاب الشمال. فبعد أن انتهى الحديث عن السعداء، يأتي الحديث عن الأشقياء. وهذا الأسلوب القرآني يجمع بين الترغيب والترهيب، وبين الوعد والوعيد، وبين البشارة والنذارة، ليحرك النفس البشرية بكل مشاعرها: الرغبة والرهبة، الأمل والخوف، الفرح والحزن.

}وأمّا (هنا تفيد الانتقال من قسم إلى قسم آخر، وتفيد التفصيل والمقابلة .فكما فصل الله حال من أوتي كتابه بيمينه، فصل حال من أوتي كتابه بشماله .والمقابلة بين الحالين تزيد الموعظة وضوحاً، وتجعل القارئ يختار الطريق الذي يريده.

والربط أيضاً مع بداية السورة: السورة افتتحت بالحديث عن الحاقة وعن هلاك الأمم المكذبة (ثمود وعاد وفرعون)، ثم انتقلت إلى نجاة المؤمنين في سفينة نوح (امتنان)، ثم إلى أهوال القيامة، ثم إلى العرض والحساب، ثم إلى توزيع الكتب، ثم إلى جزاء المؤمنين في الجنة. والآن يأتي دور جزاء الكافرين في النار، ليتم الكلام عن الفريقين كما هو دأب القرآن في سور القيامة والواقعة والحاقة وغيرها.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الخمس في فكرة مركزية واحدة هي: وصف حال الكافر الذي يؤتى كتابه بشماله، وندمه وتحسره وتمنيه الموت والفناء بدلا ً من هذا العذاب، وإفلاسه من كل ما كان يعتز به في الدنيا من مال وجاه وسلطان. وتتفرع إلى عدة مراحل متسلسلة تعبر عن رحلة الحسرة والندم:

الفكرة الأولى: التمني بأن لم يؤت الكتاب {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}

· وأما (للتفصيل والمقابلة بعد الفراغ من أصحاب اليمين.
· من أوتي كتابه بشماله (هم الكفار الذين تخف أعمالهم السيئة.
· فيقول (ابتهالا ً وتحسراً.
· يا ليتني لم أوت كتابيه (يتمنى لو لم يعط كتابه أصلا ً.

الفكرة الثانية: تمني عدم العلم بالحساب {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ}

· تمنى أن لم يعلم بحسابه، أي أن يموت ولا يحاسب.
· فهو يتمنى الجهل بالحساب لأنه يعلم أنه سيعذب.

الفكرة الثالثة: تمني الموت والفناء {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}

· ليتها (أي ليت الموتة التي ماتها في الدنيا.
· كانت القاضية (أي المميتة التي لا حياة بعدها، أي ليت الموت كان نهاية الأمر.

الفكرة الرابعة: إفلاس المال والسلطان {مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}

· ما أغنى عني ماليه (لم ينفعني مالي الذي جمعته وافتخرت به.
· هلك عني سلطانيه (ذهب وضاع عني سلطاني وقوتي وجاهي وحجتي.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن الكافر يوم القيامة يتمنى الموت والفناء وألا يكون خلق أصلا ً، هرباً من العذاب الذي يراه. وهذا يبين شدة العذاب ورهبته.

المغزى الثاني: أن تمني الموت والفناء يدل على أن عذاب الآخرة أشد من الموت نفسه. فالموت في الدنيا كان شيئاً يكرهونه، لكنهم في الآخرة يتمنونه لأنه أرحم من العذاب.

المغزى الثالث: أن المال والجاه والسلطان في الدنيا لا ينفع صاحبه يوم القيامة إذا كان كافراً. فكل ما اعتز به الكافر من قوة ومال وجاه يخسرها ويضيعها.

المغزى الرابع: استخدام الشمال مقابل اليمين للكافر يدل على الإهانة والخزي والضعف، كما أن اليمين كانت للعزة والكرامة والقوة.

المغزى الخامس: الآيات تعبر عن مراحل متتالية من الندم: أولا ً تمنى عدم إعطاء الكتاب، ثم تمنى عدم معرفة الحساب، ثم تمنى الموت، ثم اعترف بإفلاس ماله وسلطانه. هذه المراحل تظهر شدة الحسرة.

المغزى السادس: المقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال تظهر العدل الإلهي: كلٌ يجازى بما عمل. فالمؤمن الذي أخذ كتابه بيمينه يعيش في نعيم وفرح، والكافر الذي يأخذه بشماله يعيش في جحيم

وندم.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن الكافر يعذب يوم القيامة عذاباً شديداً يجعله يتمنى الموت والفناء.

الهدف العقدي الثاني: إثبات أن المال والسلطان لا ينفعان عند الله، وإنما ينفع الإيمان والعمل الصالح.

الهدف النفسي: غرس الخوف من الله ومن يوم القيامة في قلوب المؤمنين، ودفعهم إلى العمل الصالح لئلا يكونوا من أصحاب الشمال. كما يزرع الزهد في المال والجاه إذا كانا سبباً للطغيان والكفر.

الهدف البياني: استخدام أسلوب التمني والتحسر (يا ليتني، يا ليتها) يعبر عن أشد درجات الندم و الحسرة. واستخدام النفي (ما أغنى، هلك) يعبر عن خسارة كل شيء.

الهدف التربوي: تربية النفس على عدم الاغترار بالمال والجاه والسلطان، وأن الآخرة هي دار الجزاء الحقيقي.

الهدف الدعوي: تحذير الناس من عاقبة الكفر والمعصية، وبيان أن ما يظنونه قوةً ومالا ً وجاهاً لن ينفعهم يوم القيامة.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}

.1دلالة) وَأَمّا (للتفصيل والمقابلة:

)وأما (مركبة من الواو العاطفة و)أما (للتفصيل .فهي تفصل بين حديث أصحاب اليمين) الآيات السابقة (وحديث أصحاب الشمال .وهذا الأسلوب القرآني يظهر في مواضع كثيرة:} فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {ثم} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ .{فـ)أما (الأولى جاءت بالفاء لأنها متصلة بما قبلها، و)أما (الثانية جاءت بالواو لأنها معطوفة على الأولى .وهذا يدل على الترتيب والتقسيم المحكم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) وأما (تخلق لحظة مقابلة في ذهن القارئ، فيقارن بين الفريقين تلقائياً، وتتولد لديه الرغبة في اختيار طريق أصحاب اليمين، والنفرة من طريق أصحاب الشمال.
· عقلياً: العقل يدرك أن القرآن يقدم صورة متكاملة عن اليوم الآخر، لا يذكر فريقاً دون الآخر، وهذا من تمام العدل والبيان.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أنفسنا وأبناءنا على المقارنة بين الخير والشر، وبين عاقبة المطيع والعاصي، لنختار الطريق الصحيح.
· عملياً: في حياتنا اليومية، نستخدم أسلوب المقارنة بين الخيارات، ونختار ما يقربنا من أصحاب اليمين.

.2دلالة) مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ(:

هذا هم الكفار والأشقياء. (أُوتِيَ) فعل مبني للمجهول، والفاعل هو الله أو الملائكة المكلفون. (كتابه) صحيفة أعماله التي سجلت عليه. (بشماله) أي تناوله بيده اليسرى. وفي آيات أخرى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} (الانشقاق: 10) أي أنه يعطى بشماله من وراء ظهره، زيادة في الإهانة. والشمال في الثقافة العربية ترتبط بالشؤم والضعف والهوان، وهي اليد التي تُستخدم للأعمال المستقذرة كإزالة الأ وساخ. فإعطاء الكتاب بالشمال إشارة إلى خسة أعمال الكافر وقذارتها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) بشماله (تخلق شعوراً بالخزي والعار، وتثير النفرة من هذا المصير .فالقارئ يشعر بالا شمئزاز من فكرة أن يكون كتابه في شماله.

· عقلياً: العقل يدرك أن الشمال في القرآن رمز للشر والضعف والهوان، وأن الله أراد بهذا التصوير أن يعبر عن حال الكافر.
· تربوياً: نتعلم أن نستخدم أيدينا في الخير، وأن نقدم اليمين في الأمور الحسنة، تذكيراً بأن اليمين لأهل الخير.
· عملياً: نبتعد عن استعمال الشمال في الأمور التي ترمز إلى الخير) كالأكل والشرب والكتابة وإعطاء السلام (قدر المستطاع، تبركاً وتيمناً.

.3دلالة) فيقول (و)يا ليتني لم أوت كتابيه(:

)فيقول (الفاء هنا للتعقيب، أي أنه بمجرد أن يؤتى كتابه بشماله يقول هذه المقالة) .يا ليتني (أسلوب تمن، والتمني هنا يخرج عن كونه مجرد أمنية إلى كونه حسرة وندماً، لأنه يعلم أن تمنيه لن يتحقق .
)لم أوت كتابيه (يتمنى أنه لم يعط كتابه أصلا ً .وهذا أول درجات الحسرة: يتمنى لو أنه لم يحاسب، بل لو أنه لم تكن له أعمال تكتب أصلا ً .ولكن الأدهى أنه سيعطى الكتاب وسيحاسب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) يا ليتني (تعبر عن ألم نفسي شديد، حيث يتمنى المستحيل .هذا يخلق شعوراً بالشفقة على حاله، ولكنها شفقة تزيد العبرة.
· عقلياً: العقل يدرك أن التمني يوم القيامة لا ينفع، لأن الفرصة قد فاتت .في الدنيا كان يضحك ويستهزئ، وفي الآخرة يتمنى الموت.
· تربوياً: نتعلم ألا نؤخر التوبة إلى يوم القيامة، فالتمني هناك لا يفيد .كما نتعلم أن نعلم أبناءنا قيمة الوقت.
· عملياً: كل يوم، نتخيل أنفسنا في موقف أصحاب الشمال ونسأل: هل أنا مستعد؟ ثم نعمل على أن لا نكون منهم.

.4العلاقة بين الآية (19) وهذه الآية(25) :

في الآية 19، المؤمن يقول: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} بكل فخر وثقة. وفي هذه الآية، الكافر يقول: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ} بكل حسرة وندم. هذا التضاد التام يعطي الصورة كاملة: فريق يفرح بكتابه ويدعو الناس لقراءته، وفريق يتمنى لو لم يره. وهذا التناقض يبين الفرق بين المؤمن والكافر، وبين عمل الخير وعمل الشر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: خلق رغبة قوية في أن يكون الإنسان من الفريق الأول لا الثاني.
· عقلياً: العقل يدرك أن نتيجة الأعمال تظهر في موقف الإنسان من كتابه.
· تربوياً: نتعلم أن نعمل عملا ً نفتخر به، لا عملا ً نستحي منه.
· عملياً: نحاسب أنفسنا كل ليلة: لو عرض كتابي اليوم، هل سأفرح به أم أتمنى لو لم أعطه؟
ثانياً: دلالة قوله {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ}

.1دلالة) ولم أدر (و)حسابيه(:

هذه تتمة لتمنيه: يتمنى أنه لم يعرف شيئاً عن حسابه. (ولم أدر) أي لم أعلم، فهو يتمنى الجهل بما سيحدث له من حساب وعذاب. والعبارة تحتمل معنيين: الأول: يتمنى أنه لم يعلم أصلا ً بأن هناك حساباً، أي يفضل الجهل على العلم الموجع. والثاني: يتمنى أنه بعد أن علم بالحساب، كان لا يعرف تفاصيله ونتيجته السيئة. ولكنه الآن يعلم تماماً ما هو حسابه، وهذا العلم يزيد عذابه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذه العبارة تعبر عن حالة من اليأس والإحباط، حيث يعلم الكافر أنه سيعذب، ويتمنى أنه لو كان جاهلا ً بهذا المصير لكان أرحم له.
· عقلياً: العقل يدرك أن العلم بالشيء إذا كان مؤلماً قد يكون سبباً في زيادة الألم .فالجهل في بعض المواقف قد يكون راحة.
· تربوياً: نتعلم أن نستعمل العلم النافع، وأن العلم بالحق يجب أن يقود إلى العمل به، وإلا كان وبالا ً على صاحبه.
· عملياً: نسأل الله أن يجعل علمنا حجة لنا لا علينا، وأن يعيننا على العمل بما نعلم.

.2التدرج في التمني من عدم إعطاء الكتاب إلى عدم معرفة الحساب:

لاحظ التدرج: أولا ً تمنى أن لم يؤت الكتاب أصلا ً. ثم تمنى أنه لم يعرف ما هو حسابه. وهذا التدرج يدل على أن شدة الألم تجعله يتمنى أي شيء يخفف عنه، حتى الجهل. فكلما ازداد العذاب ازداد تمنيه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التدرج يصور شدة الألم وتصاعد الحسرة.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب الآخرة يبلغ من الشدة أن يتمنى الكافر الجهل.
· تربوياً: نتعلم ألا نستهين بأي ذنب، فقد يكون سبباً في هذا التمني المؤلم.
· عملياً: نكثر من الاستغفار والتوبة، لئلا نكون من هؤلاء المتمنين.

ثالثاً: دلالة قوله {يَا لَيْتَهَا كانتِ القاضِيَةَ}

.1دلالة) ليتها (و)القاضية(:

)ليتها (أي ليت الموتة التي ماتها في الدنيا) .القاضية (أي المميتة التي لا حياة بعدها، أو التي تقضي على الأمر وتنهيه .والمعنى: يتمنى الكافر أن الموتة التي ماتها في الدنيا كانت هي النهاية، وأنه لم يبعث أبداً .كان يظن أن الموت هو نهاية كل شيء، فلما رأى البعث والعذاب تمنى لو كان ما ظنه حقاً .وهذا التمني يدل على أن الموت في الدنيا كان شيئاً يكرهونه، لكنهم في الآخرة يتمنونه لأنه أرحم من العذاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذه العبارة تصل إلى قمة الحسرة: يتمنى الفناء والعدم، لدرجة أنه يفضل العدم على الوجود المعذب .وهذا يدل على شدة العذاب.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب الآخرة أشد من الموت، فالموت كان لحظة وانتهت، أما العذاب فدائم . لذلك كان الموت أرحم.
· تربوياً: نتعلم أن نذكر أنفسنا بأن الموت ليس نهاية، بل هو باب إلى دار الجزاء.
· عملياً: نستعد للموت بالعمل الصالح، ولا نعيش كمن يظن أن الموت نهاية كل شيء.

.2المقابلة بين) القاضية (وعيش المؤمن:

المؤمن يعيش في عيشة راضية، والكافر يتمنى أن تكون موتته القاضية (الفانية). المؤمن يفرح بـ الحياة الأبدية في الجنة، والكافر يتمنى الفناء. هذا التضاد يبين قيمة الإيمان.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالنعمة على المؤمن الذي أمن من هذا المصير.
· عقلياً: العقل يدرك أن الإيمان هو الفرق بين هذين المصيرين.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أبناءنا على حب الآخرة، لا على الخوف من الموت.
· عملياً: نحمد الله على نعمة الإيمان التي تمنعنا من تمني الفناء.

.3الفرق بين) يا ليتني (و)يا ليتها(:

في الآية الأولى قال (يا ليتني)، وهنا قال (يا ليتها). الأول تمنى لنفسه شيئاً (عدم إعطاء الكتاب)، و الثاني تمنى على الموتة أن تكون قاضية. وهذا التعبير يظهر تعدد وجوه الحسرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تعدد صيغ التمني يدل على غزارة الحسرة وانتشارها في كل اتجاه.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكافر يحاول التخلص من العذاب بأي طريقة، حتى بتمني المستحيل.
· تربوياً: نتعلم أن لا نستهين بأي يوم نعيشه في طاعة الله.
· عملياً: نردد: "اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا".

رابعاً: دلالة قوله {مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ}

.1دلالة) ما أغنى عني (و)ماليه(:

)ما أغنى (نفي، أي لم ينفعني ولم يغن عني) .ماليه (ماله الذي جمعه وادخره وافتخر به في الدنيا .و المعنى: أن ماله الذي كان يعتز به ويظن أنه سينفعه، لم ينفعه يوم القيامة .لا فدية يقبلها، ولا شفاعة يشتريها .قال تعالى:} لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ) {الممتحنة: .(3 وهذا اعتراف منه بعدم جدوى ما كان يجمعه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: هذه العبارة تعبر عن الإفلاس الروحي والمادي .فالمال الذي كان يملأ قلبه فرحاً وفخراً أصبح لا قيمة له.
· عقلياً: العقل يدرك أن المال ينفع في الدنيا فقط، أما في الآخرة فلا ينفع إلا الإيمان والعمل الصالح.
· تربوياً: نتعلم ألا نغتر بالمال، وألا نعتقد أنه سيحمينا من عذاب الله .ونعلم أبناءنا قيمة الإيمان فوق قيمة المال.
· عملياً: نزكي أموالنا بالصدقات، ونتذكر أن المال الذي ننفقه في سبيل الله هو الذي يبقى لنا.

.2المقابلة بين) ما أغنى (و)بما أسلفتم(:

في الآية السابقة قال للمؤمنين: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ}، أي بما قدمتم من خير. وهنا يقول الكافر: {مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ}، أي لم ينفعني ما قدمت من مال. الفرق: المؤمن أسلف أعمالا ً صالحة فنفعته، والكافر أسلف مالا ً وجمعه فلم ينفعه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يزرع في النفس الرغبة في إسلاف الخير لا جمع المال فقط.
· عقلياً: العقل يدرك أن المال سلاح ذو حدين: قد يكون سبباً في السعادة إذا أنفق في الخير، وقد يكون سبباً في الشقاء إذا منع أو جمع للفخر.
· تربوياً: نتعلم أن نربي أنفسنا وأبناءنا على إنفاق المال في وجوه الخير.
· عملياً: نخصص جزءاً من مالنا للصدقات والأعمال الخيرية، ليكون سلفاً عند الله.

خامساً: دلالة قوله {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}

.1دلالة) هلك (و)سلطانيه(:

)هلك (أي ذهب وضاع وفقد) .سلطانيه (قوته وملكه وجاهه وسلطانه وحجته التي كان يحتج بها في الدنيا .والمعنى: ذهب عني ملكي وقوتي وجنودي وكل ما كنت أعتز به من سلطة ونفوذ .قد يكون سلطانه هو قوته البدنية، أو ماله وسلطانه السياسي، أو حجته الباطلة التي كان يدافع بها عن كفره . و) هلك (قد تعني ضاع ولم يبق منه شيء، وقد تعني غاب عني وتبرأ مني.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) هلك (كلمة قوية توحي بالخسارة الكاملة والضياع .فكل ما كان يعتز به قد تبخر.
· عقلياً: العقل يدرك أن سلطان الدنيا زائل، وأن القوة الحقيقية للإيمان .كما يدرك أن الجاه لا ينفع صاحبه إذا لقي الله بغير إيمان.
· تربوياً: نتعلم ألا نفتخر بالسلطة والجاه، فهما يزولان .ونعلم أبناءنا أن العزة لله جميعاً.
· عملياً: إذا كان لنا سلطان أو جاه، نستخدمه في طاعة الله، ونذكر أنفسنا بأنه سيذهب يوماً.

.2التدرج من المال إلى السلطان:

بدأ الكافر باعترافه بفشل ماله، ثم باعترافه بفشل سلطانه. والمال والسلطان هما أبرز ما يفتخر به الكفار في الدنيا. فقرآن: {جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} (الهمزة: 2-3). فلما رأى أنهما لا ينفعان، أعلن هلاكهما. وهذا التدرج يبين أن كل أسباب القوة الدنيوية تخذل صاحبها يوم القيامة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الشعور بأن كل شيء يخذل الإنسان في أشد لحظات حاجته يزيد اليأس والحسرة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الاعتماد على غير الله خسارة، وأن من أشرك بالله أو اعتمد على ماله وجاهه، خذلانه.
· تربوياً: نتعلم أن نعلق قلوبنا بالله وحده، وألا نعتمد على المال أو الجاه.
· عملياً: نردد باستمرار: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، ونتوكل على الله في كل أمورنا.

.3المقابلة بين) سلطانيه (وعزة المؤمن:

المؤمن في جنة عالية، عزيز مكرم. والكافر يقول: هلك عني سلطانيه. المؤمن له سلطان في الآخرة بفضل الإيمان، والكافر خسر سلطانه. هذا التضاد يظهر أن العزة الحقيقية ليست بالدنيا بل بالآخرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالطمأنينة للمؤمن الذي يعلم أن عزة الآخرة له، ويرهب الكافر الذي يخسر كل شيء.
· عقلياً: العقل يدرك أن المعادلة الإلهية واضحة: من أراد العزة فليطلبها من الله بالإيمان.
· تربوياً: نتعلم ألا نطلب العزة بالمعصية أو بالمال، بل بالطاعة.
· عملياً: نكثر من قول: "اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك".
الأمر الثاني: التصوير البياني للآيات وأغراضه

ترسم هذه الآيات مشهداً واحداً مؤلماً لأصحاب الشمال، يتكون من عدة لوحات متسلسلة:

اللوحة الأولى: استلام الكتاب بالشمال

الكاميرا تركز على مشهد مرعب: رجل يقف في أرض المحشر، وجهه مصفر، عيناه مذعورتان. يمد يده، لكنه لا يمد اليمنى بل اليسرى. تدفع إليه صحيفة سوداء، يلمسها بيده اليسرى، فيشعر بالخزي والعار. يفتح الصحيفة، فترتعد فرائصه. ثم يصرخ بأعلى صوته: (يا ليتني لم أوت كتابيه). الكاميرا تقترب من وجهه: دموع الحسرة تنهمر، لكن لا فائدة.

اللوحة الثانية: تمني الجهل بالحساب

يستمر في صراخه: (ولم أدر ما حسابيه). كان في الدنيا يعرف أن هناك حساباً، لكنه كان يستهزئ. الآ ن يتمنى أنه لو كان جاهلا ً بهذا الحساب لكان أرحم له. لكن العلم موجود، والعذاب قادم.

اللوحة الثالثة: تمني الموت والفناء

يرفع رأسه إلى السماء ويصرخ: (يا ليتها كانت القاضية). يشير إلى موته الذي مات في الدنيا. كان يظن أن الموت هو النهاية، فكان يتمنى الحياة. لكنه الآن يتمنى الموت، بل يتمنى أن الموتة الأولى كانت قاضية على حياته فلم يبعث. لكن البعث حصل، والعذاب أمامه.

اللوحة الرابعة: إفلاس المال

ينظر إلى يديه، ثم إلى ماله الذي كان يجمعه في الدنيا. لكن المال ليس معه، ولو كان معه لما نفع. يقول في حسرة: (ما أغنى عني ماليه). كان يظن أن ماله سيحميه أو يفديه، لكن اليوم لم يغن عنه شيئاً.

اللوحة الخامسة: خسارة السلطان

ثم يتذكر قوته وجنوده وسلطانه ومنصبه. كلهم تخلى عنه. جنوده ليسوا معه، قوته خارت، حجته بطلت. يقول: (هلك عني سلطانيه). كان يتكبر في الدنيا بسلطانه، لكن السلطان هلك وذهب.

الكاميرا تبتعد عنه وهو يصرخ ويبكي، والنار خلفه تنتظره. هذا مشهد يملأ القلب خوفاً وعبرة.

أغراض هذا التصوير:

.1تصوير ألم الكافر: ليشعر القارئ بشاعة هذا المصير فيتجنبه.
.2إظهار خسارة المال والجاه: ليزهد المؤمن في التعلق بهما.
.3الترهيب من المعصية: ليدفع المؤمن إلى الطاعة.
.4إثبات عدل الله: كل يجازى بما عمل.
.5مقابلة مشهد أصحاب اليمين: ليكتمل المشهد وتتضح الصورة.

ثالثاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (بشماله) تذكير بأن المعصية تورث الذل

في الدنيا، الكافر قد يكون عزيزاً قوياً. لكن يوم القيامة، يؤتى كتابه بشماله، إهانة له. الاستفادة: لا تطلب العزة بالمعصية، فالعزة الحقيقية في طاعة الله.

الخاطرة الثانية: (يا ليتني لم أوت كتابيه) تذكير بالندم في الآخرة

يتمنى الكافر أنه لم يؤت كتابه. هذا يعني أن مجرد رؤية الكتاب عذاب. الاستفادة: اجعل كتابك يرضيك في الدنيا، بالعمل الصالح.

الخاطرة الثالثة: (ولم أدر ما حسابيه) تذكير بأن الجهل لا ينفع

الكافر تمنى الجهل بالحساب. هذا يدل على أن علمه بالحساب زاد عذابه لأنه لم يعمل به. الاستفادة: العلم النافع يجب أن يتبعه عمل، وإلا كان وبالاً.

الخاطرة الرابعة: (يا ليتها كانت القاضية) تذكير بأن الموت ليس نهاية

كان الكافر يظن أن الموت هو النهاية، لكنه فوجئ بالبعث والعذاب. الاستفادة: تذكر أن الموت باب، وأن الحياة الحقيقية بعد الموت.

الخاطرة الخامسة: (ما أغنى عني ماليه) تذكير بأن المال لا ينفع عند الله

قد يجمع الإنسان المال ويظن أنه سيحميه، لكن يوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون. الاستفادة: تصدق بمالك، واستثمره في الآخرة، فهو الذي ينفع.

الخاطرة السادسة: (هلك عني سلطانيه) تذكير بأن السلطان زائل

كم من ملك وجبار مات وذهب سلطانه. يوم القيامة لا جاه ولا سلطان. الاستفادة: لا تفتخر بجاهك، فسيذهب، واستعمل جاهك في نصرة الحق.

الخاطرة السابعة: التدرج من المال إلى السلطان تذكير بأن كل شيء يخذل الكافر

أولاً يخذله ماله، ثم يخذله سلطانه، ثم يبقى وحيداً في العذاب. الاستفادة: تعلق بالله وحده، فهو الذي لا يخذل.

الخاطرة الثامنة: المقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال تذكير باختيار الطريق

كل إنسان سيختار طريقه في الدنيا، وسيجني ثمرته في الآخرة. الاستفادة: اختر اليوم طريق أصحاب اليمين، لتنعم غداً.

رابعاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية جزاء الكافر يوم القيامة وأخذ الكتاب بالشمال.
.2قضية الحسرة والندم في الآخرة وعدم جدواها.
.3قضية تمني الموت والفناء هرباً من العذاب.
.4قضية عدم نفع المال والجاه والسلطان يوم القيامة.

.5قضية المقابلة بين المؤمن والكافر في الآخرة.
.6قضية أن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء.
.7قضية أن ما يفتخر به الكفار في الدنيا يخيب ظنهم في الآخرة.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك في موقف أصحاب الشمال، وتسأل: هل أنا مستعد؟ ثم تشعر بالخوف وتعمل على أن لا تكون منهم.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: كل صباح، قل: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون من أصحاب الشمال".
· في عباداتك: في صلاتك، عندما تقرأ) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين(، تذكر طريق أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.
· في معاملاتك: لا تظلم ولا تغش، وتذكر أن الظلم يؤدي إلى هذا المصير.
· في تربيتك: حذّر أبناءك من عاقبة الكفر والمعصية، وارو لهم قصة أصحاب الشمال.
· في دعوتك: ذكر الناس بهذه الآيات لتكون رادعاً لهم عن المعاصي.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى المال: المال ليس هدفاً، بل وسيلة .لا نجمعه للفخر، بل ننفقه في الخير.
.2تغيير النظرة إلى الجاه والسلطان: الجاه زائل، لا نفتخر به ولا نستخدمه في الظلم.
.3تغيير النظرة إلى الموت: الموت ليس نهاية، بل بداية حياة جديدة، فعلينا الاستعداد لها.
.4تغيير النظرة إلى الندم: الندم في الدنيا نافع، وفي الآخرة غير نافع .فلا نؤجل الندم إلى الآخرة.
.5تغيير النظرة إلى الحساب: كلنا سنحاسب، فعلينا أن نعد جواباً.
.6تغيير النظرة إلى العزة: العزة الحقيقية في طاعة الله، لا في المال والجاه.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: أخذ الكتاب بالشمال إهانة كبرى. التطبيق: تجنب المعاصي التي توجب الإهانة يوم القيامة.

الدرس الثاني: الندم يوم القيامة لا ينفع. التطبيق: بادر بالتوبة اليوم، ولا تؤجل.

الدرس الثالث: المال لا ينفع عند الله. التطبيق: تصدق بمالك، واجعله سلفاً عند الله.

الدرس الرابع: السلطان والجاه يخزيان صاحبهما يوم القيامة. التطبيق: لا تتكبر على الناس بجاهك، واشكر الله على نعمته.

الدرس الخامس: الكافر يتمنى الموت والفناء. التطبيق: اعمل عملا ً تجعلك ترغب في الحياة الأبدية لا الفناء.

الدرس السادس: العلم بالحساب دون عمل يزيد العذاب. التطبيق: اعمل بعلمك، ولا تكن ممن يعلمون و لا يعملون.

الدرس السابع: كل أسباب الدنيا تترك صاحبها. التطبيق: تعلق بالله وحده، فهو الباقي.

خامساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة فهم دلالة الشمال في القرآن للإهانة والخزي.
· مهارة تحليل أسلوب التمني والتحسر) يا ليتني، يا ليتها.(
· مهارة التمييز بين نفي النفع) ما أغنى (وفقدان الشيء) هلك.(
· مهارة الربط بين آيات أصحاب اليمين وأصحاب الشمال للمقابلة.

المهارات الحياتية

· مهارة التوبة والمبادرة قبل الندم.
· مهارة عدم الاغترار بالمال والجاه.
· مهارة الصبر على الفاقة وعدم حسد الأغنياء.
· مهارة التواضع وعدم التكبر بالسلطان.

المهارات العملية

· مهارة التخطيط المالي مع جعل الآخرة هدفاً.
· مهارة استخدام الجاه والسلطة في الخير.
· مهارة تذكر الموت والاستعداد له.
· مهارة محاسبة النفس يومياً لئلا نكون من أصحاب الشمال.

سادساً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1لا تجمع المال للفخر والخيلاء، فسينفعك يوم القيامة ما قدمت لا ما جمعت.
.2لا تفتخر بجاهك وسلطانك، فكل ذلك زائل وهالك.
.3بادر بالتوبة قبل أن تقول) يا ليتني (ولا ينفعك الندم.
.4تذكر الموت دائماً، ولا تظن أنه نهاية كل شيء، فالحياة تبدأ بعده.
.5كن من الذين يفرحون بكتابهم لا من الذين يتمنون عدم إتيانه.
.6علم أبناءك أن العزة لله وأن المال والسلطان فتنة.
.7استخدم نعم الله) المال، الجاه، القوة (في طاعته، لئلا تكون عليك وبالا ً.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الأخلاق: الخوف من أن يكون الإنسان من أصحاب الشمال يردعه عن الكبر والبخل والظلم.
· تطوير الزهد: تذكر أن المال لا يغني عن الله يقلل من الطمع والحرص.
· تطوير التواضع: تذكر أن السلطان يهلك يمنع التكبر والاستعلاء.
· تطوير المسؤولية: كل إنسان سيحاسب، فيتحمل مسؤولية أفعاله.
· تطوير التخطيط للآخرة: توجيه الطاقات نحو العمل الصالح بدلا ً من جمع المال فقط.

سابعاً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الشمال في الآخرة علامة الهوان، واليمين علامة الكرامة.
.2أن الكافر يتمنى في الآخرة أنه لم يخلق أو لم يبعث، هرباً من العذاب.
.3أن الندم في الآخرة لا ينفع، وأن التمني هناك يزيد الحسرة.
.4أن المال لا يفيد صاحبه إذا كان كافراً، ولا يفيد في الآخرة إلا ما قدم من صدقات.
.5أن السلطان والجاه والقوة كلها تزول يوم القيامة، وتترك صاحبها خاسراً.
.6أن من ظن أن ماله أو جاهه سيخلده أو يحميه فقد خاب ظنه.
.7أن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء، فلا نخلط بينهما.
.8أن الكافر يمر بمراحل من التمني: يتمنى عدم إعطاء الكتاب، ثم عدم معرفة الحساب، ثم الموت، فيزداد عذابه.
.9أن التدرج في الحسرة يدل على شدة العذاب وعظمه.
.10أن المقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال تظهر عدل الله ورحمته) للمؤمن (وعذابه)للكافر.(

ثامناً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد النفسي الوجداني: تصوير شدة الحسرة والندم بأسلوب التمني) يا ليتني، يا ليتها.(
.2البعد الاجتماعي: الكافر كان يعتز بماله وسلطانه على الناس، لكنه يخسرها يوم القيامة.
.3البعد الاقتصادي: المال لا يغني عند الله، وهذا يغير النظرة إلى الثروة.
.4البعد السياسي: السلطان والجاه لا ينفعان، وهذا يغير النظرة إلى الحكم والقوة.
.5البعد العقدي: إثبات البعث والحساب والجزاء، وأن الإيمان هو الرصيد الحقيقي.
.6البعد البياني: استخدام أسلوب التمني والنفي) ما أغنى، هلك (للتعبير عن الخسارة.

الآفاق:

.1أفق التوبة المبكرة: لا تؤجل التوبة، فالندم في الآخرة لا ينفع.
.2أفق الزهد في المال والجاه: تذكر أن المال والسلطان يخذلان صاحبهما.
.3أفق الاستعداد للموت والبعث: لا تظن أن الموت نهاية، بل استعد للقاء الله.
.4أفق التواضع: لا تتكبر بمالك أو جاهك، فسيذهبان.
.5أفق استثمار النعم: استعمل مالك وسلطانك في طاعة الله ليكون لك سلفاً.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة التوبة: المبادرة إلى الرجوع إلى الله قبل فوات الأوان.
.2قيمة الزهد: عدم التعلق بالمال والجاه الفانيين.
.3قيمة التواضع: عدم التكبر على الناس، فالسلطان زائل.
.4قيمة الإنفاق: تقديم المال في سبيل الله ليكون سلفاً.
.5قيمة الخوف من الله: الخوف من أن نكون من أصحاب الشمال.
.6قيمة العدل: الله يجازي كلا ً بما يستحق.
.7قيمة الاستعداد للموت: تذكره والعمل له.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (بشماله): في حياتنا العملية، نبتعد عن استعمال الشمال في الأمور التي ترمز للخير، لئلا نتذكر بهذا المشهد المؤلم.

مفهوم (يا ليتني لم أوت كتابيه): في حياتنا العملية، نحرص على أن يكون كتابنا مشرفاً، فلا نتمنى عدم إتيانه.

مفهوم (ما أغنى عني ماليه): في حياتنا العملية، لا نغتر بمالنا، ونعلم أنه لن ينفعنا إلا ما تصدقنا به.

مفهوم (هلك عني سلطانيه): في حياتنا العملية، لا نفتخر بجاهنا، ونعلم أنه زائل، ونستخدمه في الخير.

مفهوم (القاضية): في حياتنا العملية، لا نتمنى الموت هرباً من مشاكل الدنيا، بل نستعد للقاء الله.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الندم المتأخر(: الندم بعد فوات الأوان لا ينفع، وهذا يخلق شعوراً بالأسى.
.2مفهوم) التمني العقيم(: تمني المستحيل) عدم الإتيان بالكتاب، عدم الحساب، الموت (يعبر عن حالة اليأس.
.3مفهوم) الخذلان(: شعور الكافر بأن كل شيء يخذله: ماله، سلطانه، حجته.
.4مفهوم) الإحباط(: عندما يدرك الكافر أنه خسر كل شيء، يدخل في حالة إحباط عميق.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) فشل المادية(: الاعتماد على المال والسلطان فقط يؤدي إلى الفشل الأبدي.
.2مفهوم) عدالة الجزاء(: الله يجازي كلا ً بما يستحق، لا ظلم فيه.
.3مفهوم) العلاقة بين الدنيا والآخرة(: الدنيا زرع والآخرة حصاد.

.4مفهوم) بطلان فكرة الإلحاد(: من ظن أن الموت هو النهاية فقد خاب ظنه.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالترهيب(: عرض مشاهد العذاب لردع الناس عن المعاصي.
.2مفهوم) التربية بالمقارنة(: مقارنة حال أصحاب اليمين بأصحاب الشمال لدفع الطفل لاختيار الطريق الصحيح.
.3مفهوم) التربية على قيمة الوقت(: الندم في الآخرة لا ينفع، فالفرصة في الدنيا.
.4مفهوم) التربية على عدم الاغترار(: عدم الاغترار بالمال والجاه.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الوعي الأخروي: الإيمان بأن الحياة الحقيقية هي الآخرة.
.2بناء الشخصية المتواضعة: من يعلم أن سلطانه سيهلك لا يتكبر.
.3بناء الشخصية الزاهدة: من يعلم أن ماله لا يغني لا يغتر به.
.4بناء ثقافة التوبة المبكرة: لا تؤجل.
.5بناء ثقافة الاستعداد للموت: تذكره دائماً والعمل له.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة التواضع: المجتمع المتواضع مجتمع متعاون.
.2تنمية ثقافة الزهد: لا استغلال ولا طمع.
.3تنمية ثقافة المبادرة: لا تسويف في الأعمال الصالحة.
.4تنمية ثقافة المسؤولية: كل يحاسب عن نفسه.
.5تنمية ثقافة العدل: لا ظلم لأن الجزاء قادم.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· التوبة الدائمة: لا تؤجل التوبة إلى الغد.
· التواضع: لا تتكبر بمال أو جاه.
· الزهد: لا تغتر بالدنيا.
· الخوف من الله: تعمل خوفاً من أن تكون من أصحاب الشمال.
· الاستعداد للموت: تذكره والعمل له.
· الإنفاق: لا تمسك مالك بل تنفقه في الخير.

صناعة التطور والنهضة:

· أولاً: مجتمع يعمل للآخرة ينهض في دنياه، لأنه يرى الدنيا مزرعة الآخرة.
· ثانياً: مجتمع يتواضع ولا يتكبر تتعاون أفراده، فيتطور.
· ثالثاً: مجتمع يزهد في الدنيا ويقبل عليها للعمل لا للهو ينهض.
· رابعاً: مجتمع يخاف الله ويستعد ليوم الحساب يقل فيه الفساد والظلم، فيستحق النصر.

تاسعاً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى التوبة والمبادرة إليها، لئلا نكون من أصحاب الشمال.
.2تدعونا إلى عدم الاغترار بالمال والجاه، فكلاهما زائل.
.3تدعونا إلى التواضع وترك الكبر، فالمتكبر سلطانه يهلك.
.4تدعونا إلى الإنفاق والصدقة، فالمال الذي نقدمه في الخير هو الذي ينفعنا.

.5تدعونا إلى الاستعداد للموت والبعث، وعدم الظن بأن الموت نهاية.
.6تدعونا إلى ذكر الله والاستغفار، لئلا نندم في الآخرة.
.7تدعونا إلى تبليغ هذه الرسالة للآخرين، لعله ينفعهم الندم المبكر.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية تمكننا من إسقاط الآية في حياتنا العملية

الوقفة الأولى: وقفة (بشماله)

التدبر: تخيل أنك تقف في أرض المحشر، ويمد أحدهم يده اليسرى إليك بدلا ً من اليمنى، وتشعر بـ العار والخزي. هذا هو حال أصحاب الشمال.

الأسئلة العملية:

· هل أعمالي اليوم تجعلني أستحق أن آخذ كتابي باليمين أم بالشمال؟
· ما هي الأعمال التي تجلب العار يوم القيامة؟
· كيف أتجنب هذا المصير؟

التطبيق: اكتب ذنوبك التي تخجل منها، وتب منها اليوم، واعزم ألا تعود.

الوقفة الثانية: وقفة (يا ليتني لم أوت كتابيه)

التدبر: تخيل أنك تتمنى أن صحيفة أعمالك لم توجد أصلا ً، ولكنها موجودة أمامك، سوداء، ثقيلة.

الأسئلة العملية:

· كيف سيكون شعوري إذا تمنيت هذا؟
· ماذا أفعل اليوم لئلا أتمنى هذا غداً؟

التطبيق: كل يوم، تخيل أن صحيفة أعمالك تعرض عليك. هل أنت سعيد بها؟ غيّر ما يزعجك فيها.

الوقفة الثالثة: وقفة (يا ليتها كانت القاضية)

التدبر: تخيل أنك تتمنى الموت والفناء، لأن الحياة أصبحت عذاباً. هذا أقصى درجات اليأس.

الأسئلة العملية:

· كيف أستعد لئلا أصل إلى هذا المستوى من اليأس؟
· ما الذي يجعل الإنسان يتمنى الموت يوم القيامة؟

التطبيق: أكثر من الدعاء: "اللّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم"، واعمل لئلا تكون من أهلها.

الوقفة الرابعة: وقفة (ما أغنى عني ماليه)

التدبر: تخيل أنك جمعت أموالا ً طائلة، افتخرت بها، اعتمدت عليها. ثم في يوم الحاجة، تجدها لا تنفعك.

الأسئلة العملية:

· كيف أنظر إلى مالي اليوم؟ هل هو استثمار للآخرة أم للدنيا فقط؟
· هل أتصدق بمالي؟

التطبيق: اختر مبلغاً من مالك اليوم، وتصدق به سراً، وقل: "اللّهم اجعله سلفاً لي عندك".

الوقفة الخامسة: وقفة (هلك عني سلطانيه)

التدبر: تخيل أنك كنت رئيساً أو ذا جاه، يأتمر الناس بأمرك. وفجأة تجد نفسك وحيداً لا يملك لك أحد نفعاً.

الأسئلة العملية:

· هل أتكبر على الناس بجاهي؟
· هل أستخدم جاهي في طاعة الله أم في معصيته؟

التطبيق: إذا كنت صاحب سلطان أو جاه، فاستخدمه اليوم في نصرة مظلوم أو إغاثة محتاج، ليكون لك سلفاً.

الوقفة السادسة: وقفة (المقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال)

التدبر: تخيل نفسك تنظر إلى فريقين: فريق في نعيم وفريق في جحيم. اختر أي الفريقين تريد.

الأسئلة العملية:

· ما هو الفريق الذي اخترت أن أكون معه؟
· ماذا أفعل لأكون مع أصحاب اليمين؟

التطبيق: اكتب خطة عمل يومية لتصبح من أصحاب اليمين: صلاة، صدقة، ذكر، بر بالوالدين، صوم.

رسالة الختام

الحمد لله الذي أنزل القرآن فيه الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي أنذر قومه يوم الحسرة والندم.

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بعد أن صور لنا مشهد أصحاب اليمين وما لهم من نعيم، صور لنا مشهد أصحاب الشمال وما لهم من جحيم. فهم يؤتون كتبهم بشمالهم إهانة لهم، ويقولون في حسرة وندم: (يا ليتني لم أوت كتابيه)، و(لم أدر ما حسابيه)، و(يا ليتها كانت القاضية) يتمنون الموت والفناء، ثم يعترفون بأن مالهم لم يغن عنهم، وأن سلطانهم هلك وذهب.

وتعلمنا أن الندم في الآخرة لا ينفع، وأن التمني هناك يزيد الحسرة، وأن المال والجاه والسلطان لا ينفع صاحبها إذا كان كافراً. وتعلمنا أن المقابلة بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال تظهر عدل الله ورحمته، وتدفع الإنسان إلى اختيار الطريق الصحيح.

وتعلمنا أن هذه الآيات تدعونا إلى التوبة المبكرة، وعدم الاغترار بالدنيا، والتواضع، والإنفاق في سبيل الله، والاستعداد للموت والبعث.

نسأل الله أن يجعلنا من أصحاب اليمين، وأن يعيذنا من أن نكون من أصحاب الشمال، وأن يجعلنا ممن يقولون: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}، لا ممن يقولون: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}.
المبحث الثاني .
تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (30-32) من سورة الحاقة

{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}
أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (25-29) صورت لنا المشهد المؤلم لأصحاب الشمال: ندمهم وتحسرهم وتمنيهم الموت و الفناء، وإقرارهم بأن مالهم لم يغن عنهم، وسلطانهم قد هلك وذهب. انتهى المشهد بهم وهم في قمة الحسرة والندم.

ثم تأتي هذه الآيات (30-32) لتبين لنا العقاب العملي الذي ينتظرهم بعد هذا الندم، وكأن الله يقول: بعد أن اعترفوا بندمهم وفشل كل شيء معهم، يأتي دور التنفيذ الفعلي للعذاب. فالآيات السابقة كانت

تصور الحالة النفسية (الندم، التمني)، وهذه الآيات تصور العذاب الجسدي الملموس.

وهذا التسلسل منطقي جداً: أولا ً يُعطى الكافر كتابه بشماله، ثم يندم ويتمنى الموت، ثم يُؤمر الملا ئكة أو الزبانية بأخذه وتعذيبه. ويأتي الأمر الإلهي بصيغة الأمر المباشر: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}، {صَلُّوهُ}، {فَاسْلُكُوهُ}، وكأن الله يأمر عبيده بتنفيذ حكم العذاب.

والربط أيضاً مع الآيات السابقة للسورة: السورة بدأت بالحديث عن الحاقة وعن هلاك الأمم المكذبة، ثم نجاة المؤمنين في سفينة نوح، ثم أهوال القيامة، ثم عرض الخلق، ثم توزيع الكتب، ثم جزاء المؤمنين بالجنة، ثم جزاء الكافرين بالندم، والآن يأتي جزاء الكافرين بالعذاب الفعلي. فالسورة تكتمل ببيان مصير الفريقين.

وهذه الآيات الثلاث تمثل مشهداً مرعباً من مشاهد العذاب في جهنم، يتكون من ثلاث مراحل متتالية:

.1الأسر والتقييد:} خُذُوهُ فَغُلُّوهُ {– أي أمسكوه واجعلوا الأغلال في عنقه ويديه.
.2الإدخال إلى الجحيم:} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ {– أي أدخلوه وأذيقوه حرّ نار الجحيم.
.3الإدخال في السلسلة:} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ {– أي أدخلوه في سلسلة طويلة جداً تربط به ويُسحب بها في النار.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الثلاث في فكرة مركزية هي: تنفيذ عذاب الكافر في الآخرة بمراحل متتالية، تبدأ بتقييده، ثم بإحراقه في الجحيم، ثم بإدخاله في سلسلة ضخمة ليزداد عذاباً. وتتفرع إلى ثلاث مراحل متسلسلة:

الفكرة الأولى: التقييد والأسر {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}

·) خذوه (أمر إلهي للملائكة أو الزبانية – خُدام النار – بأخذ الكافر.
·) فغلّوه (أي ضعوا الأغلال في عنقه وأسر يديه إلى عنقه، وأوثقوه كما يوثق الأسير.

الفكرة الثانية: الإدخال إلى الجحيم {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ}

·) ثم (للترتيب والتراخي، أي بعد التقييد.
·) الجحيم (اسم من أسماء جهنم، سميت بذلك لأنها تتوقد وتلتهب.
·) صلوه (من الصلي، وهو الدخول في النار والتعرض لحرها، أي أدخلوه وأحرقوه فيها.

الفكرة الثالثة: الإدخال في السلسلة {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}

·) ثم (للترتيب والتراخي، أي بعد ذلك.
·) سلسلة (حلقات من حديد متصلة.
·) ذرعها (طولها ومقدارها.
·) سبعون ذراعاً (طول عظيم، والذراع يتراوح بين50 - 60سم، فيكون طول السلسلة حوالي35 - 42 متراً.
·) فاسلكوه (أي أدخلوه فيها وخلخلوه، أي أجعلوا السلسلة تخترق جسده أو تربطه ويسحب بها.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: التدرج في العذاب: يبدأ بتقييد الكافر ليمنعه من الحركة، ثم بإحراقه في الجحيم، ثم بإدخاله في سلسلة ضخمة ليزيد من آلامه. وهذا يدل على شدة العذاب وعدم وجود رحمة فيه.

المغزى الثاني: استخدام الأغلال والسلاسل يدل على أن الكافر سيعامل معاملة الأسير الهارب أو المجرم الخطير، وكأنه كان يهرب من الله في الدنيا، فيُقيد في الآخرة.

المغزى الثالث: ذكر السلسلة بطول سبعين ذراعاً – وهو طول هائل – يدل على ضخامة العذاب وشدته. وقد يكون المعنى أنها تدخل في جسده فتمتد أمعاؤه وتخرج من دبره، كما ورد في بعض التفاسير.

المغزى الرابع: استخدام أفعال الأمر (خذوه، غلّوه، صلوه، اسلكوه) بصيغة الخطاب لغير الله (إلى الملا ئكة) فيه تنفير وتهويل، فالله يأمر عبيده بتنفيذ العذاب، وهذا يدل على غضبه على الكافر.

المغزى الخامس: التعبير بـ(الجحيم) دون نار أو غيرها، للدلالة على أن النار ملتهبة شديدة الحرارة، وأنها جوهر العذاب.

المغزى السادس: هذه الآيات تكمل مشهد أصحاب الشمال: أولا ً الندم والتحسر، ثم العذاب الفعلي. وهذا يبين أن العذاب الحقيقي يبدأ بعد الندم، وأن الندم لا ينفع.

المغزى السابع: المقابلة بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين تكتمل: المؤمنون في عيشة راضية وجنة عالية وقطوف دانية وأكل وشرب هنيء، والكافرون في أغلال وسلاسل وجحيم.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات عذاب الكافرين في النار عذاباً حقيقياً بالأغلال والسلاسل والإحراق.

الهدف العقدي الثاني: إثبات وجود خزنة النار (الزبانية) الذين ينفذون أمر الله في تعذيب الكفار.

الهدف النفسي: غرس الخوف من النار في قلوب المؤمنين، ودفعهم إلى الطاعة والابتعاد عن المعاصي التي تؤدي إلى هذا المصير. كما يزرع الرهبة في قلوب الكافرين الذين يسمعون هذه الآيات.

الهدف البياني: استخدام أفعال الأمر المتتالية (خذوه، غلّوه، صلوه، اسلكوه) يعطي إحساساً بالسرعة و التنفيذ العاجل. والتدرج بـ(ثم) يبين مراحل العذاب المتتابعة. وتحديد طول السلسلة (سبعون ذراعاً) يعطي تصوراً محسوساً لضخامة العذاب.

الهدف التربوي: تربية النفس على الخوف من عذاب الله، وأن لا يأمن مكر الله، وأن يتجنب المعاصي التي توجب دخول النار.

الهدف الدعوي: تحذير الناس من عاقبة الكفر والعصيان، وبيان أن عذاب الآخرة أشد من أي عذاب في الدنيا.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}

.1دلالة) خذوه (– فعل الأمر:

)خذوه (أمر إلهي موجّه إلى الملائكة الموكلين بالعذاب، وهم الزبانية) خزنة النار .(وصيغة الأمر تدل على الحتمية والتنفيذ الفوري، ولا تحتمل التأخير أو التردد .والفاعل محذوف تقديره: يقول الله لخزنة النار: خذوه .وهذا الأسلوب يصور مشهداً مهيباً: أمر إلهي مباشر بتنفيذ العذاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: صيغة الأمر المباشر تخلق شعوراً بالرهبة، وكأن القارئ يسمع الأمر الإلهي بأذنه.
· عقلياً: العقل يدرك أن هناك خزنة للجنة والنار، وهم مطيعون لله، ينفذون أمره بلا تردد.
· تربوياً: نتعلم أن الله إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، وأوامره نافذة لا ترد.
· عملياً: نتذكر دائماً أننا تحت أمر الله، وعليه أن نطيع أوامره قبل أن نقع تحت أوامر العذاب.

.2دلالة) فغلّوه (– التقييد بالأغلال:

)غلّوه (من الغل، وهو القيد الذي يجمع اليدين إلى العنق .والغلّ هو الحديدة التي توضع في العنق وتجمع اليدين إليها .والفاء في) فغلّوه (للتعقيب، أي بعد أن تأخذوه فوراً قيدوه واجعلوه في الأغلال . والمعنى: امنعوه من الحركة، وأذلوه، وأوثقوه كما يوثق المجرمون والعبيد الآبقون .والغلّ في اللغة

أيضاً يوحي بالشدة والإحكام والذل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) غلّوه (توحي بالعنف والإذلال، وتخلق شعوراً بالخوف من هذا المصير.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكافر في الدنيا كان طليقاً يعصي الله بلا قيود، فيوم القيامة يُقيد بالأغلال.
· تربوياً: نتعلم أن من عصى الله في الدنيا حُراً، يأتي يوم القيامة عبداً مقيداً.
· عملياً: نستخدم أيدينا في طاعة الله، ولا نطلقها في المعصية، لئلا تقيد بالأغلال.

.3دلالة التكامل بين) خذوه (و)غلّوه(:

)خذوه (هو الأمر بالإمساك،) فغلّوه (هو الأمر بالتقييد .وهما معاً يصوران مشهداً: الملائكة تمسك بـ الكافر بقوة، وتضع الغل في عنقه، وتجمع يديه إليه، فيصبح كالأسير المذلول .وهو عكس حال المؤمن الذي يُعطى كتابه بيمينه حراً طليقاً كريماً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: المشهد الكامل يخلق إحساساً بالرهبة والخوف من هذا المصير.
· عقلياً: العقل يدرك أن العذاب يبدأ بالإذلال قبل الإيلام.
· تربوياً: نتعلم أن الكرامة في الدنيا والآخرة تكون بطاعة الله.
· عملياً: نختار طريق الكرامة بطاعة الله، لا طريق الذل بمعصيته.

.4ما بين هذه الآية وآية أصحاب اليمين:

المؤمن أخذ كتابه بيمينه بحرية وكرامة، والكافر يُؤخذ ويُغل بالأغلال. المؤمن يفرح وينادي (هاؤم اقرءوا كتابيه)، والكافر يصرخ ويتمنى الموت. المؤمن ينقلب إلى أهله مسروراً، والكافر يُسحب إلى الجحيم. هذا التناقض التام يظهر فضل الإيمان وعاقبة الكفر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق رغبة قوية في أن نكون من الفريق الأول لا الثاني.
· عقلياً: العقل يدرك أن التفاضل ليس بالمال والجاه، بل بالإيمان والعمل.
· تربوياً: نتعلم أن نختار طريق المؤمنين في الدنيا لنكون معهم في الآخرة.
· عملياً: نصحح مسارنا كل يوم ونسأل: هل أعمالي تقربني من المؤمنين أم من الكافرين؟

ثانياً: دلالة قوله {ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ}

.1دلالة) ثم (للترتيب مع التراخي:

)ثم (هنا تفيد الترتيب والتراخي في الزمن، أي بعد الانتهاء من تقييده وتغليله، وبعد فترة – ولو كانت قصيرة – يؤمر بإدخاله إلى الجحيم .وهذا التدرج يصور عذاباً متدرجاً يزداد شدة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) ثم (تخلق إحساساً بالانتظار والترقب، وكأن العذاب قادم على مراحل، وهذا يزيد الرهبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن العذاب ليس دفعة واحدة، بل يتدرج، مما يجعله أشد.
· تربوياً: نتعلم أن العقوبات الإلهية تكون على مراحل، فلا نستعجل.
· عملياً: نتذكر أن الله يمهل ولا يهمل، وأن العذاب قد يتدرج في الدنيا أيضاً.

.2دلالة) الجحيم(:

)الجحيم (اسم من أسماء جهنم، مأخوذ من الجحم وهو شدة حرارة النار وتلهبها .والجحيم هي النار العظيمة التي أعدها الله للكافرين .وتسميتها بـ)الجحيم (بدلا ً من) النار (فيه إشارة إلى أنها نار ملتهبة متوقدة لا يطاق حرها.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) الجحيم (توحي بشدة الحرارة واللهب، فتشعر النفس بالرهبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجحيم ليست كأي نار في الدنيا، بل هي أشد سبعين ضعفاً.
· تربوياً: نتعلم أن نسمي الأشياء بأسمائها، فلا نقلل من شأن النار بتسميتها بأسماء مخففة.
· عملياً: نتعوذ بالله من الجحيم في كل صلاة، وندعو بالنجاة منها.

.3دلالة) صَلُوهُ (– الإحراق والصلي:

)صلوه (من الصلي، وهو دخول النار والتعرّض لحرها .والصلي هو الاحتراق بالنار .والمعنى: أدخلوه في الجحيم، وأذيقوه حرّها، واجعلوه يقاسي ألم الاحتراق .وقد يقال: صلاه النار إذا أحرقته .وهو عكس)صلى (التي قد تأتي بمعنى صار في النار، ولكن هنا الفعل متعد) صلوه (أي أدخلوه وأحرقوه .وفي هذا إشارة إلى أن العذاب فعل متعمد يفعله بهم خزنة النار.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: فعل) صلوه (يفيد الإحراق المتعمد، وهذا يخلق شعوراً بالرعب من شدة الألم.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب النار هو أشد أنواع العذاب.
· تربوياً: نتعلم أن نبتعد عن كل ذنب قد يوصلنا إلى هذه النار.
· عملياً: نصوم يوم حار تذكيراً بحر جهنم، كما ورد في الحديث.

.4تقديم المفعول) الجحيم (على الفعل:

قال (الجحيم صلوه) وليس (صلوه الجحيم). هذا التقديم يفيد الاهتمام والحصر. فكأنه يقول: اجعلوا اهتمامكم منصرفاً إلى الجحيم، فهو أولى ما يفعل به. وهذا يدل على أن الجحيم هي المقصودة الأ ولى في العذاب، وهي دارهم ومستقرهم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التقديم يخلق شعوراً بأن الجحيم هي المصير والهدف، فتزداد الرهبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجحيم ليست وسيلة بل غاية للكافرين.
· تربوياً: نتعلم أن نقدم الأهم في كلامنا كما قدم الله الجحيم.
· عملياً: نجعل خشية النار مقدمة في قلوبنا.

.5ما بين) غُلُوه (و)صلوه(:

أولا ً قيدوه بالأغلال ليذل ويمنع من الحركة، ثم أدخلوه في الجحيم ليحترق. هذان العذابان متكام لان: إذلال جسدي ثم إيلام حراري. وهذا أشد مما لو كان أحدهما فقط.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تعدد أنواع العذاب يزيد الرهبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب الآخرة مركب من عدة آلام.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب المعاصي التي تجمع أنواعاً من العذاب.
· عملياً: نذكر أنفسنا بهذا المشهد كلما أردنا معصية.

ثالثاً: دلالة قوله {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}

.1دلالة) ثم (مرة أخرى:

)ثم (الثانية تفيد الترتيب مع التراخي أيضاً، أي بعد أن أحرقوه في الجحيم – ولفترة من الزمن – يؤمرون بإدخاله في السلسلة .وهذه مرحلة ثالثة من العذاب، مما يدل على أن العذاب لا ينتهي، بل يتزايد.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تعدد) ثم (يعطي إحساساً بالتطويل والمتابعة، وأن العذاب ليس لحظة بل سلسلة متصلة.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب الآخرة مستمر لا ينقطع.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب المعاصي التي تؤدي إلى عذاب لا ينتهي.
· عملياً: نكثر من الاستغفار والتوبة لعله ينجينا من هذه المراحل.

.2دلالة) سلسلة(:

)سلسلة (هي حلقات من حديد تتصل ببعضها، تستخدم لتقييد الأسرى والمجرمين .وهي في النار من حديد النار التي هي أشد من حديد الدنيا .والسلسلة تدل على الشدة والاستمرار والإذلال .وقد تجعل في عنقه ثم يُسحب بها على الوجوه أو في النار.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) سلسلة (توحي بالحديد الثقيل البارد، وفي النار يكون حامياً، فيزداد الألم.
· عقلياً: العقل يدرك أن السلسلة تمنع الحركة وتزيد العذاب.
· تربوياً: نتعلم أن المعصية تقيد الإنسان في الدنيا قبل الآخرة.
· عملياً: نحرر أنفسنا من قيود الذنوب بالتوبة.

.3دلالة) ذرعها سبعون ذراعاً(:

)ذرعها (طولها ومقدارها) .سبعون ذراعاً (طول عظيم جداً، والذراع يتراوح بين نصف متر إلى أكثر قليلا ً، فيكون طول السلسلة حوالي35 - 42متراً .هذا الطول الهائل يوحي بأمور:

· ضخامة السلسلة: ليست سلسلة صغيرة، بل هائلة الطول، مما يعني أنها ثقيلة وعظيمة.
· امتداد العذاب: السلسلة الطويلة تربط الكافر وقد تسحب بها في مسافات طويلة.
· شدة الإذلال: سلسلة بهذا الطول تجر على الأرض، وفي النار تكون أشد.
· العدد سبعون: في القرآن له دلالات على الكثرة والتضعيف .وسبعون ذراعاً تختلف عن سبعين ذراعاً بذراع الآخرة التي هي أطول من ذراع الدنيا.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الرقم 70 يوحي بالكثرة والضخامة، فتتصور النفس سلسلة هائلة تزيد الرهبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب الآخرة أكبر من كل تصور.
· تربوياً: نتعلم أن لا نستهين بأي ذنب، فالجزاء قد يكون بهذه الضخامة.
· عملياً: كلما فكرنا في معصية، نتخيل هذه السلسلة الطويلة.

.4دلالة) فاسلكوه(:

)فاسلكوه (من السلك، وهو إدخال الشيء في شيء آخر .والسلك هو الخيط الذي يدخل في الإبرة .و المعنى: أدخلوه في هذه السلسلة، أو أدخلوا السلسلة فيه فتخترق جسده، أو اجعلوه مسلوكاً فيها أي مدخولا ً .وقد ورد في التفاسير أن السلسلة تدخل في جسده من فمه وتخرج من دبره، أو تربط به .وهذا من أشد أنواع العذاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: فعل) اسلكوه (يوحي بإيلام شديد، كإدخال إبرة أو خيط، ولكن مع سلسلة ثقيلة.
· عقلياً: العقل يتصور ألماً لا يمكن تصوره.
· تربوياً: نتعلم أن العذاب قد يكون داخلياً وخارجياً معاً.
· عملياً: نبتعد عن كل ذنب قد يسبب مثل هذا العذاب.

.5التكامل بين المراحل الثلاث:

المرحلة الأولى: تغليله (تقييد يديه إلى عنقه) – إذلال وحرمان من الحركة.
المرحلة الثانية: إدخاله إلى الجحيم (صلوه) – إحراق.
المرحلة الثالثة: إدخاله في سلسلة طويلة (اسلكوه) – عذاب إضافي بالإدخال والجر.

هذا التدرج يدل على أن العذاب في جهنم متعدد ومتنوع، لا يقتصر على نوع واحد.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تعدد المراحل يخلق شعوراً بأن العذاب لا نهاية له.
· عقلياً: العقل يدرك أن جهنم دار عذاب مركب.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب الذنوب بأنواعها، فالعذاب متعدد الأنواع.
· عملياً: نجتهد في الطاعات التي تنجي من هذه المراحل كلها.

.6ما بين هذه الآية وآيات نعيم المؤمنين:

المؤمنون في جنة عالية، يأكلون ويشربون هنيئاً، وهم في عيشة راضية. والكافر في أغلال وسلاسل وجحيم. المؤمن يتحرك بحرية في الجنة، والكافر مقيد مغلول. المؤمن يأكل ويشرب، والكافر يأكل من شجرة الزقوم ويشرب من حميم. هذه المقابلة تظهر عاقبة الإيمان وعاقبة الكفر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق رغبة قوية في اختيار طريق المؤمنين.
· عقلياً: العقل يدرك أن الاختيار واضح، وكل إنسان مسؤول عن اختياره.
· تربوياً: نتعلم أن نعلم أبناءنا الفرق بين الجنة والنار.
· عملياً: نعرض على أنفسنا هذين المشهدين يومياً، ونختار أيهما نريد.

الأمر الثاني: التصوير البياني للآيات وأغراضه

ترسم هذه الآيات مشهداً واحداً مرعباً في ثلاث لوحات متسلسلة:

اللوحة الأولى: الأسر والتقييد (خذوه فغلوه)

الكاميرا تركز على الكافر الذي كان يصرخ ويتمنى الموت. فجأة، تظهر مجموعة من الملائكة الغلاظ الشداد – الزبانية – يقتربون منه بسرعة. وجوههم عبوسة، أيديهم قوية. يُمسكون به من كتفيه بقوة. ثم يأتي أحدهم بقطعة من الحديد – الغل – يضعه في عنقه، ثم يضم يديه إلى عنقه ويوثقها. يصدر صوت الحديد وهو يصفق على جسده. الكافر يحاول المقاومة لكنه لا يستطيع. عيناه مذعورتان ، وجهه متغير. لقد أصبح أسيراً بعد أن كان طليقاً في الدنيا.

اللوحة الثانية: الإدخال إلى الجحيم (ثم الجحيم صلوه)

الكاميرا تنتقل إلى مشهد آخر. بعد أن تم تقييده، يُسحب إلى مكان آخر. نرى أمامه ناراً عظيمة تتوقد ، لهبها يتصاعد إلى السماء. هذه هي الجحيم. الملائكة تدفعه دفعاً عنيفاً إلى داخل النار. أول ما يلمس النار، يصيح صرخة موجعة. لكن لا أحد ينقذه. النار تحرق جلده، ويسمع صوت الشواء. الكاميرا تصور وجهه وهو يتألم، لكنه لا يموت، بل يبقى ليزداد عذاباً.

اللوحة الثالثة: الإدخال في السلسلة (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)

الكاميرا تنتقل إلى مشهد ثالث. بعد أن أمضى فترة في الجحيم، تأتي مرحلة جديدة. يُخرج من النار مؤقتاً (أو لا يخرج) ويؤتى بسلسلة ضخمة جداً، طولها يزيد عن 35 متراً، حلقاتها كبيرة وثقيلة. الملا ئكة تفتح فم الكافر وتدخل السلسلة فيه، أو تلفها حول جسده وتسحبها. الكاميرا تصور التفاصيل المروعة: السلسلة تخترق جسده، والألم لا يوصف. ثم يُسحب بهذه السلسلة على وجهه في النار، أو تترك معلقاً بها.

الكاميرا تبتعد ليصبح الكافر نقطة صغيرة في بحر من النار، والسلسلة الطويلة تمتد خلفه، والنار تحيط به من كل جانب. هذا مشهد لا يطاق.

أغراض هذا التصوير:

.1تصوير شدة العذاب: ليشعر القارئ بشاعة هذا المصير فيتجنبه.

.2إظهار التدرج في العذاب: لإيصال أن العذاب يزداد ولا يخف.
.3إظهار إذلال الكافر: بالتقييد والأسر، فهو كان متكبراً في الدنيا.
.4الترهيب من المعصية: ليدفع المؤمن إلى الطاعة والابتعاد عن الذنوب.
.5مقابلة مشهد الجنة: ليكتمل المشهد وتتضح الصورة بين الفريقين.

ثالثاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (خذوه) تذكير بأن الله قادر ومقتدر

الله يأمر الملائكة بأخذ الكافر، فلا أحد يستطيع أن يمنع. الاستفادة: لا تعص الله ظناً أن أحداً يحميك، فالله قادر على أخذك في أي لحظة.

الخاطرة الثانية: (فغلوه) تذكير بأن الذنوب تقيد صاحبها

في الدنيا، الذنوب تقيد القلب وتمنعه من الطاعة. في الآخرة، تقيد الجسد بالأغلال. الاستفادة: حرر نفسك من قيود الذنوب بالتوبة والاستغفار.

الخاطرة الثالثة: (الجحيم) تذكير بشدة نار الآخرة

نار الدنيا سبعون جزءاً من نار جهنم. فكيف بنار جهنم نفسها؟ الاستفادة: استشعر حرارة النار عند المعصية، وقل: هل تستحق هذه النار؟

الخاطرة الرابعة: (صلوه) تذكير بأن العذاب مستمر

لم يقل (أحرقوه) ثم انتهى، بل صيغة الفعل تدل على الاستمرار. الاستفادة: لا تظن أن العذاب لحظة، بل هو دائم.

الخاطرة الخامسة: (سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً) تذكير بضخامة العذاب

طول السلسلة سبعون ذراعاً، وهذا طول هائل. الاستفادة: لا تستهن بأي ذنب، فقد يكون سبباً لمثل هذا العذاب.

الخاطرة السادسة: (فاسلكوه) تذكير بأن العذاب داخلي وخارجي

السلسلة تدخل في جسده، فهي عذاب من الداخل، والنار من الخارج. الاستفادة: طهر جوارحك من الذنوب، فلا تدخل عليك السلاسل من فمك أو يديك.

الخاطرة السابعة: التدرج في العذاب تذكير بأن عذاب الآخرة لا يشبه عذاب الدنيا

في الدنيا، يعذب الإنسان مرة واحدة. في الآخرة، يُعذب بأنواع متعددة متتالية. الاستفادة: اشكر الله على عافيته في الدنيا، واسأله النجاة في الآخرة.

الخاطرة الثامنة: أمر الله للملائكة تذكير بأن لله جنوداً

الملائكة ينفذون أمر الله بلا تردد. الاستفادة: كن أنت أيضاً جندياً من جنود الله بطاعته.

رابعاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية عذاب الكافرين في الآخرة بالأغلال والسلاسل.
.2قضية وجود خزنة النار) الزبانية (المنفذين لعذاب الله.
.3قضية التدرج في العذاب لبيان شدته واستمراره.
.4قضية أن الكافر يُعامل معاملة المجرم الهارب فيُقيد.
.5قضية أن جهنم دار العذاب الحقيقي.

.6قضية المقابلة بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين.
.7قضية نفوذ أمر الله وقدرته.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك في موقف الكافر – والعياذ بالله – وتسأل: هل أعمالي تقربني من هذا المصير؟ ثم تشعر بالخوف وتعمل على تجنب أسباب هذا العذاب.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: قل في بداية كل يوم: "اللهم إني أعوذ بك من أن أكون ممن يقال لهم خذوه فغلوه".
· في عباداتك: في سجودك، أكثر من الدعاء: "اللهم أجرني من النار"، وابك خوفاً من هذا العذاب.
· في معاملاتك: تذكر أن الغش والظلم والكذب تؤدي إلى هذا المصير، فاجتنبها.
· في تربيتك: حذّر أبناءك من المعاصي وارو لهم قصة أصحاب النار.
· في دعوتك: ذكر الناس بهذه الآيات لتكون رادعاً لهم عن المعاصي.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى الحرية: الحرية الحقيقية ليست في فعل ما نريد، بل في طاعة الله .فمن عصى الله في الدنيا أسير شهواته، وفي الآخرة أسير بالأغلال.
.2تغيير النظرة إلى العذاب: عذاب الدنيا مهما كان شديداً فهو زائل، وعذاب الآخرة دائم ومتدرج.
.3تغيير النظرة إلى الذنوب: الذنب ليس مجرد خطأ، بل هو سبب لأن تكون مقيداً بالأغلال يوم القيامة.
.4تغيير النظرة إلى الملائكة: الملائكة ليسوا فقط رسل رحمة، بل منهم من هم رسل عذاب ينفذون أمر الله.
.5تغيير النظرة إلى نار الدنيا: نار الدنيا ذكرى صغيرة ونموذج مصغر لنار الآخرة، فلا نستهين بها.
.6تغيير النظرة إلى الطاعة: الطاعة في الدنيا هي فكاك من الأغلال في الآخرة.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الكافر يُقاد بالأغلال إلى النار. التطبيق: أطلق يديك في طاعة الله، ولا تقيدهما بـ المعصية.

الدرس الثاني: العذاب يتدرج (غل – جحيم – سلسلة). التطبيق: لا تظن أن العذاب دفعة واحدة، بل يزداد كلما طال الوقت.

الدرس الثالث: الجحيم اسم يدل على شدة الحرارة. التطبيق: اتقِ نار الدنيا ولو بشق تمرة، فكيف بنار الآخرة؟

الدرس الرابع: السلسلة طولها سبعون ذراعاً. التطبيق: لا تستصغر الذنب، فجزاؤه قد يكون عظيماً.

الدرس الخامس: الأمر (خذوه، غلوه، صلوه، اسلكوه) بصيغة المباشر. التطبيق: أطع الله في الدنيا لئلا تسمع هذه الأوامر في الآخرة.

الدرس السادس: الملائكة ينفذون أمر الله بلا تردد. التطبيق: كن أنت أيضاً سريع الطاعة لله.

الدرس السابع: لا فدية ولا خلاص للكافر. التطبيق: استغل فرصة التوبة في الدنيا قبل أن تفوت.

خامساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة فهم دلالة الأغلال والسلاسل في القرآن للعذاب والإذلال.

· مهارة تحليل التدرج في العذاب باستخدام) ثم.(
· مهارة استنتاج شدة العذاب من خلال طول السلسلة) سبعون ذراعاً.(
· مهارة الربط بين آيات العذاب وآيات النعيم للمقابلة.

المهارات الحياتية

· مهارة الابتعاد عن الذنوب التي تؤدي إلى العذاب.
· مهارة ضبط النفس عن المعاصي عند الغضب أو الشهوة.
· مهارة الاستعاذة بالله من النار في كل وقت.
· مهارة التوبة والمبادرة إليها.

المهارات العملية

· مهارة إصلاح النفس بتذكر النار.
· مهارة استشعار عذاب الآخرة ليزيد التقوى.
· مهارة تعليم الأطفال الخوف من النار بطريقة تربوية.
· مهارة الدعاء بخشوع: "اللّهم أجرني من النار".

سادساً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1لا تظن أنك ستنجو من النار بمالك أو جاهك، فالكافر الغني يعْلّ كما يعْلّ الفقير.
.2تذكر هذه الآيات كلما هممت بمعصية، وتخيل نفسك في الأغلال والسلاسل.
.3استشعر عظمة الله وقدرته، فهو من يأمر الملائكة بتعذيب من يعصيه.
.4أكثر من الاستغفار والتوبة، لعلهما يمحوان الذنوب التي توجب هذا العذاب.
.5علم أبناءك أن النار حق، وأن المعاصي تؤدي إليها، مع الحرص على عدم إدخال الرعب المرضي.
.6كن سريع الطاعة كالملائكة الذين لا يتأخرون عن أمر الله.
.7تذكر أن الدنيا فرصة، فمن فاته العمل فيها ندم حيث لا ينفع الندم.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الوعي الديني: تذكر هذا المشهد يزيد الإيمان والتقوى.
· تطوير ضبط النفس: الخوف من الأغلال والسلاسل يمنع من التمادي في المعصية.
· تطوير الصبر على الطاعة: لأن الطاعة تمنع هذا العذاب، فيصبر عليها.
· تطوير الخشية: خشية الله تمنع من الكبر والطغيان.
· تطوير التواضع: من يعلم أنه قد يكون مقيداً بالأغلال لا يتكبر.

سابعاً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن عذاب الآخرة حقيقي وملموس، وليس مجرد ألم نفسي.
.2أن الكافر يُعامل معاملة المجرم الخطر، فيُقيد بالأغلال قبل أن يُلقى في النار.
.3أن العذاب في جهنم متعدد المراحل: تقييد، إحراق، تسليك في سلاسل.
.4أن السلسلة طولها سبعون ذراعاً، مما يدل على ضخامة العذاب.
.5أن خزنة النار) الزبانية (ينفذون أوامر الله بلا تردد.
.6أن الكافر في الآخرة لا يملك حيلة ولا يجد شفيعاً ولا فادياً.
.7أن الندم في الآخرة لا ينفع، والعذاب يبدأ بعد الندم.
.8أن من كان في الدنيا طليقاً في المعصية، يكون في الآخرة مقيداً بالأغلال.
.9أن الجحيم هي النار الملتهبة الشديدة الحرارة.
.10أن المقابلة بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين تظهر عدل الله وحكمته.

ثامناً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد العقدي: إثبات وجود النار وعذابها، وإثبات وجود خزنة النار.
.2البعد النفسي: غرس الخوف والرهبة في النفوس ليكون دافعاً للطاعة.
.3البعد الاجتماعي: بيان أن المال والجاه لا يمنعان العذاب، فيزول التفاخر بهما.
.4البعد البياني: استخدام أفعال الأمر المتتالية والترتيب ب-)ثم (لتصوير التدرج.
.5البعد التربوي: تربية النفس على التقوى بالخوف من النار.
.6البعد الوعظي: تحذير الناس من عاقبة الكفر والمعصية.

الآفاق:

.1أفق التقوى الدائمة: الخوف من النار يبقيه في طاعة الله.
.2أفق التفكر في الآخرة: يجعله يعيش للآخرة لا للدنيا فقط.
.3أفق التوبة: يدفعه إلى ترك الذنوب خوفاً من هذا المصير.
.4أفق التواضع: يمنعه من الكبر والطغيان.
.5أفق الاستعداد للموت: لا يغفل عن الموت والبعث.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة الخوف من الله: الخوف الذي يمنع من المعصية.
.2قيمة الطاعة: الالتزام بأمر الله.
.3قيمة التواضع: عدم التكبر والاستعلاء.
.4قيمة التوبة: المبادرة إلى الرجوع إلى الله.
.5قيمة الاستعداد للآخرة: العمل لها قبل الموت.
.6قيمة الزهد في الدنيا: عدم الاغترار بها.
.7قيمة الدعاء: سؤال الله النجاة من النار.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (خذوه): في حياتنا العملية، نتعامل مع أوامر الله كما تتعامل الملائكة مع أمر الله: بسرعة وبدون تردد.

مفهوم (فغلوه): في حياتنا العملية، نحرر أنفسنا من قيود الذنوب بالتوبة، لئلا نقع في الأغلال الحقيقية يوم القيامة.

مفهوم (الجحيم): في حياتنا العملية، نذكر أنفسنا بحر جهنم عند فتح الفرن أو رؤية النار، ونقول: "رب قني عذابك".

مفهوم (صلوه): في حياتنا العملية، نتجنب الأمور التي تؤدي إلى النار، ونصبر على الحر في طاعة الله (كالصوم) تذكيراً بنار الآخرة.

مفهوم (سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً): في حياتنا العملية، ندرك أن جزاء الذنب قد يكون عظيماً، فلا نستصغر أي معصية.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف الإيجابي(: الخوف الذي يدفع إلى العمل والطاعة، لا الخوف المرضي الذي يشل

الحركة.
.2مفهوم) التذكر البصري(: تخيل مشاهد العذاب يساعد على ضبط النفس.
.3مفهوم) الرهبة من السلطة العليا(: استشعار قدرة الله وعظمته يزرع الخشية.
.4مفهوم) النفور من العذاب(: طبيعة الإنسان تنفر من الألم، فيتجنب أسبابه.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) العدالة الجزائية(: من عصى الله يستحق العذاب.
.2مفهوم) تعدد أنواع العذاب(: العقاب في الآخرة مركب من آلام متعددة.
.3مفهوم) عدم جدوى المال والجاه(: كل ما يفتخر به الكفار لا ينفعهم.
.4مفهوم) نفوذ الأمر الإلهي(: أوامر الله نافذة لا ترد.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالترهيب(: استخدام الخوف من النار لردع الأطفال عن المعاصي) بأسلوب مناسب.(
.2مفهوم) التربية بالصورة(: تخيل مشاهد العذاب لترسيخ المعاني.
.3مفهوم) التربية بالعواقب(: ربط الذنب بعقابه البعيد.
.4مفهوم) التربية على الطاعة(: لأن الطاعة هي النجاة.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الخشية: تربية النفس على خشية الله حتى في الخلوات.
.2بناء ضبط النفس: التحكم في الشهوات والغضب خوفاً من النار.
.3بناء التواضع: لأن المتكبر سيُذل بالأغلال.
.4بناء التوبة المستمرة: لكل ذنب توبة، لئلا يتراكم.
.5بناء الاستعداد الدائم: كمن يرى النار أمامه.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الخوف من الله: المجتمع الخاشع لله مجتمع فاضل.
.2تنمية ثقافة ضبط النفس: يقل فيه الفساد والجريمة.
.3تنمية ثقافة التواضع: يقل فيه الكبر والصراع.
.4تنمية ثقافة المسؤولية: كل يخاف عقاب الله فيتحمل مسؤولية أفعاله.
.5تنمية ثقافة التوبة: مجتمع يتوب فيه الناس من ذنوبهم يتطور أخلاقياً.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· الخوف من الله: في السر والعلن.
· الطاعة المستمرة: تبتعد عن الذنوب خوفاً من الأغلال والسلاسل.
· التواضع: لا تتكبر على أحد.
· التوبة السريعة: إذا أخطأت بادرت بالتوبة.
· الاستعداد للآخرة: تعيش للآخرة لا للدنيا.
· خشية النار: تذكرها في كل عمل.

صناعة التطور والنهضة:

· أولا ً: مجتمع يخاف الله يقل فيه الفساد والجريمة والظلم، وهذا أساس النهضة.
· ثانياً: مجتمع يتوب من ذنوبه يتطهر ويستحق نصر الله.
· ثالثاً: مجتمع متواضع متعاون ينهض بسرعة.
· رابعاً: مجتمع يستعد للآخرة يعمل لدنياه دون طغيان.
· خامساً: مجتمع يخشى النار لا يظلم ولا يغش، فيزدهر اقتصادياً واجتماعياً.

تاسعاً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى الطاعة السريعة لأمر الله، كما أطاعت الملائكة أمره.
.2تدعونا إلى الابتعاد عن الذنوب التي تؤدي إلى الأغلال والسلاسل.
.3تدعونا إلى تذكر النار والجحيم في كل معصية نهم بها.
.4تدعونا إلى التواضع وترك الكبر، فالمتكبر سيُذل بالأغلال.
.5تدعونا إلى التوبة والمبادرة إليها لئلا نكون من هؤلاء.
.6تدعونا إلى الإكثار من الاستعاذة من النار والدعاء بالنجاة منها.
.7تدعونا إلى التفكر في عظمة الله وقدرته.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة (خذوه)

التدبر: تخيل أن ملكاً من الملائكة الغلاظ يأتيك ويقول: "خذوه". لا مفر، ولا منجى.

الأسئلة العملية:

· هل أنا مستعد لمن يُقال فيه "خذوه"؟
· ما هي الأعمال التي تجعل الإنسان يُسلم إلى العذاب؟
· كيف أتجنب هذا المصير؟

التطبيق: قل كل يوم: "اللهم لا تسلمني إلى عذابك".

الوقفة الثانية: وقفة (فغلوه)

التدبر: تخيل أنك مُقيد بالحديد، لا تستطيع تحريك يديك ولا رجليك. تشعر بالذل والخزي.

الأسئلة العملية:

· هل استخدمت يدي في معصية الله؟
· هل أنا أسير لشهواتي في الدنيا؟
· كيف أحرر نفسي من قيود الذنوب؟

التطبيق: اكتب ذنباً استخدمت فيه يدك، وتوب منه، واستخدم يدك اليوم في عمل خير.

الوقفة الثالثة: وقفة (الجحيم صلوه)

التدبر: تخيل أنك تُدفع إلى نار عظيمة، لهبها يصل إلى السماء، فور أن تلمسها تحترق.

الأسئلة العملية:

· كيف أستعد لئلا أدخل هذه النار؟
· ماذا أفعل لأنجو من الجحيم؟

التطبيق: أكثر من الدعاء: "اللهم أجرني من النار" 7 مرات كل صباح ومساء.

الوقفة الرابعة: وقفة (سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً)

التدبر: تخيل سلسلة هائلة طولها 35 متراً، تربط بها وتُسحب على وجهك في النار.

الأسئلة العملية:

· هل أستصغر الذنوب؟
· ماذا لو كان هذا جزاء ذنب صغير في نظري؟

التطبيق: لا تحتقر أي ذنب، وتب منه فوراً.

الوقفة الخامسة: وقفة (فاسلكوه)

التدبر: تخيل أن السلسلة تدخل في جسدك وتخرج من الطرف الآخر. هذا ألم لا يمكن تخيله.

الأسئلة العملية:

· هل أستطيع تحمل هذا الألم ولو لثانية؟
· كيف أتجنب أن أصل إلى هذا؟

التطبيق: أكثر من الاستغفار والتوبة، لعلهما يمحوان الذنوب التي تؤدي إلى هذا.

الوقفة السادسة: وقفة (المقارنة بين الجنة والنار)

التدبر: تخيل نفسك في الجنة: تأكل وتشرب وتنعم. ثم تخيل نفسك في النار: تقيد وتسحب وتحرق. اختر.

الأسئلة العملية:

· أي الطريقين اخترت اليوم؟
· هل أعمالي تقربني من الجنة أم من النار؟

التطبيق: كل ليلة، قيم أعمال اليوم، وقل: هل هذه الأعمال من أهل الجنة أم من أهل النار؟

رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بعد أن صور لنا ندم الكافرين وتحسرهم، يأمر الملائكة بتنفيذ العذاب الفعلي عليهم. فيؤمرون: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}، فيُقيد بالأغلال إهانة وإذلالا ً. ثم {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ}، فيُحرق في نار الجحيم الملتهبة. ثم {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}، فيُدخل في سلسلة ضخمة في جسده أو يربط بها ليزداد عذاباً.

وتعلمنا أن هذه الآيات تصور التدرج في العذاب، وأن عذاب الآخرة أشد من كل تصور. وتعلمنا أن الكافر يُعامل معاملة المجرم الهارب، فيُقيد ويُذل. وتعلمنا أن الجحيم هي النار الشديدة الاشتعال، وأن السلاسل والأغلال حقيقية وليست رمزية.

وتعلمنا أن هذه الآيات تدعونا إلى الطاعة السريعة، والتوبة المبكرة، والخوف من الله، والابتعاد عن المعاصي التي تؤدي إلى هذا المصير، وعدم الاغترار بالمال والجاه والسلطان.

نسأل الله أن يجيرنا من النار، وأن يبعدنا عن كل ذنب يقربنا منها، وأن يجعلنا من أهل اليمين الذين في عيشة راضية في جنة عالية، لا من أهل الشمال الذين يُقال لهم {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}.
المبحث الثالث
تفسير تفصيلي للآيات الكريمة33) - (37من سورة الحاقة

}إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ{
أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة30) - (32صورت لنا المشهد الأول من مشاهد عذاب الكافر: الأمر الإلهي للملائكة بأخذه وتغليله، ثم إصلائه الجحيم، ثم إدخاله في سلسلة طولها سبعون ذراعاً .كان ذلك كله في سياق تنفيذ العذاب العملي.

ثم تأتي هذه الآيات33) - (37لتبين لنا سبب هذا العذاب، ولتذكرنا بأعمال الكافر التي أوصلته إلى هذا المصير .فبعد أن رأينا العذاب، نسأل: لماذا؟ فتأتي الإجابة: لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين .ثم يستمر وصف حاله في الآخرة: ليس له حميم يشفع له، ولا طعام إلا من غسلين، وهو طعام لا يأكله إلا الخاطئون.

وهذا التسلسل منطقي جداً في السياق القرآني: أولا ً يُعذب الكافر، ثم يُذكر بسبب عذابه ليكون عبرة للمؤمنين، ولتتضح العلاقة بين الجريمة والعقوبة .كما أن فيه تذكيراً بأن عذاب الآخرة ليس ظلماً ، بل هو نتيجة طبيعية لأعمال الكافر في الدنيا.

والربط أيضاً مع بداية السورة التي تحدثت عن هلاك الأمم المكذبة: ثمود وعاد وفرعون، ثم تحدثت عن نجاة المؤمنين في سفينة نوح، ثم عن أهوال القيامة، ثم عن العرض والحساب، ثم عن جزاء المؤمنين بالجنة، ثم عن جزاء الكافرين بالندم والعذاب الفعلي، والآن تأتي هذه الآيات لتعلن سبب عذابهم: الكفر بالله وعدم الحض على طعام المسكين.

وهذه الآيات تمثل:

· الآية33 : سبب العذاب الأول والأعظم: الكفر بالله.
· الآية34 : سبب العذاب الثاني: منع الخير عن المساكين وعدم الحض على إطعامهم.
· الآية35 : نتيجة ذلك: لا شفيع له يوم القيامة.
· الآيتان36 -37: نتيجة أخرى: طعامه من غسلين، وهو طعام الخاطئين.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الخمس في فكرة مركزية هي: بيان أسباب عذاب الكافر في الآخرة، ووصف ما ينتظره من حرمان من الشفاعة وطعام خبيث .وتتفرع إلى خمس مراحل:

الفكرة الأولى: سبب العذاب الأول – الكفر بالله} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ{

·) إنه (أي الكافر الذي أوتي كتابه بشماله.
·) كان لا يؤمن بالله العظيم (أي كان في الدنيا جاحداً لوجود الله أو وحدانيته أو ربوبيته أو ألوهيته.

الفكرة الثانية: سبب العذاب الثاني – منع الخير عن المساكين} وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ{

·) لا يحض (لا يحث نفسه ولا غيره.
·) على طعام المسكين (على إطعام المسكين وإعطائه حقه.

الفكرة الثالثة: نتيجة ذلك – لا شفيع له} فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{

·) فليس له (نتيجة لعدم إيمانه وعدم حضه على طعام المسكين.
·) اليوم (يوم القيامة.
·) هاهنا (في هذا الموقف العظيم.
·) حميم (قريب أو صديق أو شفيع.

الفكرة الرابعة: طعامه الخبيث} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ{

·) لا طعام (أي ليس له طعام في النار.
·) إلا من غسلين (إلا من صديد أهل النار، وهو ما يخرج من جروحهم.

الفكرة الخامسة: من يأكل هذا الطعام} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ{

·) لا يأكله (هذا الطعام.
·) إلا الخاطئون (أي الكفار المذنبون، فهم الذين يستحقون هذا الجزاء.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن سبب عذاب الكافر الأساسي هو كفره بالله العظيم .فهذا هو الذنب الأصل الذي يستوجب الخلود في النار.

المغزى الثاني: أن من صفات الكافر أنه لا يحض على إطعام المسكين، أي أنه بخيل لا يقدم خيراً ولا يحث غيره على الخير .فالكفر يتبعه قسوة القلب وعدم الرحمة بالفقراء.

المغزى الثالث: أن الكافر يوم القيامة لا يجد له حميماً، أي قريباً أو صديقاً يشفع له أو يؤنسه أو ينفعه .لأن كل علائقه التي كانت في الدنيا قد انقطعت.

المغزى الرابع: أن طعام الكافر في النار هو) الغسلين(، وهو صديد أهل النار وما يسيل من لحومهم وجلودهم .وهذا أفظع أنواع الطعام، وهو جزاء لمن كان يمنع طعام المسكين في الدنيا.

المغزى الخامس: أن) الخاطئين (هم الذين يأكلون هذا الطعام، والخاطئ هو الكافر والمذنب العاصي . فهم يستحقون هذا الجزاء لأنهم أخطأوا في الدنيا.

المغزى السادس: الآيات تربط بين الإيمان بالله والرحمة بالخلق .فمن آمن بالله حقاً يحض على طعام المسكين .ومن كفر بالله جحد حق الله وحق عباده.

المغزى السابع: المقابلة بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين تكتمل: المؤمنون يأكلون ويشربون هنيئاً في الجنة، والكافرون طعامهم من غسلين ولا شفيع لهم.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن الإيمان بالله هو أساس النجاة، وأن الكفر هو سبب الهلاك.

الهدف العقدي الثاني: بيان أن من صفات المؤمنين الحض على إطعام المسكين، وأن الكافرين يبخلون بذلك.

الهدف العقدي الثالث: إثبات أن الكافر يوم القيامة لا ينفعه قريب ولا صديق، بل ينقطع كل نسب وكل وصلة.

الهدف العقدي الرابع: إثبات أن النار فيها أنواع من العذاب، منها عذاب الطعام) الغسلين.(

النفسي: غرس حب الإيمان بالله في النفوس، وتحذير من الكفر .وزرع الرحمة بالفقراء والمساكين، لأ نها من ثمرات الإيمان .وخلق الخوف من أن يكون المرء من الخاطئين الذين يأكلون الغسلين.

البياني: استخدام أسلوب السببية) كان لا يؤمن ...فلا يحض (...لربط الذنب بالعقاب .واستخدام الحصر)لا طعام إلا من غسلين (لبيان قبح الطعام .واستخدام الاستثناء) لا يأكله إلا الخاطئون (لبيان أن هذا الطعام مخصص لأهل النار.

التربوي: تربية النفس على الإيمان بالله، وعلى الحض على إطعام المسكين، وعلى الرحمة بالفقراء، و الخوف من عاقبة البخل والكفر.

الدعوي: دعوة الناس إلى الإيمان بالله والإنفاق على المساكين، وتحذيرهم من عاقبة الكفر والبخل.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ{

.1دلالة) إنه(:

)إنه (ضمير الشأن والقصص، يعود على الكافر الذي أوتي كتابه بشماله، والذي أُمر بأخذه وتغليله وإص لائه الجحيم .وهذا الضمير يخلق رابطاً مباشراً بين العذاب السابق وسببه الحالي، فيقول: هذا الذي عذبتموه بهذه الطريقة، إنه كان في الدنيا كافراً.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الربط المباشر بين العذاب وسببه يخلق شعوراً بالعدالة، فلا يشعر القارئ بأن العذاب ظلم.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكفر هو الذنب الأعظم، وهو الذي يستوجب العذاب الأبدي.
· تربوياً: نتعلم أن كل عذاب له سبب، وأن نبحث عن أسباب العذاب لنتجنبها.
· عملياً: نحرص على الإيمان بالله، فهو الرادع الأساسي عن كل شر.

.2دلالة) كان لا يؤمن(:

)كان (هنا للدلالة على الاستمرارية في الماضي، أي أن عدم الإيمان كان صفة ملازمة له في الدنيا، لم يكن مؤمناً ثم ارتد، بل كان مستمراً على الكفر .و)لا يؤمن (فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار، أي أنه كان في حالة دائمة من عدم الإيمان .وهذا يبين أن الكفر كان طابع حياته.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: وصف الكفر بالاستمرارية يخلق شعوراً بأن الكافر اختار هذا الطريق بإرادته، فيستحق العقاب.
· عقلياً: العقل يدرك أن من يعيش عمره كله كافراً لا يمكن أن يعذر بجهل أو غفلة.
· تربوياً: نتعلم أن نثبت على الإيمان، وألا نكون ممن يتردد بين الإيمان والكفر.
· عملياً: نجدد إيماننا كل يوم، ونشكر الله على ثباته.

.3دلالة) بالله العظيم(:

)بالله (أي بوجوده ووحدانيته وربوبيته وألوهيته، وبكل ما يجب لله من صفات الكمال) .العظيم (صفة من صفات الله، وهي تدل على عظمته في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .وذكر صفة) العظيم (هنا له غرضان: الأول، التهويل من أمر الكفر، لأن من كفر بالله العظيم فقد كفر بأعظم موجود .و الثاني، التنبيه إلى أن كفرهم كان بالله العظيم الذي لا يخفى عليه شيء، وهو القادر على عقابهم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: وصف الله بـ)العظيم (يزيد من رهبة الكفر، فكيف يكفر الإنسان برب عظيم؟
· عقلياً: العقل يدرك أن الكفر بالله العظيم هو أشد أنواع الظلم والجهل.
· تربوياً: نتعلم أن نعظم الله في قلوبنا، فهذا التعظيم يمنعنا من الكفر والمعصية.
· عملياً: نكثر من قول "الله أكبر" و"سبحان الله العظيم" لنستحضر عظمة الله.

.4لماذا بدأ بذكر الكفر بالله؟

لأن الكفر هو أصل كل الذنوب .فمن لم يؤمن بالله، لم يرهبه شيء، ولم يمنعه شيء من المعاصي . وكل الذنوب الأخرى) كعدم الحض على طعام المسكين (هي فروع عن هذا الكفر .فالكافر لا يخاف الله، فلا يخاف من ظلم المسكين .ولهذا بدأ بذكر الكفر ثم تبعه بذكر منع الخير عن المسكين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأن الإيمان هو الأساس، وأن الكفر هو جذر كل شر.
· عقلياً: العقل يدرك أن من آمن بالله وعظمه، لا يمكن أن يبخل على مسكين.
· تربوياً: نتعلم أن نغرس الإيمان أولا ً، ثم نغرس الأخلاق والرحمة.
· عملياً: نبدأ في تربية أبنائنا بتعريفهم بالله وصفاته العظيمة.
ثانياً: دلالة قوله} وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ{

.1دلالة) لا يحض(:

)يحض (من الحض، وهو الحث والتحريض على الأمر .والمعنى: أنه كان لا يحث نفسه على إطعام المسكين، ولا يحث غيره على ذلك .وهذا أبلغ من قوله "لا يطعم"، لأنه يدل على أنه لم يفعل الخير بنفسه، ولم يشجع غيره على فعله .وهو أشد ذماً .و)لا (نافية، تدل على أنه كان خالياً من هذه الصفة الحميدة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر) لا يحض (بدلا ً من) لا يطعم (يخلق شعوراً بأن الكافر بخيل في نفسه ومع الناس، فهو لم يفعل خيراً ولا شجع عليه.
· عقلياً: العقل يدرك أن من لا يحض على طعام المسكين فهو لئيم النفس، قاسي القلب.
· تربوياً: نتعلم أن نكون ممن يحضون أنفسهم وغيرهم على الخير، وليس فقط أن نفعل الخير.
· عملياً: نشجع أصدقاءنا وعائلتنا على الصدقة وإطعام المساكين، ونكون قدوة لهم.

.2دلالة) على طعام المسكين(:

)طعام المسكين (أي إعطاؤه الطعام أو إطعامه .والمسكين هو الفقير الذي لا يجد قوته .وتخصيص)طعام المسكين (بالذكر يدل على أن من أبرز علامات الإيمان هو الاهتمام بحاجة الفقراء .والمسكين يحتاج إلى الطعام، وهو من أساسيات الحياة .فمن منع هذا الحق أو لم يحض عليه، فقد أخل بأهم واجب اجتماعي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر المسكين يثير مشاعر الرحمة، فيتولد في النفس رغبة في مساعدته.
· عقلياً: العقل يدرك أن المجتمع الذي لا يحض أفراده على إطعام المسكين هو مجتمع مريض.
· تربوياً: نتعلم أن نربي في أنفسنا وأبناءنا حب المسكين والرحمة به.
· عملياً: نخصص جزءاً من ماله لإطعام المساكين، وندعو الآخرين إلى ذلك.

.3العلاقة بين الآية 33 والآية34 :

الآية 33 ذكرت الكفر بالله) الجانب العمودي: العلاقة مع الخالق(، والآية 34 ذكرت عدم الحض على طعام المسكين) الجانب الأفقي: العلاقة مع الخلق .(والإيمان الصحيح يجمع بينهما .فمن آمن بالله حقاً أحب خلقه ورحمهم .ومن كفر بالله قسا قلبه عن رحمة خلقه .وهاتان الصفتان متلازمتان.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الكفر والقسوة متلازمان، والإيمان والرحمة متلازمان.
· عقلياً: العقل يدرك أن الدين الحق هو الذي يربط بين حق الله وحق عباده.
· تربوياً: نتعلم ألا ننفصل في عبادتنا عن التعامل مع الناس.
· عملياً: نصلح علاقتنا مع الله، ونصلح علاقتنا مع الناس، ولا نغفل أحدهما.

.4دلالة تقديم الكفر على عدم الحض على طعام المسكين:

الكفر هو السبب الأعمق، وعدم الحض على طعام المسكين هو نتيجة .فالكافر لا يخاف الله، فيسول له نفسه أن يبخل على المسكين .ولهذا قدم الكفر في الذكر لأنه الأصل .وفي هذا دلالة على أن الأ عمال الصالحة لا تنفع بدون إيمان، وأن الإيمان هو الذي يدفع إلى الرحمة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأن الإيمان هو الدافع الحقيقي للخير.
· عقلياً: العقل يدرك أن الأعمال بدون إيمان لا قيمة لها.
· تربوياً: نتعلم أن نغرس الإيمان أولا ً، ثم نغرس الأخلاق.
· عملياً: عندما نربي أبناءنا، نبدأ بتعليمهم حب الله ثم حب الخلق.

.5مقابلة هذه الآية مع آيات المؤمنين:

المؤمنون في الآيات السابقة كانوا يأكلون ويشربون هنيئاً في الجنة، وكانوا في عيشة راضية .والكافر هنا لا يحض على طعام المسكين في الدنيا، فجازاه الله في الآخرة بأن طعامه من غسلين .المؤمنون كانوا يتصدقون ويطعمون المسكين، فجازاهم الله بنعيم الجنة .وهذا من عدل الله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يشعر الإنسان بأهمية الصدقة وإطعام المسكين، فهي سبب لدخول الجنة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجزاء من جنس العمل: من أطعم أطعم، ومن منع منع.
· تربوياً: نتعلم أن نعلم أبناءنا أن الصدقة تمنع عذاب النار.
· عملياً: نتصدق كل يوم ولو بقليل، ونشعر بأنها استثمار في الآخرة.
ثالثاً: دلالة قوله} فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ{

.1دلالة) فليس له(:

الفاء هنا للتفريع والسببية، أي نتيجة لعدم إيمانه وعدم حضه على طعام المسكين، فإنه لا يجد له حميماً اليوم .وهذا يبين أن انقطاع الشفاعة والأصدقاء هو نتيجة طبيعية لأعماله .فمن قطع رحمه في الدنيا وترك المسكين، قطع الله عنه كل حبل وصلة في الآخرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الشعور بالوحدة والعزلة في الآخرة هو أشد عذاباً أحياناً من العذاب الجسدي.
· عقلياً: العقل يدرك أن العلاقات الدنيوية تنقطع يوم القيامة، ولا يبقى إلا العمل الصالح.
· تربوياً: نتعلم ألا نعتمد على الأصدقاء والأقارب في الآخرة، فهناك لا ينفع إلا الإيمان والعمل.
· عملياً: نسب ونقطع الأرحام؟ بل نصلها لله، ونتذكر أننا سنحاسب.

.2دلالة) اليوم(:

)اليوم (أي يوم القيامة، ذلك اليوم العظيم الذي ينقطع فيه كل نسب وكل سبب إلا ما كان من الإ يمان والتقوى .وهو يوم الحسرة والندم على من ضيعوا حق الله وحق عباده .وتخصيص اليوم بالذكر يدل على أن هذا اليوم يختلف عن كل الأيام، فهو يوم الجزاء لا يوم العمل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) اليوم (تخلق شعوراً بالحتمية، فاليوم قد حان ولا مفر منه.
· عقلياً: العقل يدرك أن اليوم الآخر هو يوم الفصل والحساب.
· تربوياً: نتعلم أن نستعد لهذا اليوم قبل أن يأتي.
· عملياً: كل يوم نعيشه نتعامل معه كأنه يوم العرض.

.3دلالة) هاهنا(:

)هاهنا (أي في هذا الموقف العظيم، في هذا المكان المهول) أرض المحشر(، أو في النار .وهي كلمة تشير إلى الحضور والمكان، وتفيد أن عدم الحميم خاص بهذا المكان، فلا أحد يشفع له ولا أحد ينفعه .وهو يقف وحيداً لا أنيس له ولا قريب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً:) هاهنا (توحي بالوحدة والعزلة في مكان مخيف، مما يزيد الرهبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الموقف هناك لا ينفع فيه مال ولا بنون.
· تربوياً: نتعلم ألا نغتر بكثرة الأصدقاء والأقارب، فكلهم لا ينفعون إلا بالعمل الصالح.
· عملياً: نصاحب الصالحين الذين ينفعوننا في الآخرة، ونتجنب أصدقاء السوء.

.4دلالة) حميم(:

)حميم (هو القريب الشفيق، وقد يكون الصديق الحميم، وقد يكون القريب بالقرابة .و)الحميم (في اللغة مشتق من الحرارة، أي الذي يحمى غضباً لمن يحب، أو الذي يحميه .وفي الآخرة، لا يوجد للكافر قريب ولا صديق ولا شفيع .قال تعالى:} يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) {عبس:34 - .(36فكل الأقارب يتبرؤون منه، وكل الأصدقاء يتخلون عنه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: عدم وجود الحميم في أشد لحظات الحاجة يزرع شعوراً باليأس والحسرة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الآخرة دار عدل، فمن قطع رحمه في الدنيا قطع عنه حميمه في الآخرة.

· تربوياً: نتعلم أن نصل الأرحام وأن نتحاب في الله، لعل حبنا في الله يشفع لنا.
· عملياً: نتواصل مع أقاربنا وندعو لهم، ونصاحب الأخيار.

.5مقابلة) حميم (المؤمنين:

المؤمنون في الآخرة يلتقون بأهلهم وأحبابهم في الجنة، وهم مسرورون .المؤمنون لهم شفيعهم محمد صلى الله عليه وسلم .أما الكافر فلا حميم له ولا شفيع .هذا التضاد يبين فضل الإيمان.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الشعور بالنعمة على المؤمن الذي له أهل وأصدقاء في الجنة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الإيمان يجمع الناس في الدنيا والآخرة.
· تربوياً: نتعلم أن نختار أصدقاءنا من المؤمنين.
· عملياً: نحرص على صحبة الصالحين، فهم حميمونا في الآخرة بإذن الله.

رابعاً: دلالة قوله} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ{

.1دلالة) لا طعام(:

النفي هنا يحتمل معنيين: الأول: أنه لا طعام له أصلا ً، إلا ما يسمى طعاماً وهو في الحقيقة ليس طعاماً، أو أنه لا طعام له ينتفع به إلا هذا الشيء الحقير .والثاني: أنه لا طعام له في النار إلا من غسلين، فكل ما يأكله فهو من غسلين .والمعنى: ليس له طعام من جنس أطعمة الدنيا اللذيذة، بل طعامه هو صديد أهل النار.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: نفي الطعام الحسن يخلق شعوراً بالفقر المدقع، فلا شيء يلذ له.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكافر في الدنيا كان يأكل أطيب الطعام، فجازاه الله بأسوأ الطعام.
· تربوياً: نتعلم أن نطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، لئلا نمنع فيمنع منا.
· عملياً: نتصدق بأطيب ما نملك، لا برديء الطعام.

.2دلالة) إلا من غسلين(:

)غسلين (في اللغة: هو ما يغسل من الأوساخ والأبدان .وقيل: هو صديد أهل النار، وهو السائل الذي يسيل من جلودهم ولحومهم من شدة الحرارة .وقيل: هو شجرة في النار، أو هو طعام أهل النار . وهو أفظع وأقذر طعام يمكن تصوره .و)من غسلين (أي من هذا الشيء الخبيث، وليس من طعام نافع .والاستثناء هنا محصور، فلا طعام له سوى هذا القذر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر) غسلين (يثير الاشمئزاز والنفرة، فكيف يأكل الإنسان صديد غيره؟
· عقلياً: العقل يدرك أن هذا الجزاء مناسب لمن منع طعام المسكين، فجوزي بأن طعامه من غسلين.
· تربوياً: نتعلم أن ننظف أموالنا من الحرام، ونطعم المساكين من طيب الطعام.
· عملياً: عندما نأكل طعاماً لذيذاً، نتذكر أن الكفار يأكلون الغسلين، ونشكر الله.

.3معنى) غسلين (في التفاسير:

قيل: هو صديد أهل النار، وهو الذي يسيل من لحومهم وجلودهم .وقيل: هو شجرة ذات شوك ومرارة في النار .وقيل: هو ما يغسل من الأبدان من الأوساخ والدماء والصديد .وكلها معاني تدل على الخبث والقذارة والألم .وهذا أقصى ما يمكن أن يكون من العذاب الغذائي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يجعل الإنسان يشعر بالامتنان على أي طعام في الدنيا، حتى لو كان بسيطاً.

· عقلياً: العقل يدرك أن نار الآخرة ليست ناراً عادية، بل فيها أطعمة وعذابات خاصة.
· تربوياً: نتعلم أن نمنع أنفسنا من الحرام في الدنيا، لئلا نأكل الغسلين في الآخرة.
· عملياً: نأكل الحلال ونشكر الله، ونبتعد عن أكل الحرام مهما كان شهياً.

.4مقابلة) طعام الجنة (و)غسلين(:

في الآيات السابقة، المؤمنون يأكلون ويشربون هنيئاً في الجنة، ويقال لهم) كلوا واشربوا .(والكافرون طعامهم من غسلين .المؤمنون يأكلون من ثمار الجنة الدانية، والكافرون يأكلون من الصديد والخبائث . المؤمنون يشربون من أنهار الجنة من ماء وخمر ولبن وعسل، والكافرون يشربون من حميم وغسلين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق رغبة قوية في أن يكون الإنسان من آكلي طعام الجنة لا من آكلي الغسلين.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجزاء من جنس العمل: من أطعم أطعم من الجنة، ومن منع منع.
· تربوياً: نتعلم أن نطعم الطعام في الدنيا ليكون لنا في الآخرة طعاماً شهياً.
· عملياً: نبحث عن المسكين وندعوه إلى الطعام، أو نتصدق عليه بالطعام.

خامساً: دلالة قوله} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطِئُونَ{

.1دلالة) لا يأكله إلا(:

هذا أسلوب حصر وقصر، يفيد أن هذا الطعام) الغسلين (مخصص لهؤلاء فقط .وليس المقصود أنه لا يأكله غيرهم بالحقيقة، بل المقصود أن هذا الطعام هو جزاء الخاطئين فقط، وأن الخاطئين هم الذين يستحقونه .وفيه إشارة إلى أن هذا الطعام كافٍ لعذابهم، وليس هناك طعام آخر لهم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الحصر يخلق شعوراً بأن أهل النار مميزون بهذا العذاب.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله جعل لكل فريق طعاماً يناسبه: المؤمنون طعامهم الجنة، والكافرون طعامهم الغسلين.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب صفات الخاطئين لئلا نأكل طعامهم.
· عملياً: نبتعد عن الذنوب، ونكثر من الاستغفار لئلا نكون من الخاطئين.

.2دلالة) الخَاطِئُونَ(:

)الخاطئون (جمع خاطئ، وهو المذنب العاصي .والخاطئ في القرآن قد يطلق على الكافر خاصة، وقد يطلق على العاصي عموماً .والمعنى هنا: الكفار المذنبون الذين أخطأوا في الدنيا بترك الإيمان وارتكاب المعاصي .فهم الذين يأكلون هذا الطعام الخبيث .وفيه إشارة إلى أن الذنب يورث هذا الجزاء، وأن من أخطأ في الدنيا جوزي بهذا الطعام في الآخرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) الخاطئون (تثير الخوف، فمن منا لا يخطئ؟ لكن الخاطئ هنا هو المصر على الكفر و المعصية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله يغفر الذنوب لمن تاب، والخاطئون هنا هم الذين لم يتوبوا.
· تربوياً: نتعلم أن نسرع بالتوبة من الخطايا، لئلا نكون من الخاطئين الذين يأكلون الغسلين.
· عملياً: كل يوم نستغفر الله ونتوب إليه، لعل الله يمحو خطايانا.

.3العلاقة بين) الخاطئون (و)طعام الغسلين(:

هناك تناسب بين الذنب والعقوبة: فهم أخطأوا في حق أنفسهم وفي حق المساكين، فجوزوا بطعام من الغسلين .والخطيئة في اللغة: هي الإثم والذنب .فهم خاطئون في حق الله) بكفرهم (وفي حق عباده)بمنعهم الطعام(، فجازاهم الله بطعام هو من أسوأ الطعام .وهذا من تمام العدل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالعدالة الإلهية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الجزاء من جنس العمل.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب الخطايا بكل أنواعها.
· عملياً: نكثر من الاستغفار والتوبة.

.4مقابلة) الخاطئون (و)المؤمنون(:

المؤمنون يقرأون كتابهم بيمينهم ويفرحون، والكافرون الخاطئون يقرءون كتابهم بشمالهم ويحزنون . المؤمنون في عيشة راضية، والكافرون الخاطئون في عذاب أليم .المؤمنون يأكلون طيب الطعام في الجنة، والكافرون الخاطئون يأكلون الغسلين في النار.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق رغبة في أن نكون من المؤمنين لا من الخاطئين.
· عقلياً: العقل يدرك أن الفرق بين الفريقين هو الإيمان والعمل الصالح.
· تربوياً: نتعلم أن نختار طريق المؤمنين.
· عملياً: نجعل شعارنا:) اللّهم اجعلنا من المؤمنين لا من الخاطئين.(
الأمر الثاني: التصوير البياني للآيات وأغراضه

ترسم هذه الآيات مشهداً متكاملا ً من خمس لوحات:

اللوحة الأولى: الكفر بالله العظيم) الآية(33

الكاميرا تركز على الكافر في الدنيا .نراه يعيش حياته غافلا ً لا يذكر الله، لا يصلي، لا يشكر، لا يخاف .يمشي متكبراً، يظن أنه سيخلد في الدنيا .الكاميرا تظهر وجهه: لا نور فيه، لا إيمان .ثم نسمع صوتاً يصفه:) إنه كان لا يؤمن بالله العظيم .(الكاميرا تظهر عظمة الله في السماء: كرسي، عرش، ملكوت .ثم تعود للكافر وترى ضآلته أمام هذه العظمة، لكنه لا يرى.

اللوحة الثانية: البخل على المسكين) الآية(34

الكاميرا تنتقل إلى مشهد آخر في الدنيا .نرى مسكيناً يقف عند باب الكافر، يطلب لقمة طعام .الكافر ينظر إليه بازدراء، يغلق بابه، أو يطرده .لا يعطيه شيئاً، ولا يحث أحداً على إطعامه .الكاميرا تظهر جوع المسكين ودموعه .ثم نرى الكافر يأكل وحده أطيب الطعام، ولا يلتفت إلى غيره .ثم نسمع صوتاً:) ولا يحض على طعام المسكين.(

اللوحة الثالثة: لا حميم في الآخرة) الآية(35

الكاميرا تنتقل إلى يوم القيامة .الكافر في أرض المحشر، ينظر حوله يبحث عن قريب أو صديق .يرى أقاربه وأصدقاءه لكنهم يتبرأون منه .كل منهم مشغول بنفسه .الكاميرا تقترب من وجهه: حزين، خائف ، وحيد .ثم نسمع صوتاً يقول:) فليس له اليوم هاهنا حميم.(

اللوحة الرابعة: طعام من غسلين) الآية(36

الكاميرا تنتقل إلى مشهد في جهنم .نرى ناراً تتوقد، وفي وسطها الكافر يعذب .ثم يُقدم له طعام . نرى وعاءً فيه سائل أسود غليظ يخرج منه رائحة كريهة .هذا هو الغسلين .الكاميرا تقترب: إنه صديد يخرج من أجساد أهل النار .الكافر ينظر إليه باشمئزاز، لكنه مجبر على أكله .نسمع صوتاً:) ولا طعام إلا من غسلين.(

اللوحة الخامسة: الخاطئون يأكلونه) الآية(37

الكاميرا تصور مشهداً عاماً في جهنم .مجموعة من الخاطئين يجلسون وهم يأكلون من الغسلين . وجوههم متعبة، عيونهم خائفة، وهم يأكلون هذا الطعام المرعب .ثم نسمع صوتاً يقول:) لا يأكله إلا الخاطئون .(الكاميرا تبتعد لترى أن هذا الطعام مخصص لهم وحدهم.

الكاميرا ثم تقارن مع مشهد المؤمنين في الجنة وهم يأكلون ويشربون هنيئاً .هذا التباين يبين عدل الله ورحمته بالمؤمنين وعذابه للكافرين.

أغراض هذا التصوير:

.1ربط الذنب بالعقاب: توضيح أن الكفر والبخل هما سبب العذاب.
.2تصوير فظاعة طعام النار: غسلين – صديد – لإثارة الاشمئزاز والخوف.
.3تصوير وحدة الكافر: لا حميم له، وهو وحيد.
.4غرس الخوف من النار: بإظهار بشاعة الطعام.
.5ترغيب المؤمنين في الإيمان والصدقة: لأنها طريق النجاة.

ثالثاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى:) كان لا يؤمن بالله العظيم (تذكير بأن الكفر هو جذر كل شر

إذا انقطع الوصل بالله، انقطع الوصل بالخلق .الكافر لا يخاف الله، فلا يرحم المسكين .الاستفادة: ابدأ بإصلاح علاقتك مع الله، تصلح علاقتك مع الناس.

الخاطرة الثانية:) لا يحض على طعام المسكين (تذكير بأن الإيمان الحقيقي يظهر في الرحمة

من آمن بالله حقاً لا يستطيع أن يشبع وهو يرى جائعاً .الاستفادة: تفقد جيرانك وأقاربك، هل هناك من يحتاج طعاماً؟

الخاطرة الثالثة:) فليس له اليوم هاهنا حميم (تذكير بأن الوحدة في الآخرة أشد من العذاب

يجد الكافر نفسه وحيداً لا قريب ولا صديق .الاستفادة: احرص على صحبة الأخيار، فهم حميموك في الآخرة.

الخاطرة الرابعة:) ولا طعام إلا من غسلين (تذكير بأن الجزاء من جنس العمل

منع طعام المسكين في الدنيا، فمنع عنه طعام الجنة وأعطي طعام النار .الاستفادة: لا تبخل على محتاج، فما تبذله يعود لك في الآخرة.

الخاطرة الخامسة:) لا يأكله إلا الخاطئون (تذكير بأن للذنوب عواقب وخيمة

الخاطئون هم من يستحقون هذا الطعام .الاستفادة: تب من ذنوبك، وتجنب الخطايا، لئلا تكون منهم.

الخاطرة السادسة: المقابلة بين المؤمن والكافر تذكير باختيار الطريق

المؤمن: إيمان، صدقة، جنة، طعام شهي .الكافر: كفر، بخل، نار، غسلين .الاستفادة: اختر طريق المؤمنين.

الخاطرة السابعة: صفة) العظيم (تذكير بعظمة الله

كيف يكفر الإنسان برب عظيم؟ الاستفادة: عظّم الله في قلبك، وأكثر من ذكره.

رابعاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية أن الكفر هو سبب العذاب الأكبر في الآخرة.
.2قضية أن الإيمان يتبعه الحض على إطعام المسكين.
.3قضية أن منع الخير عن الفقراء هو من صفات الكفار.

.4قضية أن الكافر يوم القيامة لا يجد له حميماً) قريباً أو شفيعاً.(
.5قضية أن طعام الكافر في النار هو الغسلين) صديد أهل النار.(
.6قضية أن الخاطئين هم الذين يأكلون هذا الطعام.
.7قضية أن الجزاء من جنس العمل) منع الطعام في الدنيا، وغسلين في الآخرة.(

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآية وتتخيل نفسك في موقف الكافر، ثم تقارن بأعمالك: هل أنت مصدق بهذا؟ هل تحض على طعام المسكين؟ ثم تعمل على تصحيح مسارك.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: في كل صباح، احتسب نيتك لإطعام مسكين أو المساهمة في إطعام الفقراء.
· في عباداتك: في صلاتك، تذكر أن الله هو العظيم، وأن من عظمته أنه يراك ويرى ما تقدم.
· في معاملاتك: لا تبخل على من يحتاج، ولا تطرد سائلا ً.
· في تربيتك: علم أبناءك أن الإيمان بالله يوجب الرحمة بالفقراء.
· في دعوتك: ذكر الناس بهذه الآيات، وقل لهم: الإيمان والصدقة ينجيان من النار.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى الإيمان: الإيمان ليس مجرد كلام، بل هو دافع للعمل والرحمة.
.2تغيير النظرة إلى المسكين: المسكين ليس عبئاً، بل هو فرصة لنا لنكسب الأجر وننجو من النار.
.3تغيير النظرة إلى المال: المال وسيلة للوصول إلى الجنة بالإنفاق، لا للتفاخر والمنع.
.4تغيير النظرة إلى العلاقات: العلاقات الدنيوية لن تنفع في الآخرة إذا لم تكن لله.
.5تغيير النظرة إلى الطعام: كل ما نأكله في الدنيا هو نعمة تستوجب الشكر، وقد يكون مانعاً عن عذاب النار إذا تصدقنا به.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الإيمان بالله هو أساس النجاة .التطبيق: جدد إيمانك كل يوم بتذكر الله وطاعته.

الدرس الثاني: من صفات المؤمنين الحض على إطعام المسكين .التطبيق: ابحث عن مسكين وأطعمه، أو تبرع لجمعية تطعم الفقراء.

الدرس الثالث: الكافر لا حميم له في الآخرة .التطبيق: صل رحمك وأحبب في الله، ليكونوا معك في الآخرة.

الدرس الرابع: طعام الكافر في النار هو الغسلين .التطبيق: اتق النار ولو بشق تمرة، واشكر الله على كل لقمة حلال.

الدرس الخامس: الخاطئون هم من يأكلون الغسلين .التطبيق: أكثر من الاستغفار والتوبة لئلا تكون من الخاطئين.

الدرس السادس: الجزاء من جنس العمل .التطبيق: ما تقدمه من خير ستعود إليك، وما تمنعه من خير ستحرم منه.

الدرس السابع: عظمة الله تستوجب الإيمان به .التطبيق: اقرأ أسماء الله وصفاته، وعظمه في قلبك.

خامساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة فهم علاقة السببية بين الكفر والعذاب.
· مهارة التمييز بين صفات المؤمنين) الحض على طعام المسكين (وصفات الكافرين.

· مهارة معرفة أن الجزاء من جنس العمل.
· مهارة فهم دلالة) الخاطئون (في القرآن.

المهارات الحياتية

· مهارة التعاطف مع المسكين والفقير.
· مهارة البذل والعطاء.
· مهارة الحض على الخير) تشجيع الآخرين على الصدقة.(
· مهارة التوبة من الخطايا.

المهارات العملية

· مهارة البحث عن المحتاجين حولك.
· مهارة توزيع الصدقات بأمانة.
· مهارة تربية الأبناء على إطعام المسكين.
· مهارة إقامة موائد طعام للفقراء.

سادساً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1لا تكن ممن لا يؤمن بالله، فالإيمان هو الفاصل بين الجنة والنار.
.2احضض نفسك وغيرك على إطعام المسكين، فهذا من علامات الإيمان.
.3لا تظن أن مالك أو جاهك سينفعك يوم القيامة، بل ينفعك عملك.
.4تذكر أن من يمنع طعام المسكين في الدنيا، يمنع منه طعام الجنة ويُطعم الغسلين.
.5اشكر الله على كل لقمة تأكلها، وتذكر أن غيرك قد لا يجدها.
.6أكثر من الاستغفار، وتجنب الذنوب، لئلا تكون من الخاطئين.
.7عظم الله في قلبك، فهو العظيم الذي لا يخفى عليه شيء.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الأخلاق: الإيمان بالله يورث الرحمة، والرحمة تطور المجتمع.
· تطوير التكافل الاجتماعي: الحض على طعام المسكين يخلق مجتمعاً متعاوناً.
· تطوير الوعي الديني: معرفة أن الكفر يؤدي إلى هذا المصير يزيد من التمسك بالإيمان.
· تطوير ثقافة التوبة: يقلل من الإصرار على الذنوب.
· تطوير ثقافة الشكر: شكر النعم يزيدها.

سابعاً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الكفر بالله العظيم هو الذنب الأكبر الموجب للنار.
.2أن الإيمان الصادق لا يمكن أن يصاحبه بخلا ً على المسكين.
.3أن من صفات الكافر: عدم الحض على طعام المسكين، أي لا يفعل ولا يحث غيره.
.4أن الكافر يوم القيامة لا يجد شفيعاً ولا قريباً ولا حميماً.
.5أن طعام الكافر في النار هو الغسلين، وهو صديد أهل النار.
.6أن هذا الطعام لا يأكله إلا الخاطئون، أي المصرون على الكفر والمعصية.
.7أن الجزاء من جنس العمل: من منع طعام المسكين حرم طعام الجنة وطعم الغسلين.
.8أن المؤمنين في الآخرة يأكلون ويشربون هنيئاً، والكافرون يأكلون الغسلين.
.9أن الله هو العظيم، ومن عظمته أنه لا يظلم مثقال ذرة.
.10أن التوبة والإنفاق من أسباب النجاة من هذا المصير.

ثامناً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

.1البعد العقدي: إثبات أن الكفر هو سبب العذاب، وأن الإيمان سبب النجاة.
.2البعد الاجتماعي: ربط الإيمان بالرحمة بالفقراء، وذم الكفر بتركهم.
.3البعد الغذائي: بيان أن في الآخرة أطعمة، منها طيب ومنها خبيث.
.4البعد النفسي: خلق الخوف من الكفر والبخل، وخلق الرغبة في الإيمان والصدقة.
.5البعد البياني: استخدام أسلوب الحصر) لا طعام إلا من غسلين، لا يأكله إلا الخاطئون (للبيان و التعظيم.
.6البعد التربوي: تربية النفس على الإيمان والرحمة.

الآفاق:

.1أفق الإيمان والعمل: الإيمان لا ينفصل عن العمل الصالح، والصدقة من أهم الأعمال.
.2أفق التكافل الاجتماعي: مجتمع يؤمن بالله لا يترك مسكيناً بلا طعام.
.3أفق التوبة: مهما أخطأ الإنسان، فباب التوبة مفتوح.
.4أفق الشكر: نعمة الطعام في الدنيا تستوجب الشكر والمشاركة.
.5أفق الخوف من النار: يدفع إلى تجنب أسبابها.

الأمر الثاني: القيم من الآية

.1قيمة الإيمان: الإيمان بالله هو رأس المال.
.2قيمة الرحمة: الرحمة بالفقراء والمساكين.
.3قيمة البذل والعطاء: إطعام الطعام من أعظم القربات.
.4قيمة التكافل: المجتمع المسلم يتكافل أفراده.
.5قيمة الخوف من الله: يمنع من المعصية.
.6قيمة التوبة: الرجوع إلى الله.
.7قيمة الشكر: شكر النعم.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم) لا يؤمن بالله العظيم(: في حياتنا العملية، الإيمان بالله هو المرتكز الذي نبني عليه كل شيء .من فقد الإيمان فقد كل شيء.

مفهوم) لا يحض على طعام المسكين(: في حياتنا العملية، لا يكفي أن نطعم المسكين فقط، بل علينا أن نحض غيرنا على ذلك، ونشجعهم.

مفهوم) فليس له حميم(: في حياتنا العملية، نحرص على أن نكون من أهل الحميم يوم القيامة، بصلتنا للأرحام وحبنا في الله.

مفهوم) غسلين(: في حياتنا العملية، نتذكر هذا الطعام كلما أكلنا طعاماً شهياً، ونشكر الله، ونشارك الفقراء.

مفهوم) الخاطئون(: في حياتنا العملية، نحرص على تجنب الخطايا، ونكثر من الاستغفار، لئلا نكون منهم.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الإيمان كدافع للخير(: الإيمان يولد الرحمة والعطاء.
.2مفهوم) الخوف من العذاب(: يمنع من الكفر والبخل.
.3مفهوم) الشعور بالمسؤولية تجاه الفقراء(: يخلق مجتمعاً متماسكاً.

.4مفهوم) الندم المتأخر(: يصور في الكافر لكنه لا ينفع.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) سببية الجزاء(: الذنب له عقاب، والعمل له جزاء.
.2مفهوم) تلازم الإيمان والرحمة(: لا يمكن أن يكون مؤمناً حقيقياً من لا يرحم الفقراء.
.3مفهوم) عظمة الله(: الله عظيم، فيستحق الإيمان.
.4مفهوم) تفاوت الجزاء(: المؤمن له نعيم، والكافر له عذاب.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالإيمان(: غرس الإيمان أولاً.
.2مفهوم) التربية بالصدقة(: تعليم الأطفال إطعام المسكين.
.3مفهوم) التربية بالخوف والرجاء(: الخوف من النار والرجاء في الجنة.
.4مفهوم) التربية بالقدوة(: الوالد هو القدوة في الإيمان والإنفاق.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الإيمان الصادق: إيمان يظهر في الأخلاق والمعاملات.
.2بناء التكافل الاجتماعي: مجتمع يطعم جائعه.
.3بناء الخشية من الله: خوف يمنع من المعصية.
.4بناء ثقافة العطاء: البذل والإنفاق في سبيل الله.
.5بناء التوبة المستمرة: العودة إلى الله.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الإيمان: المجتمع المؤمن مجتمع متطور أخلاقياً.
.2تنمية ثقافة التكافل: لا فقر مدقع ولا جوع في مجتمع متكافل.
.3تنمية ثقافة الشكر: شكر النعم يزيدها.
.4تنمية ثقافة التوبة: الإقلاع عن الذنوب.
.5تنمية ثقافة العمل للآخرة: مع العمل للدنيا.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· الإيمان بالله العظيم: قلبها معلق بالله.
· الرحمة بالفقراء: لا تبخل على محتاج.
· الحض على الخير: تشجع غيرها على الصدقة.
· الخوف من النار: تبتعد عن الذنوب.
· الرجاء في الجنة: تعمل وتسعى.
· الشكر على النعم: تحمد الله على كل طعام.

صناعة التطور والنهضة:

· أولاً: مجتمع يؤمن بالله يعمل للآخرة، فيعمر دنياه.
· ثانياً: مجتمع يطعم مسكينه، لا يترك فقيراً بلا طعام، فيستقر ويزدهر.
· ثالثاً: مجتمع يخاف عذاب الله، يقل فيه الفساد والجريمة.
· رابعاً: مجتمع يحض على الخير، يكثر فيه التطوع والعمل الخيري، فتتطور البنية الاجتماعية.
· خامساً: مجتمع يشكر نعمة الطعام، يحافظ على النعمة ويوزعها، فيقل التبذير.

تاسعاً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى الإيمان بالله العظيم، فهو أساس النجاة.
.2تدعونا إلى الحض على طعام المسكين، بأنفسنا وبغيرنا.
.3تدعونا إلى التفكر في عاقبة الكفر والبخل، لنتجنبهما.
.4تدعونا إلى شكر الله على نعمة الطعام، ومشاركة الفقراء فيها.
.5تدعونا إلى تجنب الخطايا والذنوب، لئلا نكون من الخاطئين.
.6تدعونا إلى التوبة والمبادرة إليها.
.7تدعونا إلى تعظيم الله في قلوبنا.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة) لا يؤمن بالله العظيم(

التدبر: تخيل أن تعيش دون إيمان .لا هدف، لا أمل، لا حساب .ثم تموت وتفاجأ بأن كل شيء حقيقي .يا لخسارتك.

الأسئلة العملية:

· هل إيماني بالله عملي أم نظري فقط؟
· كيف أزيد إيماني اليوم؟

التطبيق: اقرأ أسماء الله الحسنى وتأمل معناها، وقل: "آمنت بالله العظيم".

الوقفة الثانية: وقفة) لا يحض على طعام المسكين(

التدبر: تخيل مسكيناً جائعاً يقف عند بابك، وتغمض عينيك عنه .ثم تتذكر أنك ستأكل الغسلين يوم القيامة.

الأسئلة العملية:

· كم مرة تجاهلت مسكيناً؟
· كيف أتصدق اليوم؟

التطبيق: ابحث اليوم عن مسكين وأطعمه، أو أرسل طعاماً لجمعية خيرية.

الوقفة الثالثة: وقفة) فليس له حميم(

التدبر: تخيل نفسك واقفاً وحيداً، ولا أحد يشفع لك، ولا صديق يؤنسك، ولا قريب ينجيك.

الأسئلة العملية:

· هل أتكل على أصدقائي وأقاربي في الآخرة؟
· كيف أؤنس وحدتي في الآخرة؟

التطبيق: احرص على صحبة الأخيار، وكن منهم، فهم حميموك يوم القيامة.

الوقفة الرابعة: وقفة) غسلين(

التدبر: تخيل أن طعامك القادم هو صديد يخرج من جروح الناس .تشم رائحته فتقذره، لكنك مجبر على أكله.

الأسئلة العملية:

· كيف أشكر الله على طعامي اليوم؟
· كيف أتصدق لأتجنب هذا المصير؟

التطبيق: قبل أن تأكل، قل: "الحمد لله الذي أطعمني وسقاني، ولم يجعلني من آكلي الغسلين".

الوقفة الخامسة: وقفة) الخاطئون(

التدبر: تخيل أنك من الخاطئين .كل ذنب عملته يظهر الآن كطعام خبيث.

الأسئلة العملية:

· هل أستصغر الذنوب؟
· كيف أتوب اليوم؟

التطبيق: تب من كل ذنب، وأكثر من الاستغفار .قل: "أستغفر الله العظيم من كل ذنب".

الوقفة السادسة: وقفة) مقارنة بين طعام الجنة وطعام النار(

التدبر: تخيل على اليمين مشهداً: أنهار من عسل ولبن، وفواكه شهية، وأكل هنيء .وعلى اليسار: غسلين وصديد .اختر أيهما تريد.

الأسئلة العملية:

· أي الطعامين أختار؟
· ماذا سأفعل اليوم لاختيار طعام الجنة؟

التطبيق: اجعل نيتك أن كل عمل صالح تفعله هو شراء لطعام الجنة.

رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بعد أن صور عذاب الكافر بالأغلال والسلاسل والجحيم، يبين لنا أسباب هذا العذاب:} إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ .{ثم يبين النتائج:} فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ.{

وتعلمنا أن الإيمان بالله العظيم هو الأساس، وأنه يتبعه الحض على طعام المسكين .وتعلمنا أن الكافر لا حميم له يوم القيامة، وأن طعامه من غسلين، وهو طعام الخاطئين .وتعلمنا أن الجزاء من جنس العمل: فمن منع طعام المسكين حرم طعام الجنة وأطعم الغسلين.

القسم الثالث

المبحث الأول

تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (38-43) من سورة الحاقة

}فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{

أولاً: المقدمة التمهيدية

1.ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (30-37) صورت لنا المشهد الكامل لعذاب الكافر: ابتداءً من أمر الله لأهل النار بأخذه وتغليله، ثم إصلائه الجحيم، ثم إدخاله في سلسلة طولها سبعون ذراعاً. ثم بينت أسباب هذا العذاب: كفره بالله العظيم، وعدم حضه على طعام المسكين. ثم وصفت حاله في الآخرة: ليس له حميم يشفع له، ولا طعام له إلا من غسلين، وهو طعام لا يأكله إلا الخاطئون.

ثم تأتي هذه الآيات (38-43) لتحول الخطاب من الحديث عن الكافرين وعذابهم إلى تأكيد حقيقة هذا القرآن الذي تتلى عليهم هذه القصص والأخبار. وكأن الله يقول: هذا الذي أخبرتكم به عن أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وعن الجنة والنار، هو حق لا مرية فيه. وهو ليس من قول البشر، بل هو

تنزيل من رب العالمين.

وهذا الانتقال في غاية البلاغة: بعد أن هول الله أمر القيامة وعرض مشاهدها المرعبة والجميلة، وبعد أن بين عاقبة المؤمنين والكافرين، جاء دور القسم والتأكيد على أن هذا الكلام ليس من صنع محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو وحي من الله. والسبب في هذا الانتقال هو أن المشركين كانوا يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون، فجاءت هذه الآيات لترد عليهم بأقوى الأ قسام وأبلغ البراهين.

والربط أيضاً مع بداية السورة التي افتتحت بـ {الحَاقَّة} ثم ذكرت هلاك الأمم المكذبة، ثم تحدثت عن أهوال القيامة، ثم عن الجزاء. والآن بعد أن اكتملت صورة اليوم الآخر، يأتي القسم على صدق هذا القرآن، ليكون خاتمة منطقية: الدليل على أن كل ما سبق هو الحق، هو أن هذا القرآن تنزيل من رب العالمين.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الست في فكرة مركزية هي: القسم الإلهي على أن القرآن كلام الله وليس من قول شاعر أو كاهن، وأنه تنزيل من رب العالمين. وتتفرع إلى عدة مراحل:

الفكرة الأولى: القسم بالمشاهدات والمغيبات {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ}

· فلا أقسم (حرف) لا (هنا زائدة للتأكيد، أو نافية بمعنى: لست بحاجة إلى القسم، أو على حد قول بعض المفسرين: هي) لأقسم (بكسر اللام لكنها كتبت) فلا (لفظاً).
· بما تبصرون (بكل ما ترونه وتشاهدونه في هذا الكون من مخلوقات.
· وما لا تبصرون (بكل ما غاب عنكم من عوالم لا ترونها) كالملائكة، والجنة، والنار، والعرش، وغيرها.(

الفكرة الثانية: القرآن كلام رسول كريم {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}

· إنه (أي هذا القرآن، أو هذا الخبر.
· لقول رسول كريم (أي كلام نزل به جبريل عليه السلام، أو كلام محمد عليه الصلاة والسلام، وهو رسول كريم.

الفكرة الثالثة: ليس بقول شاعر {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ}

· نفي أن يكون القرآن من قول شاعر.
· قليلا ً ما تؤمنون (توبيخ للمشركين على قلة إيمانهم.

الفكرة الرابعة: وليس بقول كاهن {وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}

· نفي أن يكون القرآن من قول كاهن.
· قليلا ً ما تذكرون (توبيخ لهم على قلة تذكرهم واعتبارهم.

الفكرة الخامسة: القرآن تنزيل من رب العالمين {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}

· إثبات أن هذا القرآن منزل من الله رب العالمين.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن الله يقسم بجميع مخلوقاته (ما نراه وما لا نراه) ليؤكد حقيقة أن القرآن كلامه، وهذا من تمام تعظيم شأن القرآن.

المغزى الثاني: القرآن كريم في ذاته، نزل به رسول كريم (جبريل)، وتلقاه رسول كريم (محمد)، وهو ك لام رب كريم. فالكرامة تطبع القرآن من جميع جوانبه.

المغزى الثالث: نفي صفتي الشعر والكهانة عن القرآن، لأن الشعر والكهانة من أقوال البشر المخلوقة، و القرآن كلام الخالق العظيم.

المغزى الرابع: توبيخ المشركين على قلة إيمانهم وتذكرهم، فلو كانوا يؤمنون إيماناً صادقاً أو يتذكرون تذكراً نافعاً لعرفوا أن هذا الكلام ليس بشعر ولا كهانة.

المغزى الخامس: إثبات أن القرآن منزل من رب العالمين، أي هو وحي إلهي ليس فيه شك.

المغزى السادس: القسم بالمخلوقات كلها (الظاهرة والباطنة) يدل على عظمة الخالق، وأن من قدر على خلق هذه المخلوقات قادر على إنزال القرآن.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن القرآن وحي من الله، ليس من قول بشر.

الهدف العقدي الثاني: الرد على المشركين الذين اتهموا النبي بالشعر والكهانة.

الهدف العقدي الثالث: إثبات أن جبريل رسول كريم، وأن محمداً رسول كريم.

الهدف النفسي: تثبيت قلوب المؤمنين بأن ما يتلوه القرآن هو الحق، وزرع اليقين في نفوسهم. وتوبيخ المشركين على عنادهم وكفرهم.

الهدف البياني: استخدام أسلوب القسم العظيم (بما تبصرون وما لا تبصرون) لتحقيق الفائدة والتأكيد. واستخدام النفي (ما هو بقول شاعر ولا كاهن) ثم الإثبات (تنزيل من رب العالمين) في سياق واحد. وتكرار (قليلا ً ما تؤمنون - قليلا ً ما تذكرون) للتوبيخ.

الهدف التربوي: تعليم أن القرآن ليس شعراً ولا كهانة، بل هو كلام الله. وتأكيد أن الإيمان والتذكر هما مفتاح الهداية.

الهدف الدعوي: تحدي المشركين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، فهو ليس من صنع البشر.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ}

.1دلالة) فلا أقسم (- حرف القسم والتأكيد:

هذه الآية من مواضع القسم في القرآن. (فلا أقسم) فيها قراءتان مشهورتان: إحداهما (فلا أقسم) بزيادة ألف، والثانية (فلا أقسم) بحذف الألف. والمعنى على القراءة المشهورة أن (لا) زائدة للتأكيد، كقولهم "لا أقسم" أي أقسم. وقيل: هي نافية، والمعنى: لست بحاجة إلى القسم لأن الأمر واضح. والأ رجح أنها قسم مؤكد بزيادة (لا). والقسم هنا يدل على عظمة المقسم عليه وهو القرآن.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: القسم الإلهي يخلق شعوراً بالهيبة والتعظيم، فإذا أقسم الله بخلقه، دل ذلك على عظمة المقسم عليه.
· عقلياً: العقل يدرك أن القسم في كلام العرب يأتي للتأكيد، وأن الله أقسم ليؤكد صدق رسالته.
· تربوياً: نتعلم أن نعظم القرآن، فهو الذي أقسم الله به.
· عملياً: كلما قرأنا القرآن، نستشعر أنه كلام الله الذي أقسم على صدقه.

.2دلالة) بما تبصرون(:

)ما (اسم موصول بمعنى) الذي) .(تبصرون (أي ترون وتشاهدون بأعينكم .والباء للقسم .والمقسم به هو كل ما يبصره الإنسان من مخلوقات الله: السماء، الأرض، الشمس، القمر، النجوم، الجبال، البحار، الحيوانات، النباتات، وغيرها .وهذا القسم بالمبصرات يدل على عظمة الخالق، وأن هذه المخلوقات شاهدة على صدق ما جاء به القرآن.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: توجيه النظر إلى المخلوقات المرئية يخلق شعوراً بالرهبة من عظمة الخالق.
· عقلياً: العقل يدرك أن من خلق هذه المخلوقات العظيمة قادر على إنزال قرآن عظيم.
· تربوياً: نتعلم أن ننظر إلى المخلوقات بتأمل وتفكر، فهي آيات الله.
· عملياً: كلما رأينا منظراً جميلا ً في الطبيعة، تذكرنا عظمة الله وصدق قرآنه.

.3دلالة) وما لا تبصرون(:

هذا قسم بما لا يراه البشر من عوالم الغيب: الملائكة، الجن، الجنة، النار، العرش، الكرسي، السموات التي لا نرى ما فيها، وغيرها. والله يقسم بجميع مخلوقاته (المرئية وغير المرئية) ليؤكد عظمة القرآن. وهذا القسم يجمع كل المخلوقات في القسم، مما يدل على أن القرآن هو أعظم خبر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر ما لا نبصره يثير في النفس مشاعر الإيمان بالغيب، ويوسع مدارك الإيمان.
· عقلياً: العقل يدرك أن هناك عوالم لا نراها، وأن الإيمان بها جزء من الإيمان.
· تربوياً: نتعلم أن نؤمن بالغيب، فهو من صفات المتقين.
· عملياً: نقرأ عن الغيبيات التي أخبر بها القرآن، ونزداد إيماناً.

.4الجمع بين المبصرات وغير المبصرات في القسم:

هذا الجمع يفيد العموم والشمول، وكأن الله يقول: أقسم بجميع مخلوقاتي - ما ترون منها وما لا ترون - أن هذا القرآن حق. وهذا من أعظم أنواع التأكيد، لأنه لو أقسم ببعض المخلوقات لكان قسماً عظيماً، فكيف إذا أقسم بجميعها؟ وهذا يدل على أن القرآن في غاية الأهمية والصدق.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: العموم يخلق شعوراً بالعظمة، فيزداد تعظيم القرآن في النفس.
· عقلياً: العقل يدرك أن القسم بكل المخلوقات يعني أن الأمر جلل وعظيم.
· تربوياً: نتعلم أن نهتم بالقرآن اهتماماً يليق بهذه الأقسام.
· عملياً: نخصص وقتاً يومياً لتلاوة القرآن وتدبره.

.5ما بين القسم هنا والقسم في بداية السورة:

السورة بدأت بـ {الحَاقّة} ولم يأتِ فيها قسم. وهنا جاء القسم في وسط السورة. هذا يدل على أن السياق هنا يحتاج إلى تأكيد أقوى، وهو تأكيد أن القرآن كلام الله، بعد أن بين أحوال القيامة و الجزاء. والقسم هنا جاء بعد تفصيل أحوال السعداء والأشقياء، ليكون بمثابة خاتمة مؤكدة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: القسم يضفي طابعاً من اليقين على كل ما سبق.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله يقسم ليقطع الشك باليقين.
· تربوياً: نتعلم أن نؤكد كلامنا إذا كان مهماً، كما أكد الله كلامه.
· عملياً: عندما ننقل خبراً مهماً، نؤكده بالأدلة.

ثانياً: دلالة قوله {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}

.1دلالة) إنه لقول رسول كريم(:

)إنه (أي هذا القرآن، أو هذا الخبر الذي أخبرتكم به عن الجنة والنار والقيامة) .لقول (أي كلام ونبأ .)رسول كريم (فيه قولان للمفسرين: القول الأول: أن المقصود به جبريل عليه السلام، فهو رسول الله الكريم إلى الأنبياء، والقرآن قوله لأنه نزل به .والثاني: أن المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم،

فهو رسول الله الكريم، والقرآن قوله لأنه تلاوه وبلغه عن الله .والأرجح أن المعنى: القرآن كلام نزل به جبريل الكريم، أو بلغه محمد الكريم .وكلا المعنيين صحيح، فالقرآن قول جبريل تلقيها من الله، وقول محمد تلاها على الناس.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: وصف الرسول ب-)الكريم (يخلق في النفس محبة له وتعظيماً، ويجعل القرآن محبوباً.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكريم لا ينسب إليه الكذب، فجبريل ومحمد كريمان، فقولهما صادق.
· تربوياً: نتعلم أن نتصف بالكرم، فهو صفة الرسولين.
· عملياً: نقتدي بالرسول الكريم في أقواله وأفعاله.

.2دلالة) كريم(:

الكريم: هو الكثير الخير، الجامع لصفات الحمد، الشريف في نفسه وفعاله. فجبريل كريم عند الله، له مكانة عظيمة. ومحمد صلى الله عليه وسلم كريم، وهو أشرف الخلق. ووصف الرسول بالكريم فيه إشارة إلى أن القرآن كريم أيضاً، لأن الكريم يصدر عن كريم. والله هو الكريم، ورسوله كريم، والقرآن كريم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: صفة الكرم تبعث على المحبة والتقدير.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكريم لا يأتي إلا بالخير والصدق.
· تربوياً: نتعلم أن نتحلى بالكرم في أخلاقنا.
· عملياً: نتعامل مع الناس بالكرم والإحسان.

.3ما بين) رسول كريم (واتهامات المشركين:

كان المشركون يتهمون النبي بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون. فنفى الله ذلك وأثبت أنه رسول كريم. ف الكريم ضد اللئيم، والمشركون كانوا يصفونه بأوصاف فيها خسة ولؤم، فأثبت الله أنه على خلق عظيم ، وأنه كريم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يرفع من مكانة النبي في قلوب المؤمنين.
· عقلياً: العقل يدرك أن اتهام المشركين للنبي بالشعر والكهانة كان ظلماً وباطلا ً.
· تربوياً: نتعلم ألا ننخدع باتهامات المبطلين لأهل الحق.
· عملياً: ندافع عن النبي وعن ديننا إذا اتهمه أحد.

ثالثاً: دلالة قوله {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ}

.1دلالة) ما هو بقول شاعر(:

نفي صريح أن يكون القرآن من قول شاعر. والشاعر في الجاهلية كان يُعتقد أن له شيطاناً يلهمه الشعر، وكانوا يصفون النبي بالشعر زوراً. فرد الله عليهم بأن القرآن ليس بشعر، لأن الشعر يختلف عن القرآن في: الوزن والقافية، والموضوعات، والأسلوب. فالشعر يخاطب العواطف، والقرآن يخاطب العقل والقلب والروح. والشعر يأتي بالخيال والتهويل، والقرآن يأتي بالحق والصدق.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: نفي صفة الشعر عن القرآن يزيل أي شبهة في نفس القارئ.
· عقلياً: العقل يدرك الفرق الواضح بين القرآن والشعر، فمن يدعي أنه شعر فهو جاهل أو متعصب.
· تربوياً: نتعلم أن نميز بين كلام الله وكلام البشر.
· عملياً: نقرأ القرآن ونسمع الشعر، ونلاحظ الفرق الكبير.

.2دلالة) قليلا ً ما تؤمنون(:

)قليلا ً (منصوب على المصدر، أي إيماناً قليلا ً) .ما (زائدة للتوكيد .والمعنى: إيمانكم قليل جداً، أو ما تؤمنون إلا إيماناً قليلا ً .وهذه جملة اعتراضية للتوبيخ والزجر .والمعنى: أنتم أيها المشركون قلي لا ً ما تؤمنون باللّه ورسوله، فأنتم لا تريدون الحق، ولو نزلت عليكم كل آية ما آمنتم .والخطاب للمشركين الذين كانوا يصرون على كفرهم وعنادهم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التوبيخ يخلق شعوراً بالعار والخجل في نفوس المؤمنين إذا وجدوا في أنفسهم قلة إيمان، ويحفزهم على زيادته.
· عقلياً: العقل يدرك أن من لم يؤمن بالقرآن مع وضوحه، فهو قليل الإيمان أو معدومه.
· تربوياً: نتعلم أن نزيد إيماننا بالطاعات والعبادات.
· عملياً: نكثر من الذكر والعبادة ليزيد إيماننا.

.3لماذا نعتبر قلة الإيمان توبيخاً؟

لأن المشركين كانوا يزعمون أنهم على حق، والقرآن يقول إن إيمانهم قليل لو كانوا يؤمنون أصلا ً. فهذا توبيخ لهم على عدم تصديقهم بالحق الواضح. وقلة الإيمان هنا بمعنى عدم الإيمان، أو أن إيمانهم إذا حصل فهو قليل جداً لا ينفع.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالخوف من أن يكون إيماننا قليلا ً.
· عقلياً: العقل يدرك أن الإيمان الكامل هو الذي ينفع.
· تربوياً: نتعلم أن نعمل على زيادة إيماننا باستمرار.
· عملياً: نتفقد إيماننا بين الحين والآخر، ونسأل اللّه الثبات.

.4مقابلة) شاعر (مع) رسول كريم(:

الشاعر قد يمدح وقد يهجو، وقد يكذب وقد يصدق، وهو بشر يخطئ. أما الرسول الكريم فهو صادق أمين، ينقل عن اللّه. ووصف القرآن بأنه قول رسول كريم، ونفي عنه أنه قول شاعر، فيه تنزيه للقرآن عن أي نقص.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يثبت في النفس أن القرآن أعلى وأشرف من الشعر.
· عقلياً: العقل يدرك أن الشعراء كانوا متبعين، أما النبي فمتبوع.
· تربوياً: نتعلم أن نرفع شأن القرآن فوق كل كلام.
· عملياً: نقرأ القرآن بتدبر وإجلال.

رابعاً: دلالة قوله {وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}

.1دلالة) ولا بقول كاهن(:

الكاهن هو من يدعي علم الغيب، ويتصل بالجن، ويخبر عن الأمور التي ستحدث. وكانت الكهانة منتشرة في الجاهلية، وكان الكهنة يخلطون الصدق بالكذب، ويأتون بسجع يشبه كلام المنجمين. وكان المشركون يتهمون النبي بأنه كاهن. فنفى اللّه ذلك، فالقرآن ليس بكهانة، لأن الكهانة تعتمد على الإبهام والغموض والإيحاءات، أما القرآن فواضح صريح لا لبس فيه. والكهانة تخبر عن المستقبل أحياناً بـ الصدف، أما القرآن فأخباره كلها حق وصدق.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: نفي الكهانة عن القرآن يزيل الشبهة عن النبي.

· عقلياً: العقل يدرك أن النبي لم يكن كاهناً، فقد كان معروفاً بالصدق والأمانة قبل البعثة.
· تربوياً: نتعلم أن نفرق بين كلام الله وكلام الكهان.
· عملياً: نبتعد عن الكهان والعرافين، فديننا ينهى عن سؤالهم.

.2دلالة) قليلا ً ما تذكرون(:

)تذكرون (أي تتعظون وتفكرون وتتدبرون .والمعنى: أن تذكركم قليل جداً، أو ما تذكرون إلا تذكراً قلي لا ً .وهذا توبيخ للمشركين أيضاً على قلة تدبرهم واتعاظهم .فلو كانوا يتذكرون ويتفكرون لعلموا أن القرآن ليس من قول كاهن .وفي هذا دلالة على أن الإيمان يحتاج إلى تذكر وتفكر، وأن من لم يتفكر في آيات الله لا يصل إلى الإيمان الصحيح.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التوبيخ يدفع النفس إلى كثرة التذكر والتفكر.
· عقلياً: العقل يدرك أن الإيمان يحتاج إلى عمل فكري) التذكر والتدبر.(
· تربوياً: نتعلم أن نتدبر القرآن ونتفكر في آياته.
· عملياً: نخصص وقتاً للتفكر في خلق الله وفي آيات القرآن.

.3الفرق بين) قليلا ً ما تؤمنون (و)قليلا ً ما تذكرون(:

الأولى تتعلق بالإيمان، والثانية تتعلق بالتذكر والتدبر. والمعنى: إيمانكم قليل، وتذكركم قليل. والإيمان والتذكر متلازمان: من تذكر تفكر، ومن تفكر اهتدى إلى الإيمان. فجمع الله بينهما ليقطع كل حجة للمشركين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأهمية الجمع بين الإيمان والتذكر.
· عقلياً: العقل يدرك أن الإيمان بلا تدبر ناقص، والتدبر بلا إيمان لا ينفع.
· تربوياً: نتعلم أن نربط بين الإيمان والتفكر.
· عملياً: نقرأ القرآن بتدبر، ونجعل تلاوتنا عبادة فكرية وقلبية.

.4ما بين) شاعر (و)كاهن(:

الشعر والكهانة كانا من أبرز وسائل التأثير في الجاهلية. فالشاعر يؤثر في العواطف، والكاهن يؤثر في الخوف والغيب. والقرآن ليس شاعراً ولا كاهناً، بل هو فوق ذلك كله. وهو أعلى من الشعر في بلاغته، وأصدق من الكهانة في أخباره.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يثبت عظمة القرآن وتفرده.
· عقلياً: العقل يدرك أنه لا يمكن مقارنة القرآن بأي كلام بشري.
· تربوياً: نتعلم أن نعظم القرآن، فهو كلام الله.
· عملياً: ننشر إعجاز القرآن البلاغي والعلمي.

خامساً: دلالة قوله {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ}

.1دلالة) تنزيل(:

)تنزيل (خبر لمبتدأ محذوف، أي هو تنزيل .والتنزيل هو الإنزال تدريجاً، على حسب الأحداث و المناسبات .فنزل القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة .وهذا يرد على من زعم أنه شعر أو كهانة، لأن الشعر يأتي دفعة واحدة، والكهانة تأتي ارتجالا ً .أما القرآن فنزل مفرقاً حسب الحاجة، وهذا دليل على أنه من الله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة) تنزيل (توحي بالعناية الإلهية والترتيب المحكم.
· عقلياً: العقل يدرك أن نزول القرآن مفرقاً على مدى طويل دليل على أنه من عند الله.
· تربوياً: نتعلم ألا نستعجل في طلب العلم، فالنزول التدريجي كان حكمة.
· عملياً: نتعلم القرآن بتأنٍ وتدبر، كما نزل بتأن.

.2دلالة) من رب العالمين(:

)من (لابتداء الغاية، أي مصدره ومرسله هو رب العالمين) .رب العالمين (هو المربي لجميع الخلق، المالك المتصرف فيهم، الخالق لهم .ووصف الله ب-)رب العالمين (له دلالات: فهو رب الإنس والجن و الملائكة والحيوانات والنباتات وكل المخلوقات .وهو الذي يربي خلقه بنعمه، وهو الذي يستحق العبادة . وإسناد التنزيل إلى رب العالمين فيه رد على من زعم أن القرآن من قول بشر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: صفة) رب العالمين (تخلق شعوراً بالخضوع والمحبة، فالرب هو الخالق المربي الرازق.
· عقلياً: العقل يدرك أن من هو رب العالمين قادر على إنزال هذا القرآن العظيم.
· تربوياً: نتعلم أن ننسب كل خير إلى الله، فهو رب العالمين.
· عملياً: نقرأ القرآن ونشعر بأنه خطاب من رب العالمين إلينا.

.3ما بين القسم في أول الآيات والتنزيل في آخرها:

بدأ الله القسم بمخلوقاته، وختم بأن هذا القرآن تنزيل من رب العالمين. وهذا تركيب بديع: من رأى عظمة المخلوقات (ما تبصرون وما لا تبصرون) فليعلم أن خالقها هو الذي أنزل هذا القرآن. فالرب واحد، فهو خالق المخلوقات وهو منزل القرآن. فمن آمن بالله خالقاً، فليؤمن بأن هذا القرآن من عنده.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: الربط بين الخلق والقرآن يثبت اليقين في النفس.
· عقلياً: العقل يدرك أن الإيمان بالله كخالق يستلزم الإيمان بكلماته.
· تربوياً: نتعلم أن نستخدم دلائل الكون لإثبات صدق القرآن.
· عملياً: نتدبر في الكون والقرآن معاً، فهما آيتان من آيات الله.

.4المقابلة بين) رسول كريم (و)رب العالمين(:

القرآن هو قول رسول كريم، لكن الرسول الكريم تلقاه عن رب العالمين. فهو قول الله في الحقيقة، وقول جبريل ومحمد تبليغاً ورواية. فهذه الآيات تحمي القرآن من أي اتهام: إنه ليس من قول بشر مبتدع، بل هو من عند رب العالمين، نزل به رسول كريم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تثبت عظمة القرآن في النفس، فهو كلام الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن القرآن له مصدران ظاهري) جبريل ومحمد (ومصدر حقيقي) الله.(
· تربوياً: نتعلم أن نصدق الرسولين جبريل ومحمد عليهما السلام.
· عملياً: نقرأ القرآن ونتأمل أنه كلام الله الموجه إلينا.

الأمر الثاني: التصوير البياني للآيات وأغراضه

ترسم هذه الآيات مشهداً متكاملا ً من عدة لوحات:

اللوحة الأولى: القسم بالمخلوقات

الكاميرا تبدأ بلقطة واسعة للكون. نرى السماء الزرقاء، والشمس الساطعة، والنجوم المتلألئة، والجبال

الشاهقة، والبحار الزرقاء، والحيوانات والنباتات. كلها تظهر في لقطة بانورامية. ثم يتحول المشهد إلى ما لا نراه: كاميرا خيالية تظهر الملائكة في السموات، والعرش، والجنة، والنار. كل هذه المخلوقات تشهد. ثم نسمع صوت القسم: (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون). الكاميرا تثبت على مشهد الكون ، وكأن الكون كله حلفاء يشهدون على صدق القرآن.

اللوحة الثانية: القرآن كلام رسول كريم

الكاميرا تنتقل إلى مشهد في السماء. نرى جبريل عليه السلام في هيئته الباهرة، يقرأ القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وجهه يضيء بالنور، وأجنحته تمتد. ثم نرى النبي محمداً في الأ رض يستمع وينقل إلى الناس. الكاميرا تظهر خشوع الناس وتأثرهم. ثم نسمع: (إنه لقول رسول كريم).

اللوحة الثالثة: نفي الشعر والكهانة

الكاميرا تنتقل إلى مشهد في الجاهلية. نرى شاعراً يلقي قصيدته، والناس حوله يصفقون. ثم نرى كاهناً يجلس على تل، يغمض عينيه ويتكلم بكلمات غامضة، والناس يتساءلون. ثم تعود الكاميرا إلى القرآن، وتظهر الفرق الهائل: القرآن ليس كهذا، بل هو أنقى وأعلى وأصدق. ثم نسمع: (وما هو بقول شاعر * ولا بقول كاهن). ثم تظهر وجوه المشركين وهم يتهمون النبي، فتبدو عليهم علامات الحيرة و الضعف، ويأتي الرد: (قليلا ً ما تؤمنون * قليلا ً ما تذكرون).

اللوحة الرابعة: التنزيل من رب العالمين

الكاميرا ترتفع إلى السماء، نرى الوحي ينزل من عند الله، مروراً بالسموات، وصولا ً إلى الأرض. و القرآن يظهر ككتاب من نور. ثم نسمع: (تنزيل من رب العالمين). الكاميرا تظهر الأرض كلها، ثم تظهر عظمة رب العالمين المستوية على عرشه. ثم تختم اللوحة بمشهد المسلمين وهم يقرؤون القرآن بخشوع وإيمان.

أغراض هذا التصوير:

1.تأكيد صدق القرآن: بالقسم العظيم وبالنفي والإثبات.
2.الرد على اتهامات المشركين: بإظهار أن القرآن ليس بشعر ولا كهانة.
3.تعظيم شأن القرآن: بأنه قول رسول كريم وتنزيل من رب العالمين.
4.توبيخ المشركين: بقلة إيمانهم وتذكرهم.
5.تحريك مشاعر المؤمنين: نحو المزيد من الإيمان والتذكر.

ثالثا: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) تذكير بعظمة الله في خلقه

الله يقسم بكل ما نراه وما لا نراه. هذا يعني أن كل ذرة في الكون تشهد على صدق القرآن. الا ستفادة: انظر إلى الكون وتذكر أن خالقه هو منزل القرآن.

الخاطرة الثانية: (إنه لقول رسول كريم) تذكير بكرامة الرسولين

جبريل ومحمد كريمان، والقرآن كريم، والله كريم. الاستفادة: تخلق بأخلاق الكرم، وأحب النبيين.

الخاطرة الثالثة: (وما هو بقول شاعر) تذكير بأن القرآن فوق الشعر

الشعر قد يكون جميلا ً، لكن القرآن أعلى وأسمى. الاستفادة: لا تقارن القرآن بأي كلام بشري.

الخاطرة الرابعة: (قليلا ً ما تؤمنون) تذكير بأن الإيمان القليل لا يكفي

الإيمان يحتاج إلى يقين، لا إلى شك وضعف. الاستفادة: زد إيمانك بالطاعات والعبادات.

الخاطرة الخامسة: (ولا بقول كاهن) تذكير بأن القرآن ليس من الغيب المشبوه

الكهانة فيها كذب ولبس، والقرآن صادق واضح. الاستفادة: لا تذهب إلى الكهان والعرافين، فالقرآن أغناك.

الخاطرة السادسة: (قليلا ً ما تذكرون) تذكير بأهمية التفكر والتدبر

من لا يتفكر في القرآن لا يصل إلى الإيمان الحقيقي. الاستفادة: تدبر القرآن، ولا تمر عليه مرور الكرام.

الخاطرة السابعة: (تنزيل من رب العالمين) تذكير بأن القرآن وحي من الله

هذا هو الجواب النهائي: القرآن من عند الله. الاستفادة: اشعر عند قراءة القرآن أن الله يخاطبك.

رابعاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

1. قضية إثبات أن القرآن وحي من الله وليس من قول بشر.
2. قضية الرد على اتهامات المشركين للنبي بالشعر والكهانة.
3. قضية عظمة القرآن وكرامته.
4. قضية أهمية الإيمان والتذكر والتدبر.
5. قضية القسم الإلهي بالمخلوقات تأكيداً للصدق.
6. قضية أن الله رب العالمين وخالق كل شيء.
7. قضية أن القرآن تنزيل من الله، فيه كل الحق.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ هذه الآيات وتستشعر أن الله يقسم بكل ما تراه وما لا تراه أن هذا القرآن هو كلامه، وأنه ليس من قول شاعر ولا كاهن، بل هو تنزيل من رب العالمين.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: كلما نظرت إلى شيء من مخلوقات الله، تذكر أن هذا الشيء شاهد على أن القرآن حق.
· في عباداتك: عند تلاوة القرآن، استشعر أنه قول رسول كريم نزل به جبريل إلى محمد، وهو تنزيل من رب العالمين.
· في معاملاتك: لا تتهم أحداً بالباطل كما اتهم المشركون النبي، وتبين قبل أن تحكم.
· في تربيتك: علم أبناءك أن القرآن كلام الله، وأنه أعظم من أي شعر أو كهانة.
· في دعوتك: استخدم هذه الآيات للرد على من يشككون في القرآن.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

1. تغيير النظرة إلى القرآن: القرآن ليس كأي كتاب، بل هو كلام الله.
2. تغيير النظرة إلى المخلوقات: كل مخلوق هو آية تشهد على صدق القرآن.
3. تغيير النظرة إلى النبي: النبي ليس شاعراً ولا كاهناً، بل هو رسول كريم.
4. تغيير النظرة إلى الإيمان: الإيمان يحتاج إلى يقين وتذكر وتدبر، وليس مجرد كلام.
5. تغيير النظرة إلى التنزيل: القرآن نزل من عند رب العالمين، فيجب أن نطيعه.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الله أقسم بالكون كله على صدق القرآن. التطبيق: احترم الكون وتأمل فيه، فهو شاهد معك.

الدرس الثاني: القرآن قول رسول كريم. التطبيق: اقرأ سيرة النبي، وتأكد من صدقه وكرمه.

الدرس الثالث: القرآن ليس بشعر. التطبيق: تعلم البلاغة لتدرك الفرق بين القرآن والشعر.

الدرس الرابع: الإيمان القليل لا يكفي. التطبيق: اجتهد في زيادة إيمانك بالطاعات.

الدرس الخامس: القرآن ليس بكهانة. التطبيق: اقرأ القرآن وتدبره، تجده صريحاً واضحاً.

الدرس السادس: التذكر القليل لا ينفع. التطبيق: أكثر من تدبر القرآن وتذكر آياته.

الدرس السابع: القرآن تنزيل من رب العالمين. التطبيق: أطع أوامر القرآن واجتنب نواهيه.

خامساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

- مهارة فهم أسلوب القسم في القرآن وأغراضه.
- مهارة التمييز بين القرآن والشعر والكهانة.
- مهارة معرفة صفات جبريل ومحمد عليهما السلام.
- مهارة استنتاج أهمية الإيمان والتذكر.

المهارات الحياتية

- مهارة التفكر في الكون والاستدلال به على صدق القرآن.
- مهارة تدبر القرآن وتلاوته بخشوع.
- مهارة الرد على الشبهات حول القرآن.
- مهارة زيادة الإيمان بالطاعات والعبادات.

المهارات العملية

- مهارة تلاوة القرآن بتدبر وتفكر.
- مهارة الاستدلال بآيات الكون على وجود الله وصدق رسله.
- مهارة تعليم الأطفال معاني القرآن.
- مهارة الدعوة إلى الله باستخدام هذه الآيات.

سادساً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

1. لا تستهن بالقرآن، فهو كلام الله الذي أقسم على صدقه.
2. تعلم الفرق بين كلام الله وكلام البشر، فالقرآن أعلى وأسمى.
3. زد إيمانك بالطاعات، ولا تكن ممن يؤمنون قليلاً.
4. تدبر القرآن وتفكر في آياته، ولا تكن ممن يتذكرون قليلاً.
5. لا تذهب للكهان والعرافين، فالقرآن أغناك عنهم.
6. احترم الكون وتأمل فيه، فهو شاهد على صدق القرآن.
7. أحب النبي صلى الله عليه وسلم، فهو رسول كريم.

دورها في تطوير الحياة

- تطوير الوعي الديني: معرفة أن القرآن كلام الله يزيد الإيمان والتقوى.
- تطوير الثقافة القرآنية: فهم إعجاز القرآن يرفع من شأنه في النفوس.
- تطوير مهارات التفكر: التأمل في الكون والقرآن يطور العقل.
- تطوير الدعوة: هذه الآيات أدلة قوية في الحوار مع غير المسلمين.
- تطوير الأخلاق: التخلق بأخلاق النبي الكريم.

سابعاً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

1. أن الله يقسم بمخلوقاته تعظيماً لشأن القرآن.
2. أن كل ما نراه وما لا نراه هو من مخلوقات الله، وآياته.
3. أن القرآن قول جبريل ومحمد تبليغاً، وهو في الحقيقة كلام الله.
4. أن وصف النبي ب)الكريم (يقتضي محبته واتباعه.
5. أن القرآن ليس بشعر، فالشعر يخاطب العواطف وقد يكذب، والقرآن يخاطب العقل والقلب وهو حق.
6. أن المشركين كانوا قليلي الإيمان، وهذا توبيخ لهم.
7. أن القرآن ليس بكهانة، فالكهانة تعتمد على التخمين والكذب، والقرآن حق.
8. أن المشركين كانوا قليلي التذكر والتدبر، وهذا سبب كفرهم.
9. أن القرآن تنزيل من رب العالمين، أي هو وحي إلهي خالص.
10. أن الإيمان والتذكر متلازمان، ومن يتذكر يتفكر، ومن يتفكر يؤمن.

ثامناً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

1. البعد العقدي: إثبات أن القرآن كلام الله، وأن النبيين جبريل ومحمد رسولان كريمان.
2. البعد الكوني: القسم بالمخلوقات المرئية والغير مرئية يربط بين القرآن والكون.
3. البعد النفسي: تثبيت قلوب المؤمنين، وتوبيخ المشركين.
4. البعد البياني: أسلوب القسم والنفي والإثبات في آيات قليلة.
5. البعد الردي: الرد على اتهامات المشركين.
6. البعد التربوي: تعليم الإيمان والتدبر.

الآفاق:

1. أفق الإعجاز القرآني: القرآن يبقى معجزة خالدة، ليس بشعر ولا كهانة.
2. أفق الإيمان الكوني: كل ذرة في الكون تشهد على صدق القرآن.
3. أفق التدبر: قراءة القرآن بتفكر وتدبر هي سبيل الإيمان.
4. أفق الدعوة: استخدام هذه الآيات في الدعوة إلى الله.
5. أفق القدوة: الاقتداء بالنبي الكريم.

الأمر الثاني: القيم من الآية

1. قيمة الإيمان بالله: الإيمان بخالق الكون والقرآن.
2. قيمة تعظيم القرآن: فهو كلام الله.
3. قيمة التفكر: التأمل في آيات الله.
4. قيمة التذكر: تذكر النعم والآيات.
5. قيمة الصدق: القرآن صادق، والرسول صادق.
6. قيمة الكرم: التخلق بالكرم.
7. قيمة الرد بالحق: الرد على الشبهات بالحجة.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (القسم بالكون): في حياتنا العملية، كل منظر طبيعي جميل يذكرنا بعظمة الله وصدق قرآنه.

مفهوم (رسول كريم): في حياتنا العملية، نتعامل مع النبي محمد باحترام وحب، ونتمسك بسنته.

مفهوم (ليس بشاعر ولا كاهن): في حياتنا العملية، نفرق بين كلام الله وكلام البشر، ولا نخلط بينهما.

مفهوم (قليلا ً ما تؤمنون): في حياتنا العملية، نحرص على زيادة إيماننا، وألا نكون من القليلين.

مفهوم (تنزيل من رب العالمين): في حياتنا العملية، نقرأ القرآن على أنه خطاب من الله إلينا.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) التثبيت النفسي(: القسم الإلهي يثبت المؤمنين على إيمانهم.
.2مفهوم) التوبيخ النفسي(: قلة الإيمان والتذكر توبيخ للمشركين.
.3مفهوم) التعظيم(: القسم بالكون يعظم القرآن في النفس.
.4مفهوم) الإقناع(: استخدام القسم لإقناع الناس.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) الإعجاز البلاغي(: القرآن يتحدى الشعراء والكهان.
.2مفهوم) الكون آية(: الكون كله شاهد على صدق القرآن.
.3مفهوم) الوحي(: القرآن وحي من الله.
.4مفهوم) النبوة(: النبي رسول كريم، وليس شاعراً أو كاهناً.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالإيمان(: غرس الإيمان في قلوب الأبناء.
.2مفهوم) التربية بالتدبر(: تعليم الأطفال تدبر القرآن.
.3مفهوم) التربية بالقسم(: استخدام القسم للتأكيد في التربية.
.4مفهوم) التربية بالقدوة(: الاقتداء بالنبي الكريم.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الإيمان الراسخ: الإيمان بأن القرآن كلام الله.
.2بناء الشخصية المتدبرة: تدبر القرآن والكون.
.3بناء ثقافة الرد بالحجة: الرد على الشبهات بالدليل.
.4بناء حب النبي: محبته واتباعه.
.5بناء ثقافة القسم الصادق: استخدام القسم للتأكيد عند الحاجة.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الإعجاز القرآني: إظهار إعجاز القرآن للعالم.
.2تنمية ثقافة التدبر: تشجيع الناس على تدبر القرآن.
.3تنمية ثقافة الدعوة: استخدام القرآن في الدعوة.
.4تنمية ثقافة الكونيات: ربط العلم بالقرآن.
.5تنمية ثقافة القدوة: الاقتداء بالنبي في كل شيء.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· الإيمان العميق: بأن القرآن كلام الله.
· التدبر والتفكر: في آيات الله.
· حب النبي: واتباع سنته.
· اليقين: بأن كل ما في القرآن حق.

· الرد بالحجة: على الشبهات.
· تعظيم القرآن: في التلاوة والعمل.

صناعة التطور والنهضة:

· أولا ً: أمة تقرأ القرآن وتتدبره تنهض فكرياً وروحياً.
· ثانياً: أمة تعرف أن القرآن تنزيل من رب العالمين ترفع شأنه في حياتها.
· ثالثاً: أمة ترد على الشبهات بالحجة تنتصر في حواراتها.
· رابعاً: أمة تقتدى بالنبي الكريم تنجح في قيادتها.
· خامساً: أمة تتأمل في الكون والقرآن معاً تنهض علمياً وإيمانياً.

تاسعاً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى الإيمان بأن القرآن كلام الله، وليس من قول بشر.
.2تدعونا إلى تدبر القرآن وتذكره، وعدم المرور عليه مرور الكرام.
.3تدعونا إلى تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، فهو رسول كريم.
.4تدعونا إلى زيادة الإيمان والعمل الصالح، لئلا نكون من قليلي الإيمان.
.5تدعونا إلى التفكر في الكون، فكل ما نراه وما لا نراه يشهد على صدق القرآن.
.6تدعونا إلى الرد على شبهات المشككين بالحجة والدليل.
.7تدعونا إلى العمل بالقرآن، فهو تنزيل من رب العالمين، فيجب اتباعه.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة (فلا أقسم بما تبصرون)

التدبر: انظر حولك: السماء، الأرض، الجبال، البحر، الشمس، القمر. كلها تشهد أن القرآن حق. كيف لا تؤمن به؟

الأسئلة العملية:

· كم مرة نظرت إلى السماء وتذكرت أن الله أقسم بها؟
· كيف أستفيد من هذا القسم في تقوية إيماني؟

التطبيق: اخرج إلى الطبيعة مرة في الأسبوع، وتأمل في خلق الله، وتذكر أن هذه المخلوقات تشهد على صدق القرآن.

الوقفة الثانية: وقفة (وما لا تبصرون)

التدبر: هناك عوالم لا تراها: الملائكة، الجنة، النار، العرش. الله أقسم بها. فكيف تكذب بما أقسم به؟

الأسئلة العملية:

· هل أؤمن بالغيب كما ينبغي؟
· كيف أزيد إيماني بالغيب؟

التطبيق: اقرأ عن صفات الملائكة والجنة والنار، وزد يقينك بالغيب.

الوقفة الثالثة: وقفة (إنه لقول رسول كريم)

التدبر: جبريل ومحمد عليهما السلام كريمان، والقرآن كريم. هل يعقل أن يصدر عن كريم كذب؟

الأسئلة العملية:

· هل أحب النبي بما يليق بمقامه الكريم؟
· كيف أتأكد من صدق النبي؟

التطبيق: اقرأ سيرة النبي، وتأكد من أخلاقه الكريمة، وازدد حباً له.

الوقفة الرابعة: وقفة (وما هو بقول شاعر * قليلا ً ما تؤمنون)

التدبر: لو كان القرآن شعراً، لكان على وزن وقافية، ولتغيرت موضوعاته، لكنه ليس كذلك. فلماذا لا تؤمنون؟

الأسئلة العملية:

· هل قرأت الشعر وقارنته بالقرآن؟
· هل تؤمن إيماناً كاملا ً أم قليلا ً؟

التطبيق: اقرأ قصيدة شعرية ثم اقرأ سورة قصيرة من القرآن، ولاحظ الفرق، ثم احمد الله على نعمة القرآن.

الوقفة الخامسة: وقفة (ولا بقول كاهن * قليلا ً ما تذكرون)

التدبر: الكهان يخلطون الحق بالباطل، والقرآن كله حق. فلماذا لا تتذكرون وتتفكرون؟

الأسئلة العملية:

· هل سألت كاهناً أو عرافاً يوماً؟
· كيف أتذكر آيات الله وأتفكر فيها؟

التطبيق: اترك الكهان والعرافين، وأقبل على القرآن، فهو خير معين.

الوقفة السادسة: وقفة (تنزيل من رب العالمين)

التدبر: هذا القرآن ليس من الأرض، بل نزل من السماء من رب العالمين. هل هناك أشرف من هذا؟

الأسئلة العملية:

· هل أستشعر عندما أقرأ القرآن أنه كلام الله؟
· كيف أجعل قراءتي للقرآن عبادة حقيقية؟

التطبيق: قبل أن تفتح المصحف، استحضر أن الله ينزل إليك كلامه، واقرأ بخشوع وتدبر.

الوقفة السابعة: وقفة (المقارنة بين الإيمان والتذكر)

التدبر: الآية ربطت بين (قليلا ً ما تؤمنون) و(قليلا ً ما تذكرون). فقلة الإيمان سببها قلة التذكر. من يذكر الله ويتدبر آياته، يزداد إيمانه.

الأسئلة العملية:

· هل أذكر الله كثيراً؟
· كيف أربط بين ذكري لله وإيماني؟

التطبيق: أكثر من ذكر الله وتلاوة القرآن وتدبره، وسيزداد إيمانك.

رسالة الختام

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بعد أن صور لنا مشاهد القيامة و الجنة والنار، أقسم بجميع مخلوقاته (ما نراه وما لا نراه) على أن هذا القرآن حق، وأنه كلامه. وأكد أن هذا القرآن ليس من قول شاعر ولا كاهن، بل هو قول رسول كريم (جبريل أو محمد)، وهو تنزيل

من رب العالمين.

وتعلمنا أن هذه الآيات ترد على اتهامات المشركين للنبي بالشعر والكهانة، وتثبت أن القرآن أعلى وأسمى من كل كلام بشري. وتعلمنا أن قلة الإيمان سببها قلة التذكر والتدبر، وأن من تدبر القرآن وتذكر آيات الله زاد إيمانه.

وتعلمنا أن الله أقسم بالمخلوقات كلها ليعظم شأن القرآن في نفوسنا، وليؤكد لنا أنه الحق من رب العالمين. فعلينا أن نعظم القرآن، ونتلوه بتدبر، ونعمل به، وندعو إليه، ونرد به على شبهات المبطلين.

المبحث الثاني

تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (44-48) من سورة الحاقة

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (38-43) كانت في مقام إثبات صدق القرآن والرد على المشركين الذين اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر أو كاهن. فقد أقسم الله بجميع مخلوقاته (ما يبصرون وما لا يبصرون) أن القرآن ليس بقول شاعر ولا كاهن، بل هو قول رسول كريم، وتنزيل من رب العالمين.

ثم تأتي هذه الآيات (44-48) لترتقي في الرد إلى مستوى أعلى: فهي تهدد وتحذر من أن النبي لو افترى على الله شيئاً من عنده لكان جزاؤه أشد العقاب. وهذا الأسلوب من أبلغ أساليب إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يعلن أن النبي لو كان كاذباً لكان أول من يعاقبه الله، ولكنه صادق لأنه لم ينزل بهذا العذاب.

وهذا السياق يُسمى في البلاغة "أسلوب الحد الأقصى" أو "الاستدلال بالمحال": فالنبي لو كان متقوّلا ً على الله لكان الله قد أخذه أخذ عزيز مقتدر، ولكنه لم يفعل، فدل ذلك على أنه صادق. وهذا رد قوي على المشركين الذين كانوا يتهمونه بالتقول على الله.

والربط أيضاً مع بداية السورة: السورة تحدثت عن الحاقة وعن هلاك الأمم المكذبة، ثم عن القرآن وصدقه. وهنا يصل الرد ذروته: لو أن محمداً اختلق القرآن، لكان مصيره كمصير ثمود وعاد وفرعون. وهذا تهديد ضمني للمشركين أيضاً: إن لم تؤمنوا بهذا القرآن، فسيكون مصيركم كمصير من كذبوا قبلكم.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الخمس في فكرة مركزية هي: الافتراض المحال وهو أن النبي يفترى على الله، وما كان سيحدث له لو فعل ذلك، مما يؤكد صدقه. وتتفرع إلى عدة مراحل متسلسلة:

الفكرة الأولى: افتراض التقول على الله {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ}

- (لو) حرف امتناع لامتناع، أي أنه لم يحدث ولن يحدث.
- (تقول) أي اختلق وافترى وكذب.
- (علينا) أي على الله، فنسب إلينا ما لم نقله.
- (بعض الأقاويل) أي أي كلمة من عنده وليس من عند الله.

الفكرة الثانية: الأخذ باليمين - القوة والانتقام {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ}

- (لأخذنا) جواب (لو)، أي لفعلنا به ذلك.
- (منه) من محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل الفرض.
- (باليمين) أي بقوة وقدرة، أو أخذناه بيمينه جزاءً له، أو أخذناه بيميننا أي بقوتنا.

الفكرة الثالثة: قطع الوتين {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}

· (ثم) للترتيب والتراخي.
· (لقطعنا) أي لفعلنا به ذلك.
· (الوتين) هو نياط القلب، أي عرق الحياة الذي إذا قطع مات الإنسان فوراً.

الفكرة الرابعة: لا مانع من العذاب {فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}

· (فما منكم) أي ليس منكم أيها الناس.
· (من أحد) أي أي شخص كان.
· (عنه) أي عن محمد صلى الله عليه وسلم.
· (حاجزين) أي مانعين أو دافعين للعذاب.

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختلق القرآن من عنده، لأن الله يهدد بأن من يفعل ذلك يأخذه أخذ عزيز مقتدر. وهذا يدل على أن النبي صادق في دعواه.

المغزى الثاني: أن أشد عقاب يمكن أن ينزل بالإنسان هو أن يأخذه الله بقوته ويقطع نياط قلبه (الوتين) فيموت فوراً. وهذا تصوير لعظمة قدرة الله.

المغزى الثالث: أن النبي لو افترى لكان الله هو الذي ينتقم منه مباشرة، ولن يستطيع أحد من الناس أن يمنع ذلك العذاب. وهذا فيه تهديد للمشركين أيضاً بأنهم لا يستطيعون منع عذاب الله إذا نزل.

المغزى الرابع: الآيات ترد على المشركين الذين اتهموا النبي بالتقول، فتقول: لو كان الأمر كما تزعمون، لكان الله قد عاقبه أشد العقاب، ولكن الله لم يفعل، فدل ذلك على صدقه.

المغزى الخامس: أن الله يستخدم أسلوب "الفرض المحال" لإثبات صدق النبي، وهذا من أبلغ طرق الإ قناع. فالمشركون يعلمون أن محمداً صادق أمين، فكيف يتهمونه بالكذب؟ ولو كان كاذباً لأهلكه الله.

المغزى السادس: الآيات تظهر غضب الله على من يتقول عليه، وأنه لا يترك مثل هذا الذنب بلا عقاب. وهذا تحذير لكل من يفتر الكذب على الله أو على رسوله.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن الله، وأن القرآن وحي من الله وليس من عنده.

الهدف العقدي الثاني: الرد على المشركين الذين اتهموا النبي بالكذب والتقوّل على الله.

الهدف العقدي الثالث: إثبات قدرة الله المطلقة على الانتقام، وأن أحداً لا يستطيع أن يحجز عذابه.

الهدف النفسي: تثبيت قلوب المؤمنين بأن النبي صادق، وأنهم على الحق. وترويع المشركين ببيان أن الله قادر على أن يعاقب من يتقول عليه، فكيف بهم وهم يكذبون عليه؟

الهدف البياني: استخدام أسلوب (لو) الامتناعية للدلالة على أن الأمر لم يحدث ولن يحدث. والتدرج في العقاب (الأخذ باليمين ثم قطع الوتين). وذكر عدم وجود حاجزين من الناس.

الهدف التربوي: تعليم أن الكذب على الله من أكبر الكبائر، وأن عاقبته وخيمة. وتأكيد أن النبي معصوم من الكذب، فلا يجوز اتهامه.

الهدف الدعوي: تحدي المشركين بأن يأتوا بمثل القرآن، وإثبات أن عجزهم عن الإتيان بمثله دليل على أنه من عند الله.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {وَلَوْ تقوّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقاوِيل}

.1دلالة) لو (الشرطية الامتناعية:

(لو) هنا حرف شرط يفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب. والمعنى: أنه لم يحدث أن تقوّل علينا، ولن يحدث. فهي تفيد استحالة وقوع الفرض. فاللّه تعالى يفرض فرضاً مستحيلا ً ليؤكد أنه لو حدث لكان العذاب واقعاً، ولكن بما أنه لم يحدث (وهو لم يحدث) فدل ذلك على صدق النبي. وهذا أسلوب بلاغي قوي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: استخدام (لو) في أسلوب الفرض المحال يخلق في النفس يقيناً بأن النبي لم يتقول، لأن اللّه يهدد من يتقول بعقاب شديد.
· عقلياً: العقل يدرك أن اللّه لو أراد أن يعاقب النبي لعاقبه، ولكنه لم يعاقبه، فدل على أنه صادق.
· تربوياً: نتعلم أن نستخدم أسلوب الفرض المحال في الإقناع، وأن من لم يعاقب مع استحقاقه العقاب فهو بريء.
· عملياً: عندما نريد إثبات صدق شخص، نستخدم هذا الأسلوب: لو كان كاذباً لظهر كذبه، ولكنه لم يظهر، فهو صادق.

.2دلالة) تقول(:

(تقول) مبالغة في القول، أي تكلفه واختلاقه وافتراءه. والتقوّل هو أن يقول ما لم يقله غيره، وينسبه إليه كذباً. والمعنى: لو أن محمداً اختلق علينا بعض الكلام ونسبه إلينا. والتقوّل أشد من مجرد القول، لأنه يدل على التكلف والافتراء.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة (تقول) توحي بالجريمة العظيمة، فالتقوّل على اللّه هو أعظم الذنوب.
· عقلياً: العقل يدرك أن من يتقول على اللّه يستحق أشد العقاب، وهذا ما تؤكده الآية.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب الكذب عموماً، والكذب على اللّه خصوصاً.
· عملياً: عندما ننقل خبراً عن اللّه أو رسوله، نتأكد من صحته، ولا نقل "قال اللّه" أو "قال الرسول" إ لا بيقين.

.3دلالة) علينا(:

(علينا) أي على اللّه نفسه. والتقول على اللّه هو أن ينسب إليه ما لم يقله، أو يشرع من عنده ما لم يأذن به اللّه، أو يدعي النبوة وهو كاذب. وهذه من كبائر الذنوب التي لا تغفر. وإضافة التقول إلى اللّه تدل على عظمة الجريمة، فمن يتقول على اللّه فقد اعتدى على ذات اللّه وصفاته وأحكامه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: (علينا) تخلق شعوراً بالرهبة، فالتقول على اللّه ليس كالتقول على البشر.
· عقلياً: العقل يدرك أن اللّه أعلى من أن يكذب عليه، ومن يفعل ذلك يستحق العقاب.
· تربوياً: نتعلم أن نعظم اللّه، وألا ننسب إليه شيئاً بغير علم.
· عملياً: نقرأ القرآن ونتأكد من أن كل ما فيه هو من عند اللّه.

.4دلالة) بعض الأقاويل(:

(بعض الأقاويل) أي أي قول من الأقاويل، ولو كان قليلا ً أو صغيراً. فلم يقل (لو تقول كل الأ قاويل) بل قال (بعض الأقاويل) لبيان أنه حتى لو افترى كلمة واحدة، لكان جزاؤه هذا العذاب. وهذا يدل على عظمة الذنب، فالتقوّل على اللّه ولو بحرف يوجب العقاب. وجاء التنكير (بعض) للتقليل، أي أقل شيء من التقول يستوجب العقاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: (بعض) تدل على أن الذنب عظيم حتى في أقله، فلا يحتاج إلى كثرة ليستوجب العقاب.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكذب على الله ولو بكلمة واحدة هو كفر عظيم.
· تربوياً: نتعلم أن نبتعد عن الكذب مطلقاً، ولو كان صغيراً.
· عملياً: نراقب ألسنتنا، ولا نقول عن الله ما لا نعلم.

.5ما بين هذه الآية واتهامات المشركين:

كان المشركون يتهمون النبي بأنه يقول على الله كذباً، ويختلق القرآن من عنده. فجاءت هذه الآية لتقول: لو كان الأمر كما تزعمون، لكان الله قد عاقبه، ولكنه لم يفعل، فعلمنا أنكم كاذبون في اتهامكم.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تثبت في النفس أن اتهامات المشركين باطلة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله لا يترك الكاذب عليه دون عقاب.
· تربوياً: نتعلم ألا نصدق كل اتهام، بل نبحث عن الأدلة.
· عملياً: ننصر النبي صلى الله عليه وسلم، وندافع عنه ضد من يتهمه.

ثانياً: دلالة قوله {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ}

.1دلالة) لأخذنا(:

(لأخذنا) جواب (لو) الشرطية، واللام هي لام القسم أو لام الجواب. والفعل (أخذنا) يدل على القوة وا لانتقام. والأخذ هنا ليس أخذ اليد بل أخذ العقوبة، أي لأمسكناه بقوة وعاقبناه. والأخذ باليمين فيه معنى القوة والغضب، وكأن الله يأخذه بيمينه ليقتص منه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: فعل (أخذنا) يدل على القهر والقوة، فخلق شعوراً بالخوف من بطش الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله قوي لا يعجزه شيء، وأن من يتقول عليه لا مفر له.
· تربوياً: نتعلم أن نبتعد عن كل ما يستوجب أخذ الله لنا بقوته.
· عملياً: نخاف الله في السر والعلن، ونعلم أنه قادر على أخذنا في أي لحظة.

.2دلالة) باليمين(:

(باليمين) فيها أقوال للمفسرين:

· الأول: أي بقوتنا وقدرتنا، واليمين كناية عن القوة، كما يقال "فلان يمين قومه" أي قوتهم.
· الثاني: أي لأخذنا بيمينه، أي لقطعنها أو لأمسكناه بها عقاباً له، لأن اليمين التي كان يكتب بها ويكذب بها تعاقب.
· الثالث: أي لأخذناه بيميننا أي بيد الله - وهذا على سبيل التشبيه والتقريب، لأن الله ليس كمثله شيء.

والراجح أنها كناية عن القوة والقدرة. فالأخذ باليمين يعني الأخذ بقوة وصرامة لا مهلة فيها ولا رفق.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: اليمين ترمز إلى القوة، فالأخذ بها يخلق شعوراً بالرهبة والخوف.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله قوي عزيز، يأخذ من يشاء بقوته.
· تربوياً: نتعلم ألا نغتر بقوتنا، فقوة الله أكبر.
· عملياً: عندما نرى قوة الله في الكون، نتذكر أنه قادر على أخذنا باليمين.

.3العلاقة بين) لأخذنا باليمين (و)لقطعنا الوتين(:

الأخذ باليمين هو العقاب الأول، وهو أخذ بقوة وإمساك. ثم قطعالوتين هو العقاب الثاني، وهو الموت.

فالتدرج: أولا ً يقبض عليه بقوة، ثم يقطع حبل حياته. وهذا يصور شدة العقاب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التدرج في العقاب يصور شدة العذاب.
· عقلياً: العقل يدرك أن عقاب الله على المتقولين عظيم ومتدرج.
· تربوياً: نتعلم أن عقاب الله على الذنوب يزداد كلما زاد الذنب.
· عملياً: نبتعد عن الذنوب الكبيرة، ونحذر من عاقبتها.

.4ما بين) باليمين (هنا وفي آية أصحاب اليمين:

في الآية (19) كان المؤمن يأخذ كتابه بيمينه كرامة وشرفاً. وهنا يأخذ الله المتقول بيمينه قهراً وعذاباً. فاليمين المشتركة بين الآيتين تدل على أن اليمين قد تكون للكرامة وللعذاب. وهذا يدل على أن كل شيء بيد الله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يستشعر المؤمن نعمة أن يأخذ كتابه بيمينه، ويخاف من أن يؤخذ بيمين الله بقهر.
· عقلياً: العقل يدرك أن اليمين في الآخرة علامة على المنزلة.
· تربوياً: نتعلم أن نطلب من الله أن يجعلنا من أصحاب اليمين.
· عملياً: ندعو: "اللّهم اجعلني من أصحاب اليمين".

ثالثاً: دلالة قوله {ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}

.1دلالة) ثم(:

(ثم) للترتيب والتراخي في الزمن، أي بعد الأخذ باليمين، وبعد فترة من الزمان، نقطع منه الوتين. وهذا التدرج يصور عذاباً على مراحل، وليس دفعة واحدة، مما يزيد الإيلام.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: (ثم) تخلق إحساساً بالانتظار والترقب، وهو أشد من العذاب المفاجئ.
· عقلياً: العقل يدرك أن عذاب الله يمكن أن يكون متدرجاً.
· تربوياً: نتعلم أن من رحمة الله أن عقابه قد يكون متدرجاً، لعل العبد يتوب.
· عملياً: إذا وقعت في ذنب، فتب قبل أن يتدرج العقاب.

.2دلالة) لقطعنا(:

(لقطعنا) القطع هو الفصل والإبانة. والقطع هنا قطع الوتين، وهو حبل الحياة. والقطع يفعل بالمقص أو السكين، وهو إيلام شديد. والمعنى: لنفصلن عنه عرق الحياة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: القطع يوحي بالألم الحاد، وهو أشد من الموت البطيء.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله يقدر على قطع حياة من يشاء في لحظة.
· تربوياً: نتعلم ألا نأمن على حياتنا، فهي بيد الله.
· عملياً: نستعد للموت في كل لحظة.

.3دلالة) الوتين(:

(الوتين) هو نياط القلب، وهو عرق متصل بالقلب، وهو حبل الحياة. وقيل: هو عرق في الظهر، وقيل: هو عرق في العنق. وقال أكثر المفسرين: هو عرق في القلب إذا قطع مات الإنسان فوراً. وقطع الوتين أسرع طريقة للموت وأشدها ألماً. وفي ذكر الوتين إشارة إلى أن الله قادر على إماتة الإنسان في أسرع وقت وأسهله عليه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر الوتين وهو سر الحياة يخلق شعوراً بالخوف من الموت الفجائي.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله يملك حياة العباد، ويميتهم متى شاء.
· تربوياً: نتعلم ألا نغتر بالحياة، فهي أضعف من أن تمنع قطع الوتين.
· عملياً: نذكر أنفسنا بالموت كل يوم، ونستعد له.

.4لماذا خص الله قطع الوتين بالذكر؟

لأن قطع الوتين هو أسرع وأشد أنواع الموت. وهو أبلغ ما يمكن أن يوصف به العقاب. وفيه إشارة إلى أن من يتقول على الله يموت أفظع ميتة، وأن الله يميت روحه قبل أن يموت جسده. وقطع الوتين جعل الحياة مستحيلة بعدها، فلا ترقيع ولا إصلاح.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يشعر الإنسان بأن الموت السريع المفاجئ هو أشد ما يخافه.
· عقلياً: العقل يدرك أن هذا العقاب لم يحدث للنبي، فدل على أنه لم يتقول.
· تربوياً: نتعلم أن نبتعد عن أسباب هذا العقاب.
· عملياً: نقرأ سيرة النبي، ونرى كيف حفظه الله من هذا العقاب.

.5الفرق بين الأخذ باليمين وقطع الوتين:

الأخذ باليمين عقاب في الحياة (إمساك وقبض)، وقطع الوتين عقاب بالموت. فالمتقل عليه أولا ً يؤخذ فيقبض عليه بقوة، ثم يقتل أسرع قتلة. وهذا يدل على أن الله لا يكتفي بعقوبة واحدة، بل يعاقب المتقول عقوبات متتالية.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تعدد العقوبات يخلق رهبة أكبر.
· عقلياً: العقل يدرك أن الذنب الكبير يستحق عقاباً كبيراً.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب الذنوب الكبيرة التي تستحق عقوبات متعددة.
· عملياً: لا نستهين بأي ذنب، فالعقاب قد يكون متعدداً.

رابعاً: دلالة قوله {فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}

.1دلالة) فما منكم(:

(فما) نافية، (منكم) بيان أن المخاطبين هم الناس الذين يسمعون هذه الآيات. والمعنى: ليس منكم أيها الناس. والنفي هنا للتأكيد، أي لا يوجد أحد من البشر يستطيع أن يفعل شيئاً. وهذا رد على من كان يظن أنه يحمي النبي أو يمنع عنه العذاب لو نزل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: النفي المطلق يخلق شعوراً بالعجز البشري أمام قدرة الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن البشر لا يستطيعون منع قدر الله.
· تربوياً: نتعلم أن لا نعتمد على البشر في دفع العذاب عنا، بل نعتمد على الله.
· عملياً: لا نتوكل على أحد سوى الله، ونسأله العافية.

.2دلالة) من أحد(:

(أحد) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، أي لا أحد من الناس قريباً كان أو بعيداً، قوياً أو ضعيفاً، ملكاً أو فقيراً. ولا حتى أقرب الناس إليه وأحبهم، ولا أقواهم وأشدهم. فكلهم عاجزون.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: العموم يخلق شعوراً بالعجز التام.
· عقلياً: العقل يدرك أن قدرة الله لا يعجزها شيء.
· تربوياً: نتعلم أن نطلب الحماية من الله وحده.
· عملياً: ندعو الله أن يحمينا من عذابه، ولا نرجو أحداً غيره.

.3دلالة) حاجزين(:

(حاجزين) جمع حاجز، وهو المانع والحاجب الذي يمنع الشيء من الوصول. والمعنى: لا مانع يمنع العذاب عن النبي لو نزل. وحاجزين منصوب على الحال، أي لا يوجد أحد حاجزين أي حال كونهم حاجزين. وهذا تأكيد على أن منع العذاب مستحيل.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة (حاجزين) توحي بالمنعة والحماية، فالنفي يدل على أنه لا حماية بشرية تمنع قدر الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله إذا أراد شيئاً فلا راد لأمره.
· تربوياً: نتعلم أن لا نعتقد أننا نستطيع حماية أنفسنا أو غيرنا من عذاب الله.
· عملياً: نحتمي بالله، ونسأله الستر والعافية.

.4العلاقة بين هذه الآية وآيات القيامة السابقة:

في الآيات السابقة تحدث الله عن أنه لا حميم للكافر، ولا شفيع. وهنا يقول عن المتقول إنه لا حاجز له من الناس. هذا التكرار يؤكد أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأن المفر الوحيد هو الله.
· عقلياً: العقل يدرك أن كل الأسباب تنقطع يوم القيامة.
· تربوياً: نتعلم أن نلجأ إلى الله في كل أمورنا.
· عملياً: نكثر من الدعاء والتضرع إلى الله.

.5ما بين) حاجزين (هنا و)حميم (في الآية35 :

في الآية 35 قال عن الكافر: {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ}. أي لا قريب ولا صديق يشفع له. وهنا قال: {فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}. أي لا مانع يمنع العذاب عن النبي لو نزل. الآيتان تظهران عجز البشر جميعاً أمام قدر الله.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالتوكل على الله وحده.
· عقلياً: العقل يدرك أن البشر لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.
· تربوياً: نتعلم ألا نعتمد على الشفعاء والأقارب في الآخرة.
· عملياً: نعمل ليكون الله هو ملجأنا.

الأمر الثاني: التصوير البياني للآيات وأغراضه

ترسم هذه الآيات مشهداً افتراضياً (فرضاً محالا ً) من عدة لوحات:

اللوحة الأولى: التقول على الله

الكاميرا تبدأ بمشهد افتراضي: يظهر النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه يفتري على الله (والعياذ ب الله). نجلسه في مكانه، ونسمع منه كلمة ليست من عند الله. الكاميرا تظهر تغيراً في ملامحه (وهو فرض محال). ثم نسمع صوتاً من السماء غاضباً.

اللوحة الثانية: الأخذ باليمين

الكاميرا تنتقل إلى مشهد العذاب: يد قوية قادرة تظهر من السماء (تمثيلا ً لقدرة الله)، وتقبض على النبي بقوة. الكاميرا تظهر قبضة شديدة، وكأنها تمسكه من يده اليمنى أو من عنقه بقوة لا تقاوم. لا يستطيع الحراك. ملامح الألم تظهر على وجهه.

اللوحة الثالثة: قطع الوتين

بعد فترة، تأتي مرحلة جديدة. سكين حادة (تمثيلا ً لأمر الله) تظهر، وتقطع الوتين - ذلك العرق المتصل بالقلب. الكاميرا تظهر الدم يتدفق، والنبي يسقط، ثم يموت في لحظة. المشهد سريع ومفاجئ ومؤلم.

اللوحة الرابعة: لا حاجزين

الكاميرا تظهر مجموعة من الناس - أصحابه وأحبابه وأقوياء قريش - يحاولون إنقاذه، لكن أيديهم تخرق جسد النبي؟ لا، هم لا يستطيعون الوصول إليه. هناك حاجز غير مرئي يمنعهم. الكاميرا تظهر عجزهم وحيرتهم. ثم نسمع صوتاً: (فما منكم من أحد عنه حاجزين).

ثم تعود الكاميرا إلى الواقع، وتعلن أن هذا كله لم يحدث، ولن يحدث، لأن النبي صادق. وهذا هو الإ عجاز: أن الله أعلن أن هذا العقاب كان سيقع لو كان كاذباً، وبما أنه لم يقع، فهو صادق.

أغراض هذا التصوير:

.1تصوير عاقبة التقول على الله: ليرتدع كل من يفكر في ذلك.
.2إظهار قدرة الله المطلقة: في الأخذ والقطع وعدم الممانعة.
.3تأكيد صدق النبي: بأن هذا العقاب لم يقع عليه.
.4الترهيب من الكذب على الله: فهو ذنب عظيم عقابه شديد.
.5تعليم عجز البشر: فهم لا يستطيعون منع عذاب الله.

ثالثاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (لو تقول علينا) تذكير بأن الكذب على الله جريمة عظيمة

لو أن أحداً كذب على الله ونسب إليه ما لم يقله، فمصيره الهلاك. الاستفادة: اتق الله في قولك، ولا تقل "قال الله" إلا وأنت متأكد.

الخاطرة الثانية: (لأخذنا منه باليمين) تذكير بقوة الله

الله يأخذ بيمينه من يشاء، ولا أحد يستطيع مقاومته. الاستفادة: لا تعص الله ظناً أنك أقوى منه.

الخاطرة الثالثة: (لقطعنا منه الوتين) تذكير بأن الموت بيد الله

الله يقطع حبل الحياة متى شاء، وبأي وسيلة شاء. الاستفادة: استعد للموت في كل لحظة.

الخاطرة الرابعة: (الوتين) تذكير بأن الحياة أضعف من أن تمنع الموت

الوتين هو عرق صغير، لكن قطعه ينهي الحياة. الاستفادة: لا تغتر بقوتك أو صحتك، فالموت يأتي فجأة.

الخاطرة الخامسة: (فما منكم من أحد عنه حاجزين) تذكير بعجز البشر

أقرب الناس إلى المتقول لا يستطيعون منع عذاب الله عنه. الاستفادة: لا تطلب الحماية من البشر من عذاب الله، بل اطلبها من الله.

الخاطرة السادسة: (لو) تذكير بأن العقاب لم يقع على النبي

لو وقع العقاب لعلمنا أنه كاذب، ولكنه لم يقع، فهو صادق. الاستفادة: ثق في صدق النبي وفي كتابه.

الخاطرة السابعة: فرضية التقول تذكير بعصمة النبي

هذه الآية من أقوى الأدلة على أن النبي معصوم من الكذب على الله. الاستفادة: أحب النبي وأتبعه.

رابعاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

.1قضية أن الكذب على الله من أكبر الكبائر.
.2قضية عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الكذب على الله.
.3قضية قدرة الله المطلقة على الانتقام.
.4قضية أن لا أحد يستطيع منع عذاب الله.
.5قضية الرد على المشركين الذين اتهموا النبي بالتقول.
.6قضية أن الموت السريع) قطع الوتين (هو نموذج لعقاب الله.
.7قضية أسلوب الفرض المحال في الإقناع.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ هذه الآيات وتستشعر أنها تهدد من يتقول على الله، وتثبت صدق النبي صلى الله عليه وسلم. وتتخيل أن الله لو أراد أن يعاقب أحداً لأخذه بقوته وقطع حبال حياته، فلا مانع له.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: كن صادقاً في كل أقوالك، ولا تكذب أبداً، وخصوصاً في أمور الدين.
· في عباداتك: تأكد من صحة الأحاديث قبل أن تعمل بها، ولا تنسب لله ورسوله ما لم يقولا.
· في معاملاتك: لا تخف من أحد في الله، فالله هو القوي القادر، والناس لا يستطيعون منع عذابه.
· في تربيتك: علم أبناءك أن الكذب على الله عظيم، وأن على المسلمين التثبت في نقل الأحاديث.
· في دعوتك: استخدم هذه الآية لإثبات صدق النبي للمشككين.

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظرة إلى الكذب: الكذب ليس أمراً هيناً، فالكذب على الله من أشد الكبائر.
.2تغيير النظرة إلى القوة: القوة الحقيقية لله وحده، والبشر عاجزون أمام قدرته.
.3تغيير النظرة إلى الموت: الموت ليس حادثة عابرة، بل هو بيد الله يوقعه متى شاء وبالكيفية التي يشاء.
.4تغيير النظرة إلى النبي: النبي صادق ومعصوم من الكذب على الله، فيجب تصديقه واتباعه.
.5تغيير النظرة إلى الحماية: لا أحد يستطيع حمايتنا من عذاب الله، فعلينا أن نحمي أنفسنا بطاعته.
.6تغيير النظرة إلى الأسباب: كل الأسباب تنقطع أمام قضاء الله.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: التقول على الله من أعظم الذنوب. التطبيق: لا تقل "قال الله" إلا وأنت متأكد، ولا تفتِ بغير علم.

الدرس الثاني: الله قوي يأخذ بيمينه. التطبيق: لا تخف من قوة البشر، بل خف من قوة الله.

الدرس الثالث: قطع الوتين أسرع وأشد الموت. التطبيق: استعد للموت في كل لحظة، فربما يأتي فجأة.

الدرس الرابع: لا حاجز من الناس. التطبيق: لا تطلب الحماية من البشر من عذاب الله، بل تب إلى

الله.

الدرس الخامس: النبي لم يتقول، فهو صادق. التطبيق: آمن بما جاء به النبي، واتبعه.

الدرس السادس: أسلوب الفرض المحال يقنع العقل. التطبيق: استخدم هذا الأسلوب في الحوار والإقناع.

الدرس السابع: الله لا يترك الكاذب عليه دون عقاب. التطبيق: لا تخدع نفسك بأن الكذب سيمر بلا عقاب.

خامساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

- مهارة فهم أسلوب (لو) الامتناعية في القرآن.
- مهارة تحليل معنى (التقول) ودلالاته.
- مهارة معرفة (الوتين) وأهميته في الحياة.
- مهارة استنتاج عصمة النبي من هذا الافتراض.

المهارات الحياتية

- مهارة الصدق في القول وتجنب الكذب.
- مهارة التثبت في نقل الأخبار وخصوصاً الدينية.
- مهارة التوكل على الله وعدم الخوف من البشر.
- مهارة الاستعداد للموت في أي لحظة.

المهارات العملية

- مهارة التحقق من صحة الأحاديث قبل نشرها.
- مهارة الرد على شبهات المشككين باستخدام الأدلة العقلية.
- مهارة الدعاء بخشوع: "اللهم إني أعوذ بك من أن أقول عليك ما لا أعلم".
- مهارة تعليم الأطفال قيمة الصدق.

سادساً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

1. لا تتهاون في الكذب على الله أو على رسوله، فذلك من أكبر الكبائر.
2. إذا أردت أن تنقل حديثاً أو حكماً شرعياً، فتأكد من صحته أولاً.
3. تذكر أن الله قوي قادر، فهو يأخذ بيمينه من يشاء، ويقطع وتين من يشاء.
4. لا تخف من بطش البشر، فإن الله هو القوي المتين.
5. استعد للموت، فالوتين قد يقطع في أي لحظة.
6. لا تعتمد على أحد في دفع عذاب الله عنك، فالبشر عاجزون.
7. آمن بصدق النبي وثبت عليه، فهو الذي حفظه الله من هذا العقاب.

دورها في تطوير الحياة

- تطوير الصدق: معرفة أن الكذب على الله عقابه شديد يدفع إلى الصدق في كل شيء.
- تطوير الوعي الديني: فهم عصمة النبي يزيد الإيمان والثقة بالدين.
- تطوير التوكل: عدم الخوف من البشر يمنح النفس قوة وشجاعة.
- تطوير الاستعداد للموت: يمنع الغفلة والانشغال بالدنيا.
- تطوير الأخلاق: الابتعاد عن الكذب يحسن المجتمع.

سابعاً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

1.أن الكذب على الله - بنسبة ما لم يقله - هو من كبائر الذنوب.
2.أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الكذب على الله، بدليل أن الله لم يعاقبه.
3.أن الله قوي شديد البطش، يأخذ من يشاء بقوته.
4.أن) الوتين (هو عرق الحياة، وقطعه يؤدي إلى الموت الفوري.
5.أن لا أحد من البشر يستطيع أن يمنع عذاب الله إذا نزل.
6.أن أسلوب الفرض المحال) لو (هو من أبلغ أساليب الإقناع في القرآن.
7.أن الله لم يعاقب النبي، رغم افتراض التقول، فدل على أنه صادق.
8.أن عقاب المتقول على الله هو أخذ باليمين ثم قطع الوتين.
9.أن الموت قد يأتي فجأة بقطع الوتين، فلا نغفل عن الاستعداد.
10.أن الحماية الحقيقية هي من الله، وليست من البشر.

ثامناً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

1.البعد العقدي: إثبات عصمة النبي وصدقه، وإثبات قدرة الله المطلقة.
2.البعد الفرضي: استخدام أسلوب الفرض المحال لبيان حقيقة لم تحدث.
3.البعد التشريعي: تحريم الكذب على الله وعلى رسوله.
4.البعد النفسي: خلق الخوف من الكذب على الله، وطمأنة المؤمنين بصدق النبي.
5.البعد البياني: أسلوب الشرط) لو (وجوابه، والتدرج في العقاب.
6.البعد الردي: الرد على المشركين الذين اتهموا النبي بالتقول.

الآفاق:

1.أفق الصدق: مجتمع يصدق في أقواله ولا يكذب على الله أو على الناس.
2.أفق التوكل: مجتمع لا يخاف من البشر، بل يخاف الله وحده.
3.أفق الاستعداد للموت: مجتمع لا يغفل عن الموت، فيعمل للآخرة.
4.أفق نقد الروايات: ضرورة التثبت في صحة الأحاديث.
5.أفق الإعجاز: هذه الآية دليل على صدق النبي.

الأمر الثاني: القيم من الآية

1.قيمة الصدق: الصدق في القول، وخصوصاً في حق الله ورسوله.
2.قيمة الخوف من الله: الخوف من عقابه وعذابه.
3.قيمة التوكل: الاعتماد على الله وحده.
4.قيمة الاستعداد للموت: تذكره والعمل له.
5.قيمة التثبت: التأكد من الأخبار قبل نقلها.
6.قيمة الشجاعة: عدم الخوف من البشر في الله.
7.قيمة الإيمان بالنبي: تصديقه واتباعه.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (التقول): في حياتنا العملية، نحرص على ألا نقول عن الله شيئاً بغير علم، وألا نفتي بغير علم.

مفهوم (الأخذ باليمين): في حياتنا العملية، نطلب من الله أن لا يأخذنا بقوته، بل يعفو عنا.

مفهوم (الوتين): في حياتنا العملية، نستشعر ضعف حياتنا، فهي معلقة بوتين رفيع.

مفهوم (حاجزين): في حياتنا العملية، لا نعتمد على أحد لحمايتنا من عذاب الله، بل نعتمد على طاعته.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

.1مفهوم) الخوف الإيجابي(: الخوف من الكذب على الله يمنع منه.
.2مفهوم) الطمأنينة(: معرفة أن النبي صادق يطمئن المؤمنين.
.3مفهوم) العجز(: الشعور بعجز البشر أمام قدرة الله.
.4مفهوم) التوكل(: الاعتماد على الله وحده.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) الفرض المحال(: أسلوب منطقي لإثبات القضايا.
.2مفهوم) العصمة(: النبي معصوم من الكذب على الله.
.3مفهوم) القدرة المطلقة(: الله على كل شيء قدير.
.4مفهوم) السببية(: الوتين سبب الحياة، والله قادر على قطع السبب.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالتهديد(: تهديد المتقول بعقاب شديد.
.2مفهوم) التربية بالقدوة(: النبي قدوة في الصدق.
.3مفهوم) التربية بالتثبت(: تعليم الأطفال ألا ينقلوا كل ما يسمعون.
.4مفهوم) التربية بالتوكل(: تعليمهم أن الله هو الحافظ.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء الصدق: في كل الأقوال والأعمال.
.2بناء الخشية من الله: في السر والعلن.
.3بناء التوكل على الله: لا على البشر.
.4بناء الاستعداد للموت: فلا انشغال بالدنيا.
.5بناء ثقافة التثبت: في نقل الأخبار.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة الصدق: مجتمع صادق يتطور.
.2تنمية ثقافة التوكل: يقل فيه الخوف والقلق.
.3تنمية ثقافة التثبت: يقل فيه الشائعات والأخبار الكاذبة.
.4تنمية ثقافة الاستعداد للموت: يقل فيه الغفلة والانشغال بالدنيا.
.5تنمية ثقافة احترام النصوص: التثبت في الأحاديث.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· الصدق المطلق: في كل أقوالها.
· الخوف من الله: يمنعها من المعصية.
· التوكل على الله: لا تخاف من البشر.
· الاستعداد للموت: تعمل للآخرة.

· التثبت: لا تنقل كل ما تسمع.

صناعة التطور والنهضة:

· أولاً: مجتمع صادق ينهض، لأن الصدق يبني الثقة.
· ثانياً: مجتمع يتوكل على الله لا يخاف من الأعداء، فينهض في وجه التحديات.
· ثالثاً: مجتمع يتثبت في الأخبار يقل فيه الفساد الإعلامي والاجتماعي.
· رابعاً: مجتمع يستعد للموت يعمل لدنياه وآخرته فيتطور.
· خامساً: مجتمع يقدس الصدق ويحترم النصوص الدينية يستقر ويزدهر.

تاسعاً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى الصدق في كل أقوالنا، وخصوصاً في أمور الدين.
.2تدعونا إلى التثبت في نقل الأحاديث والفتاوى.
.3تدعونا إلى الخوف من قدرة الله، فهو قادر على أخذنا باليمين وقطع وتيننا.
.4تدعونا إلى التوكل على الله وحده، وعدم الخوف من البشر.
.5تدعونا إلى الاستعداد للموت في كل لحظة، فالوتين قد يقطع في أي وقت.
.6تدعونا إلى الإيمان بصدق النبي، فهو الذي حفظه الله من هذا العقاب.
.7تدعونا إلى الدعاء: "اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون".

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة (لو تقول علينا)

التدبر: تخيل لو أن أحداً من الناس نسب إلى الله كذباً. ماذا سيكون مصيره؟ هذه الآية تخبرك: عذاب عظيم.

الأسئلة العملية:

· هل سبق أن قلت "قال الله" وأنا لست متأكدا؟
· كيف أتأكد من صحة ما أنقل؟

التطبيق: تعلم أصول الحديث، ولا تنقل حديثاً إلا إذا عرفت أنه صحيح.

الوقفة الثانية: وقفة (لأخذنا منه باليمين)

التدبر: تخيل يداً قوية تقبض عليك بقوة. لا تستطيع الحراك. هذه هي قدرة الله.

الأسئلة العملية:

· هل أشعر بضعفي أمام قدرة الله؟
· كيف أتجنب أن يأخذني الله باليمين؟

التطبيق: استغفر الله من كل ذنب، وتذكر أن الله قوي شديد العقاب.

الوقفة الثالثة: وقفة (لقطعنا منه الوتين)

التدبر: تخيل أن حياتك معلقة بحبل رفيع، فجأة يقطع. في ثانية تموت.

الأسئلة العملية:

· هل أنا مستعد للموت في هذه اللحظة؟
· ماذا لو قطع الله وتيني الآن؟

التطبيق: لا تؤجل التوبة، وتب الآن، واستعد للموت.

الوقفة الرابعة: وقفة (فما منكم من أحد عنه حاجزين)

التدبر: تخيل أنك تحاول إنقاذ شخص قريب إليك من عذاب الله، فتجد نفسك عاجزاً.

الأسئلة العملية:

· هل أعتمد على أحد ليمنع عني عذاب الله؟
· كيف أطلب الحماية ممن يملكها حقاً؟

التطبيق: قل كل يوم: "اللهم احفظني بعينك التي لا تنام، وارحمني بقدرتك التي لا تغلب".

الوقفة الخامسة: وقفة (النبي لم يتقول)

التدبر: هذه الآية دليل قاطع على أن النبي صادق. فلو كان كاذباً لعاقبه الله.

الأسئلة العملية:

· هل إيماني بالنبي قوي بما فيه الكفاية؟
· كيف أزيد حبه واتباعه؟

التطبيق: اقرأ سيرة النبي وتأمل في أخلاقه، وازدد حباً له.

الوقفة السادسة: وقفة (الفرض المحال)

التدبر: الآية استخدمت أسلوب "لو" لتفترض شيئاً محالاً لتثبت ضدّه. هذا أسلوب عبقري في الإقناع.

الأسئلة العملية:

· هل أستخدم أسلوب الفرض المحال في حواراتي؟
· كيف أتعلم من القرآن أساليب الإقناع؟

التطبيق: عندما تريد إقناع شخص، استخدم هذا الأسلوب: "لو كان الأمر كذا، لكانت النتيجة كذا، ولكن بما أن النتيجة لم تحدث، فالأمر ليس كذا".

رسالة الختام

لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى استخدم أسلوب الفرض المحال ليؤكد صدق نبيه. فلو أن محمداً صلى الله عليه وسلم تقول على الله ونسب إليه ما لم يقله، لكان الله قد عاقبه أشد العقاب: لأخذه بيمينه قوة وقهراً، ثم لقطع منه وتينه فمات شر ميتة، ولن يستطيع أحد من الناس أن يحجز هذا العذاب أو يمنعه. ولكن هذا لم يحدث، فعلمنا أنه لم يتقول، وأن ما جاء به هو حق من عند الله.

وتعلمنا أن التقول على الله هو من أكبر الكبائر، وأن عقابه شديد، وأن الله قادر على أخذ من يشاء بقوته، وقطع حبل حياته متى شاء. وتعلمنا أن لا حاجز ولا مانع من عذاب الله، فلا نعتمد على أحد غير الله في دفع العذاب عنا.

وتعلمنا أن هذه الآيات تدعونا إلى الصدق، والتثبت، والتوكل على الله، والاستعداد للموت، والإيمان بصدق النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث

تفسير تفصيلي للآيات الكريمة (49-52 من سورة الحاقة

{وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِين فسبح بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ}}

أولا ً: المقدمة التمهيدية

.1ربط الآيات بما قبلها

الآيات السابقة (44-48) كانت في مقام الرد على المشركين الذين اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بـ التقول على الله وافتراء القرآن. فقد استخدم الله أسلوب الفرض المحال (لو تقول علينا) ليثبت أن النبي صادق، لأن الله لو أراد لعاقبه أشد العقاب، ولكنه لم يفعل.

ثم تأتي هذه الآيات (49-51) لتنتقل من الرد على المتهمين إلى الحديث عن موقف المكذبين من هذا القرآن الكريم. فبعد أن ثبت أن القرآن من عند الله، وأنه ليس بقول شاعر ولا كاهن، وأن النبي صادق ، فإن من الناس من سيكذب به رغم كل هذه الأدلة. والله يعلم ذلك، ويخبر نبيه به.

وهذا الانتقال في غاية البلاغة: بعد أن أقام الله الحجة القاطعة على صدق القرآن وصدق النبي، يأتي دور بيان أن بعض الناس سيصرون على التكذيب رغم وضوح الحق، وهذا ليس بعجيب، فقد علم الله ذلك وأخبر به. ثم يبين أن هذا القرآن سيكون حسرة على الكافرين يوم القيامة، لأنه حق اليقين الذي كذبوه.

والربط أيضاً مع بداية السورة التي تحدثت عن هلاك المكذبين من الأمم السابقة (ثمود، عاد، فرعون)، وهنا يخبر الله نبيه أن في قومه مكذبين أيضاً، ولكن الله يعلمهم وسيجزيهم.

.2الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

تتركز هذه الآيات الثلاث في فكرة مركزية هي: إخبار الله نبيه بأن في قومه مكذبين، وأن هذا القرآن سيكون حسرة عليهم يوم القيامة، لأنه حق اليقين الذي لا مرية فيه. وتتفرع إلى ثلاث مراحل:

الفكرة الأولى: علم الله بالمكذبين {وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ}

· (وإنا) تأكيد من الله.
· (لنعلم) علم محيط شامل.
· (منكم) من قومك يا محمد، أو من الناس.
· (مكذبين) بهذا القرآن أو بهذا النبي.

الفكرة الثانية: القرآن حسرة على الكافرين {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافِرِينَ}

· (وإنه) أي هذا القرآن، أو هذا التكذيب.
· (لحسرة) ندم وندامة وعذاب نفسي.
· (على الكافرين) يوم القيامة، حين يرون عاقبة تكذيبهم.

الفكرة الثالثة: القرآن حق اليقين {وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ}

· (وإنه) أي القرآن.
· (لحق اليقين) هو الحق الذي لا شك فيه، وهو عين اليقين نفسه.

(ويتبعها الآية 52: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ} – أمر بالتسبيح بعد كل هذه البراهين.)

.3المغزى من الآية

المغزى الأول: أن الله يعلم كل شيء، ويعلم من يكذب بهذا القرآن ومن يصدق. وهذا يعزي النبي صلى الله عليه وسلم، ويطمئنه أن الله مطلع على من يكذبه.

المغزى الثاني: أن التكذيب بالقرآن سينقلب حسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة، حين يرون الحق واضحاً أمامهم ويعلمون أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم.

المغزى الثالث: أن القرآن هو حق اليقين، أي أنه الحق الثابت الذي لا شك فيه، وهو عين اليقين الذي يزيل كل شك. فهو ليس مجرد خبر، بل هو الحقيقة المطلقة.

المغزى الرابع: الآيات تعزي النبي صلى الله عليه وسلم وتثبته، وتخبره أن تكذيب قومه ليس بجديد، وأن الله سينتقم لهم يوم القيامة.

المغزى الخامس: الحسرة التي تصيب الكافرين يوم القيامة تكون على تفويتهم فرصة الإيمان، ورؤيتهم لعاقبة تكذيبهم، وتمنيهم لو كانوا آمنوا.

المغزى السادس: الآيات تدعو إلى التسبيح بحمد الله العظيم، لأن هذه البراهين تستوجب التنزيه و التعظيم.

.4أهداف الآية ومقاصدها

الهدف العقدي الأول: إثبات علم الله المحيط بكل شيء، بما في ذلك من يكذب بالقرآن.

الهدف العقدي الثاني: إثبات أن القرآن هو حق اليقين، أي كلام الله الحق الذي لا شك فيه.

الهدف العقدي الثالث: إثبات أن الكافرين سيندمون يوم القيامة على تكذيبهم.

الهدف النفسي: تعزية النبي صلى الله عليه وسلم، وتثبيته على ما هو عليه. وترهيب الكافرين بأن تكذيبهم سينقلب حسرة عليهم.

الهدف البياني: استخدام أسلوب التأكيد (إن، اللام، العلم) في الآية الأولى. وأسلوب الحسرة (لحسرة) في الثانية. وأسلوب التأكيد المطلق (حق اليقين) في الثالثة.

الهدف التربوي: تعليم أن التكذيب بالحق يؤدي إلى الحسرة والندامة. وأن الإيمان هو الذي يقي من تلك الحسرة.

الهدف الدعوي: تحذير الكافرين من عاقبة تكذيبهم، ووعد المؤمنين بالثبات والنصر.

ثانياً: تحليل الآية

الأمر الأول: دلالات الآية

أولا ً: دلالة قوله {وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ}

.1دلالة) وإنا لنعلم(:

(وإنا) الواو عاطفة، و(إن) للتوكيد، و(نا) ضمير الجلالة. (لنعلم) اللام للتوكيد، ونعلم فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد. والمعنى: ونحن - الله - نعلم علماً يقينياً شاملا ً. وتقديم الضمير (إنا) يفيد الحصر، أي لا أحد يعلم ذلك إلا الله. وتأكيد العلم ب(إن) واللام يدل على أن هذا العلم متحقق لا شك فيه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التأكيد المتكرر يخلق شعوراً باليقين والطمأنينة عند المؤمن، ويرهب الكافر.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله عالم بكل شيء، ولا يخفى عليه من يكذب.
· تربوياً: نتعلم أن العلم صفة من صفات الله، وأنه يعلم السر والعلن.
· عملياً: نراقب الله في كل أقوالنا، فهو يعلم إن كنا صادقين أم مكذبين.

.2دلالة) أن منكم مكذبين(:

(أن) حرف مصدري ونصب. (منكم) أي من بينكم أيها الناس، أو من قومك يا محمد. (مكذبين) جمع مكذب، وهم الذين يكذبون بالقرآن والنبي. والمعنى: أن فيكم - أيها المخاطبون - من يكذب بهذا القرآن. وهذه الجملة فيها تعزية للنبي، وتوبيخ للمكذبين، وإخبار بأن التكذيب موجود ولن يخلو منه زمان.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تعزية للنبي بأن تكذيب قومه ليس بالأمر الجديد، والله يعلم ذلك.
· عقلياً: العقل يدرك أن من طبيعة البشر أن يختلفوا، وأن يكون منهم مكذبون ومصدقون.
· تربوياً: نتعلم ألا نيأس إذا وجدنا من يكذب بالحق، فالله يعلم ذلك.
· عملياً: نستمر في دعوتنا إلى الله، ولا يثبطنا تكذيب المكذبين.

.3دلالة) علم الله بالمكذبين(:

هذه الآية تبين أن الله يعلم كل مكذب، وسيجزيه على تكذيبه. وهو علم شامل لا يفوته أحد. وفي هذا طمأنة للنبي أن الله لن يضيع حقه، وأن كل مكذب سيأخذ جزاءه. وهي أيضاً تهديد للمكذبين: الله يعلمكم، فلا تفلتون من علمه.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: طمأنة للمؤمنين، ورهبة للمكذبين.
· عقلياً: العقل يدرك أن علم الله محيط، فلا يمكن للمكذب أن يختبئ.
· تربوياً: نتعلم أن نعلم أبناءنا أن الله يعلم كل شيء، فلا يخفون عليه شيئاً.
· عملياً: نخاف من الله في السر والعلن، فهو يعلمنا.

.4ما بين هذه الآية وآيات العلم الإلهي السابقة:

في السورة، تحدث الله عن علمه بالكافرين وعذابهم. وهنا يخبر عن علمه بالمكذبين في زمن النبي. وهذا يبين أن علم الله ثابت في كل الأزمنة، وأن سنته واحدة مع المكذبين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأن سنة الله لا تتغير.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله واحد في كل زمان.
· تربوياً: نتعلم أن نعتبر بمن قبلنا.
· عملياً: لا نغتر بزماننا، فسنة الله باقية.

ثانياً: دلالة قوله {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافِرِينَ}

.1دلالة) وإنه لحسرة(:

(وإنه) الواو عاطفة، و(إن) للتوكيد، والهاء تعود على القرآن أو على التكذيب. (لحسرة) اللام للتوكيد، و الحسرة هي شدة الندم والأسف على ما فات. والمعنى: أن هذا القرآن سيكون سبباً لحسرة الكافرين يوم القيامة، أو أن تكذيبهم به سينقلب حسرة عليهم. والحسرة هي ألم نفسي شديد، وقد تكون مع عذاب جسدي.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة (حسرة) تخلق شعوراً بالندم والألم، وتوقع القارئ في حالة من التفكر.
· عقلياً: العقل يدرك أن الكفر يؤدي إلى الحسرة، والإيمان يؤدي إلى الفرح.
· تربوياً: نتعلم أن نختار طريق الفرح (الإيمان) لا طريق الحسرة (الكفر).
· عملياً: نعمل لئلا نكون من الذين يتحسرون يوم القيامة.

.2دلالة) على الكافرين(:

(على) تفيد الاستعلاء، أي أن الحسرة تحيط بهم وتعلوهم وتغشاهم. والكافرين هم الذين جحدوا الله ورسوله والقرآن. واختصاص الحسرة بالكافرين يدل على أن المؤمنين لا حسرة عليهم، بل لهم الفرح و السرور. وفي هذا تشويق إلى الإيمان وترهيب من الكفر.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تخصيص الحسرة بالكافرين يخلق شعوراً بالنعمة على المؤمنين.

· عقلياً: العقل يدرك أن المؤمنين لهم عاقبة حسنة، والكافرين لهم الحسرة.
· تربوياً: نتعلم أن نعلم أبناءنا أن الكفر يؤدي إلى الندم.
· عملياً: نحرص على أن نكون من المؤمنين، لا من الكافرين.

.3متى تكون هذه الحسرة؟

تكون هذه الحسرة يوم القيامة، عندما يرى الكافرون أعمالهم، ويرون جزاء المؤمنين، ويرون النار أمامهم، ويعلمون أنهم خسروا الدنيا والآخرة. وقيل: تكون حسرة في الدنيا عند الموت، أو في القبر، ولكن أشدها يوم القيامة. والحسرة تشمل:

· حسرة على تضييع الإيمان.
· حسرة على تفويت ثواب الجنة.
· حسرة على استحقاق النار.
· حسرة على عدم استجابة الدعوة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: توقع هذه الحسرة يخلق خوفاً يدفع إلى التوبة.
· عقلياً: العقل يدرك أن الحسرة في الآخرة لا تنفع.
· تربوياً: نتعلم أن نغتنم الوقت قبل الحسرة.
· عملياً: نتوب اليوم قبل أن نكون من المتمنين.

.4ما بين الحسرة هنا والحسرة في آيات أخرى:

في سورة مريم: {يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ}، وفي سورة الزمر: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}. وهنا الحسرة على تكذيب القرآن. وهذا يبين أن أسباب الحسرة متعددة، لكنها كلها تعود إلى الكفر والتفريط.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: تكرار ذكر الحسرة في القرآن يخوف النفس ويدفعها إلى العمل.
· عقلياً: العقل يدرك أن الحسرة مصير كل كافر.
· تربوياً: نتعلم أن نذكر أنفسنا والآخرين بعاقبة الكفر.
· عملياً: نقرأ هذه الآيات ونتأملها.

.5علاقة الحسرة بالآية السابقة) علم الله بالمكذبين(:

الله يعلم من يكذب، وهذا العلم سيتحول إلى حسرة على الكافرين يوم القيامة. فالعلم الإلهي ليس علماً سلبياً، بل هو دليل على أن الحسرة قادمة لا محالة. ومن يعلم الله به مكذباً، فسيجازيه بـ الحسرة.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالعدالة الإلهية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله لا يظلم مثقال ذرة.
· تربوياً: نتعلم أن نتجنب كل ما يوجب الحسرة.
· عملياً: نكثر من الاستغفار والتوبة.

ثالثاً: دلالة قوله {وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ}

.1دلالة) وإنه لحق اليقين(:

(وإنه) الواو عاطفة، و(إن) للتوكيد، والهاء تعود على القرآن. (لحق اليقين) أي هو الحق الذي لا شك فيه، وهو نفس اليقين الذي لا ريب معه. وحق اليقين: هو ما تبلغ به درجة اليقين، أو هو عين

اليقين. وقد فسر بعضهم أن (حق اليقين) هو الجنة أو النار التي هي حق يقين. والأرجح أن المعنى: هذا القرآن هو الحق الثابت الذي يبلغ بصاحبه إلى اليقين، أو هو الحق الذي يشبه اليقين في ثبوته.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: كلمة (حق اليقين) تخلق شعوراً بالثبات والثقة، فالقرآن ليس ظناً بل حقيقة مطلقة.
· عقلياً: العقل يدرك أن القرآن يستحق أن نوقن به، لأنه الحق.
· تربوياً: نتعلم أن نصل إلى درجة اليقين في إيماننا.
· عملياً: نقرأ القرآن ونتدبره حتى يصل إيماننا إلى درجة اليقين.

.2دلالة) حق اليقين (ومراتب العلم:

العلم ثلاث مراتب: علم اليقين (العلم بالشيء)، وعين اليقين (رؤية الشيء)، وحق اليقين (الوصول إلى الشيء). فحق اليقين هو أعلى مراتب اليقين، وهو مشاهدة الحق والوصول إليه. والقرآن هو حق اليقين، لأنه يوصل من يتبعه إلى الجنة، ويشاهد فيها ما وعد. فكأنه قيل: هذا القرآن هو الطريق إلى اليقين الكامل، وهو نفسه الحق الثابت.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بأن الإيمان بالقرآن يصل بالإنسان إلى أعلى درجات اليقين.
· عقلياً: العقل يدرك أن القرآن ليس مجرد أخبار، بل هو طريق إلى المشاهدة.
· تربوياً: نتعلم أن نطلب مراتب العلم الثلاثة: علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين.
· عملياً: نعمل بالقرآن لنصل إلى حق اليقين.

.3ما بين) حق اليقين (و)الحسرة(:

القرآن هو حق اليقين للمؤمنين، وهو حسرة على الكافرين. فنفس القرآن الذي يهدي المؤمنين إلى حق اليقين، يكون سبباً في حسرة الكافرين لأنهم كذبوا به. وهذا من تمام العدل: كلٌ يجازى بما يستحق.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالعدالة الإلهية.
· عقلياً: العقل يدرك أن الشيء الواحد قد يكون نعمة على قوم ونقمة على آخرين.
· تربوياً: نتعلم أن نختار طريق النعمة لا النقمة.
· عملياً: نتمسك بالقرآن، فهو حق اليقين الذي يهدينا.

.4دلالة القسم الثلاثي) علم - حسرة - حق اليقين(:

الآيات الثلاث تبدأ بـ(إن) المؤكدة، وتتوالى لتشكل حجة قوية: الله يعلم المكذبين، وهذا التكذيب سيكون حسرة عليهم، والقرآن هو حق اليقين. هذه ثلاث حقائق مترابطة تبين مصير المكذبين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التوكيد الثلاثي يرسخ المعاني في النفس.
· عقلياً: العقل يدرك أن هذه الحقائق لا تقبل الجدل.
· تربوياً: نتعلم أن نؤكد كلامنا إذا كان مهماً.
· عملياً: نكرر هذه الآيات لنتذكرها دائماً.

رابعاً: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}
أمر من الله للنبي بالتسبيح بعد هذه البراهين.

.1دلالة) فسبح(:

(فسبح) الفاء للتعليل والتفريع، أي بعد أن علمت هذه الحقائق، فسبح. والتسبيح هو تنزيه الله عن كل نقص، وذكره بصفات الكمال. والتسبيح قد يكون باللسان (سبحان الله) وبالقلب (الاعتقاد) وبالجوارح (العمل الصالح). وأمر الله لنبيه بالتسبيح فيه تسلية له، وتثبيت له، وإرشاد إلى أن يشتغل بذكر الله

بدلا ً من الحزن على تكذيب المكذبين.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: التسبيح يريح النفس ويطمئن القلب.
· عقلياً: العقل يدرك أن التسبيح هو شكر الله على نعمه.
· تربوياً: نتعلم أن نكثر من التسبيح، فهو عبادة سهلة وعظيمة.
· عملياً: نجعل لساننا رطباً بذكر الله (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).

.2دلالة) باسم ربك العظيم(:

(باسم ربك) أي اذكر اسمه وسبح به. و(ربك) إضافة إلى النبي، وفيها تشريف له. و(العظيم) صفة للرب، فالله عظيم لا يوصف، له العظمة في ذاته وصفاته وأفعاله. والتسبيح باسم الله العظيم معناه أن ننزهه عن كل ما لا يليق بعظمته.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: ذكر العظمة يخلق شعوراً بالخضوع والتعظيم.
· عقلياً: العقل يدرك أن الله عظيم، فيستحق التسبيح.
· تربوياً: نتعلم أن نعظم الله في قلوبنا وألسنتنا.
· عملياً: نكثر من قول "سبحان الله العظيم".

.3ما بين التسبيح والعلم والحسرة وحق اليقين:

بعد أن أخبر الله عن علمه بالمكذبين، وعن حسرة الكافرين، وعن أن القرآن حق اليقين، يأمر نبيه بـ التسبيح. فالتسبيح هو العبادة التي تناسب هذا المقام: بعد رؤية عظمة الله، وحكمته في خلقه، وجزائه للكافرين والمؤمنين، يكون التسبيح هو رد الفعل المناسب.

الرسائل النفسية والعقلية والتربوية والعملية:

· نفسياً: يخلق شعوراً بالارتباط بين المعرفة والعبادة.
· عقلياً: العقل يدرك أن العلم بالله يستوجب عبادته.
· تربوياً: نتعلم ألا ننفصل بين العلم والعمل.
· عملياً: كلما تعلمنا شيئاً عن الله، أكثرنا من تسبيحه.

الأمر الثاني: التصوير البياني للآيات وأغراضه

ترسم هذه الآيات مشهداً متكاملا ً في ثلاث لوحات:

اللوحة الأولى: علم الله بالمكذبين

الكاميرا تظهر مجموعة من الناس في زمن النبي: منهم من يستمع إلى القرآن باهتمام، ومنهم من يعرض بوجهه، ومنهم من يسخر. الكاميرا تركز على وجوه المكذبين: نظراتهم، تشكيكهم، استهزائهم. ثم نسمع صوتاً من السماء: (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين). الكاميرا تظهر أن الله يراهم ويعلمهم، ولا يخفون عليه.

اللوحة الثانية: الحسرة على الكافرين

الكاميرا تنتقل إلى يوم القيامة. نرى الكافرين وهم واقفون في أرض المحشر، وجوههم مغبرة، أعينهم مذعورة. نراهم يندبون حظهم، يصرخون: (يا حسرتنا). الكاميرا تظهر أمامهم النار، وخلفهم الجنة، فيتمنون لو كانوا آمنوا. ثم نسمع صوتاً: (وإنه لحسرة على الكافرين). الكاميرا تظهر الدموع تنهمر، و الندم يعصر القلوب.

اللوحة الثالثة: حق اليقين

الكاميرا تظهر القرآن الكريم ككتاب من نور، يتصاعد منه نور حتى يملأ الكون. الكاميرا تظهر المؤمنين وهم يستضيئون بهذا النور، ويهتدون إلى الجنة. ويظهر الكافرين وهم يتعثرون في الظلام الذي صنعوه بتكذيبهم. ثم نسمع صوتاً: (وإنه لحق اليقين). الكاميرا تختم بمشهد المؤمنين وهم يدخلون الجنة وهم يسبحون: (سبحان ربي العظيم).

اللوحة الرابعة (52): التسبيح

الكاميرا تظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرفع يديه ويقول: (سبحان ربي العظيم). ثم نرى المسلمين من بعده يرددون التسبيح. الكاميرا تظهر السماء والأرض تسبح معهم.

أغراض هذا التصوير:

.1تثبيت النبي: بإعلامه بأن الله يعلم كل شيء.
.2ترهيب الكافرين: بأن تكذيبهم سيؤول إلى حسرة.
.3طمأنة المؤمنين: بأن القرآن حق يقين.
.4تعظيم الله: بالتسبيح في نهاية المشهد.
.5ربط الدنيا بالآخرة: من خلال عرض مشهدي الدنيا والآخرة معاً.

ثالثاً: الخواطر من الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: (وإنا لنعلم) تذكير بعلم الله المحيط

الله يعلم كل مكذب، فلا يظن أحد أنه يفلت من علمه. الاستفادة: لا تخدع نفسك بأن ذنوبك خافية على الله.

الخاطرة الثانية: (منكم مكذبين) تذكير بأن التكذيب سيكون في كل زمان

لا تيأس إذا وجدت من يكذب الحق، فالله يعلمهم. الاستفادة: استمر في دعوتك، ولا تثبطك قلة المستجيبين.

الخاطرة الثالثة: (لحسرة على الكافرين) تذكير بأن التكذيب سيندمون عليه

كل من يكذب اليوم بالقرآن، سيقف غداً نادماً حسرات. الاستفادة: لا تكن منهم، وتب قبل أن تندم.

الخاطرة الرابعة: (حق اليقين) تذكير بأن القرآن هو الحقيقة المطلقة

القرآن ليس ظناً ولا تخميناً، بل هو الحق الذي لا شك فيه. الاستفادة: تمسك بالقرآن، فهو نورك في الدنيا والآخرة.

الخاطرة الخامسة: (فسبح باسم ربك العظيم) تذكير بالتسبيح عند رؤية الحق

عندما ترى آيات الله وعظمته، سبحه. الاستفادة: أكثر من التسبيح، فهو عبادة خفيفة الأجرها عظيم.

الخاطرة السادسة: (ربك العظيم) تذكير بعظمة الله

الله عظيم، فكيف نكفر به أو نكذب رسوله؟ الاستفادة: عظم الله في قلبك، وخافه حق الخوف.

الخاطرة السابعة: من العلم إلى الحسرة إلى اليقين إلى التسبيح - رحلة إيمانية

الآيات تأخذنا في رحلة: علم الله ← حسرة الكافرين ← حق اليقين ← تسبيح المؤمنين. الاستفادة: أسلم وجهك لله، وكن من المسبحين.

رابعاً: الدروس والرسائل والتوجيهات من الآية

الأمر الأول: القضايا التي تعالجها الآية

1.قضية علم الله المحيط بكل شيء، وبالمكذبين خاصة.
2.قضية أن التكذيب بالقرآن سيؤول إلى حسرة وندامة يوم القيامة.
3.قضية أن القرآن هو حق اليقين، أي الحق الثابت الذي لا شك فيه.
4.قضية أن المؤمنين مأمورون بالتسبيح بعد معرفة هذه الحقائق.
5.قضية تعزية النبي وتثبيته على ما هو عليه.
6.قضية ترهيب الكافرين ووعدهم بالحسرة.
7.قضية عظمة الله التي تستوجب التسبيح.

الأمر الثاني: قراءة الآية قراءة واعية وتحويلها إلى واقع ملموس

القراءة الواعية: أن تقرأ الآيات وتستشعر أن الله يعلم كل ما في قلبك، وأنك إن كنت مكذباً فستكون لك الحسرة، وأن القرآن هو حق اليقين، وعليك أن تسبح ربك العظيم.

تحويلها إلى واقع ملموس:

· في حياتك اليومية: استحضر علم الله في كل عمل تقوم به، وقل: "الله يعلمني".
· في عباداتك: أكثر من التسبيح، وقل: "سبحان الله العظيم" بخشوع.
· في معاملاتك: لا تكذب على الناس، فالذي يكذب على الناس يكذب على الله.
· في تربيتك: علم أبناءك أن الله يعلم كل شيء، وأن التكذيب يؤدي إلى الحسرة.
· في دعوتك: ذكر الناس بهذه الآيات، وقل لهم: "لا تندموا غداً، آمنوا اليوم".

الأمر الثالث: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

1.تغيير النظرة إلى علم الله: نستشعر أن الله يرانا ويعلمنا، فلا نجرؤ على المعصية.
2.تغيير النظرة إلى التكذيب: التكذيب ليس مجرد رأي، بل هو جريمة ستؤدي إلى الحسرة الأبدية.
3.تغيير النظرة إلى القرآن: القرآن ليس كتاباً عادياً، بل هو حق اليقين الذي يجب أن نتمسك به.
4.تغيير النظرة إلى التسبيح: التسبيح ليس مجرد كلمات تردد، بل هو رد فعل طبيعي على عظمة الله.
5.تغيير النظرة إلى الحسرة: الحسرة في الآخرة لا تنفع، فالفرصة للندم في الدنيا.
6.تغيير النظرة إلى تعزية النبي: الله يعزي نبيه، فيجب أن نقتدي به ونتأسى به.

الأمر الرابع: الدروس والعبر المستخلصة وكيفية تطبيقها

الدرس الأول: الله يعلم كل مكذب. التطبيق: لا تخف من الناس، بل خف من الله.

الدرس الثاني: التكذيب بالقرآن حسرة على الكافرين. التطبيق: آمن بالقرآن قبل أن تندم.

الدرس الثالث: القرآن هو حق اليقين. التطبيق: اقرأ القرآن واتبع أوامره، فهو الحق.

الدرس الرابع: التسبيح عبادة عظيمة. التطبيق: اكثر من قول "سبحان الله وبحمده".

الدرس الخامس: لا تيأس من تكذيب الناس. التطبيق: استمر في دعوتك، فالله يعلم المكذبين.

الدرس السادس: الحسرة في الآخرة لا تنفع. التطبيق: تب اليوم ولا تؤجل.

الدرس السابع: عظمة الله تستوجب التسبيح. التطبيق: أكثر من ذكر الله وتعظيمه.

خامساً: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات المعرفية

· مهارة فهم دلالات التأكيد في القرآن (إن، اللام).
· مهارة التمييز بين مراتب اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين).
· مهارة استنتاج العلاقة بين علم الله وعذابه.
· مهارة فهم معنى الحسرة في الآخرة.

المهارات الحياتية

· مهارة استشعار رقابة الله.
· مهارة تحمل تكذيب الناس في الدعوة إلى الله.
· مهارة التوبة والمبادرة إليها.
· مهارة التسبيح والذكر.

المهارات العملية

· مهارة تعليم الأطفال مراقبة الله.
· مهارة الرد على المكذبين بالحكمة.
· مهارة تنظيم وقت للذكر والتسبيح.
· مهارة تدبر القرآن للوصول إلى حق اليقين.

سادساً: التوجيهات من الآية ودورها في تطوير الحياة

التوجيهات

.1لا تظن أن الله غافل عن المكذبين، فهو يعلمهم وسيجزيهم.
.2إذا سمعت تكذيباً بالقرآن، فلا تحزن، فالحسرة ستكون عليهم.
.3تمسك بالقرآن واعلم أنه حق اليقين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
.4أكثر من التسبيح بخشوع، فهو عبادة عظيمة تثقل الميزان.
.5لا تدع تكذيب الناس يثبطك عن دعوتهم، فالله يعلم المستجيب من المكذب.
.6اغتنم فرصة التوبة قبل أن تأتي الحسرة التي لا تنفع.
.7عظم الله في قلبك، فهو العظيم المستحق للتسبيح.

دورها في تطوير الحياة

· تطوير الوعي الإلهي: استشعار علم الله يردع عن المعاصي.
· تطوير الصبر على الأذى: معرفة أن المكذبين سيندمون تثبت النفس.
· تطوير التعلق بالقرآن: فهو حق اليقين الذي يهدي إلى الخير.
· تطوير العبادة: التسبيح يربط العبد بربه.
· تطوير الأمل: لا يأس من هداية الناس، فالله يعلمهم.

سابعاً: ما نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم:

.1أن الله يعلم كل مكذب، فلا يخفى عليه شيء.
.2أن في كل زمان مكذبين، وهذا ليس بجديد.
.3أن التكذيب بالقرآن سيكون سبباً في حسرة الكافرين يوم القيامة.
.4أن الحسرة هي شدة الندم والأسف على ما فات.
.5أن القرآن هو حق اليقين، أي الحق الثابت الذي لا شك فيه.
.6أن للعلم مراتب: علم اليقين) العلم(، وعين اليقين) المشاهدة(، وحق اليقين) الوصول.(
.7أن المؤمنين مطالبون بالتسبيح بعد معرفة هذه الحقائق.
.8أن الله عظيم، ويستحق أن ننزهه عن كل نقص.
.9أن التسبيح عبادة سهلة ولكنها عظيمة الأجر.

10.أن تعزية النبي بذكر علم الله وحسرة الكافرين تثبت قلوب المؤمنين.

ثامناً: المفاهيم والأبعاد والقيم والآفاق من الآية

الأمر الأول: أبعاد وآفاق الآية

الأبعاد:

1.البعد العقدي: إثبات علم الله المحيط، وإثبات أن القرآن حق اليقين.
2.البعد النفسي: تعزية النبي وتثبيته، وترهيب الكافرين.
3.البعد الزمني: ربط الماضي) علم الله بالمكذبين (بالحاضر) حسرة الكافرين (والمستقبل) حق اليقين.(
4.البعد البياني: أسلوب التأكيد والتكرير.
5.البعد التعبدي: الأمر بالتسبيح.
6.البعد الوعظي: تحذير الكافرين من عاقبة تكذيبهم.

الآفاق:

1.أفق اليقين: الوصول إلى درجة حق اليقين في الإيمان بالقرآن.
2.أفق التسبيح: جعل التسبيح جزءاً من الحياة اليومية.
3.أفق الصبر: تحمل تكذيب الناس في سبيل الدعوة.
4.أفق التوحيد: تعظيم الله وتنزيهه.
5.أفق التوبة: المبادرة إليها قبل الحسرة.

الأمر الثاني: القيم من الآية

1.قيمة العلم: الإيمان بعلم الله المحيط.
2.قيمة اليقين: الوصول إلى درجة اليقين بالقرآن.
3.قيمة التسبيح: تنزيه الله وتعظيمه.
4.قيمة الصبر: على تكذيب المكذبين.
5.قيمة التوبة: المبادرة قبل فوات الأوان.
6.قيمة التوكل: على الله في الدعوة.
7.قيمة التعزية: تسلية المؤمنين.

الأمر الثالث: المفاهيم من الآية في حياتنا العملية

مفهوم (علم الله): في حياتنا العملية، نستشعر أن الله يعلمنا، فينضبط سلوكنا.

مفهوم (المكذبين): في حياتنا العملية، نتعامل مع المكذبين بالحكمة، ونعلم أن مصيرهم الحسرة.

مفهم (الحسرة): في حياتنا العملية، نحرص على ألا نكون من الذين يتحسرون يوم القيامة.

مفهوم (حق اليقين): في حياتنا العملية، نقرأ القرآن ونتدبره حتى يصل إيماننا إلى درجة حق اليقين.

مفهوم (التسبيح): في حياتنا العملية، نكثر من قول "سبحان الله" تذكيراً بعظمة الله.

الأمر الرابع: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

المفاهيم النفسية:

1.مفهوم) التعزية النفسية(: تثبيت النبي بقوله: الله يعلم.
2.مفهوم) الترهيب(: خلق الخوف من الحسرة.
3.مفهوم) الطمأنينة(: بأن القرآن حق يقين.
4.مفهوم) التسبيح كطمأنة(: ذكر الله يريح النفس.

المفاهيم الفكرية:

.1مفهوم) العلم الإلهي(: لا يخفى عليه شيء.
.2مفهوم) السببية(: التكذيب يؤدي إلى الحسرة.
.3مفهوم) الحق المطلق(: القرآن هو الحق.
.4مفهوم) مراتب اليقين(: علم، عين، حق.

المفاهيم التربوية:

.1مفهوم) التربية بالعلم(: تعليم الأطفال أن الله يعلمهم.
.2مفهوم) التربية بالترهيب(: تحذيرهم من عاقبة التكذيب.
.3مفهوم) التربية باليقين(: تعليمهم أن القرآن حق.
.4مفهوم) التربية بالتسبيح(: تعويدهم على ذكر الله.

الأمر الخامس: مفاهيم البناء من الآية

.1بناء اليقين: في قلوب المؤمنين بأن القرآن حق.
.2بناء الصبر: على أذى المكذبين.
.3بناء التسبيح: عبادة دائمة.
.4بناء التوكل: على الله في الدعوة.
.5بناء التوبة: المبادرة إليها.

الأمر السادس: مفاهيم التنمية من الآية

.1تنمية ثقافة مراقبة الله: ينضبط المجتمع.
.2تنمية ثقافة الصبر: على التحديات.
.3تنمية ثقافة التسبيح: يملأ القلوب ذكراً.
.4تنمية ثقافة اليقين: بالقرآن يمنع التطرف.
.5تنمية ثقافة الحوار مع المكذبين: بالحكمة.

الأمر السابع: دور هذه المفاهيم في بناء الشخصية المسلمة وصناعة التطور والنهضة

بناء الشخصية المسلمة:

الشخصية المسلمة التي تستوعب هذه الآيات تتسم بـ:

· مراقبة الله: في السر والعلن.
· الصبر: على تكذيب الناس.
· اليقين: بأن القرآن حق.
· التسبيح: لسانها رطب بذكر الله.
· التوبة: المستمرة.

صناعة التطور والنهضة:

· أولا ً: مجتمع يراقب الله يقل فيه الفساد.
· ثانياً: مجتمع يصبر على التكذيب يستمر في دعوته ويتطور.
· ثالثاً: مجتمع يوقن بالقرآن يقوده إلى التقدم.
· رابعاً: مجتمع يكثر من التسبيح يسوده الطمأنينة.
· خامساً: مجتمع يبادر بالتوبة يتطهر ويزدهر.

تاسعاً: ما تدعونا إليه الآية والوقفات التدبرية العملية

الأمر الأول: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا العملية

.1تدعونا إلى استشعار علم الله بنا، في كل أقوالنا وأفعالنا.
.2تدعونا إلى عدم اليأس من تكذيب الناس، فالله يعلمهم وسيجزيهم.
.3تدعونا إلى الإيمان بالقرآن بأنه حق اليقين، والعمل به.
.4تدعونا إلى الإكثار من التسبيح، فهو عبادة عظيمة.
.5تدعونا إلى التوبة والمبادرة قبل أن نكون من المتحسرين.
.6تدعونا إلى تعظيم الله في قلوبنا.
.7تدعونا إلى تثبيت أنفسنا على الحق، كما ثبت الله نبيه.

الأمر الثاني: وقفات تدبرية وأسئلة عملية

الوقفة الأولى: وقفة (وإنا لنعلم)

التدبر: تخيل أن الله ينظر إليك ويعلم كل ما في قلبك. هل أنت مستعد لهذا العلم؟

الأسئلة العملية:

· هل أستشعر علم الله في حياتي اليومية؟
· كيف سأتغير لو تذكرت أن الله يعلمني؟

التطبيق: كل صباح، قل: "اللهم إني أستشعر علمك بي، فأعني على مراقبتك".

الوقفة الثانية: وقفة (منكم مكذبين)

التدبر: قد يكون من أقرب الناس إليك من يكذب بهذا القرآن. لا تحزن، فالله يعلم.

الأسئلة العملية:

· كيف أتعامل مع من يكذبون بالقرآن من حولي؟
· هل يثبطني تكذيبهم عن دعوتهم؟

التطبيق: استمر في دعوتك بالحكمة، ولا تيأس، فأنت لست مسؤولا ً عن هدايتهم، بل الله.

الوقفة الثالثة: وقفة (لحسرة على الكافرين)

التدبر: تخيل أنك تقف يوم القيامة، وتتمنى لو كنت آمنت، ولكن فات الأوان.

الأسئلة العملية:

· هل سأكون من المتحسرين أم من الفرحين؟
· ماذا أفعل اليوم لئلا أكون من المتحسرين؟

التطبيق: تب اليوم من كل ذنب، واجعل إيمانك قوياً بالقرآن.

الوقفة الرابعة: وقفة (حق اليقين)

التدبر: تخيل أنك تمسك بالمصحف، وتستشعر أن هذا الكلام هو حق اليقين، لا شك فيه.

الأسئلة العملية:

· هل أقرأ القرآن وكأنه حق يقين؟
· كيف أصل إلى درجة حق اليقين؟

التطبيق: اقرأ القرآن بتدبر، وتأمل في آياته، واعمل بها، ليصل إيمانك إلى حق اليقين.

الوقفة الخامسة: وقفة (فسبح باسم ربك العظيم)

التدبر: بعد كل هذه الحقائق، لا يبقى إلا التسبيح. سبحان الله العظيم.

الأسئلة العملية:

· هل أكثر من التسبيح في يومي؟
· كيف أجعل التسبيح عادة يومية؟

التطبيق: خصص وردا يوميا للتسبيح، وقل: "سبحان الله وبحمده" 100 مرة على الأقل.

الوقفة السادسة: وقفة (ربك العظيم)

التدبر: تخيل عظمة الله: عرشه وسع السموات والأرض، وهو فوق كل شيء. ثم تسبحه.

الأسئلة العملية:

· هل عظمة الله حاضرة في قلبي؟
· كيف أزيد تعظيم الله في نفسي؟

التطبيق: اقرأ في أسماء الله وصفاته، وتأمل في ملكوت السموات والأرض.

رسالة الختام
لقد تبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يخبر نبيه والمؤمنين أنه يعلم أن في الناس من يكذبون بهذا القرآن، وأن هذا ليس بعجيب، فالله يعلمهم جميعاً. ثم يخبر أن هذا التكذيب سيكون حسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة، حين يرون الحق واضحاً أمامهم ويعلمون أنهم خسروا أنفسهم وأهليهم. ثم يؤكد أن هذا القرآن هو حق اليقين، أي الحق الثابت الذي لا شك فيه، وهو الطريق إلى أعلى درجات اليقين.

وتعلمنا أن هذه الآيات تعزي النبي وتثبته، وترهب الكافرين، وتطمئن المؤمنين. وتعلمنا أن التسبيح هو رد الفعل المناسب بعد معرفة هذه الحقائق، فالله العظيم يستحق أن ننزهه ونذكره في كل وقت.